

أحمد زارم

الدار العربية للكتاب

أحمد زارم

مُذكّرات ...

صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار

1943_1968

الدار العربية للكتاب

ر ـ د ـ م ـ ك : (الجزء الثاني 8 ـ 015 ـ 10 ـ 9973 3

ر ـ د ـ م ـ ك : (طبعة تامة 6 ـ 016 ـ 10 ـ 9973 4

خالد علي بورفيج

الإهداء

إلى روح المجاهد الصامد الذي رافق الجهاد الليبي في ميداني السلاح والسياسة داخل الوطن وخارجه من سنة 1911 إلى سنة 1957م حيث وافاه الأجل المحتوم :

البشير السعداوي

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الكتاب هو الجزء الثالث من ذكرياتي في الحركة الوطنية خارج الوطن وداخله. وهذا الجزء منها يختص بمتابعة أحداث الحركة الوطنية الشعبية غير الرسمية تلك الأحداث التي وقعت في وطننا ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية، حيث يبتدئ هذا الجزء بانهزام الاستعمار الايطالي الفاشي ومغادرته ليبيا نهائيا وإلى الأبد إن شاء الله تعالى. هذه الأحداث التي اشتدت بصورة خاصة في السنوات الأربع الأخيرة من سنوات وجود الإدارة البريطانية في ليبيا من سنة (1948 إلى 1952م).

هذه الفترة الرهيبة التي كان فيها مصير مستقبلنا في مهب الرياح، تلعب به الأهواء، وتتجاذبه المطامع خصوصا حينما رفع مشروع «بيفن-اسفورزا» رأسه ذلك المشروع الذي ولد في «روما» وباركته «لندن» وترعرع في «باريس» وقضى نحبه في «ليك سيكسس» والحمد لله ذي الفضل العظيم.

ذلك المشروع الخطير المزعج الذي هز البلاد هزا عنيفا. أجل رفع هذا المشروع رأسه بعدما لبث أمدا يتخبط في أحشاء السياسة الاستعمارية الأوروبية المتحالفة يتحين الفرصة. ثم برز للوجود فحدثت من أجل بروزه مواقف واهتزازات في البلاد الليبية كلها. فانفجرت المظاهرات تجتاح المدن والقرى قاصيها ودانيها، حاضرها

وباديها . وأمطر الشعب هيئة الأمم المتحدة بوابل من البرقيات الاحتجاجية الغاضبة ، وأعلن العصيان المدني من شرفة المؤتمر على الجماهير يوم السابع عشر من مايو سنة 1949م وبالجملة فقد أصبحت البلاد قاب قوسين أو أدنى من انفجار ثورة مسلحة .

ولا أقول هذا استنتاجا من هياج الشعب وسخطه واحتجاجاته ، ولكن أقول ، وبالتأكيد ، في خضم ذلك الهيجان بدأ فعلا التفتيش عن الأسلحة . وقد حضر عدد من تجار الأسلحة إلى مقر المؤتمر الوطني بشارع عمر المختار . وكان المتولي لهذه المهمة من طرف الحركة الوطنية هو المرحوم «الطاهر المريض» ومن قبيل الصدفة أن قابلت في يوم من تلك الأيام صحبة الطاهر المريض أحد تجار الأسلحة ، وكان هذا التاجر يملك كمية وافرة من الأسلحة الخفيفة الحديثة آنذاك مع كمية أوفر من الذخيرة وأنا لا أعرف هذا التاجر من هو ، ولا من أي منطقة هو ، وإنما أتذكر أنه رجل معوق من إحدى رجليه قليلا تعرفه واضحا حينما يمشي أمامك .

وليس هذا بالأمر الغريب ، لأن الأسلحة يومئذ متوفرة عند المهتمين بتجارتها . وكان مصدرها مخلفات الجيوش المتحاربة في ميادين القتال ، وما يبيعه الجنود من الطرفين لأفراد الشعب وقد كانت الأسلحة آنذاك تباع وتشترى في الأسواق بسهولة كمادة تجارية . حتّى لقد كادت تكون علنا ، ولكن الله سلم ، وله الحمد والمنة على ألطافه .

هذه الحوادث الشعبية وأمثالها وتطوراتها في خلال تلك السنين هي التي أريد اليوم تسجيلها للتاريخ بقدر الامكان . واقول بقدر الإمكان ، إذ أنني لا أستطيع أن أحيط بها ، ولا بأغلبها ، لا أعتقد أن هناك من يدعي ذلك . وعلى كل فسأسجل ما عرفته أنا شخصيا ، أو شاركت فيه ، أو فعلته مما لم أنسه وما أجده عند الآخرين . وهذه السنوات تبتدئ من سنة 1942م ويستمر البحث عن أحداثها إلى أن يقف عند قيام ثورة الفاتح من سبتمبر سنة 1969م ، هذه الفترة التي امتدت حوالي ستة وعشرين عاما ، هي التي نريد متابعة أحداثها الشعبية ، لا الرسمية .

وكما هو معروف لدى الجميع فإن هذه الفترة تنقسم إلى عهدين اثنين . فالعهد الأول ومدته ثمانية أعوام وهو عهد وجود الإدارة البريطانية في ليبيا . وثمانية عشر

عاما هي عمر الحكم الملكي المنهار في عهد الاستقلال ، هذا الحكم الذي أزالته هذه الثورة .

قلت أقتصر في ذكرياتي هذه على تحركات الشعب وكفاحه ونضاله دفعا للمطامع الاستعمارية وطلبا للاستقلال والحرية ، لا الرسمية ، وأعني بالرسمية ما يقابل تلك الشعبية كاجراءات مجلس هيئة الأمم المتحدة لليبيا وأعمال الإدارة البريطانية طوال تلك الفترة التي من ضمنها تلك الرسائل السرية التي أفرجت عنها الحكومة البريطانية أخيرا ، وظهرت على صفحات بعض الصحف في أوروبا بعدما لبثت هذه الرسائل سجينة في ملفات الوثائق السرية في (لندن) حوالي ثلاثين عاما ، فهذه وتلك وغيرهما من الحوادث الرسمية والإجراءات الإدارية ضربت عنها صفحا ، ولم أتطرق إليها إلا من بعض لمحات اقتضاها سياق الكلام ، أو فرضتها بعض التفاعلات عند وقوع الحوادث ، أو حين الكتابة .

أجل ، تركت الإجراءات الرسمية ، لأنها قد سجلتها الجهات القائمة عليها وقتئذ باستيفاء ودقة ، قد لا يمكن لي أن أصل إلى مستواها من الدقة والشمول . إذ إن الكثير منها لا يزال تكنفه السرية ، وما أفرج عنه منها يمكن الاطلاع عليه في مصادره ، فليرجع إليها من يريدها . أما الحركات الشعبية التي قامت بها جماهير الشعب العربي في ليبيا ضد المناورات الاستعمارية والمطامع الدولية ، والتي كان لها السهم الوافر في فشل هذه المناورات والمطامع التي كانت تهدف إلى تقسيم البلاد واستعمارها من جديد ، رغم تخرصات أولئك الجهلة أو الحاسدين الذين ملئت قلوبهم حسدا وحقدا ، الذين يقولون : إن فوز الشعب بحقه كان نتيجة الخلافات التي ظهرت بين الدول المتحالفة فيما بينها وتحاسدها .

وأنا لا أنفي هذا العامل ، أي اختلاف الدول بسبب مطامعها ؛ ولكنني أقول للبلهاء : إن ذلك أحد العوامل المؤثرة في مجرى الأمور فعلا إلى حدما . وأقول أيضا : إنه لو لم يكن هناك من يستغل ذلك الخلاف بلباقة وذكاء ، ويعرف من أين تؤكل الكتف كما يقول المثل ، لأمكن لهذه الدول القضاء على خلافاتها وترضية بعضها البعض باقتسام البلاد فيما بينها ، وينتهي مشكل الخلاف على حسابنا . ولكن مواقف الشعب وتضحياته البشرية والمادية التي أثبتنا بعضا منها ، وحسن قيادة

الحركة ومهارتها واخلاصها الوطني .. كل هذه عوامل في الدرجة الأولى من أسباب فوز البلاد بحقها ، ولا ينكر تأثيرها في سير القضية الوطنية الليبية ، وفوز الشعب بحقوقه إلا حاسدٌ ذو ضغينة ، أو مكابر ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار .

وأعود فأقول : إن هناك من يدعي ذلك . وعلى كل فسأسجل ما عرفته أنا شخصيا ، وشاركت فيه أو فعلته مما لم أنسه وما أجده عند الآخرين . وهذه السنوات تبتدئ من سنة 1943 م ويستمر البحث عن أحداثها إلى أن يقف عند قيّام ثورة الفاتح من سبتمبر سنة 1969 م هذه الفترة التي امتدت حوالي ستة وعشرين عاما هي التي نريد متابعة أحداثها الشعبية لا الرسمية .

وكما هو معروف لدى الجميع أن هذه الفترة تنقسم إلى عهدين اثنين : فالعهد الأول ومدته ثمانية أعوام هو عهد وجود الإدارة البريطانية في ليبيا . وثمانية عشر عاما هو عمر الحكم المنهار في عهد الاستقلال ، هذا الحكم الذي أزالته هذه الثورة .

قلت اقتصر في ذكرياتي هذه على تحركات الشعب وكفاحه ونضاله ، دفعا للمطامع الاستعمارية ، وطلبا للاستقلال والحرية ، لا الرسمية . وأعني بالرسمية ما يقابل تلك الشعبية كاجراءات مجلس هيئة الأمم المتحدة لليبيا ، وأعمال الادارة البريطانية طوال تلك الفترة التي من ضمنها تلك الرسائل السرية التي أفرجت عنها الحكومة البريطانية أخيرا ، وظهرت على صفحات بعض الصحف في أوروبا بعدما لبثت هذه الرسائل سجينة في ملفات الوثائق السرية في (لندن) حوالي ثلاثين عاما ، فهذه وتلك وغيرهما من الحوادث الرسمية والإجراءات الادارية ضربت عنها صفحا ، ولم أتطرق إليها إلا من بعض لمحات اقتضاها سياق الكلام ، أو فرضتها بعض التفاعلات عند وقوع الحوادث ، أو حين الكتابة .

أجل ، تركت الاجراءات الرسمية لأنها قد سجلت من طرف الجهات القائمة عليها وقتئذ باستيفاء ودقة ، قد لا يمكن لي أن أصل إلى مستواها من الدقة والشمول . إذ إن لكثير منها لا يزال تكتنفه السرية ، وما أفرج عنه منها يمكن الاطلاع عليه في مصادره ، فليرجع إليها من يريدها . أما الحركات الشعبية التي قامت بها جماهير الشعب العربي في ليبيا ضد المناورات الاستعمارية والمطامع الدولية ، والتي كان لها السهم الوافر في فشل هذه المناورات والمطامع التي كانت تهدف إلى

نقسيم البلاد واستعمارها من جديد ، رغم تخرصات أولئك الجهلة أو الحاسدين الذين ملئت قلوبهم حسدا وحقدا ، الذين يقولون : إن فوز الشعب بحقه كان نتيجة الخلافات التي ظهرت بين الدول المتحالفة فيما بينها وتحاسدها .

وأنا لا أنفي هذا العامل ، أي اختلاف الدول بسبب مطامعها ، ولكنني أقول للبلهاء : إن ذلك أحد العوامل المؤثرة في مجرى الأمور فعلا إلى حدما . وأقول أيضا : إنه لو لم يكن هناك من يستغل ذلك الخلاف بلباقة وذكاء ، ويعرف من أين تؤكل الكتف كما يقول المثل ، لأمكن لهذه الدول القضاء على خلافاتها وترضية بعضها البعض باقتسام البلاد فيما بينها ،.وينتهي مشكل الخلاف على حسابنا . ولكن مواقف الشعب وتضحياته البشرية والمادية التي أثبتنا بعضا منها ، وحسن قيادة الحركة ومهارتها واخلاصها الوطني .. كل هذه عوامل في الدرجة الأولى من أسباب فوز البلاد بحقها ، ولا ينكر تأثيرها في سير القضية الوطنية الليبية ، وفوز الشعب بحقوقه إلا حاسدٌ ذو ضغينة ، أو مكابر ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار .

وأعود فأقول أن هذه المداورات القيادية في السياسة الوطنية الحزبية لتعمية الخصم . وتلك الانتفاضات الشعبية والتضحيات الوطنية في سبيل ارغام الخصم المتحكم المتكبر على التسليم بحقوقنا الوطنية . كل هذه ليست من الأشياء التي تهم الدوائر الاستعمارية فتسجلها ، لأنها من مفاخر تاريخ الشعب في مقاومة المتسلط . ومن هنا فإن هذا المتسلط لا يهتم بتسجيلها بطريقة تاريخية تبقى للأجيال المقبلة للشعب المعني ، لتستفيد منها في حياتها .

ولذلك لا يوجد لمقاومة الشعب الليبي وتحركاته ذكرَ ، لا في سجلات مجلس هيئة الأمم المتحدة لليبيا ، ولا في سجلات الإدارة البريطانية فيما اطلعنا عليه ، مما أفرج عنه منها، ونشر في الصحف الأروبية وهو الأمر الذي جعلني أواصل بحثي عن هذه الأحداث الشعبية الهائلة لتلك الفترة وتسجيلها . والبحث عن صور شمسية لها لتكون كشاهد إثبات لها . تلك الفترة التي تخللتها مناورات خطيرة أثرت على بعض النفوس ، فأضعفتها ، فأخذت تشيع الأقاويل حسدا من عند أنفسها ، وبسبب إغراءات مبذولة من أكثر من جهة ، أعمت بصائر ، واستهوت نفوسا أخرى فأفسدتها .

فهذا وذاك ما دفعني إلى جمع ذكرياتي هذه ، والبحث عن حركات ووقائع الفترة تلك وأحداثها وصورها الشمسية بهدف إظهار مجهودات الجماهير الشعبية ، ومواقفها الوطنية التاريخية ضد المطامع التي كانت تستهدف السيطرة عليها ، ليحفظها التاريخ للأجيال المتتالية على مر العصور عسى أن تكون في قصص تاريخ السلف عبرة وموعظة للخلف .

وفي الحقيقة ، وبالرغم من كوني مواكبا لتلك الأحداث وعائشها من أولها إلى آخرها . بل إني في صميمها ومن فاعليها ، بالرغم من ذلك أقول : إنني لم أصل إلى الكثير ، بل إلى القليل من تلك الأحداث . وذلك نظرا إلى المدة التي تفصلنا عنها . والتي تتجاوز الثلاثين عاما . وكذلك اختفاء الكثير من معاصري تلك الأحداث الذين يمكن الاستفادة منهم في هذا الميدان ، ولكنهم أدوا واجبهم ، وارتحلوا عن هذه الدنيا . رحم الله جميعهم .

وعليه أعترف بأن ما سجلته في هذا الجزء لا يعدو كونه نزرا ضئيلا بالنسبة لما وقع من كفاح طويل ومرير في تلك السنين الغابرة . وقصارى القول : إنني لا أحسب أنني قد أتيت بما فيه الكفاية ، ويمكن الوقوف عنده ، باعتباره كل ما وقع ، كلا ، وإنما اقول كما قال الأ‌[illegible] ذهبوا « ما لا يدرك كله لا يهمل أقله » وعلى كل فلعلي مع توالي الليالي والأيام ، ومرور الأشهر والأعوام أستطيع أن أواصل هذا البحث مع بقايا رجال ذلك العهد إن وجدت منهم بقية ، أو ما أظفر به من بعض وثائق خطية ، أو صور شمسية . أو ما تسعفني به ذاكرتي مما خزنته في زواياها المظلمة ، حتى أصل إلى جانب أوفر من تلك الأحداث .

هذا إذا ما كتب الله لي بقية من عمر في دفتر القدر . وإلا فحسبي أنني قمت بهذا كفتح لباب كاد أن يغلق . ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . وهذا العمل البسيط يعتبر تمهيدًا لمن يأتي من بعدنا ، فيلجون منه إلى ميدان البحث والتنقيب لاكمال ما نقص اليوم .

هذا ، وإني أستغفر الله تعالى من أي خطأ أو زيادة أو نقص أو غلط أو أي شيء غير مقصود . وسبحان الذى لا ينسى ولا يخطئ .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المؤلــــف

مقدّمـــة

بقلم : الأستاذ مصطفَى عبد الله بعيو

هذه المقدمة كتبت لتنشر في الكتاب الأول «حتّى لا يضيع التاريخ» الذي صدر سنة 1972م ولكنها اختفت بين أوراق وجرائد وكتب . واليوم ومن قبيل الصدفة وجدتها بين صفحات أحد الكتب ـ ولذا أقدمها لتنشر في هذا الجزء من ذكرياتي . مع اعتذاري لصديقي الأستاذ مصطفى بعيو . أطال الله عمره في العزة والتوفيق .

تعرفت على صديقي أحمد زارم عندما عدت من مصر نهائيا إلى أرض الوطن في صيف 1948م بعد هجرة امتدت أكثر من عشرين عاما قضيتها في الدراسة والتحصيل . وكان أحمد زارم قد عاد بدوره من تونس بعد أن هاجرت إليها أسرته ، وقد اصطحبها شابا يافعا مدركا لظروف الهجرة وما صاحبها من نصب ومشاق ، وكان اللقاء بيننا حارا ، وقد مهد له صديق الجميع الشيخ محمد بن عباس الذي كان قد عاد هو الآخر من هجرته إلى تونس واستقر في مسراته التي اعتدت أن أمضي فيها الإجازة الصيفية مع الأسرة عند القدوم من الاسكندرية ، وكان حديث اللقاء بيننا في مسراته كثيرا ما كان يدور حول الهجرة وظروفها ونشاط اليبيين في المهجر، سواء في مصر وسوريا أو تونس وما عداها من بلاد أخرى، اختارها المهاجرون الليبيون مكانا لإقامتهم . وكان من الطبيعي أن يتردد ذكر اسم «أحمد زارم» في أحاديث الشيخ محمد بن عباس التي كنت اعطيها كل اهتمامي للتعرف على نشاط الاخوة المهاجرين في تونس .

وهكذا بدأت العلاقة بيننا ، وزاد من توطيدها ماكانت تمر به البلاد من أحداث سياسية هامة ، وقد تنازعتها الدول الكبرى وأعطت لنفسها الحق في تقرير مصيرها . وعندما فشلت هذه الدول في اقتسام الغنيمة أحالت موضوع المستعمرات الايطالية السابقة إلى الأمم المتحدة لاتخاذ القرار اللازم بخصوصها مما ترتب عليه مجيء لجنة الاستفتاء الرباعية إلى ليبيا في أوائل سنة 1948 م للاطلاع على أحوال البلاد ، واستطلاع رأي أهلها في مصيرهم قبل تقديم التوصيات اللازمة إلى الأمم المتحدة ، وكان « المؤتمر الوطني » بزعامة المرحوم بشير السعداوي قد ألهب حماس الجماهير . وكان لأحمد زارم دور كبير في إثارة هذا الحماس ، بحكم نشاطه وعلاقته المتصلة برئيس المؤتمر ، وهما في المهجر قبل أن يلتقيا في مدينة طرابلس في سنة 1948 م وقد بين لنا المؤلف في كتابه كيف بدأت هذه العلاقات وما صاحبها من نشاط سياسي بين الليبيين في المهجر ، وهو في هذا الكلام يعطينا نبذة مقتضبة تصلح أن تساعد في دراسة تأثير نشاط الليبيين في الخارج ضد الحكم الايطالي في البلاد ، بعد أن سيطرت ايطاليا عليها وقضت على آخر مظهر للمقاومة فيها .

وبمرور الأيام أصدر المؤتمر الوطني جريدة سياسية تنطق بلسانه ، وتعبر عن آرائه ، وتدعو إلى فكرته بخصوص وحدة البلاد وحريتها . وكانت هذه الجريدة هي : « شعلة الحرية » وكان صاحبها « أحمد زارم » واستطاعت « الشعلة » بامكانياتها المحدودة أن تكون الجريدة المفضلة لدى الشعب لما تبثّه من أفكار وآراء سياسية . وكانت هذه الجريدة من العوامل التي ساعدت على تقوية العلاقة بيننا ، رغم ما كان يشوبها من خلاف في الرأي ، ووجهات النظر إزاء الأحداث الجارية في ذلك الوقت والحق يقال : إنه كان صلبا في رأيه ، عنيدا في إبداء وجهة نظره ، وقد انعكست هذه الصفات في صفحات هذا الكتاب الذي طلب مني تقديمه إلى القراء .

لقد سبق للمؤلف أن قام بنشر جزء كبير من كتابه هذا على صفحات جريدة « الشعب » لصاحبها الأستاذ علي مصطفى المسراتي ، وقد رأى المؤلف نشر هذه المقالات في كتاب خاص بعد أن أدخل عليها التعديلات اللازمة والكثير من الاضافات التي ارتأى فائدتها . ولقد تابعت قراءة ما نشره المؤلف في جريدة الشعب وها أنا أعيد قراءتها بعد أن ضمنها كتابه هذا (صاحب هذه المقدمة الكتاب الأول حتي لا يضيع التاريخ ـ ذكريات من الماضي القريب) وإذا كان المؤلف قد ركز

كلامه على بعض أوجه النشاط الذي قام به المهاجرون الليبيون في تونس قبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها فإنه أعطى اهتمامه لفترة نشاط «المؤتمر الوطني» في طرابلس بزعامة المرحوم بشير السعداوي حتى الأحداث الدامية التي صاحبت أول انتخابات نيابية شاهدتها البلاد ، وما اقترن بها من اعتقال وسجن للمئات وإبعاد للمرحوم بشير السعداوي وصحبه إلى مصر ، وإبعاد مؤلف الكتاب إلى تونس ، وحل «المؤتمر الوطني» ومنعه من ممارسة نشاطه. وهذه الفترة وإن قصيرة لا تتعدى بضعة سنوات (1948 ـ 1952) إلا أنها كانت مشحونة بالأحداث والتطورات ، والشيء الذي جعل من الصعب على المؤلف استيعابها ، وبالتالي حصرها وتدوينها ، ولكنه استطاع أن يسجل منها ما تذكره ، وما كان مرتبطا بالنشاط الذي ساهم فيه بنفسه. والحق يقال : ـ إنه لم يدون كل ما وقع من أحداث هامة ، وما كان يعرفه في هذا الخصوص لأسباب كثيرة قد يكون من بينها أن الذاكرة لم تسعفه بتذكر تلك الأحداث التي أخذت صورتها تتوارى في عالم النسيان ، أولا لأنه تحاشي إثارة بعض الأحداث التي له فيها وجهة نظر معينة ، كما فعل في مناسبات كثيرة عندما تعمد عدم ذكر بعض الأشخاص الذين كانت لهم مواقف معينة.

ويؤخذ على المؤلف أنه اعتمد الذاكرة في تدوين ما كتبه ، وهو يحاول استعراض فترة مزدحمة بالوقائع التاريخية المتداخلة ، ونحن نعرف أن الذاكرة كثيرا ما تخون خصوصا إذا كان صاحبها في مثل حالة مؤلف الكتاب من حيث السن والثقافة الذاتية المستمدة من المجهود الشخصي والإمكانيات المحدودة. وكان عليه أن يعود إلى بعض من أسهم في هذه الأحداث أو عاصرها ليتأكد من صحة الوقائع التي أثبتها ، وبالتالي التوسع في إعطاء الصورة الواضحة لها. وكان عليه أيضا الرجوع إلى الصحف والمنشورات التي صدرت في الفترة التي جعلها محور الكتابة ، وخاصة فترة نشاط «المؤتمر الوطني» إذ بالرجوع إلى هذه المصادر ومقارنتها بما لديه من معلومات خاصة كان في إمكانه الوصول إلى نتائج طيبة ، ولكن يبدو أن العجلة وحرص المؤلف على إخراج الكتاب ، بالإضافة إلى عدم تمكنه من الوصول إلى هذه الصحف والمنشورات ، وبالتالي طريقة الاستفادة منها كان كل ذلك سببا رئيساً فيما جاءت عليه صورة الكتاب من اهتزاز في عرض بعض الأحداث وتحليلها.

كنت أنتظر من المؤلف أن يذكر لنا كيف قامت «هيئة تحرير ليبيا» في القاهرة، وما دور عبدالرحمن عزّام «باشا» في تأسيسها؟ وكيف تم اختيار المرحوم بشير السعداوي رئيسا لها؟ وكيف ساءت العلاقات بين أعضاء الهيئة من جهة ورئيسها من جهة أخرى فيما بعد؟ وكيف جاء بعض أعضائها من القاهرة فيما بعد للاتصال بالشعب، وشرح حقيقة النزاع الذي قام بين أعضاء الهيئة ورئيسها؟ كنت أنتظر من المؤلف أن يحدثنا عن الأحزاب السياسية التي شاهدتها ليبيا في ذلك الوقت، وما هي أسس تكوينها وأوجه الخلاف بينها ومدى نفوذها بين جماهير الشعب، وكيف كانت تمون نفسها. وكنت أنتظر من المؤلف أن يشير إلى المساعي التي بذلت بين السياسيين في ليبيا بخصوص وحدة البلاد، وما هي العقبات التي اصطدمت بها هذه المساعي، وما هي النتائج التي توصلت إليها هذه المساعي وأثر كل ذلك في تقرير مصير ليبيا، بالشكل الذي خرجت به في يوم 24 ديسمبر 1951.

كنت انتظر من المؤلف، وهو يتحدث عن المرحوم بشير السعداوي، أن يشير إلى الطريقة التي جاء بها إلى ليبيا وزعامته للحركة الوطنية فيها بعد أن غاب عن البلاد مدة طويلة. وإن كان قد نجح في مواصلة الاتصال بأهلها عن طريق ما كان يصدره من بيانات سياسية، ومقالات صحفية، واجتماعات طلابية في القاهرة، ولقاءات بالحجاج بالأراضي المقدسة، وتقديم كل معونة إليهم أثناء موسم الحج. ولم يبين لنا المؤلف كيف تمت التمهيدات السياسية لعودته، وما هي الأسباب التي أدت إلى تصادمه مع السلطات الإدارية الانجليزية بعد أن سادت المهادنة جوانب العلاقات بينهما، وما هي الأسباب المباشرة التي أدت إلى التصادم مع السلطات الانجليزية، وما دور «المجلس الاداري» وطريقة تكوينه في هذا النزاع. وما الدور الذي لعبه بعض أعضاء المؤتمر الوطني في تطوير هذا النزاع، وتخليهم عن «المؤتمر الوطني» رغم المساعي التي بذلها المرحوم بشير السعداوي لوحدة الصف. كنت أنتظر أن يعطينا المؤلف فكرة واضحة عن الانتخابات النيابية الأولى، وطريقة اجرائها، ومن تولى الإشراف على تنفيذها بالطريقة التي أدت إلى النتيجة المعروفة. وما هو الدور الذي لعبه بعض الليبيين الذين كانوا يدعون الوطنية، ويلبسون مسوح الورع والتقوى، ويتصدرون المقاعد الأمامية في «المؤتمر الوطني» ويسدون الطريق أمام كل من كان يحاول الاتصال برئيسه لشرح الأمور على حقيقتها. كنت انتظر من المؤلف أن يشير إلى الجبهات التي كانت تهاجم المرحوم بشير السعداوي، وكيف كان يقارعها،

وكيف ساءت العلاقات بين بشير السعداوي وأمين عام جامعة الدول العربية ، وأثر ذلك في نشاط « المؤتمر الوطني » وكيف عقد مؤتمر تاجوراء 1950 م ، وأثره في تحديد العلاقات مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، والغريب أن المؤلف لم يشر إطلاقا إلى مشروع « بيفن ـ اسفورزا »والمؤامرة البريطانية الإيطالية في هذا الخصوص ورد الفعل الذي أحدثه هذا المشروع .

هذه الأحداث الهامة التي شاهدتها البلاد وعاصرها المؤلف وكان على الأقل مطلعا عليها لم يشر إليها من بعيد أو قريب ، الشيء الذي يؤخذ عليه . وقد يعيب القارئ على المؤلف إخراج الكتاب بهذا الشكل بما فيه من أسلوب وعيوب . والواقع أن هذه العيوب تتلاشى أهميتها وتتحول إلى رصيد لدعم المجهود الذي بذله المؤلف في إخراج كتابه هذا حينما يصبح هذا الكتاب مصدرا من المصادر التي يرجع إليها عند التفرغ لدراسة هذه الفترة التي تناولها المؤلف في كتابه .

وقد تعمدت عدم تصويب أي خطأ أثناء قراءة المخطوطة محافظة وإبقاء لقيمتها وللمجهود الذي بذله صاحبها في إخراجها ، خصوصا إذا عرفنا أن المؤلف لم تتح له فرص التعليم التي أتيحت لغيره وأنداده ، ومن لحقه من أجيال أخرى . لقد ولد المؤلف في السنوات الأولى من القرن العشرين حسب ما ذكره لي ، وقد نشأ في بيئة « الرحيبات » بامكانياتها التعليمية المحدودة في ذلك الوقت ، ولم يسمح الغزو الايطالي الذي تعرضت له البلاد في 1911 م باعطاء حياة الراحة للمؤلف وأمثاله . وما لبث أن هاجر مع أسرته إلى تونس وهو في سن الشباب ، وكان عليه أن يواجه الحياة الجديدة بجهود شاقة ليوفر لقمة العيش له ولأفراد أسرته ، إلى جانب ما كان يعطيه من وقت للمساهمة في النشاط السياسي الذي تبناه بعض المهاجرين الليبيين في تونس لمهاجمة السلطات الايطالية في ليبيا ، وسياسة حكمها للبلاد . هذه الظروف كلها مجتمعة لم تسمح للمؤلف أن يدرس الدراسة المجدية المنتظمة .

و إن كانت ظروف الحياة التي مر بها ، وجهوده الشخصية . واتصالاته برجال تونس العاملين في الميدان السياسي قد وفرت له الجانب الثقافي الكبير للاهتمام بالأحداث والتفاعل معها . ولهذا جاء كتاب المؤلف صورة صادقة لما كان عليه المؤلف من إمكانيات تعليمية وثقافية وسياسية متوفرة . ومن هنا أيضا تأتي قيمة الكتاب ،

وأهميته للباحث الذي يريد دراسة هذه الفترة الهامة من تاريخ البلاد ، والتي تناولها المؤلف في كتابه هذا .

وإذا كان المؤلف لم يراع المنهج التاريخي في كتابة مؤلفه بحكم إمكانياته التعليمية ، فهذا لا يقلل من المجهود الذي بذله ، ويكفيه أنه حاول جاهدا تسجيل احداث فترة هامة من تاريخ البلاد كان مصيرها النسيان والضياع كما ضاع غيرها . وعلى أولئك الذين أتيحت لهم دراسة المنهج التاريخي وطرق البحث العلمي الاستفادة من هده المادة التي حاول إعدادها المؤلف ، ولكن عليهم ألا يسلموا بها جملة أو تفصيلا ، فالمؤلف يسجل أحداثا قد ساهم فيها بنفسه ، واشترك في الكثير من جوانبها ؛ والعصمة لله وحده ، ولكن علينا أن نأخذ بها على أنها تمثل وجهة نظر المؤلف في هذه الأحداث إذا وجدنا ما يخالفه فيها من مصادر أخرى تأكدت لنا صحتها وبالتالي أوليتها في الأهمية .

ويلاحظ القارئ أن المؤلف يكثر من التفصيلات والمعلومات الجانبية ، ويتعمد اخفاء بعض الأسماء التي لها علاقة بالأحداث التي تناولها . وللمؤلف ما يشفع له إذا كان ذكر هذه الأسماء لا يأتي بالفائدة المطلوبة ، من حيث الأهمية التاريخية للحادثة المعينة ، خصوصا إذا كان ذكر الاسم قد يعود بالضرر الشخصي على صاحبه ، أو سمعته الشخصية ، مع عدم أهمية الواقعة في مجرى الأحداث التاريخية . أما ذكر التفاصيل والاستطراد في الأحداث فقد يكون من الأشياء الملحوظة على الكتاب في الوقت الحالي بالنسبة لبعض القراء الذين مازالوا يذكرون هذه الأحداث التي تناولها المؤلف في كتابه ، ولكنها تفيد أولئك الذين سيحاولون دراسة تاريخ البلاد في الأجيال القادمة ، إذ ستكون هذه التفاصيل خير مساعد لهم على فهم الكثير من الأحداث المسجلة ، والتي جعل المؤلف من نفسه محورا لها بحكم مساهمته فيها ، أو مشاركته في الاطلاع عليها .

بقي أن أقول : إن المؤلف وحده يتحمل كل ما جاء في هذا الكتاب من تسجيل للأحداث والحوادث وطريقة تحليلها وعرضها . ولكن على أن أذكر مخالفتي للكثير من هذه الحقائق التي تناولها في كتابه ، وطريقة تناوله لها . ويكفي أن أذكر على سبيل المثال ماكتبه بخصوص تكوين « هيئة تحرير ليبيا » وأعضائها المؤسسين ، وما ذكره بخصوص تكوين « المؤتمر الوطني » وانضواء جميع الأحزاب في هذه المؤسسة

السياسية باستثناء حزب « الكتلة الوطنية » وحزب الاستقلال . إذ المعلوم أن الحزب الأخير لم يظهر في الوجود إلا في صيف 1949 م بعد أن اكتملت ، هيمنة « المؤتمر الوطني » على البلاد ، الشيء الذي أزعج السلطات البريطانية في البلاد ، وأصبح يهدد وجودها ، ولهذا عجلت بالترخيص بقيام حزب « الاستقلال » بعد أن كان مؤسسوه يعملون متساندين معارضين لسياسة « المؤتمر الوطني » ولكن بصفة شخصية ، لا كمؤسسة حزبية . لا شك أن الإدارة البريطانية تحسب حساب خطر « المؤتمر الوطني » إذا قدر لها الاصطدام به ، ولهذا شجعت على قيام مؤسسة سياسية أخرى لتستعين بها إذا حدث خلاف مع « المؤتمر الوطني » وهذا ما حققته الأيام فيما بعد .

بقي أخيرا أن أطلب من القراء أن يأخذوا هذا الجهد في التأليف على أنه محاولة شخصية لها مساهمتها في حفظ تاريخ البلاد من الضياع ، وسيجد أبناء المستقبل في هذه المحاولة وغيرها عونا كبيرا في فهم بعض الأحداث التاريخية التي سبقت مجيئهم ، وفي هذا الفهم ما يساعدهم على تجنب الأخطاء وضمان السير في السبيل السوي ، مما يساعدهم على فهم حاضرهم على أساس متين من فهم الماضي ، استعداداً لبناء مستقبل أفضل لحياتهم ولأبنائهم من بعدهم . أما أولئك الذين قد لا يعجبهم ما جاء في هذا الكتاب من ذكريات لا تتفق ومساهمتهم في أحداثها أو فهمهم لها فعليهم أن يأخذوا الموضوع بتسامح عام في سبيل تشجيع الغير لمحاولة الكتابة بروح بناءة تهدف إلى المساهمة في تدوين تاريخ البلاد وحفظه من الضياع ، وحتى نتعاون جميعا في تسهيل المهمة للأجيال القادمة في سبيل الوصول إلى الحقيقة التاريخية وحفظها من الضياع أمام المصادر الأجنبية الأخرى التي لا شك أنها قد تناولت هذه الفترة بطريقتها الخاصة . ويكفي ما نجده من صعوبات عندما نحاول دراسة تاريخ أي فترة من تاريخ البلاد بسبب قلة المصادر التي تعطينا وجهة نظر أهل البلاد في حوادث بلادهم في الوقت الذي تزخر فيه اللغات الأخرى بالمصادر الكثيرة الغنية بمعلوماتها وتحليلاتها .

وفق الله الجميع في سبيل الوصول إلى الحقيقة والكشف عنها هداية للأجيال القادمة .

مصطفى عبد الله بعيو

طرابلس 28 صفر 1392 هـ 13 أبريل 1972 م

تقديـــــم

بقلم : الأستاذ علي مصطفَى المصراتي

هذه المقدمة نشرت في كتابي الأول : (حتّى لا يضيع التاريخ ، ذكريات من الماضي القريب) الذي صدر سنة 1972 م ولما صدر كتابي الثاني «مذكرات أحمد زارم» ولم تقع إعادة نشرها فيه . لاحظ لي الأستاذ علي مصطفَى أن عدم إعادة نشرها كان خطأ ولذلك تداركت الخطأ فنشرتها في هذا . ؟ وفيما يلي المقدمة :

هذه ذكريات مواطن ظل في الساحة أربعين عاما ، مرتفع الجبين ، أشم الأنف ، قوي الإرادة ... رغم أنف الحوادث ... وتوالي الأعاصير وتنوع الصراع .

عاصر أحمد زارم أحداثا جساما .. وشاهد تطورات خطيرة مرت بالوطن الليبي العزيز .. وتأثر منذ نعومة أظافره .. ومدارجه الأولى بجيل المناضلين الشرفاء .. الذين حملوا السلاح في ساحة الجهاد المقدس دفاعا عن الحرية وذودا عن كيان الشعب العربي المسلم .. وتأثر أحمد زارم في ثقافته السياسة بحاملي الكلمة الشريفة الهادفة في ميدان النضال السياسي .. منذ عشرينات هذا القرن ، آمن بالحق فلم تلن له قناة ..

لم يستسلم للمغريات ..

ولم يسقط في وهج المطامع ..

لم يضعف ولم يلن .. حتّى كادت صلابته في الحق تحسب عليه ..

حسنة من حسنات النضال عند تقييم المقومات .. وموازنة الموازنات ..

ولكنها أيضا .. نافذة .. بل باب واسع من أبواب المصاعب .. والمتاعب ..

عرف كاتب هذه الذكريات في حياته الطويلة العريضة .. والحياة ذات الأبعاد العميقة .. عرف الجوع .. والعطش .. والمرض .. والألم .. والإبعاد .. والسجن والنفي والتشريد .. والغربة .. والهجرة .. ونفور الخلان .. وتنكر الصحاب .. ومؤامرات الاستعمار .. بينما كان يتهافت على أسلاب الوطن شراذمة من الأفاكين والدجالين الافاقين .. والجواسيس .. وأذيال الفاشيست .. وعملاء الانجليز .. فيما بعد .. والانتهازيين من (دلاديل) العهد المنهار .. لكنه ظل صلب الارادة متوهج الإيمان ، رحب الصدر صبورا ، إلا في حق الوطن وحقوق شعب ليبيا البطل . عند ذلك لا عواطف ، لا ملاينة ، بل كلمة ، وموقف .. ورأي .. وإرادة .. قد يدفع ثمن ذلك ضريبة باهظة غير يسيرة .

موقف يؤدي مستلزماته .. ولم يكن وحده في جيله ، بل هو نموذج وبقية من جيل العطاء .. وجيل الأداء .. والجسر الذي يربط بين أجيال مشرقة في تاريخ النضال السياسي والجهاد الفعلي ..

وطني غيور ، لم يتكسب بقضية الوطن يوم كانت قضية الشعب سلعة يتاجر بها .. ويتكسب بها تجار السياسة وأدعياء الوطنية .. وعملاء الدخيل الأجنبي بل لم يعرف في أشواطه حتّى الراحة والاسترواح .. بل في أيام غربته لم يطلب في نضاله أجرا .. ولم يسع لمغنم أو مكسب . هو بقية من المناضلين الذين عاصروا الوقائع المريرة .. وساهموا في صنع المجابهة .. والرفض .. والغضب المقدس وتوعية الجماهير . في هجرته يسهم في تكوين الجبهات السياسية مع الأحرار الشرفاء .. يكتب الرسائل ، ويطبع المنشورات ويجابه جبروت الاستعمار .. ويفنّد ادعاء الفاشيست وهم في عنفوان طغيانهم .. يحارب الامبراطوريات الاستعمارية وأبواق الاستعمار بالكتابة ليبدد صنائعهم .. ويفضح ألاعيبهم .. وهو الفقير الأعزل الذي لا تسنده دولة ، ولا يدعمه حاكم ، ولا تسانده أحزاب ولا مؤسسات عالمية ، بل من ذات نفسه بل من إيمان شعبه ، وحوامته . هو وزملاؤ الأحرار من جيل المواجهة في المهجر .. وفي الداخل وساهم في المؤتمرات الوطنية أيام الصراع السياسي .. وقابل شخصيات على مستوى المسؤولية .. وأناسًا دون مستوى المسؤولية ، وحنكته الظروف ، وأكسبته التجارب خبرة طويلة في ميدان القضية الوطنية ..

هذا العصامي الذي نشأ في قرية بدوية في حضن جبل أشم ، وفي بيئة عربية

مسلمة تعرف موازين الرجال بالصدق والايمان والتضحية والبذل ، وتأبى الخضوع وعوامل الابتذال .. وتلمس صدق الرجل المناضل في كل خطواته ومراحله ، في أيام حمله السلاح ضد الطليان ، وفي أيام هجرته لتونس ، وفي عديد مراسلاته التي تعتبر من وثائق هذه المراحل الهامة من تاريخ شعبنا البطل ..

هناك من يسير إلى نصف الطريق أو إلى ربعه .. ثم يسقط ، لأنبهاره بالأضواء .. ولضعف في نفوس البشر أو ليأس يستولى على الإنسان المقاوم ، أحيانا لكن .. هذا .. من ذلك الرعيل الذي لم تبهره أضواء ، ولم تجذبه مطامع ، فلم يضعف ، ولم يتطرق إليه اليأس ، حتّى في أحلك الظروف وأقسَى الأحوال . وظل صاحب هذه الذكريات يناضل على الدرب المتعب الطويل .. بالرصاص ، بالكلمة ، صامدة .. وصاعدة ، وصادقة . بالكلمة .. حرفا .. ومعنى .. ومحتوى .

بالموقف مجابهة .. وفكرة .. وهدفا .
بالموقف .. داخلا وخارجا ..

بالموقف ضد الرجعية البالية المسترخية التي كانت تنصح بالاستسلام والرضوخ والاستكانة .. ولكنه مواطن حر الرأي .. صادق الوجدان لا يرضخ ولا يستكين .. حركة دائبة ، يؤلف ويسهم في جمع شتات المهاجرين ، كي يؤلف جمعية الدفاع عن حقوق الشعب في ليبيا العربية .

يعمل مع إخوانه الأحرار المناضلين ليلم شمل المهاجرين من العمال والفلاحين والبسطاء .. والتجار الشرفاء وعمال المناجم في قرى تونس والجزائر ، ويراسل في بلاد الشرق العربي قادة النضال السياسي آنذاك ، أمثال شكيب أرسلان ، وسليمان الباروني ، وبشير السعداوي ، وفوزي النعاس ، وعبد العزيز الثعالبي ، وعبد الحميد بن باديس ، وغيرهم ..

مجاهدون من الأحرار ، من بلاد مصر والشام وتونس والجزائر ، ومهاجرون من بلاده من حاملي السلاح والكلمة ..

وفي الحرب العالمية الثانية عندما كان الصراع ضد الفاشية والنازية كان يعمل بلا هوادة .. كي يجد طريقا ومنفذا لخدمة ليبيا العربية . ولكن تبين له أن الانجليز وعملاءهم كالسرطان ، تنوعت أسماء المستعمرين وعواصمهم وشعاراتهم ، ولكن

في جوهر الاستعمار وحقيقة تخطيطه لا فرق بين ما ترسمه عاصمة الصقيع أو عاصمة الضباب ، أو عاصمة القمصان السوداء ، سواء بسواء . ويسهم «أحمد زارم» أيام المؤتمر الوطني مع الزعيم المناضل المجاهد أستاذنا بشير السعداوي ، ويكون أمينا متفرغا للمؤتمر الشعبي ، لولبي الحركة (ديناميكي) النشاط . يعمل ليل نهار بلا أجر ، بلا مقابل ، تطوعا وتبرعا . وحياته النضالية كلها تطوع وتبرع . عن طيب خاطر ، وعن عمق ايمان .. لقد عرفته جماهير شعبنا المناضل .. في الاجتماعات السرية والعلنية ، عرفته في المظاهرات ، عرفته في الندوات ، عرفته في جريدة (شعلة الحرية) التي كانت منبرا للشعب ، ولسان حال قوى الشعب العاملة التي كانت تصد صنائع الإنجليز ، و(دلاديل) الطليان ، وتدعو إلى وحدة الشعب ، وحريته ، وعروبته قلم صحفي هادف ، يغذي الجماهير بما يدعم وعيها ، ويلهب وجدانها ، وينير لها الطريق ، وظل كالطود شامخا .. صامدا يضيف إلى حصيلة تجاربه جديدا من التجارب ، وإلى جولاته السياسية جولات أخرى .

لا يرى السياسة ترفا ..
بل يراها واجبا وشرفا .
وفي ليلة ليلاء ..

يتسلق الانجليز وعملاؤهم في مدينة طرابلس سطح منزل الزعيم المجاهد المرحوم أستاذنا بشير السعداوي ، ويُلقَى القبض عليه وعلى زملائه ، ويساق بعضهم إلى السجن ـ ومنهم كاتب هذه المقدمة ـ ويساق أحمد زارم إلى السجن ثم إلى تونس ، والسعداوي إلى مصر ، ويظل أحمد زارم في (تطويحته) الثانية بعد (تطويحته) الأولى .. هو .. هو ..عزما و إرادةوعناداً في الحق ، وقد سجنه وتألب عليه الإنجليز .. لأنه كان على أهداف المؤتمر الوطني ، ضد المعاهدات الأجنبية ، وضد النظام الفيديرالي ، وضد تقسيم الشعب إلى حكومات ودويلات . ولم يخضع أحمد زارم ، ولا زملاؤه . ولوكان يريد أن يصبح وزيرا لكانه .. وأصبحه . ولو أحب أن يمسي سفيرا لأمساه ، ذلك عهد كان يبحث عن التوزير ، والتسفير .. وهي طعمات ، وأطعمة ، وألغام .. ولكنه ناضل خاوي الوفاض ، يرفض الوزارة والسفارة والمصاريف السرية ..

وما أكثر مشاهدات أحمد زارم وتجاربه .

فترة الجهاد بالسلاح .
فترة النضال بالمهجر .
الإدارة البريطانية .
تكوين التجمعات الشعبية .
مراسلات ، ذكريات منوعة ، حصيلة أربعين عاما .. لماذا تضيع في زحام صاخب ؟

لماذا تهمل هذه الذكريات في أودية الاهمال ؟
اكتب يا زارم مذكراتك .. أو ذكرياتك .
هي طويلة مسربلة ..
ـ لا بأس .
ـ هي تحتاج إلى تفرغ ومعاناة .

فليس أحمد زارم أديبا يبرقش ، ولا فنانا يزخرف ، ولا شاعرًا يتخيل جرس الكلمة .. بل هو مناضل ، يكتب الحرف معاناة ومشاهدة .. هو مؤرخ في ذكرياته يسجل بصدق حوادث ووقائع عاصرها ، وساهم في صنعها .. هو يقدم وثائق ساهم في تجاربها وسداها ولحمتها الواقع .. الحقيقة .. كما هي .. بلا زخارف ولا بدائع الأساليب في العروض والبرقشة .

اكتب يا زارم ذكرياتك .
ـ وكم نخشَى على تاريخ أو جوانب من تاريخ نضال شعبنا أن تضيع .. وتُنسَى .
ما ألعن النسيان لنضال المجاهدين !
ما أمر العقوق والجمود ! !
تاريخ الجهاد ثروة مبددة .
أمجاد مبعثرة ..

هناك حقائق .. ووقائع جديرة بالتقييم ثم بالدراسة والتمحيص ، ولكن لن يكون ذلك إلا إذا سجلتم أيها المعاصرون ، لتلك الوقائع والحقائق .

اكتب يا زارم ذكرياتك .. سجل أنت في مشارف السبعين .. أعطاك الله الصحة ..

اكتب قبل أن تجرفك مرحلة الثمانين التي تحتاج إلى ترجمان ..
اكتب يا زارم ..
وكانت فكرة عرضناها عليه ..

وجلس الرجل يكتب ذكرياته .. مشاهداته وهو قوي الذاكرة ، والحافظة ، واللاقطة ..

وكتب حلقات وفصلات . أسلوب عفوي .. واضح .. فيه بساطة .. ولكن ليس فيه سطحية ، بل بعمق وإيمان .. وصدق الحقيقة ، وعفوية الأسلوب ..
وقد يكون عنيفا أحيانا .. ولكنه العنف الذي لا يغطي الحقيقة ، ولا يجني على الواقعية ..

وكتب الرجل ذكرياته ونشرناها حلقات في جريدة « الشعب » كادت أن تصل إلى خمسين حلقة ..
ولكن ما يكتب في صحيفة ليس كما يكتب في كتاب ..
ينسَى الناس الصحيفة ..
وقد يحتفظون ويعنون بالكتاب .

فليس أول كتاب يؤلفه أحمد زارم هذه الذكريات .. وهو شاهد عيان ، والمسهم في كثير من الأشياء ، والجدير بالاعتزاز ..
وكم ضاع من ذكريات هي جزء هام من تاريخ شعبنا البطل ..
ذكريات عثمان القيزاني .. الذي كان صورة مشرفة من نضال صحفي سياسي .
ذكريات فرحات الزاوي .. السياسي والمجاهد الذي حارب الطليان حتى صرعوه في حادث غامض .
ذكريات عبد الله تمسكت التي سجلها وضاعت في بلاد الأتراك .
ذكريات أنور الذي شاهد كثيرا من المعارك .
ذكريات الضابط المثقف « السنوسي بلقاسم » من مدينة مسراته ، والذي ساهم مع سعدون ، واعتمدنا على شيء من ذكرياته في كتابنا « سعدون » .
ذكريات (سليمان الباروني) التي حفظها لنا الأمناء من أهل بيته ، ومازالت في حاجة إلى عناية علمية ودراسة منهجية ..
ذكريات جمال الدين الميلادي .

ذكريات بشير السعداوي التي أملاها علينا حرفيا أيام أن كنا في بيته في حي (قرقارش) بطرابلس الغرب .. أيام صراعه مع النكير.

ذكريات خالد القرقني.

ذكريات محمد غالب الكيب المناضل المهاجر الذي كان مثقفا وإنسانا يحب وطنه وشعبه.

ذكريات محمد علي الحداد الذي مات في أطراف آسيا مغمورًا منسيا.

ذكريات علي المتجول .. (سكرتير) سعدون الذي مات وهو عامل بسيط في مصنع نسيج بريف «مصر» .. في البحيرة ..

كل هذه ثروة تاريخية من جهاد شعبنا البطل غمر بعضها النسيان، وتلاشى بعضها في أوراق تذروها رياح الإهمال والضياع.

يا قوم حرام عليكم، تلافوا بمثل هذه الأشياء التي سجلها مجاهدون أحرار .. بصدق وإيمان .. إن مبعوثا سياسيا في عصرنا يرقد في فندق مكيف، يشرب المثلج، ويطفح الخمر، ويركب طائرة، ويترفه، ويتنزه، ويسجل توافه الأمور .. ذكرياته .. ويتلهف عليها الناشرون ويتساقط عليها القارئون .. وقد تكون مراجع .. ومصادر .. من أجل الفراغ .. لكن ليس لدينا فراغ!

فما بالك بذكريات عميقة ..
بعيدة الغور ..
خطيرة الدور ..
لمواطن عرف المشي على الأشواك.
وافترش الرمل بساطها .. وتوسد الصخر ..
وهذه الذكريات منوعة.

قد نشرها عفويا كما (عصرتها) ذاكرته.
وهي قوية كما شاهدتها عيناه ويداه، وكما أولاها ضميره، وهو حي.

وهذه الذكريات هي من وثائق الجهاد ذات أهمية، ولا أبرئ هذه الصفحات من كل الأخطاء، فلا يوجد بشر لا يخطئ.

ولا أبرئ الكتاب من بعض المآخذ والمعايب .. فكتاب واحد فوق كل المآخذ والمثالب هو كتاب السماء .. كتاب الله «جل جلاله» ..

أما ماكتبته الأنامل فلا بد أن تكون فيه ملاحظات ونواقص ومسارب للمآخذ أو المعاتبات . ومهما يكن من أمر .. فهذه الذكريات هي خلاصة عمر ، وعصارة أجيال ، وتجربة مراحل . أزمات من جيل الجهاد .

وفي عبارة موجزة قد تلخص لك صفحات الرجل المؤلف :

الرجل الذي لا ينحني هو أحمد زارم .
لم ينحن لنفوذ الاستعمار وسلطة المستعمرين ، ولا لعوامل الإغراء .
تشرد وجاع ..
وتجوع الحرة ولا تأكل بثديها .
ويجوع المناضل الحر ولا يأكل على حساب قضية بلده ..

وهذه الذكريات التي صاغها أحمد زارم في كتابه تعتبر من مصادر تاريخ النضال السياسي بشكل من الأشكال ، قد تدفع إلى أشياء هامة .

العناية بدراسة المراحل التي أشار إليها والنظر إليها بمنهج فكري ، وميزان علمي دقيق ، فهو بهذا قد أسهم بإعطاء مفتاح ، وتقديم الضوء .

ويدفع هذا إلى البحث عن المقومات الغالية ، وإبراز حقيقة كفاح الشعب ، ومقاومته لأساليب الفساد ، وصدّه العملاء ، ورفضه للاستعمار ..

وبروز هذه المذكرات قد يدفع كثيرا من معاصريه إلى سرد وتقديم ما عندهم من حقائق .. وقد تكون على شكل تكملة أو تصحيح أو تعديل أو حتّى بطريق التنافس الشريف في إبراز الحقائق والدراسة العلمية .

وهناك سؤال يلح علينا :

لماذا ننقص من بضاعتنا ، ونقلل من قيمة رجالنا ! ؟

وناس آخرون .. بل في كل بلاد العالم .. أقل شأنا من هذه التجارب والمشاهدات والمصارعات يقيمون حولها هالات وإطارات ، ويقدمون حولها الصحاف والبهارات .. «أحد الهلافيت» الصعاليك أتيح له أن يقابل الدوتشي موسوليني .. مقابلة عابرة أو مقابلة فارغة .. وكان الروتشي في عنفوان طغيانه يقتل شعبنا ويشرد رجالنا ويصادر أملاك الشعب .. ولم يستطع أن يقول له أف .. ولكنه

كتب عن ذكريات هذه المقابلة ، وهذه المشاهدات لبلادنا ذكريات وجعل من ذكرياته سلاسل وحلقات ونشرها .. يا له من مشاهد ! ! فما بالك برجل جابه الروتشي •حارب بالبو ، وأعوان بالبو ، وصرف من قوت أولاده وأثاث منزله .. ومن عرق جبينه ليكتب المنشورات ، ويؤسس الجمعيات السياسية ضد الاستعمار والنفوذ الاستعماري الغربي . بل وحمل السلاح في معارك الجهاد .

أما كان الأولى أن يستحي أمثال ذلك الصحفي «الهلفوت» أن ينشر حلقاته ؟

وأما كان الأولى والأجدر أن يقتحم ميدان النشر أمثال هذا المجاهد المواطن «أحمد زارم» ويقدم لأبناء هذا الجيل والأجيال اللاحقة عصارة تجاربه ومشاهداته ؟

يجب أن يترك هؤلاء الأحرار برقع التواضع .. وستار الصمت ، يجب أن يقدم الشرفاء تجاربهم وما عندهم لأنه في الحقيقة لم يعد من ممتلكاتهم الخاصة بل هي ذخيرة للشعب ومن تاريخ هذه الأمة العربية المسلمة المجاهدة ..

ومن واجبنا أن ننصفهم ، وأن نقرأ ، وأن نستوعب ما نقرأ ..

ومرة أخرى تحية لهذا المناضل الذي ظل كالشجرة ثابتة الجذور ، ولم يكن كأوراق خرعة تتساقط ، وتذروها الرياح .

وها هي ذكريات أحمد زارم في سطور وبين دفّتي كتاب .

يجد فيها القارئ صورة من نضال مراحل لشعب عربي مؤمن ..

وجدير كفاحه بكل تقدير ..

وجديرة فصوله بالتأمل والدراسة ، وقد أضاف المؤلف الكاتب فصولاً جديدة لم تنشر في حلقاته ، كما قد أضاف بعض اللمسات والملاحظات ، ولعله في طبعة أخرى يضيف أشياء من تاريخ تلك المرحلة .. فهناك وثائق عديدة ومراسلات عند بعض الأصدقاء الذين كان يراسلهم ، والله الموفق .

علي مصطفَى المصراتي



بين يدي القارئ

بقلم : **الصديق م. م. م.**

بانتهاء الجزء الثالث من هذه المذكرات قد يكون الأستاذ أحمد زارم أكمل ما تهيأ له من تسجيل الأحداث الهامة في حياته السياسية . والأدوار البارزة التي قام بها وشارك فيها على مسرح النضال الوطني والحركة القومية خلال فترة زاخرة بالصراعات الدولية وتكالب الاستعمار . وهي الفترة التي يعلم الجميع أنها كانت حاسمة في تقرير مصير هذه البلاد ، ونقطة تحول في تاريخها المعاصر . وهو الأمر الذي من شأنه أن يضفي على هذه المذكرات بعداً أرحب ، وثقلا أوفى في الاعتبار والتقييم .

والأستاذ أحمد زارم كما يعرفه أصدقاؤه طراز فريد من الرجال . فهو عصامي تعلم في مدرسة الحياة . وحركي لمع بين أوساط المناضلين . ونموذج حي لنوعية جيله . امتاز بما تميز به جيله من خصائص الفطرة والسلوك . وانفرد هو عن كثير من أفراد ذلك الجيل بما جبل عليه من طباع . وما اكتسبه من معاناته الطويلة ،ومراسه الشديد ، من صفات وأخلاق . فيه ما في خلال البداوة من نقاء وصدق . وفيه ما في سمات أهل الجبل من صلابة وشدة . وفيه من أثر عقيدته الإسلامية ، وأصالته العربية مزاج من الروحانية ، والمثالية ، والحمية الوطنية ، فكان بهذا كله ذا نفس طويل في الصراع وصبر مرير على المكاره ، وإصرار على انتزاع حقه والظفر به ، مهما لقي في سبيل ذلك من عنت وارهاق .

وحلقات هذه المذكرات الثلاث مرآة صادقة تنعكس على صفحتها صور من هذه السجايا والمزايا والاخلاقيات ، وتتجلّى في أحداثها ووقائعها ألوان زاهية عن نفسيته وسريرته ونظرته في السياسة والحياة.

أخذ عليه بعضهم أنه زاول السياسة بروح القديسين. فلم يتفهمها ـ كما فهموها ـ مكاسب ومناصب وسباقا على المغانم والأسلاب. ولم يتقبلها ـ كما قبلوها ـ مراوغات ومخادعات وأنصاف حلول. فأمضَى حياته فيها يعطي ولا يأخذ. ويقدم ولا يحجم. وينفق من ذات نفسه وقوت عياله قرابة نصف قرن من الزمن ، لا يتزحزح عن موقفه. ولا يحيد عن مبادئه حتّى فاتت الفرصة أمامه وتسربت من بين يديه. فلم يمسك منها ما يطفئ ظمأ اللاهث خلفها. وما تقطعت من الجري وراءه أنفاس الطامحين. وأحسبني لا أعدو الحق إذا زعمت أن الأستاذ أحمد زارم لا يشاطر هؤلاء نظرتهم للسياسة الوطنية كوجهين لعملة واحدة. وأنه عن عمد وسبق إصرار قد آثر ما يبقى على ما يفنَى ، فاتخذ من الوطنية عقدة وشرعة. وتعفف عن التكسب بالسياسية والمتاجرة فيها. وهو يدرك أن بين الأمرين والموقفين خطا فاصلاً ، وخيطا رفيعًا هو أو هي وأدق من شعرة معاوية ، لا يقوى على تمييز ، ولا الوقوف عنده. إلا من عمرت بالايمان جوانحه. وكان له من خلقه ودينه عاصم.

من خلال سطور هذه المذكرات تبدو صور مشرقة لرفاق أحمد زارم في دربه الطويل ، أولئك الجنود المجهولون الذين شاركوه البذل والعطاء وألوان التضحيات ، والتزموا بما ألزم به نفسه من تجرد وترفع ونكران للذات حتّى لا تكاد تسمع عنهم ، أو تجد الآن من يحفل بهم ، وقد كانت جهودهم وتضحياتهم سطورا لامعة في تاريخ لنضال الوطني.

قد لا يجد القارئ في هذه المذكرات كل ما يود الوقوف عليه من تفاصيل أحداث تلك الحقبة التاريخية ، ولكنه واجد فيها ـ ولا شكّ ـ نظرات صائبة في مجريات الأمور خلال تلك الفترة. وصفحات مطوية من سجل النضال لهذا الشعب، وآثار بصمات تركتها أيد ملوثة على سطور تلك الصفحات. أعمى أصحابها الطمع وحب الذات ونسيان التاريخ بما فيه من دروس وعظات وعبر.

وأيّا ما كانت الانطباعات التي ستتركها هذه المذكرات في نفس كل قارئ. فمن المؤكد أن ما يتراءى بين سطور هذه الفصول من مثل عليا في الإخلاص والتفاني

والثبات على المبدأ والسمو بالنفس عن مزالق الطريق ، ومهاوي الطمع ، سيبقى محفورا في وجدان جميع القراء على اختلاف مشاربهم ومدركاتهم ، وسيظل يفرض نفسه على ذاكرتهم لآماد بعيدة كأجدى خصائص ذلك الرعيل من المناضلين . وسمة بارزة في حياتهم وسلوكهم . حتّى ليحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم يكابدون غصص الحياة وألوان الفاقة والمسغبة ، ولا يساومون على شيء مما يؤمنون به ، ويدافعون عنه .

والذين عرفوا صاحب المذكرات ، وصحبوه أزمنة ، قصرت أو طالت في حياتهم معه ، لا يجدون مشقة في التعرف على أمثلة حية من هذه الممارسات .

وقليل ما هم من عاصروا الحركة الوطنية أيام السعداوي في طرابلس ، ولم يحتكوا بأحمد زارم ، وكان فيها مستهدفا من الفيئات التي كانت تناوئ الاستقلال بما كانوا يضعون أمامه من أشواك وما يلقون حوله من شباك ـ أولئك الذين كانوا يعلمون أن (زارم) في تلك الفترة الحرجة ، رغم المغريات التي كان يسيل لها لعاب الكثيرين ، كان يبيت أحيانا على الطوى في مقر المؤتمر الوطني بشارع عمر المختار بطرابلس ، ويتخذ من مناضد قاعة الاجتماعات فيه منامة يقضي على خشباتها الخشنة لياليه الطويلة «ويريح» فوقها دونما فراش أو وساد غير بدلته العتيقة. جسمه المكدود ، ملتحفا كما رأيته بالعلم الطويل الذي كان يتدلى من شرفة المؤتمرات في تلك الأيام .

وإنه بالرغم من انقطاعه عن أسرته التي تركها في تونس ليتفرغ للعمل الوطني في البلاد ، قليلا ما كان يرى على مائدة رئيس المؤتمر . في الوقت الذي كانت تتحلق حولها ، وترصد مواعيدها ، وجوه ألفت أن تستفيد من انتمائها إلى الحركة الوطنية في كل ما تجد .

أذكر هنا حوارا جرى بيني وبينه ذات يوم ، وهو لا يبعدنا كثيرا عن سباق ما نحن فيه من حديث . سألني مرة ، وقد غبنا معا عن حضور أحد اللقاءات القومية التي ضمت المئات من أهل برقة وطرابلس وكانا إذذاك اقليمين منفصلين. سألني عن العذر الذي حال بيني وبين الحضور في ذلك اللقاء التاريخي ، وكانت هناك اعتبارات تفرض علينا حضوره . ولما صارحته بأنني لم أكن أملك بزة مناسبة للحضور في ذلك الجمع الحاشد ، ضحك ضحكته العالية مؤكدا بها أن هذا العذر

نفسه هو السبب الذي جعل حضوره متعذرا ، وهو لا يجد بين يديه غير بذلته اليتيمه التي تآكلت بعض أجزائها ، وإذا كنا نرى من واجبنا أن نكبر ونشيد بعمل كل من وضع لبنة في صرح هذا الاستقلال الذي يتفيأ ظلاله اليوم شعب الجماهيرية . فما أحراهم بالتقدير والاعزاز والذكر أولئك الذين سقطوا صرعى في طريق الاستقلال الطويل ، وجادوا بأرواحهم وأنفسهم سخية في سبيله . والجود بالنفس ـ كما يقول الشاعر ـ أقصَى غاية الجود .

فعلى أرواحهم الطاهرة في عليائها نستمطر ـ بهذه المناسبة ـ شآبيب الرحمة والرضوان . وإلى تلك الدماء الزكية التي سقت شجرة الحرية في هذه البلاد حتّى آتت أكلها نرفع تحية إجلال وإكبار .

والآن وقد طوف بأحمد زارم قطار الزمن السريع فاطوّف في عدد من بلاد المغرب والمشرق ، يركض به نحو هدفه المنشود ، ويدنيه من ساعة الخلاص والنصر . وبعد أن أمضَى حياة نابضة بالحركة الدائبة ، موّارة بصخب المعارك ها نحن أولاء نشاهده ، وقد انتهَى به المطاف قابعا خلف مكتبه بإحدى حجرات صندوق الجهاد في طرابلس . يستشعر السعادة الغامرة في أعماقه ، وقد تطهرت بلاده من العدو . وتحررت من قواعد الاستعمار .

يجلس في لحظات صفائه يجتر ذكريات ماضيه ، ويستعيد أحداث نضاله ، ويستعرض ما خلف وراءه من مشاهد ذلك الشريط الطويل الذي لا يجد فيه ما يريبه أو يسوءه ، فلا يرى بدا من تسجيل خواطره حوله ، وانطباعاته عنه ، فيعمد إلى قلمه وقرطاسه يفرغ كل ما استجمعه من تلك الخواطر والذكريات . ويصوغها بأسلوبه وروحه للعظة والتاريخ . فصولا ضافية في هذه المذكرات .

فإلى القارئ الكريم الجزء الثالث من هذه الفصول التي ندعو الله من أعماقنا أن يمتع صاحبها بموفور الصحة والعافية . وأن يديم عليه من أفضاله ونعمه ما حباه من طاقات العمل وامكانات الكتابة حتّى نقرأ له في مقبل الأيام مزيدا مما لديه من خافيات الأمور ، وأسرار الحركة الوطنية حتّى تتاح له في حياته المريرة الحافلة بجلائل الأعمال إعادة طبع هذه المذكرات على النحو الذي كان يريده لها مستوفاة ، منقحة ، موشاة بما كان قد وعد به في جزئها الأول من وثائق واضافات .

والله يتولى جزاء العاملين المخلصين.

م . م . م .

طرابلس ، في 1982

انهزام ايطاليا
وبحث قضيّة المستعمرات الإيطالية

انهزمت جيوش المحور تاركة ليبيا . وذلك في شهر يناير من سنة 1942 م . والأصوب والأصح أن نقول : جيوش إيطاليا حيث هي موضوع كلامنا هذا . وهي التي كنا نستعد لحربها في صف الحلفاء . وننتظر ، ونتمنّى هزيمتها ليس إلّا . وليس ذلك كراهية لها ، وإنما لأنها اعتدت علينا بدون مبرر . اندحرت هذه الجيوش وغادرت ليبيا بلا رجعة تجر أذيال الخيبة والخسران . نعم غادرتها إلى غير رجعة ، ولا أسف .. أمام الجيش الثامن الانجليزي الزاحف عليها من جهة الشرق . وذلك بعد معارك طاحنة توالى فيها الكر والفر بين الواجهتين حينا بالأراضي المصرية ، وأحيانا في الأراضي الليبية .

هذه المعارك الصحراوية الرهيبة التي دارت رحاها فوق الأراضي الليبية هي التي قررت مصير الحرب العالمية الثانية . إذ من هنا لاحتْ للحلفاء تباشير النصر . من هنا أخذت تتضاءل المقدرة الحربية لدى الجيوش المحورية . وأخذت في التقهقر والارتداد غربا نحو الأراضي التونسية . وفي هذا الوقت نفسه نزلت الجيوش الأمريكية في شواطئ بلاد المغرب العربي « الجزائر والمغرب الأقصي » واتجهت هي الأخرى نحو البلاد التونسية ، حيث توجد القوات المحورية ، ومع هاتين القوتين الزاحفتين من الشرق ومن الغرب كانت هناك سرايا « الجنرال دي جول » أو فرنسا الحرة كما يسميها الفرنسيون أنفسهم ، إذ ذاك كانت هذه السرايا تنساب عبر الخط الصحراوي : الجنوب الليبي .

أصبحت الجيوش المحورية والحالة كما وصفنا في وضع جد عسير . مع تناقص في الأسلحة والتموين ولذلك لم يطل الوقت حتّى تم القضاء عليها في كامل الأراضي الليبية في فترة وجيزة نسبيا ، وبذلك كانت نهاية الاستعمار الايطالي في ليبيا نهائيا وإلى الأبد . وهذا هو الجانب الذي يهمنا ونريد الكلام فيه .

وفي شهر مايو من سنة 1942 م تم القضاء على القوات المحورية في الأراضي التونسية أيضا ، وبذلك انتقلت العمليات الحربية من القارة الإفريقية بأكملها إلى القارة الأوروبية . أي : من تونس إلى إيطاليا ، ومن ثم واصل الحلفاء زحفهم في إيطاليا إلى أن استسلمت هذه نهائيا . ومنذ ذلك الوقت تحركت في نفوس الدول المنتصرة في الحرب غريزة حب التسلط والسيطرة والاستيلاء حينما أصبح انتصار هذه الدول الكامل والنهائي أمرا واقعا لا ريب فيه ولا خوف عليه .

أجل تحركت غريزة حب التسلط والسيطرة بعدما أخفيت هذه الغريزة في أعماق النفوس طبقا لما تقتضيه أو تتطلبه ظروف الحرب . وحينما أشرفت هذه الظروف على نهايتها تحركت تلك الغريزة فالتفتوا إلى تركة الرجل الذي قتلوه « إيطاليا » تلك التركة التي سال لها لعاب مجموعة دول الحلفاء . ومن هنا بدأت الاجتماعات والمناورات والمخاتلات تجري بين هذه المجموعة المتحالفة والمنتصرة في الحرب فصار كل يعمل على شاكلته : « أمريكا / روسيا / بريطانيا / فرنسا » كل منها تهدف للفوز بالنصيب الأوفر من هذه التركة أو بالجزء الأهم منها . وبعد عدة اجتماعات وقعت في مختلف عواصم هذه الدول ولعل أولها كان مؤتمر « بوتسدام » الثلاثي « بريطانيا / أمريكا / روسيا » وقد دارت خلاله المحادثات حول معاهدة الصلح المنتظرة مع إيطاليا وذلك في يوليو من سنة 1945 م .

وإلى هنا وقبل مواصلة الكلام عن سير اجتماعات الدول المنتصرة في الحرب أقول : حالما بدأت تلك الاجتماعات خفت الجامعة العربية ، والدول العربية إلى القيام بمساع حثيثة متواصلة لفائدة ليبيا ، فأرسلت بمذكرات تثبت فيها أحقية ليبيا في الاستقلال . وأهليتها للقيام به ، وضرورة وحدتها التي تحتمها عوامل كثيرة ، منها الاقتصادية والاجتماعية واللغوية والجغرافية ، كما أثيرت في مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية المنعقد في « انشاص » سنة 1946 م قضية ليبيا ، وحازت اهتمامًا بالغًا بين المؤتمرين ، فأصدروا توصياتهم إلى الجامعة العربية لكي تعمل على مساعدة ليبيا في

مساعيها ويعود الكثير من الفضل في ذلك للدور الذي قامْ به السعداوي رحمه الله في ذلك الاجتماع الذي كان حاضرا فيه بحكم وضعه كمستشار للملك . عبد العزيز آل سعود . ومن المعلوم أن المرحوم السعداوي منذ عرفناه كان همه الأكبر قضية بلاده ليبيا فهو لم يترك فرصة تمر دون أن يستغلها .

قلنا آنفا : دارت خلال مؤتمر (بوتسدام) وما بعده المحادثات حول معاهدة الصلح المنتظرة مع ايطاليا وغيرها من الدول المنهزمة . وقد توالت اجتماعات دول الحلفاء ، وفي شهر ديسمبر التالي عهد إلى نواب وزراء الخارجية أن يوالوا اجتماعاتهم لصياغة مشروع معاهدة صلح مع ايطاليا ، على أن يعرض المشروع على مجلس الوزراء .

وفي شهر فبراير من سنة 1947م عقدت هذه المعاهدة مع ايطاليا في صيغتها الأخيرة ، وفي نفس الوقت أصدر الوزراء تصريحا مشتركا أعطي رقم (11) ألحق بالمعاهدة . وبعد ذلك طلب من وكلاء وزراء الخارجية مواصلة اجتماعاتهم للوصول إلى اعداد مشروع يتفق عليه الجميع فيما يتعلق بتقرير مصير المستعمرات الايطالية الافريقية . والذي يهمنا بصورة خاصة من هذه المعاهدة هي المادة الثالثة والعشرون ، وكذلك التصريح المشترك الملحق بالمعاهدة . ولذلك نرى أنه من الفائدة اثبات نص هذه المادة وملحقها فيما يلي حسبما نشرته الصحف في وقته :

المادّة الثّالثة والعشرون وملحقها من معاهدة الصّلح مع ايطاليا :

المادّة 23

1 تنازلت ايطاليا عن كل حق أو سند لها في الممتلكات الايطالية الاقليمية في افريقيا وهي ليبيا ـ ارتيريا ـ الصومال الايطالي .

2 إلى أن يتم تقرير مصيرها نهائيا تستمر هذه الممتلكات تحت الادارات الحالية .

3 تقوم حكومات روسيا ـ المملكة المتحدة ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ فرنسا بالاشتراك بينها بتقرير مصير هذه الممتلكات تقريرا نهائيا في بحر سنة من نفاذ المعاهدة الحالية بالطريقة المبينة في التصريح المشترك الصادر من تلك الحكومات في العاشر من فبراير 1947م .

التّصـريح رقم (11) الملحـق بالمعاهـدة :

الفقرة 1 اتفقت حكومات : «روسيا ـ المملكة المتحدة ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ فرنسا» على أن تبت بالاشتراك بينها في مصير الممتلكات الاقليمية في افريقيا التي تنازلت ايطاليا عن أي حق أو سند لها فيها طبقا للمادة الثالثة والعشرين من معاهدة الصلح مع ايطاليا المؤرخة في العاشر من فبراير 1947م وذلك في بحر سنة من نفاذها.

الفقرة 2 تقوم الدول الأربع بتقرير مصير الأقاليم المنوه عنها تقريرا نهائيا وبتعديل الحدود التعديل المناسب على ضوء رغبات الأهالي وبما يحقق رفاهيتهم ، ويصون مصلحة الأمن والسلام العالميين مع مراعاة وجهات نظر الدول التي يعنيها الأمر.

المادّة 3 إذا لم تتمكن الدول الأربع من الاتفاق في بحر سنة من نفاذ معاهدة الصلح مع ايطاليا على تقرير مصير أي اقليم من هذه الأقاليم . يرفع الأمر إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة لتصدر توصياتها في هذا الشأن ، وتتعهد الدول الأربع بأن تقبل التوصيات وأن تتخذ الاجراءات المناسبة لتنفيذها .

الفقرة 4 يقوم نواب وزراء الخارجية بموالاة النظر في مسألة تقرير مصير المستعمرات الايطالية السابقة بقصد الوصول إلى توصيات خاصة بالموضوع تعرض على مجلس الوزراء ليحرر الصيغة النهائية . وكذلك يرسل وزراء الخارجية إلى أي مستعمرة من المستعمرات الايطالية السابقة لجانا تقوم ببحث حالتها والوقوف على آراء السكان المحليين ولتزويد الوزراء بالمعلومات اللازمة عن الموضوع .

وفي شهر سبتمـبر من سنة 1947 م تم التصديق على المعاهدة وأصبحت من هذا التاريخ نافذة المفعول . وفي شهر أكتوبر الموالي انعقد مجلس نواب الوزراء وفيه قرروا ارسال لجان التحقيق من الدول الأربع وهي : «بريطانيـا / أمريكـا / فرنسـا / روسيـا» تلك اللّجان التي عرفت باسم : «لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية» وقد

غادرت هذه اللجنة (لندن) في أول نوفمبر من نفس السنة إلى أداء مهمتها . وفي هذا الشهر دعيت الدول المعنية بالأمر وذات المصلحة للإدلاء بوجهات نظرها . وقد كان بطبيعة الموقف وملابساته أن تكون ايطاليا من بين هذه الدول التي يعنيها الأمر . وهنا تبرز نقطة الخطر التي تهدد مستقبل المستعمرات ومن بينها ليبيا ، نظرا إل تلك الجملة التي وردت في الفقرة الثانية من التصريح المشترك رقم (11) والملحق بالمعاهدة والتي تقول : «... ويصون مصلحة الأمن والسلم العالمين مع مراعاة وجهات نظر الدول الأخرى التي يعنيها الأمر» .

ولقد فهم الشعب الليبي آنذاك أن هذه الجملة قد وضعت خصيصا قصد التلاعب بمستقبل ليبيا وغيرها واغتيال الحقوق ، فصار شعب ليبيا ينظر إلى الموقف بقلق شديد وخوف عميق ، ذلك لأن هذه الجملة تعطي من جهة للدول المتحالفة المنتصرة في الحرب وسيلة التذرع بالحفاظ على الأمن والسلام العالميين فتعمد إلى اقتسام البلاد بينها للترضية حتى لا يقع خلاف يهدد الأمن والسلام . ومن جهة أخرى تقوى في نفس ايطاليا جذوة الطمع ، وتضاعف فيها روح الأمل في عودة نفوذها إلى ليبيا . هذا ما تصوره الشعب الليبي آنذاك ، وفعلا فأي معنى لكلمة المحافظة على الأمن والسلام العالميين في هذا الموضوع غير ترضية الطامعين باقتسام الغنيمة . أو غير ذلك من التدابير التي ترضي جميعهم على حساب هذه المستعمرات حتى لا يقع الخلاف الذي يهدد الأمن والسلام ؟ ثم أي شيء يعني ايطاليا في هذا الميدان وهي العدو المنهزم في الحرب سوى محاولة عودة نفوذها المنهار إلى مستعمراتها السابقة أو بعضها على الأقل . وهو ما وقعت محاولته فعلا ؟ فلقد أخذت بريطانيا تسعى بطرق شتى ، فيها شيء من الغموض محاولة ابتلاع «ليبيا» كلها . إلا أن بريطانيا كما هو معروف عنها أعرق الدول في الاستعمار . وأوسعها حيلة فيه ، وأعمقها تفكيرا في اصطياده ، وهو الأمر الذي جعلها تدرك أن الطريق التي تسلكها غير موصلة بسبب انتباه شركائها لتحركاتها ، وتتبعهم لخطواتها ، وأن هؤلاء الشركاء إذا كانوا قد تساهلوا معها ، ولم ينازعوها في الاستحواذ على اقليم برقة الذي عملت له في الابان بوضوح ، وعلى مسمع منهم في ظروف دقيقة لا يمكن التنازع فيها ...

فان هؤلاء الشركاء لا يتساهلون معها في الاستيلاء على ليبيا كلها . خصوصا إذا عرفنا نظرة الحلفاء إلى موقع ليبيا وأهميته في المستقبل من وصفهم إياه بقولهم «...

ولا سيما ليبيا التي تقع في رقعة حيوية من الرقاع التي ستكون عاملا فعالا في حفظ السلم والأمن العالميين . أو في حرب عالمية ثالثة إذا تعذر الحصول على الأمن والسلم . ومن هذه النظرة لموقع ليبيا ندرك الأهمية البالغة التي تجعل حلفاء بريطانيا لا يتساهلون معها في الاستيلاء على ليبيا كلها .

وهذا ما جعل بريطانيا تدرك صعوبة هذا الهدف وأخطاره ، فتراجعت عن خطتها ، واقتصرت على التركيز على إقليم برقه ، الجزء الشرقي من ليبيا ، بعد أن خلقت لنفسها أنصارا من نفس الاقليم . وبعد أن مهدت لذلك قبل كل شيء بتصريح (بيـفن) في مجلس العموم البريطاني في شهر مارس 1942 م وهكذا تبدو براعة بريطانيا الاستعمارية في موقفها نحو اقليم برقة ، فهي لا تطالب بصورة مكشوفة كغيرها ، وإنما هي واضعة نفسها في موقف المدافع عن حقوق الآخرين الذين تريد ابتلاعهم ، وهو الأمر الذي يبدو للإنسان العادي أن بريطانيا تعمل لانقاذ القبائل السنوسية من خطر عودة الحكم الايطالي إليها كمكافاة لها على موقفها بجانب الحلفاء عن طريق بريطانيا في الحرب العالمية الثانية 1940 ـ 1945 م وفاء بوعدها الآنف الذكر ، وهو الأمر الذي جعل أولئك الأنصار الذين خلقتهم يقفون ضد وحدة بلادهم ، ومصلحة شعبهم ، واستقلاله المنتظر . وهم بذلك يسعون إلى حتفهم بظلفهم . ومع أنهم يعلمون جيدا حقيقة هدف بريطانيا التي تستهدف فصل برقه عن طرابلس لكي تتمكن من السيطرة عليها بواسطة أولئك الأنصار المغرورين .

إن اقتصار بريطانيا أخيرا في مطامعها على (برقه) شجع ايطاليا بصورة محسوسة على زيادة التركيز والسعي والتماس العطف الديني والعرقي للفوز باعادة نفوذها بطريقة من الطرق على اقليم طرابلس ، وهو الأمر الذي بعث في نفوس الليبيين الكثير من القلق والخوف ، خصوصا حينما وجدت ايطاليا من «المستر بيفن» شيئا من المرونة الكلامية في بعض المحادثات في الموضوع ، حيث تضاعفت أطماعها ، واشتد سعيها ، وأخذت تدلي بمبررات ظانة في مخيلتها أنها تمكنها من إقناع الدول المنتصرة في الحرب ليفرضوا على شعب عزم عزما أكيدا على مقاومة عودتها على أي وجه كانت العودة . ومقاومة أي نفوذ أجنبي آخر يفرض عليه صارفا النظر عما يترتب على ذلك من المعاناة والتضحية .

ومن الحجج التي بررت بها إيطاليا مطالبتها بالعودة إلى طرابلس هي وجود جالية كبيرة العدد في هذا الاقليم ولا تزال مستقرة في مزارعها ومتاجرها ومصانعها في راحة واطمئنان ، ولم يمسسها ضرر ، رغم حوادث الحرب وانسحاب إيطاليا . وانظروا فقد اتخذت ايطاليا من هذا الموقف الحضاري الذي وقفه الليبيون تجاه الجالية الايطالية حجة تستدل بها على أن اقليم طرابلس راغب في عودة نفوذها . وصدق والله من قال : «من ادعَى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان» إذ أفصح الاستفتاء عن عكس ذلك مائة في المائة . ومن هذه العوامل وغيرها اغترت وواصلت السعي المكثف . ومن هذا الخيال المغري تكون الجنين في أحشاء أمه . وهذا الجنين الخيالي هو مشروع «بيـفن / اسفـورزا» .

تكوّن هذا الجنين ، وبقي يتخبط في أحشائها ، إلى أن أزفت ساعة الولادة ، فولد ميتا . وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله . ومما زاد في قلق الليبيين وتخوفهم من خطر رجوع النفوذ الايطالي إلى طرابلس ظهور تعاطف كبير من طرف فرنسا الأخت اللاتينية على مطامع ايطاليا ، وتأييدها لها في العودة بجدية واستمرار يدفعها لهذا التأييد التعصب الديني والجنسي من جهة ، والمصلحة الاستعمارية من جهة أخرى . ثم إنها كانت عازمة على البقاء في إقليم فزان . وأن وجود ايطاليا في طرابلس قد يبرر بقاءها في فزان .

قلنا : من جملة دوافع فرنسا إلى مناصرة عودة ايطاليا إلى طرابلس هو أنها عازمة على البقاء في فزان ، كما أنها موجودة في تونس والجزائر فلا تريد أن تجاورها دولة قوية كبريطانيا مثلا ، ولم يكن قولي هذا من قبيل التخمين . بل هذا ما أخذته عن جهة رسمية فرنسية مسئولة في المكتب الثاني الفرنسي بتونس آنذاك ، ففي سنة 1952م حينما أبعدتني حكومة «إدريس» الأولى من طرابلس فصرت كطرد بريدي ثمين ومسجل ، يسلمني واحد لآخر يدًا بيدٍ ، حتّى نهاية المطاف . عندما تسلمني المتكب الثاني وفي يوم من تلك الأيام النحسة دار حديث بيني وبين «المسيو روبير» وفي ذلك الحديث وجهت انتقادًا ممزوجا بالأسف والامتعاض على سياسة فرنسا ، تلك السياسة التي انتهجها المندوب الفرنسي في مجلس هيئة الأمم المتحدة في ليبيا الذي كان يناصر الطليان ويؤيد ما يخططه الانجليز والأمريكان في غير صالح بلادنا ، وقد يكون في غير صالح فرنسا ، مع أننا كنا نظن إلى حد بعيد أن لفرنسا إنسانية

وعدالة تردعانها عن ظلم الضعيف إن لم تدفعاها إلى مناصرته ، ولكن الواقع كذب ظننا فيها ، مع أنها أكثر دول أوربا علما بما قاسته ليبيا من حروب فظيعة وأعمال وحشية مريعة من جيوش غلاة الاستعمار الايطالي «الفاشيست» بحكم جوارها القريب في تونس فكان جواب «المسيو روبير» ما يلي حيث قال : «لسنا نحن الذين نريد ذلك الطريق . وإنما ذلك ما يريده الدولار . ولوكان باختيارنا نحن فإننا لا نريد أن تجاورنا دولة قوية» هكذا كان جوابه تماما وبالضبط . وهذا الجواب يثبت لنا صحة محاولة بريطانيا لابتلاع ليبيا كلها من جهة ، ومن جهة أخرى يثبت أيضا موقف فرنسا في مناصرة عودة النفوذ الايطالي إلى طرابلس كما هو واضح من قوله ، لا نريد أن تجاورنا دولة قوية ، باعتبار أن ايطاليا دولة ضعيفة لا تخشى فرنسا جوارها .

ولنترك الآن ايطاليا جانبا لنعود للكلام عنها فيما بعد . وندخل في الكلام حول موقف الاتحاد السوفياتي في الموضوع فنقول : إن الاتحاد السوفياتي هو الآخر له مطامعه الواضحة في بلادنا فقد سعى كثيرا لكي تسند إليه الوصاية على طرابلس ، ولكنه أدرك أن هذه الغاية بعيدة المنال ، ولذا فقد تراجع عنها وطالب بوصاية دولية يكون هو من ضمنها حتّى يتمكن بذلك من وضع قدمه على الضفة الجنوبية للأبيض المتوسط وهي الغاية التي طالما سعى ويسعى لها بمختلف الطرق . ثم عاد وطالب باسناد الوصاية على طرابلس لايطاليا . والذي يبدو لي من طلبه هذا هو أنه قد أيس من الحصول على ما يريد ، فانقلب إلى مناصرة ايطاليا ، والهدف من هذا على أكثر الظن هو تقوية النفوذ الشيوعي في ايطاليا ذلك التيار الذي كان ولا يزال يجتاح إيطاليا يوما بعد يوم .

ومن هنا ازدادت آمال ايطاليا ومطامعها ، وأخذ وزير خارجيتها «الكونت اسفورزا» ينتقل بين عواصم دول الحلفاء مثيرا للعواطف كما أسلفنا للوصول إلى ما تهدف إليه دولته . أما الاتحاد السوفياتي فإنه لما فشل في اتجاهاته انقلب فجأة مطالبا بالاستقلال الكامل السريع وبدون أي تأجيل للمستعمرات . وهذا الطلب أيضا لم يكن من قبيل العدالة والإنصاف لإنقاذ هذه المستعمرات من براثن الامبريالية الاستعمارية الغربية كما هي دعايته التي يغطّي بها نواياه ومساعيه . وإنما هي مجرد مناورات ومعاكسات لشركائه في الحرب ، لعله يصل إلى نصيبه من تركة

(الرجل الذي قتلوه » « إيطاليا » ولكنه رغم مجهوداته فقد خرج من المعمعة بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها .

وبعدما تقدم من مختلف المواقف والاتجاهات نأتي الآن على موقف الولايات المتحدة الأمريكية ، هذه الدولة التي تشعر بالقوة والعظمة ، ذلك الشعور المغري الذي دفعها إلى السعي وراء بسط سيطرتها على العالم كله . كما جعلها تظلم الضعيف ظلما فادحا ، وتفرض على المظلوم أن يرى أو يعتبر ظلمها عدالة ويرضخ له . ولكن الله فوق كيد المعتدي .

وانه لمن عدالة الأقدار أن قيضت لهذه القوى الطاغية الظالمة قوة أطغَى منها وأظلم ، وعلّم الله هذه مما علم تلك . بل أخذت تسابقها فتعادلت الموازين . وليست قوة الثانية بأعدل من الأولى . كلاًّ فإن كلا الطرفين ظالم جبار ، معتد أثيم ، إذ كل منهما يعمل لامتداد نفوذه واتساع رقعته على حساب الضعفاء من شعوب الأرض وهكذا . ولنقف هنا عن متابعة هذا الاستطراد الذي تدفعنا إليه مظالم الأقوياء ، وأمام هذه الأحوال ليس لنا ما نقول إلا كلمة واحدة هي : «ويل للضعيف من ضعفه» .

* * * *

مفاوضـات بنغـازي الأولى
حـول وحـدة ليبيـا واستقلالـها

قلنا فيما تقدم : تأسست الجبهة الوطنية المتحدة في طرابلس الغرب سنة 1946 م ، وقد كانت أولى أعمالها قبل أن تلج الميدان الدولي هو العمل على تسوية الجبهة الداخلية الليبية ، حتّى تتمكن البلاد من مجابهة المناورات والمطامع الأجنبية في إجماع لا يتزعزع وقوة لا تضعف. تلك المطامع التي بدأت ترفع رأسها . واحتساباً لذلك وغيره تشكلت هذه الجبهة على طريقة شعبية دقيقة على مستوى أقاليم طرابلس ومن عناصر جديرة بالاعتبار لكيلا يجد الجانب المقابل أية ثغرة يلج منها . كما تكون قادرة على تسوية الصفوف ، وتوحيد الكلمة في كامل أنحاء ليبيا ، شرقها وغربها وجنوبها .

ولقد قامت هذه الجبهة فعلا بعد تشكيلها مباشرة على النحو المذكور بمعالجة الوضع الداخلي. إذ أرسلت وفداً ثنائيا تمهيديا يتكون من شخصين اثنين، هما: «طاهر المريض ـ ومحمود أحمد» رحمهما الله تعالى، للاتصال بإدريس في مصر لمطالبته بالعمل لوحدة البلاد الليبية واستقلالها، وهذا هو الأمر المرغوب. والذي يجب الاهتمام به أولا وقبل كل شيء لأن هذه الناحية أي وحدة البلاد هي العمود الفقري في صلب القضية الوطنية قبل حتّى الاستقلال. وقد عززت الجبهة وفدها ببرقية تشعر بها الرجل بأن وفدا وطنيا في طريقه إليه وشرحت له مهمته.

سافر الوفد من طرابلس واتصل بالرجل في مصر حال وصوله فاستقبله بالترحيب. وأفصح الوفد عن مهمته، ودار الكلام في الموضوع الذي حضر من أجله، واتفق الطرفان على النقط الرئيسية اتفاقا كلاميا مرضيا فيما يبدو. وتركت المباحثات التكميلية لكي تجرى في المستقبل القريب بليبيا. وبعد ذلك طلب الرجل من الوفد العودة إلى طرابلس وتشكيل وفد من اقليم طرابلس للحضور ببرقه لدراسة الوضع مع ممثلي هذا الاقليم، واتخاذ الطريق الموصل إلى الغاية المنشودة. ألا وهي وحدة البلاد، وقد وعد إدريس بأنه سيعود هو نفسه إلى بنغازي من أجل الموضوع.

عاد الوفد الثنائي من مصر حاملا للشعب بشرى طالما عمل لها، وسعى إليها وضحّى من أجلها، هي حصوله على الوعد من إدريس باستعداده للعمل على توحيد البلاد واستقلالها. فكان لهذه البشرى وقع حسن في النفوس في أنحاء الوطن، وسرور عميق وعام، وفي طرابلس بصورة خاصة، وعلى اثر ذلك قامت الجبهة الوطنية في طرابلس بارسال مذكرة باسم ليبيا إلى الدول المنتصرة في الحرب تطالب فيها باستقلال البلاد الليبية ووحدتها.

وطبقا لما عاد به الوفد، وجريا وراء توحيد الصف الليبي قامت الجبهة بتشكيل الوفد المتفق عليه مع إدريس في مصر، وقوام هذا الوفد عشرة أشخاص من أبرز عناصر الاقليم، وهم:

1	محمد أبو الاسعاد العالم	رئيسا
2	عون محمد سوف	عضوا
3	عبد الرحمن القلهود	عضوا
4	سالم محمد الصغير المريض	عضوا

5	محمـود أحمـد	عضـوا
6	محمـد ابراهيم الميـت	عضـوا
7	ابـراهيم بن شعبـان	عضـوا
8	محمد الهنقاري الـزاوي	عضـوا
9	عبد المجيد الهادي كعبـار	عضـوا
10	اليهودي زاكينو حبيب	عضـوا

سافر هذا الوفد إلى بنغازي في شهر يناير 1947 م ، والشعب يودعه ويدعو له بالتوفيق ، والقلوب مفعمة بالآمال ، اعتمادا على الوعد الذي عاد به من مصر. وصل الوفد إلى بنغازي واستقبل من طرف جمعية عمر المختار استقبالا عظيما رائعا ولقي ترحيبا بالغا . ولا غرو فإن هذه الجمعية من أنشط عناصر الحركة الوطنية على مستوى الوطن . ومن أخلصها للوحدة ومن أشد أنصارها عمليا . وكانت هي لأخرى تذكر إدريس في خطبها وليس ذلك حبا فيه . وإنما هي مضطرة من أجل الوحدة الوطنية كي يطمئن ويساند الشعب في العمل على تحقيقها .

أقامت هذه الجمعية حفلة للوفد في مقرها ألقيت فيها عدة خطب ، من بينها خطاب رئيس الجمعية الوطني المخلص الأبي الأستاذ مصطفى بن عامر أطال الله عمره في صحة وهناء . وآخر للأستاذ محمد الصابري وآخرين ، ولقد ركزت الخطب على الوحدة والاستقلال . والملاحظ هنا هو وجوب توضيح موضوع إدريس فأقول : إن الحركة الوطنية على مستوى الوطن غير مقتنعة به باطنيا ، وإن كانت قد قبلته ظاهريا بسبب الظروف السائدة آنذاك ، وتطالب الدول المنتصرة على اقتسام ليبيا بينها . فإذا تركناه لها فستجعله مالك ليبيا الوحيد من مركز الكرة الأرضية إلى قبة الفلك ، ويتصرف فيها كما يشاؤون له . ومن هنا أصبح احتضان الحركة الوطنية لهذا الرجل لا مفر منه ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، حيث أنه الجسر الوحيد للعبور إلى تحقيق الوحدة .

وإن كانت هناك عناصر قليلة لا تأثير لها يذكر ، أعلنت معارضتها ، وهذه العناصر بعضها في طرابلس وبعضها الآخر في الخارج . فعناصر الخارج تتجسم في شخص فضيلة الشيخ الطاهر الزاوي مفتي ليبيا الحالي الذي كان أشدها في مهاجمة

إدريس بهدف مقاطعته وإبعاده ، وفضيلته يعرف جيدا أن ذلك يعني انقسام البلاد بدون شك في تلك الظروف الخطيرة . ومع ذلك فقد أمعن في معارضته علنا . وقال بعض المطلعين على بواطن الأمور إنه تدفعه إلى ذلك مصلحة ما . فيها شخصية عربية ليست بغريبة عنا ولكنها غير ليبية .

إن سر هذا الموضوع في الحقيقة غامض بالنسبة للمجتمع الليبي باستثناء أفراد معدودين من المهاجرين في مصر . وقد أخبرني أحدهم كان ينتمي لهذه العناصر في تشكيلتها . وأنا واثق بخبره ، بأن المسألة ليست مجرد كلام ينسَى ، وإنما هو موضوع له وثائق لا تزال موجودة في وزارة الخارجية المصرية . وسيأتي يــوم من أيام المستقبل تظهر فيه هذه الوثائق للوجود إن شاء الله . ولو لم يكن الحديث بالأمانات لأوضحت الموضوع ومهرته باسم من نقلت عنه حتّى يقتنع به القارئ ؛ ولكن إلى حين .

وهناك عناصر في الداخل في طرابلس ، وهي أقلية نسبيا هي الأخرى ، أعلنت أول الأمر معارضتها . ولا أعرف أسباب موقفها هذا . إنما الذي أعرفه أن هذه العناصر هي الأخرى تعرف جيدا ما سيترتب على إبعاد إدريس عن طرابلس . ولعلها كانت على اتصال باللجنة الطرابلسية . الله أعلم .

وبعد هذا أستطيع أن أعيد القول بأن قضيته مسلم بها في تلك الأيام الخوالي ، حيث إنها قد فرضت نفسها بحكم الظروف الخطيرة القاسية ، وذلك لإدراك الجميع أنها العامل الأقوى لتكوين الوحدة الوطنية الليبية ، وبدونها لا تكون هناك وحدة بسبب مواقف العناصر الاقليمية ومن ورائها أيد قوية متمكنة ومتحكمة .

إن بعض أولئك المعارضين كانوا يتوهمون أن تحقيق الوحدة الوطنية الليبية ممكن حتّى على غير طريق إدريس آنئذ ، وفي الحقيقة انه لضرب من الخيال والأوهام التي لا طائل من ورائها في تلك الظروف . ولقد أوضحت الأيام ، وأثبت سير القضية بطلان ما توهموه ، وسداد ما انتهجته الحركة الوطنية في مسيرتها بما فيها من قبول الرجل ، مضطرة غير مختارة .

والشيء بالشيء يذكر . في يوم من تلك الأيام قلت للسعداوي رحمه الله تعالى : ما دام إدريس خاضعا للأنجليز ونحن على اتصال به ورغبة فيه فسنصبح كلنا تحت نفوذ الانجليز وتوجيهاتهم مثله ، أليس كذلك ؟ فقال : اسمع يا فلان ، نحن

نسعَى وراء أمرين اثنين هما : الوحدة أولا والاستقلال ثانيا . والاستقلال سيأتي عن طريق هيئة الأمم ، وسيكون استقلالا حقيقيا من الناحية القانونية ، وسيتحول الصراع داخليا حول وحدة الوطن ، والوحدة أهم من الاستقلال . فإن نحن توفقنا وأكملنا المرحلة كاملة «الوحدة والاستقلال» فنعمت وإلا فستأتي أجيال بعدنا يكملون ما بقي .

هذا ، ومن جهة أخرى ذكر لي الأخ «الحاج محمد يونس الكريكشي» في حديث طويل حول سير الحركة الوطنية قائلا : إنه سأل السعداوي في يوم «لم يحدده» من أيام الحركة الوطنية . سأله عن صلاحية إدريس ، فأجابه السعداوي مقتضبا بما يلي : والله إنه لا يصلح لهذا الأمر . ولكن لا نستطيع الاستغناء عنه في الوقت الحاضر .

تحدثنا آنفا عن سفر الوفد إلى بنغازي . وبينا كيف استقبلته الجمعية ، وكيف احتفلت به على نحو ما ذكرناه . وفي اليوم التالي دعي وفد طرابلس من طرف الجبهة البرقاوية إلى اجتماع غير رسمي للتعارف والترحيب ، وقد ألقيت في هذا الاجتماع عدة خطب ، اقتصرت كلها على الترحيب بالوفد الطرابلسي ، ولم تعرج هذه الخطب على موضوع الوحدة ، وانفض الاجتماع على ما بدأ عليه . وفي يوم 13 يناير وصل إدريس إلى بنغازي قادما إليها من مصر طبقا للوعد . وقد كان الوفد الطرابلسي من جملة المستقبلين ، وبعد استراحته دعي الوفد الطرابلسي لمقابلته والتعرف على أعضائه ، وبعد السلام وعبارات الترحيب والمجاملة التي يقتضيها المقام أثار بعض أعضاء الوفد وحدة البلاد واستقلالها .

وعلى هذه الإشارة أجاب الرجل جوابا جميلا مطمئنا حيث قال : الوحدة غاية الجميع ، وإنه لم يغفل عنها في كل أعماله وتصريحاته ، وعليه فهو لا يرى مانعا منها إلا أنه أردف جملته هذه . بجملة استوقفت الأسماع ، وأثارت الانتباه ، وبعثت في النفوس تفكيرا طويلا وعميقا حيث قال : إنه تلقى معلومات من هيئات سياسية في طرابلس تقول : إن وفد الجبهة لا يمثل طرابلس . وهو إذ يقول هذا فهو يعرف طرابلس وأهلها ، وممن يتكون الوفد ، ولكنها سانحة إلتقطها لتكون بداية المراوغة للتخلص من الموضوع والتأقلم في ناحية من الوطن .

أما ما أشار إليه من وجود اعتّراض على صلاحية الوفد فهو حقيقة واقعة فعلا . حيث إن رئيس الحزب الوطني الحاج مصطفى ميزران رحمه الله ، والأستاذ علي الفقيه حسن رئيس حزب (الكتلة الوطنية الحرة) أرسلا برقية يعترضان فيها على الوفد . ولكن كان عليه لو كان مجدا وصادقا في موقفه للوصول إلى الوحدة الوطنية ، كان عليه أن يفكر ويوازن ، خصوصا وهو يعرف دون شك أن برقه نفسها لم تكن كلها في اتجاه واحدة ، فإن قسما كبيرا قويا مثقفا يناصر الوحدة بكل ما أوتي من قوة . ولكن الذي يفهم من هذه الملاحظة أنها انتصار واضح لشق المعارضين لوحدة الوطن . ولقد كان لهذه الملاحظة وقعها السيئ في النفوس بين أعضاء الوفد . وكان (عون محمد سوف) أحد أعضاء الوفد رجلا جريئا غير هياب كما هو معروف عنه ، وقد بادر بسؤال إدريس بقوله : إسمح لي يا سيدي بأن أقول لكم : انكم تعرفون البلاد جيدا فإذا كان هذا الوفد لا يمثل طرابلس فمن ذا الذي يمثلها ..؟ وفي اليوم التالي أمر بتشكيل وفد برقه الذي سيتولى المباحثات مع الوفد الطرابلسي . فشكل وعرض عليه وأقره . وقد كان تشكيل هذا الوفد على غرار تشكيل وفد طرابلس من الناحية الشكلية إذ قد شكل من عشرة أشخاص هم :

1	عمر منصور الكيخيا	رئيسا
2	عمر فائق شنيب	عضوا
3	حسين البسيكري	عضوا
4	خليل القلال	عضوا
5	عبد الحميد العبار	عضوا
6	عبد الحميد الديباني	عضوا
7	عوض لنعى	عضوا
8	عبد الرزاق شقلوف	عضوا
9	منير البعباع	عضوا
10	ريناتو تشوبه اليهودي	عضوا

ولقد كان رئيس هذا الوفد من أبرز فرسان الاقليمية إن لم أقل أبرزهم على الاطلاق . وإن كان جميع الأعضاء قد اختيروا على هذا الأساس. ومما يلاحظ أن تشكيل الوفد هذا يدعو إلى الريبة من أول وهلة . وذلك بسبب خلوه من أي عنصر

من العناصر الوحدوية . إذ إن سكرتير الجبهة البرقاوية أبعد عن عضوية هذا الوفد المفاوض لأنه وحدوي .

وعلى كل أقول وقد تحققت الوحدة بالتغلب على المنحرفين : أقول غفر الله للجميع حيا وميتا . هذا وقد بدأت الاجتماعات بين الوفدين في اواخر يناير من سنة 1947م وأول من تكلم رئيس الوفد البرقاوي ، حيث ألقى خطابا صرح فيه بكل وضوح قائلا : إن برقه تستند إلى وعد سابق ، ونتيجة لذلك قد تسعف بوضع خاص . فإذ ما حصل ذلك فليس من مصلحتها أن ترفضه . ولكنها تقبله عملا بقاعدة انقاذ ما يمكن انقاذه . وهي ، أي برقه ، حينما تقبل ذلك لا تنسى الوحدة والسعي إليها . ومن هنا فإنها لا يمكن لها الارتباط بطرابلس . هكذا هو المعنى لما جاء في خطاب عمر منصور الكيخيا ـ غفر الله له .

وبدأت المفاوضات أو المباحثات . ولعله من نافلة القول أن أقول : إن وفد الجبهة البرقاوية لا بد أن يكون قد زود من طرف إدريس بتعليمات وحدود يقف عندها ولا يتجاوزها . ولذلك فإنه بعد ترتيب الأمور غادر بنغازي إلى مصر ، وهذه مواقف معروفة عنده من قبل ، وهي حقيقة يجب أن تقال ليعرفها من لم تسبق له معرفتها . وهي انه دائما إيجابي ، ولكنه غير عملي حيث إنه لا ينفذ شيئا مما قبله ، وتعهد به أو وافق عليه . ومما يسهل عليه الخروج من ارتباطاته وتعهداته التي لا يريد الوفاء بها أنه عندما يحين الوقت يبتعد عن منطقة العمل بعدما يوكل الأمر لمن يثق به ، ويرتاح إليه فيميع العمل بطريقة أو بأخرى .

وهذه هي الطريقة التي سلكها في هذه القضية الكبرى : قضية الوطن ، في أحرج وأخطر ظروفه . فبعد أن أوكل الأمر إلى غلاة الاقليمية ، وأبطال الانفصال ، وحدد لهم عملهم ، غادر الوطن عائدا إلى مصر وكان من الواجب لو كان جادا في موقفه ، صادقا في تعهده ، ألاَّ يغادر ميدان العمل حتّى يذلل ما قد يستعصي بين الإخوان .

بدأت المفاوضات بين الطرفين ، وما كاد يدور الكلام حول الوحدة حتّى برزت صخرة تحطمت عليها آمال الوفد الطرابلسي . أجل تحطمت الآمال ولكن مؤقتا . تحطمت على تلك الصخرة أو القنبلة المتفجرة . وهذه القنبلة هي تلك الجملة الجافة الأليمة التي أضيفت لسابقها والتي لا يرجو قائلها من ورائها إلا الوصول إلى القطيعة النهائية لكي يتمكن من إعلان حكومته الإقليمية تحت حماية أجنبية مقنعة .

ولكن من الألطاف الإلهية ان كان الوفد الطرابلسي في هذا الموقف العسير والظرف الخطير كان أبعد نظرًا وأوسع صدرا ، خصوصا وهو مدرك تماما . ما وراء ذلك من دوافع وأهداف . فأسرها في نفسه ولم يزد الموقف تشعبا ، بل عمد إلى جمع أوراقه ، وحزم أمتعته ، وقفل عائدا إلى طرابلس بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها . كما يقولون . ولكن بدون يأس من المستقبل .

أما الصخرة أو القنبلة المشار إليها آنفا فهي كالآتي بلفظها تقريبا . وبمعناها أكيدا : «لا وحدة لكم معنا إلا بقبولكم إدريس مسبقا وبدون قيد ولا شرط . وإلا فاسعوا أنتم منفردين حتّى إذا تحصلتم على الاستقلال وأردتم أن تنضموا إلينا فيما بعد فلا مانع ؟ ! !

ولم تكن هذه الجملة وسابقتها هي الوحيدة التي جابه بها وفد برقه ـ وفد طرابلس من الشروط غير المعقولة ، بل عززها بشرط التساوي في عدد أعضاء المؤسسات الدستورية . كالجمعية التحضيرية والتأسيسية ومجلس النواب والشيوخ .

وذلك بصرف النظر عن عدد سكان الأقاليم . وعلى أن تكون العاصمة **بنغازي** وهو الأمر الذي أثار حفيظة رئيس الوفد الطرابلسي فقال في شيء من الحدة موجها كلامه إلى رئيس الوفد البرقاوي : «إنكم ترتكبون خطأ فادحا إذا كنتم تظنون أن الواحد من برقه يوازن أربعة من طرابلس ، وأكثر خطأ وأفدح زعما إذا كنتم تزعمون أنكم الغالبون ونحن المغلوبون حتّى تملوا علينا هذه الشروط .

توقفت المفاوضات وعاد وفد الجبهة إلى طرابلس كما ذكرنا . ولقد أحدث هذا التوقف موجة من الاستياء والقلق بين الكثير من رجالات بنغازي ، وبصورة خاصة في أوساط جمعية «عمر المختار» التى كانت تضم الأكثرية الكبيرة من الشباب الأكثر ثقافة ، والأعمق تفكيرا ، والأشد إخلاصا للوطن كله ، وعلى اثر ذلك نشرت هذه الجمعية بلاغا للناس من أروع ، بل أروع ما كتب في الموضوع ، واصدق ما نشر عن أسباب توقف المباحثات . وقد أنحت فيه باللائمة على وفد برقة المفاوض ، لما جاء فيما قدمه لوفد طرابلس من عبارات بعيدة عن دائرة المصلحة الوطنية التي يجب التضحية في سبيلها بكل شيء ، وهي منافية لموقف الاخوة الذي كان ينبغي أن يسوده الاحترام وعميق التقدير .

عاد وفد الجبهة الوطنية المتحدة إلى طرابلس ، فساد بين ربوعها جو من القلق والانزعاج ، وكثرت التساؤلات ، وطالب الرأي العام بمعرفة الأسباب التي أدت إلى فشل المباحثات ، وتجاه ذلك عمدت الجبهة الوطنية المتحدة إلى نشر البيان التالي :

بيـان من الجبـهة الوطنـية إلى الشـعب الليـبي :

إن وفد الجبهة الوطنية المتحدة قد قام بالمهمة التي أسندت إليه ، وهي الاتصال برجالات المنطقة الشرقية (برقة) والتباحث معهم في قضية مستقبل الوطن على ضوء المباحثات الأولى التي أجراها الوفد الثاني في مصر في يونيه 1946م وبعد اجتماع الوفد بالهيئة الممثلة لبرقة ، وبعد المداولة والبحث تقدم وفد الجبهة الطرابلسي بصورة أوفى كالآتي :

أولا : التمسك بوحدة ليبيا بحدودها الطبيعية قبل الحرب العالمية الثانية ورفض أية محاولة ترمي إلى تقسيمها أو فصل أي جزء منها .

ثانيا : الاستقلال التام لكل البلاد الليبية .

ثالثا : قبول إدريس بحكومة ديمقراطية دستورية نيابية .

رابعا : انضمام البلاد بعد نيلها الاستقلال إلى جامعة الدول العربية كعضو من أعضائها .

خامسا : تؤلف هيئة مشتركة لتوحيد الجهود المتعلقة بمصالح الوطن .

سادسا : يلتزم الطرفان بالعمل على تحقيق المبادئ المشار إليها والدفاع عنها بكل الوسائل الممكنة وعدم قبول أي وضع لا يتفق معها .

سابعا : يجرى العمل بهذه الاتفاقية بعد توقيعها من الطرفين .

سلمت هذه الاتفاقية للهيئة البرقاوية وبعد دراستها لم توافق على الفقرتين الأخيرتين من المادتين الأولى والسادسة ، واستمر النقاش فيها ما يقرب من ساعتين ، وكانت نتيجة المناقشة أن تمسكت الهيئة البرقاوية برفض هاتين الفقرتين ، واقترحت زيادة «بلا قيد ولا شرط» في آخر المادة الثالثة بدلا من «بحكومة ديمقراطية دستورية نيابية» كما أصرت الهيئة البرقاوية أن تبدل الفقرة الأخيرة من المادة السادسة بما يلي : (على أنه إذا تعذر ذلك ينقذ ما يمكن إنقاذه . ويسعى لانقاذ البقية الباقية) بدلا من «الدفاع بكل الوسائل الممكنة وعدم قبول أي وضع لا يتفق معها» .

وبما أن هذا التبديل يجعل الاتفاقية شكلية فقط وغير مفيدة ولا مشرفة ، فلم يوافق الوفد على تلك الزيادة وانتهت الجلسة بدون الاتفاق على أن يرجأ البحث إلى جلسة أخرى . وفي خلال الفترة بين الجلستين بحث الوفد صورة الاتفاقية التي كانت قد قدمتها بكل دقة ، ورأى أن المادة الأولى فيها ما يغني عن الفقرة المنتقدة في المادة السادسة ، فقرر حسماً للخلاف إزالة الفقرة المذكورة برمتها ، كما كتب صورة أخرى ، هذا نصها :

اتفق الطرفان والتزما بما يلي :

أولا : العمل بكل الوسائل الممكنة على تحقيق الاستقلال التام لكل البلاد الليبية وعلى وحدة ليبيا بحدودها الطبيعية بدون أية تجزئة ، وقبول إدريس بحكومة ديمقراطية دستورية نيابية والانضمام إلى جامعة الدول العربية .

ثانيا : تأليف جبهة مشتركة لتوحيد الجهود المتعلقة بصالح الوطن .

ثالثا : يعمل بهذه الاتفاقية بعد توقيعها من الطرفين .

وعندما عقد الجلسة الثانية عرض الوفد صورة الاتفاقية الأولى بعد حذف تلك الفقرة منها ، كما عرض بعدها الصورة الثالثة ، فأصرت هيئة برقة على زيادة « بلا قيد ولا شرط » وعلى تغيير تلك الفقرة بما قدمته أولا ، ولم تقتنع بما قدم الوفد من الصور .

وحيث إن كلمة (بلا قيد ولا شرط) لا معنى لوضعها في المذكرة ما دام الوفد لم يقيد إدريس بشيء يختلف فيه الطرفان . ومن حيث إن هذه الزيادة تتنافى مع : « بحكومة دستورية » فلم يوافق على هذه الزيادة . وبما أن مهمة الوفد تنحصر في اتفاقية تضمن اتحاد الجهود على الكفاح في سبيل القضية الوطنية بكل ما يمكن من الوسائل . وحيث لم يجد الوفد في الاتفاقية بتلك الزيادة « على أنه إذا تعذر » إلخ ما يضمن المصالح الوطنية ووجد ما يجعل لكلا الطرفين الحرية في التخلص من الآخر ، وعدم الارتباط به في السراء والضراء ، وإن الوحدة ما هي إلا شكلية لا روح فيها فلم يوافق الوفد على ذلك ، ورأى أن اتفاقية بهذه الصورة مما لا يتفق والكرامة ، ولا يرضاها الشعب ولا المجاهدون في الخارج . وبذلك توقفت المفاوضات .

والجبهة الوطنية المتحدة التي أخذت على نفسها مهمة الدفاع عن الوطن ، وتحقيق استقلال البلاد موحدة منضمة إلى جامعة الدول العربية لا تزال مستمرة على مبدئها : الاستقلال والوحدة والانضمام إلى جامعة الدول العربية بما أوتيت من قوة .

وللاطلاع أثبتنا صورة المحضر الموقع عليه من الطرفين . وهو الوثيقة رقم (1) الموضوع رقم (2) عن المفاوضات في بنغازي ، 26 يناير 1947م .

والحقيقة التي اختلجت في نفوس أعضاء وفد طرابلس من أول وهلة كانت غير مطمئنة ، وذلك لأنهم لاحظوا في تشكيل وفد برقة الذي سيتولى التباحث معهم تشكيلا مريبا ، فقد كان خاليا من أي عنصر من العناصر الوحدوية . وعلى الرغم من أن هذا الوفد مكون من رجالات الجبهة الوطنية البرقاوية ، فإن سكرتير هذه الجبهة الأستاذ محمد بن عامر قد استبعد عن الوفد . وكذلك الأستاذ محمد الصابري مساعد سكرتير الجبهة قد استبعد هو الآخر . وذلك لأنهما عرفا باخلاصهما للوطن ، ومناصرتهما لوحدته .

فمنذ تلك اللحظة عرف الوفد الطرابلسي أن النجاح في تلك المرحلة غير مأمول ، أولا لتركيبة وفد برقة كما أشرنا آنفا ، ثم لمغادرة إدريس بنغازي إلى مصر،ولكن رغم ذلك فقد واصل وفد طرابلس المباحثات لكي يظهر للشعب ما قد يخفى عليه من مراوغات ... وليثبت للتاريخ ما يسجله من حقائق مواقف هذا الجيل كي يبقى لأحفاده من بعده . بدأت المباحثات بين الطرفين ، وبدأ الخلاف يرفع رأسه ، وكان من الواجب أن يكون (إدريس) قريبا منهما حتى تنتهي المباحثات إلى النتيجة المنتظرة .

إذا ما استعرضنا هذا كله وغيره مما لم أذكره لعدم اطلاعي عليه نرى أن أساس الفشل كان نتيجة مباشرة لهذه التصرفات المتعمدة . وأرجو أن لا أكون مخطئا في تفكيري هذا . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ونتيجة مباشرة لهذا الفشل في هذه المرحلة قررت الجبهة الوطنية المتحدة في طرابلس في يناير 1947م عدم ذكر إدريس في أية مناسبة ، والاقتصار على المناداة بثلاثة أشياء فقط هي : «الاستقلال ـ الوحدة ـ الانضمام للجامعة العربية» . وقد تلقف الإقليميون هنا وهناك هذا التطور الجديد في الموقف ، واتخذوه كحجة بأن

طرابلس ترفض الوحدة ، وهو قول لا يؤمنون به هم أنفسهم ، وإنما اتخذوه لتغطية موقفهم الذي هو السبب الرئيسي ، وأن بيان الجبهة الذي أثبتناه آنفا منقولا عن جريدة « الوطن » والموقع من الطرفين المتفاوضين لهو أقوى حجة ، وأصدق شاهد ، على أن الجبهة أو طرابلس قبلت بكل تلك الشروط المجحفة التي أملاها الوفد البرقاوي من أجل تحقيق الوحدة . ولكن هذا الوفد هو الذي دفع الوحدة بكلتا يديه انصياعا لأوامر تصدر له .

بل الوحدة كانت مقدمة على الاستقلال . وقد كان يدور على ألسنة الناس آنذاك في طرابلس قولهم في كل مناسبة : « وحدة بدون استقلال . خير من استقلال بدون وحدة » وهكذا فقد استمرت الدعاية للوحدة في طرابلس ، ولا ذكر لإدريس ، إلى أن جاءت هيئة تحرير ليبيا . سارت مدة في جولاتها ، دون ذكر اسمه ، ثم بعد مدة لا أعرف طولها من قصرها . طلب رئيس هيئة التحرير من الجماهير أن تضم اسمه إلى المبادئ الثلاثة .

وهكذا فقد استمرت الدعاية للمبادئ الأربعة إلى أن قام مؤتمر مسلاتة الذي تم فيه تنفيذ البيعة ، وبقيام مؤتمر مسلاتة برز للوجود « المؤتمر الوطني العام » الذي حل محل الجبهة الوطنية وغيرها من الأحزاب . وبذلك أصبح «كل الصيد في جوف الفرا » .

* * * *

مولد هيئة تحرير ليبيا في القاهرة

في خلال شهر مارس (فيما أتذكر) من سنة 1947 م أذاعت محطة القاهرة نبأ تشكيل منظمة سياسية وطنية ليبية في مصر أطلق عليها اسم « هيئة تحرير ليبيا » وبعد أيام قليلة من هذا النبأ تلقت الجمعية في تونس برقية من السعداوي تفيد تشكيل هيئة سياسية لمجابهة «لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية» من أجل وحدة الوطن واستقلاله . وبالطبع فإن البرقية كانت مقتضبة . ومع ذلك فقد سررنا بالخبر في حد ذاته ، وتفاءلنا به خيرا . غير أننا رحنا في دوامة من التفكير : من هم الأفراد الذين شكلت منهم هذه المنظمة ... غير السعداوي ..؟

والسبب في التفكير هو ماكنا نعلمه من أن هناك من بين الاخوان المهاجرين عناصر تحطب في جبل الأجنبي . ولكن بالرغم من ذلك فقد أبرقنا بالموافقة المبدئية مع طلب موافاتنا بالتفاصيل عن عناصر المنظمة ، وبقينا في الانتظار . وبعد فترة وصلتنا رسالة مفصلة حيث أوضحت أن المنظمة قد تشكلت من السادة الآتي ذكرهم . وبرئاسة أولهم ذكرا :

1 ـ بشير السعداوي
2 ـ أحمد الشتيوي السويحلي
3 ـ الطاهر أحمد المريض
4 ـ جواد بن زكري
5 ـ منصور بن قدارة
6 ـ محمود أحمد المنتصر

وعند وصول الرسالة اجتمع أفراد الجمعية وقرئت الرسالة ، وحرر الحاضرون رسالة جوابية ، وبالموافقة التامة والتأييد الكامل . وحصلت الراحة النفسية للجميع . تتبعنا الحركة فعلمنا أن هذا التشكيل لقي استجابة ورضا من طرف الجامعة العربية والحكومة المصرية على السواء .

ومن محاسن الصدف أن قيام هذه المنظمة جاء في الوقت الذي برزت فيه الجامعة العربية للوجود ، وإن كان عمرها لم يتجاوز عامين آنئذ ، ولكنها مع حداثتها أخذت طريقها للعمل . وكان أمينها العام هو : (عبد الرحمن عزام) رحمه الله تعالى . وعزام هذا علاوة عن كونه عربيا مخلصا لعروبته ، ومسلما معتزًا بإسلامه ، فهو من جهة أخرى قديم الصلة بليبيا والليبيين ، فلقد سبق له أن أمضى أيام الجهاد الليبي فترة من الزمن بين إخوانه المجاهدين في إقليم طرابلس ، امتدت هذه الفترة سبع سنوات تقريبا . كان خلالها محل تقدير واحترام من الجميع كسياسي ملحوظ بين زعماء الجهاد ، مع معرفته اللغة الأجنبية . ولا غرو فإن هذه العوامل والأوصاف تجعل شعوره لا يختلف عن شعور الليبيين أنفسهم نحو مصلحة ليبيا ومستقبلها .

قلنا : اجتمعت الجمعية في تونس ، وأرسلت بالموافقة والتأييد بعدما ارتاحت تماما للمشروع ، وفي نفس الوقت أيضا درست ما تجمع لديها من المعلومات الأخرى من مختلف الجهات التي لها صلة بقضية الوطن . ولقد أخذت بعين الاعتبار تحركات

الإخوان بالشرق ، وتوالي اجتماعات مسئولي الدول المنتصرة في الحرب كما أوضحنا سابقا ، هذه الدول التي لم تعد تخفي مطامعها في الاستيلاء على المستعمرات الايطالية السابقة خصوصا بلادنا ليبيا التي يدور حولها صراع خطير ومخيف بالنسبة لنا نحن الليبيين بسبب ما قدره لها ساسة الحلفاء من المكانة الخطيرة ، وأنها ستكون في المستقبل عاملا فعالا في حالتي السلم والحرب.

لهذه الأسباب وغيرها قرر المجتمعون وجوب الإسراع بالعودة إلى الوطن . على أن يخف كل من تمكنه ظروفه من السرعة بالعودة على أن تكون العودة أفذاذا ، وبأية طريقة تتاح له ، خصوصا وأن الأجل المضروب للوكلاء قد قرب على الانتهاء دون أن تبدو من أعمالهم أية بادرة تدل على أنهم سيصلون إلى طريقة تحسم الموضوع . بل صار انتقال القضية إلى هيئة الأمم المتحدة مسألة وقت ليس إلا . كما أن الأخبار التي وصلت إلى الجمعية من مصادر لها خبرة ودراية بالموضوع تفيد أن لجنة التحقيق الرباعية المقترحة من طرف الدول الأربع مزمعة السفر إلى المستعمرات . إلّا أن هذه الأخبار لم تحدد لنا الوقت الذي ستصل فيه هذه اللجنة إلى ليبيا . وهل ستقصدها هي الأولى ، أو ستكون هي الأخيرة ؟ وعلى كل فقد أسرع بعض الأخوان إلى العودة للوطن عملا بما تقرر.

وفي أول يناير من سنة 1948م وجبت عليَّ العودة إلى الوطن للالتحاق بالاخوان الذين سبقوني ، بحكم المسئولية التي التزمتها منذ سنة 1926م ، ففي أوائل هذا الشهر حزمت أمتعتي بعدما رتبت أموري وغادرت تونس إلى ليبيا تاركا عائلتي : «الوالدين ـ والأولاد» هناك ولم أصطحبهم معي ، خوفا من أن يشكل وجودهم معي نقطة ضعف لي في موقفي تجاه المحتلين والطامعين وغيرهم.

ذلك لأنني بحكم تجاربي في الحركة التونسية ، ومشاركتي فيها بقدر استطاعتي ، وغير ذلك من تجارب الحياة مقدرٌ تمام التقدير ضراوة الصراع الذي ينتظرني . وبالفعل فإنه حينما اشتد الصراع بيننا وبين الإدارة وعملائها جاءني صديق لي ـ من أتباع المؤتمر ـ وهو الأخ : «محمد الزقعار رحمه الله» واقترح عليَّ جلب عائلتي من تونس إلى طرابلس ، ولا أدري أكان ذلك بتكليف من الإدارة وأعوانها أم من اجتهاده الخاص ، ولعله شعر بشيء يدور في بعض الأوساط عني ، فأراد بذلك

خيرا لي حسب اجتهاده . لا أدري ، وعلى كل فقد رفضت ذلك دون إبداء السبب .

وأعود فأقول : عدت إلى الوطن بمقتضى رخصة من السفارة الأنجليزية بتونس بصفتها المسئولة عن شؤون ليبيا آنذاك ، وبصفتي ليبيا ولم أحمل في حياتي كلها أية جنسية أو رعوية أجنبية غير ليبية إطلاقا ، ومع ذلك فإن حكومة العهد الغابر لم تراع المنطق ، ولم تحترم الدستور الذي لا أقول صنعته ، ولكن أقول رضيت به واعتمدته . وهو ينص بصراحة ووضوح على عدم إبعاد المواطن الليبي خارج بلاده . وأنا ليبي بنص الدستور ، استقر أجدادي وأصولي في هذا الوطن منذ الفتح الإسلامي تقريبا ، كما أنني ليبي بالولادة وتتوفر فيَّ جميع الشروط التي وردت في الدستور والتي تجعل الشخص ليبيا حتّى ولو كان لم يعرف ليبيا من قبل ولم يسمع بها .

وفوق هذا وذاك فقد اندفعت في محاربة المحور مع بعض إخواني من المهاجرين في تونس ضمن الجيش الثامن الانجليزي عدة أشهر من أجل ليبيا . ولا شيء إطلاقا غير العمل من أجل مستقبل الوطن . وهذا الموقف عرفه حكام ذلك العهد كما أنني عند عودتي انتسبت إلى أقوى حزب سياسي في البلاد ، ضم علماء ووجهاء في البلاد من مهاجرين وقاعدين . ثم إنني كنت بين رجال المؤتمر الوطني الذي ضم كل أحزاب البلاد . وكنت من العناصر المعدودة فيه . ثم أصدرت جريدة سياسية هي : (شعلة الحرية) قارعت بها الإدارة البريطانية ردحا من الزمن . ولم ينكر عليَّ ليبيتي حتّى الإنجليز أنفسهم في هذه الأدوار كلها ، رغم المصادمات والمحاكمات مرارا .

وبالتالي ناهضت الاستعمار الإيطالي في المهجر ستة وعشرين عاما . ولم ينكر عليَّ انتمائي إلى ليبيا حتّى هذا العدو المسيطر على البلاد. بل حاول بوسطاء لا يزال بعضهم على قيد الحياة ، ومن سكان طرابلس العاصمة اليوم ، أن يعيدني إلى الوطن بوعود مغرية خصوصا بالنسبة لشخص مثلي مشرد ، يعيش من عرق جبينه وكدّ يمينه . ولكن وبكل أسف عميق أقول : إن أبناء وطني تنكروا لي من أجل إرضاء الأجنبي ، فأخرجوني من البلاد ، لإفساح المجال له كي يتمكن من تحقيق ما يهدف إليه ، ثم يجازيهم بأن يجعل منهم حكومة مفروضة على الشعب ، ثم يقدم لهم صك الاستعباد ليمهروه بتوقيعاتهم باسم الشعب ! !

فعلوا هذا حينما شكل منهمْ الأجنبي حكومة برئاسة محمود أحمد المنتصر ـ غفر الله له . ولم تراع هذه الحكومة كل ما تقدم ذكره ، فعمدت إلى إبعادي خارج الوطن دونما التفاتة إلى ذلك الماضي فضلا عن النواحي الدستورية . وبالتالي لم تفكر في أن هذا الشخص الذي صممت على طرده من بلاده هو عنصر له نصيبه بين العناصر التي حققت ذلك الاستقلال ، والذي بفضله وصلت هي إلى كراسي الحكم .

أجل ، عمدت هذه الحكومة إلى إبعادي خارج الوطن ، وقد دام هذا الإبعاد مدة عشر سنوات إلا قليلا . كل ذلك من أجل المطالبة بحق طبيعي لفائدة الجميع . ذلك لأنني قلت مع الشعب : إن ليبيا وحدة واحدة ، ويجب أن تبقّي كما جعلها الله ، وشهد بذلك التاريخ بلدا واحدا حرا مستقلا ، وعملت مع العاملين لهذه الغاية الحيوية النبيلة الشعبية ، ولم تستهوني الإغراءات ، ولم تخفني التهديدات ، وما ظننت أن مطلبا شعبيا كهذا ينقلب إلى جريمة في عهد حكومة زعموا أنها وطنية ، وعلى رأسها رجل عربي مسلم ، وقالوا : إنه مجاهد ، وما أرى فيما عملت من عجب ، فلو أن ذلك وقع لي من نظام أجنبي فلا يكون لي من عجب ، ولكنه وقع من تفكير وتدبير أبناء الوطن قطعا. غفر الله لهم .

قلت : إنني حزمت أمتعتي ، وغادرت تونس إلى ليبيا ملتحقا بالاخوان الذين سبقوني للتعاون مع جميع أبناء الوطن في مجابهة المطامع الاستعمارية التي تهدد مستقبلنا بتقسيم البلاد ، وتشتيت شمل الشعب . ركبت السيارة العمومية (الحافلة) من تونس وسارت بنا في اتجاه طرابلس الغرب . وبعد أن اجتازت (بنقردان) ووصلت إلى رأس جدير حيث الحد الفاصل بين بلدين عربيين تونس وليبيا وقفت السيارة للإجراءات الجمركية وغيرها ، وفي نفس الوقت الذي وقفت فيه السيارة وصلت سيارة مثلها قادمة من طرابلس في طريقها إلى تونس ، ووقفت هي الأخرى ، ولنفس الإجراءات .

وهنا ثارت في نفسي غريزة حب الاستطلاع . اقتربت من السيارة الآتية من طرابلس ، وما كدت أجول بنظري ، وأتفرس فيمن فيها حتّى قابلني الأخ عمر مالك . داخلها ، فدهشت ، وهالني الأمر لهذه المفجأة التي ما كانت تدور بخلدي ، فدنوت منه وسألته بلهفة : ماذا في الأمر يا عمر ..؟ فأجابني بجملة مقتضبة والسيارة

تحركت قائلا : (هام الانجليز طردونا يا سيدي) وأقول الحقيقة أنني قد تأثرت تأثرا شديدا لهذا الحدث المفاجئ ، حتّى لقد خالجني شيئ من القلق ، وعدم الاطمئنان لعودتي هذه .

أجل خالجني الخوف ، ولم يتبادر إلى ذهني أن « غدامس » آنذاك مرتبطة بفزان ، ترضخ للإدارة الفرنسية ، وأنه قد يكون ذلك هو السبب في إبعاد الأخ مالك . ولكن ظننت أن الاحتلال المؤقت لا يفصل سكان مناطق البلاد ، بعضها عن بعض ، المهم أنه خالجني الخوف ولكن ماذا أفعل ودخول البلاد لابد منه ، خصوصا وأن ميدان الصراع أصبح بالنسبة لي قضاء مقضيا داخل البلاد وليس خارجها ؟ وحتّى الأعمال التي يجب أن تباشر في الخارج فإن منطلقها وعواملها ومقوماتها من الداخل أيضا ، حيث القاعدة الشعبية التي بها يعمل وعليها يعول . ومن هنا فإن عودتي للبلاد لا محيد عنها ولا رجوع فيها . ولو أنه سيطر على تفكيري الكثير من التخمين ، كيف سيكون موقف الإدارة البريطانية نحوي فيما إذا بدرت مني أية بادرة عمل ؟ وأنا لهذا عائد وإلا فلا فائدة من العودة في تلك الظروف ، علما بأن هذه الإدارة سبق لها أن أخرجت منصور بن قدارة رحمه الله حينما جاء طرابلس في زيارة قبل مجيئ هيئة تحرير ليبيا بحوالي عامين ، ووقع لمجيئه صدى بين الشباب .

إن هاتين السابقتين وغيرهما من تصرفات هذه الإدارة في البلاد جعلتني أفكر كثيرا في الموقف الذي قد يواجهني ، ونتيجة لهذا التخمين فقد قررت في نفسي أن أبقى هادئا ساكنا لمدة محدودة ، لا أتكلم في الموضوع بين المواطنين ، حتّى يتبين لي الجو على حقيقته ، لأعرف كيف أتصرف . ذلك لأن معرفة الظروف وملابساتها من أسباب النجاح في الأعمال ، وأعتقد أنه نتيجة لهذه الطريقة الهادئة التي سلكتها جعلت جريدة طرابلس الغرب تكتب على صفحاتها كلمة ترحيب في عددها الصادر بتاريخ 20 من ربيع الأول سنة 1367 هـ الموافق 21 يناير 1948 م بعد وصولي إلى طرابلس بحوالي عشرين يوما تقريبا . ولقد تفاءلت بهذه الكلمة خيرا ، ولا غرو فانها جريدة الإدارة كما هو معروف . ولذلك فإن ما يصدر بها تجب ملاحظته وأخذه كدليل على أي حال من الحالتين .

وفيما يلي نص الكلمة حرفيا :

مجاهـد وطـني يزور ليبـيا

قـدم من تونس الكاتب والمجاهد الكبير السيد أحمد زارم الرحيبي ، أحد أساطين الحركة الوطنية الليبية في المهجر منذ سنة 1928م لزيارة الوطن والأصدقاء بعد غياب طويل، فأهلا بالزائر الكريم، وابن الوطن البار.

إن كلمة كهذه في جريدة الإدارة ، لا تريح النفس وحسب بالنسبة لي ، بل تشعرني كأن بابا قد انفتح لي بعد أن كان شبه مغلق في نظري . وبما أنني قد جئت إلى طرابلس قبل مجيء هيئة تحرير ليبيا بحوالي شهرين تقريبا . وبما أن وضعي كان مشوبا بالحذر ، نظرا إلى ما أشرت إليه من تصرفات الإدارة القائمة . وعلى الرغم من ترحيب الجريدة فقد بقيت مدة لا أنتمي لأية جهة من تلك الجهات الحزبية مستقلّا في تفكيري حرًّا في تصرفاتي ، بعيدا عن الأضواء . وقد بدأت اتصالاتي في تؤدة وهدوء بجهات الدواخل بمناسبة الأسواق والمناسبات الأخرى ، لمعرفة ما يدور على ألسنة المواطنين على الطبيعة ، إذ إن كلام وأحاديث الدواخل يخرج منهم عفويا ، بلا تزويق ولا تنميق . ولازلت أتذكر مما سجلته أنني سمعت في عدة جهات بعض الصغار يرددون : «يا ناري عَلَيْ مشي البشكه ما عد إجي ــ وآخرون يقولون : «يا ناري وُوهْ مشَى البشكه ما عاد الرُّوهْ» وبعض آخر يردد : «بعد ارتحنا من الطليان مع نيكس / جانـا كامان» ولكن تسجيلاتي كلها ضاعت . تلك هي أعمالي قبل مجيء هيئة تحرير ليبيا إلى طرابلس .

وبما أنني كنت حديث عهد بالبلاد فلقد كانت معارفي فيها قليلة جدا . ولذلك كنت في هذه الفترة أتردد باستمرار على «الحاج محمد يونس الكريكشي» في مكتبه «بسوق الربع » وأمضي جل أوقاتي هناك ، نظرا لكوني تعرفت على الأخ المذكور منذ سنة 1936 م في تونس ، وقد عرفت فيه آنذاك إحساسات وطنية صادقة ، وشعورا قوميا عميقا وهو الأمر الذي جعلني أكبر فيه ذلك وأقدره ، نظرا للظروف التي كانت تعيشها البلاد تحت حكم «الفاشو» الرهيب ولقد كان الحاج محمد هذا كثير التردد على تونس . وبالرغم من تلك الظروف القاسية فقد كان يزودنا بأخبار الوطن وتصرفات المستعمر. أخبار أفادتنا في حركتنا الوطنية .

وفي عودتي هذه وجدت الرجل كما عرفته من قبل ، بل ازداد اندفاعا وثباتا على المبدأ ، فاطمأنت له نفسي أكثر من الماضي ، فاستمر اتصالي به وترددي عليه . وفي نفس الوقت كان يتردد عليه الكثير من المواطنين من مختلف النزعات الفكرية والانتماءات الحزبية ، ذلك لأنه كان في موقفه رجل الجميع . ولا ينتمي لأية جبهة حزبية ، وإنما كان يباشر الأعمال الخيرية التي كانت البلاد إذ ذاك في أشد الحاجة إليها . وكان ترددي عليه فرصة سنحت لي استفدت منها التعرف على عدد لا بأس به من رجال وشباب ذلك العهد ، وأنا في حاجة ملحة إلى ذلك ، ولا غرو فأنا حديث عهد بالبلاد كما أشرت آنفا إذ إن غيابنا عنها استمر أكثر من ربع قرن . وهذا جيل جديد .

كنت قد أشرت في صفحة سابقة إلى أنني حينما جئت إلى طرابلس في مهمة سرية سنة 1944 م أشرت إلى عدم وجود مؤسسات سياسية وطنية إلا « نادي الاتحاد الرياضي » و « النادي الأدبي » في طرابلس « وجمعية عمر المختار » في بنغازي ، وهذه المؤسسات الثلاث هي حديثة العهد لم تظهر لها أعمال ذات أهمية من ناحية الحركة الوطنية السياسية ، ولكنها متحفزة في نشاط ملحوظ للمستقبل القريب ، أما غير هذه المؤسسات الثلاث فعبارة عن تحركات شباب جريئ نشيط ، ولكنها حركات غير منظمة تحت أسماء معينة وبرامج محددة .

وعند عودتي هذه السنة (1948 م) أي بعد ثلاث سنوات وجدت تلك الحركة الوطنية الصغيرة قد نمت وكبرت وتغيرت كثيرا . فقد تعددت الأحزاب تحت أسماء معينة ، وبطرق منظمة إلى حد ما . فلقد علمت من أولئك الاخوان الذين نجتمع بهم في مكتب الحاج محمد الكريكشي . أن ذلك النادي الأدبي قد انبثق عنه حزب سياسي سنة 1946 م أطلق عليه اسم « الحزب الوطني » مع استمرار النادي في حياته الأدبية . وقد أسندت إلى الشاعر الوطني المخلص « أحمد الفقيه حسن » رحمه الله تعالى ، وبعد فترة غير طويلة أجريت انتخابات في هذا الحزب وفاز برئاسته « مصطفى ميزران » رحمه الله تعالى ، بدلا من الرئيس الأول .

وبهذه المناسبة انسحب أبناء الفقيه حسن : أحمد ـ وعلي من الحزب ، وانسحب معهما الشيخ « بشير بن حمزة » رحمه الله تعالى . وعلي رجب . وآخرون ، وأسسوا حزبا جديدا برئاسة « علي الفقيه حسن » وأطلق على هذا الحزب اسم :

« الكتلة الوطنية الحرة » ويبدو أن هذا التشكيل حرك مجموعة من شخصيات البلاد وعلمائها آنذاك أمثال « سالم المنتصر ـ محمد أبو الإسعاد العالم ـ عبد الرحمن القلهود ـ محمد إبراهيم الميت ـ رحمهم الله جميعا ـ وإبراهيم بن شعبان ـ محمد الهنقاري ـ واليهودي زاكينو حبيب وآخرون وشكلوا حزبا جديدا برئاسة سالم المنتصر ، وأطلق عليه إسم : « الجبهة الوطنية المتحدة » وكان هذا في أواخر سنة 1946 م وبعد ذلك انفصل عن الكتلة الوطنية الشيخ بشير بن حمزة رحمه الله ، وعلي رجب ، وقد شكل كل منهما حزبا جديدا ، فالأول (حزب العمال) والثاني (حزب الاتحاد المصري الطرابلسي) . وفي يناير 1948 م انسحب من الحزب الوطني الصادق بن زراع رحمه الله ، وأسس حزبا أطلق عليه اسم « حزب الأحرار » .

هذه هي الأحزاب الوطنية التي برزت للوجود في خلال السنوات الثلاث . وعلى الرغم من كون هذه الأحزاب كلها حركات وطنية أملاها الإخلاص للوطن ، وحب الحرية والاستقلال . إلا أن الملاحظ هنا أن هذه الموجة من التزاحم والاندفاع في تكوين الأحزاب حتّى لقد بلغ تعدادها ثمانية أحزاب في بلد لا يتجاوز تعداد سكانه المليون الواحد في ذلك الوقت ... إن هذا التزاحم والاندفاع (على حد فهمي) نتيجة لعوامل ثلاثة هي : إنه ضرب من ضروب التهور . وعدم فهم الظروف ومقتضياتها . وحب الذات ، وبالجملة فإنها حالة دلت على سطحية التفكير في عواقب هذا التشتت ، خصوصا في ظروف تتطلب التكتل والاتحاد في القول والعمل ونكران الذات .

• • • •

هيئة تحرير ليبيا في طرابلس

ذكرت فيما تقدم مولد هيئة تحرير ليبيا في « مصر » ونحن بتونس وقد مرت الأيام وتوالت الشهور ، وعدنا إلى ليبيا كما أوضحت . وفي يوم من تلك الأيام وقبل مجيء هيئة التحرير أذاعت محطات : القاهرة ، ولندن ، وإيطاليا خبرا مفاده أن هيئة التحرير هذه آخذة في الاستعداد للانتقال من مصر إلى ليبيا لمباشرة مهمتها التي أسست من أجلها . وعقب ذلك بأيام وردت لنا صحف القاهرة تحمل خبرا يقول :

إن هيئة تحرير ليبيا عقدت مؤتمرا صحفيا تكلم فيه على لسان الهيئة أحد أعضائها هو المرحوم «الطاهر بك المريض» وقد جاء في هذا الخطاب ما يلي :

نحن ـ معشر الليبيين ـ نطالب باستقلال بلادنا وعدم تجزئتها ، وأن مهمة هذه الهيئة هي أن تبين ذلك بصراحة ووضوح تامين إلى لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية . وإن الهيئة لا تريد أن تعتقد أن الدول التي تناصر الديمقراطية تنقض ما صرحت به ، وما قطعته على نفسها من عهود بفرض نوع من الحكم على شعب عزم عزما أكيدا للوصول إلى استقلاله بكل ما يملكه إلخ...

وقبل أن تغادر هيئة التحرير مصر إلى ليبيا بقليل وردت منها رسائل إلى الأحزاب السياسية الوطنية في طرابلس تشعرها فيها بأنها قد أصبحت على أهبة السفر . وفي الوقت نفسه علمنا من أخبار الإذاعات أن «لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية» قد وصلت إلى مصر قادمة إليها من «الصومال» «واريتريا» بعد أن أنهت أعمالها فيهما ، وقد حلت بمدينة «الأقصر» من القطر المصري ، لتضع تقاريرها عن الاقليمين المذكورين . ثم تواصل سفرها إلى ليبيا .

أما هيئة التحرير بعد أن أجرت اتصالاتها مع الجامعة العربية والحكومة المصرية ، وبعد أن تزودت بما تحتاج إليه من وسائل للقيام بمهمتها الوطنية من مساعدات الحكومة المصرية ومن جامعة الدول العربية . غادرت «مصر» برًّا في طريقها إلى ليبيا . وصلت الهيئة إلى بنغازي . وهناك توقفت حيث قابل رئيسها «إدريس» وقد صرح رئيس هيئة التحرير على اثر ذلك بقوله : إن المقابلة كانت ودية جدا . ولقد أدخل هذا النبأ شيئا من الارتياح في نفوس الشعب بالنسبة لوحدة البلاد على الرغم من الخيبات السابقة ، إذ إن الوحدة كانت هي الشغل الشاغل للشعب كله .

وعلى إثر هذه المقابلة غادرت هيئة التحرير مدينة بنغازي في طريقها إلى طرابلس ، وفي ذلك الوقت غادرها أيضا «إدريس» إلى مصر لأمر غير معروف لدينا ، وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة 1367 هـ الموافق للرابع من شهر مارس 1948 م وصلت هيئة تحرير ليبيا إلى طرابلس ، وقد استقبلت من طرف الشعب ، قاصيه ودانيه ، حاضره وباديه ، استقبالا عظيما رائعا خارج المدينة بعشرات الكيلو مترات . وسارت الهيئة تحفها جماهير الشعب قاصدة «فندق طرابلس

الغرب » الذي صار فيما بعد مركز شرطة المدينة ، ثم أزيل البناء تماما ليشاد على أنقاضه بناء جديد لا أدري ماذا سيكون . واتخذت الهيئة مركزا لعملها مقر الجبهة الوطنية المتحدة ، في عمارة بن زقلام « بشارع عمر المختار » وفي اليوم التالي لوصولها ، أي : مساء يوم 5 منه أقام لها « نادي الاتحاد الرياضي » حفلة تكريم ألقى فيها أحد أعضاء النادي خطابا رحب فيه بقدوم هيئة التحرير أولا . ثم أعلن عن استعداد النادي لخدمة الوطن بكل ما يستطيعه ، ثم ألقى السعداوي رحمه الله كلمة حث فيها الشباب على خدمة الوطن والتمسك بحريته واستقلاله . ومن الغد بدأت الهيئة في استقبال وفود الدواخل . وبدون أن تخصص أياما لاستقبال هذه الوفود بدأت الهيئة في حركتها واتصالاتها بجهات الدواخل . وبعد أيام معدودة انتقل رئيس هيئة التحرير من « فندق طرابلس الغرب » إلى « فندق المهاري » بشارع الشط قرب ضريح الشعاب ، وهنا أقف قليلا استجابة لصوت الواجب التاريخي الأكيد .

هذا الصوت يدعوني إلى ذكر حقيقة عشتها ولمستها ، ويحتم على هذا الواجب ألا أمر بها دونما إشارة خاصة إليها ، ولو باختصار ، تلك هي حقيقة « نادي الاتحاد الرياضي » فلقد كان هذا النادي إذذاك يضم نخبة من خيرة شباب البلاد الواعي ثابت المبدأ ، صلب الارادة ، عميق الايمان بالوطن . وبالجملة كان هذا النادي رافداً قويا فعالا في الحركة الوطنية بكل نشاط وبلا تردد . ومن أعماله الكثيرة التي تذكر فتشكر هو أنه فتح أبواب ناديه للشعب حتى صار يعج ليلا ونهارا كخلية النحل . في هذا النادي تلقن للشعب الكلمات التي يجب أن يقابل بها لجنة الاستفتاء الرباعية ، وفيه تصاغ المذكرات التي تقدم للجنة . وإليه يأوي القادمون من الأقاليم ، خصوصا أولئك الذين أقبلوا من « فزان » وجاءوا إلى العاصمة بغية فضح التصرفات الوحشية للإدارة العسكرية الفرنسية ، وللاعراب عن رغبات اقليمهم أمام لجنة الاستفتاء في حرية واطمئنان بعيدين عن ضغط وتهديد الإدارة العسكرية وعلى هذا النحو كان موقف نادي الاتحاد طوال مدة الحركة الوطنية قبل الاستقلال .

قلنا : بدأت هيئة تحرير ليبيا في اتصالاتها بمجرد وصولها دون تأجيل . بعد أيام قليلة لا أتذكر عدتها ، وصل إلى طرابلس قادما إليها من القاهرة شاب صغير السن ، نحيل الجسم ، سريع الحركة ، كثير « النكتة » على رأسه عمامة بيضاء أزهرية ، جاء

ملتحقا بهيئة التحرير . ويبدو لي كأنه على صلة سابقة بها ، ومعرفة بعناصرها ، إذ إنه بمجرد وصوله اندمج فيها كأنه منها واحتل مكانه بين أفرادها ، ثم أصبح أقربهم مكانة من الزعيم ، وصار خطيبها المصقع بلا منازع . فما من مدينة ولا قرية ولا بادية زارتها هيئة التحرير إلا ووقف هذا الشاب بين جماهيرها ، وانطلق صوته مجلجلا في أرجائها ، تردده منخفضات الأودية ، وقمم الجبال ، مختلطا بهتافات الجماهير « لبيك وطني لبيك » هذه هي افتتاحية كل خطاب ألقاه . ولقد وهب الله هذا الشاب من العلم مستوى رفيعا ، ومعينا من التعبير لا ينضب ، وقريحة من الدفع لا تتعثر. ولسانا في الخطابة لا يكل ولا يمل ولا يتلعثم ، وبديهة حاضرة تسابق اللسان حتّى صار بين الجماهير يشار إليه بالبنان ، وهذا الشاب الوافد من مصر آنئذ هو الذي عرف فيما بعد « الأستاذ على مصطفَى المـصراتي » صاحب « جريدة الشعب » والمؤلف والباحث النشط. وقد كانت لجريدته مواقف وطنية مشكورة. وقد عرف صاحبها السجون مرارا وتكرارا ، حتّى أصبح من مدمنيها دون أن يتراجع . (وهو عضو مجلس الأمة الاتحادي اليوم ، مع مواصلته الدراسات العلمية والبحوث التاريخية ، والتراثات الشعبية) .

قلنا آنفا : انتقل رئيس هيئة تحرير ليبيا إلى « فندق المهاري » وبعد مدة في هذا الفندق اتصل الحاج محمد يونس الكريكشي ببعض وجهاء البلاد ، وتشاور معهم في أنه يرى أن سكنَى زعيم الحركة الوطنية في فندق أمر غير مستساغ ووضع لا يشرف البلاد . وأن الزعيم ليس بضيف مؤقت ، والمرحلة طويلة ، ولذلك يرى وجوب تخصيص محل له ، فقالوا : نعم الرأي ، وعندها تكرم المقترح نفسه وتنازل له عن مسكنه الخاص بأثاثه في منطقة شارع أبَى الخير . فاتخذه الزعيم ومستشارو الهيئة سكنا خاصا لها لفترة لا أعرف مدتها . وبعد ذلك استأجرت الهيئة بيتا جميلا بمنطقة « قرقارش » لأحد الإيطاليين ، فانتقل إليه الزعيم .

ولما بدأ الجو يتكهرب بين الحركة الوطنية والإدارة البريطانية عمدت هذه إلى الضغط على الإيطالي صاحب البيت لكي يطلب إلى السعداوي الخروج منه . وجاء الإيطالي إلى السعداوي مضطربا ، ومظهرا كل أسف ، يرجو منه أن يخلي له البيت ، وأسر إليه في أنه في غير حاجة للبيت ولكنه فعل ذلك تحت ضغط الإدارة . فاستجاب له السعداوي ، وفي أيام معدودة تمكن أحد المواطنين ـ وأظنه « الضاوي

مْسلم » ـ تمكن من إيجاد بيتين « دارتين » يضمهما سياج واحد لأحد المواطنين « بقرقارش » أيضا قرب جامع الشرفة فانتقل إليهما .

واصلت هيئة التحرير جولاتها في جميع دواخل القطر ، تبث في الشعب روح الصمود والانتباه ، محددة للجماهير العبارات التي ينبغي أن تقابل لها لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية وهي : الاستقلال ـ الوحدة ـ الانضمام للجامعة العربية .

وقد كانت خطب السعداوي خطبا مختصرة عادة مستديمة . ولكنها بتعابير منتقاة كل عبارة منها تحتوي على العديد من المعاني التوجيهية . وكانت تـلقَى بلهجة تبعث الحياة في « الأموات » فضلا عن مجتمع يكمن في أعماق نفوسه شعور ملتهب نتيجة ذكريات من ماض أبيض من جهة وأسود من أخرى . ولا يزال الكثير من الذين عاشوا ذلك الماضي الأبيض ، ماضي الجهاد والاستشهاد لا يزال الكثير منهم أحياء بين تلك الجماهير الهادرة . تلك التي لم تعش ذلك الماضي . ولكنها عاشت الماضي القريب الأسود . أيام حكم الفاشو المندثر . وقد انطلقت نفوس الجميع من سجون الكبت والإرهاب بعدما بقيت حبيسة به سنين طويلة في أعماق الصدور .

ومما زاد الجوّ التهابا تلك الخطب التي كان يرتجلها ذلك الشاب الآنف الذكر ، كأنها خرائدِ من نظم أبدع فيها قائلها ، معبرا عما سمعه من والده رحمه الله . وآخرين من المهاجرين . عما عانوه في سني الجهاد وما لقوه من مصاعب وأوصاب في طريق الهجرة . وفيها أيضا ، فقد كان يتكلم في خطبه كأنه من الذين عاشوها وذاقوا حلوها ومرها . فكانت خطبه شعلة أضاءت بصائر المجتمع ، ولا تزال تلك العبارات التي كان يستفتح بها خطبه يرددها الذين سمعوها آنذاك « لبيك وطني لبيك » وهناك عناصر أخرى من الخطباء كانت خطبهم تنبعث من أعماق القلوب . لا من الألسن والشفاه . وليت الذاكرة أسعفتني بذكر أسمائهم هنا ، ولكن ... تركت ذكر الجميع . ومعذرة يا عناصر الصدق والإخلاص .

ثم إن هناك نشرة كانت قد أصدرتها « جمعية الدفاع عن طرابلس / برقة » في سوريا تحت عنوان (الفظائع السود الحمر . أو التمدين بالحديد والنار) قبيل الحرب العالمية الثانية . وهذه النشرة تحتوي على صور مرعبة من المشانق الرهيبة المنظر ، وأخبار التعذيب والتنكيل ، وأناشيد إيطالية تمتلئ تعصبا وحقدا . وقد عمدت هيئة التحرير إلى طبع الآلاف من هذه النشرة . ووزعت على أوسع نطاق فأثارت هي

الأخرى كوامن الأحقاد الدفينة في نفوس الشعب في كل مكان ، وألهبت فيها الكراهية على مقترفيها .

قلنا : وقع تحديد العبارات التي سيواجه بها الشعب لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية كما أوضحنا ولم يدخل فيها «ذكر إدريس» ولما كان التهرب من الوحدة من طرفه وهناك عناصر أخرى ، معروفة من أول بدء الحركة بصرف النظر عن الماضي البعيد نسبيا . فإن ذلك الهروب كان عليه ستار شفاف من السرية أول الأمر ، ولكن كشفته المراوغات واللف والدوران . وقد اتخذت هذه العناصر الساعية إلى الاقليمية . ولعل ذلك بايعاز من الأمير نفسه ، اتخذوا من إغفال ذكره ضمن المبادئ الآنفة الذكر حجة لهم ، ومبررًا لاعلان وجهة نظرهم ، وجاهروا بها حيث قالوا : قبول إدريس بدون قيد ولا شرط . وإلا فنحن نعلن حكومة في برقة وعلى طرابلس أن تسعى ، فإذا تحصلت على الاستقلال تنضم إلينا . ! ! ثم بعد هذا التصريح القائل نحن في حاجة إلى دولة قوية برا وبحرا وجوا . لا إلى دولة هي نفسها في حاجة إلى حام ؟ إشارة إلى مصر والحقيقة التي نعرفها ويجب أن أقولها هي أن عدم ذكر إدريس لم يكن القصد منه السعي وراء إبعاده أبدا . أقول اليوم هذا رغم وضعه الحالي . ذلك أن الحركة الوطنية التي تعني جميع الأحزاب في كل الأقاليم شرقا وغربا وجنوبا إلا قليلا قد تأكد لديها بصورة قاطعة أن ابعاده سيؤدي حتما إلى تمزيق البلاد إلى أكثر من جزأين وبذلك يتمكن الاستعمار من هذه الأقاليم إلى أمد لا يعلم نهايته إلا الله تعالى .

ومن هنا فإن الحركة الوطنية قد رأت أن المصلحة فرضت مجاملته وليس حبه ، اجل قد فرضته المصلحة الوطنية العليا . والمصلحة القومية الأوسع . وفي اعتقادي ان الاقليميين أنفسهم يعرفون ذلك جيدا ولكن ... كما أن الحركة ترى أن شكل الحكم ومن يحكم وكيف يحكم هو من اختصاص الشعب ولا دخل للغير فيه . وترى من جهة أخرى أن أهم شيء الوصول إلى الوحدة والاستقلال أولا وقبل كل شيء . هذه هي الحقيقة في عدم ذكر إدريس ولكن هذه الطريقة لم ترض أولئك الذين يسعون للعزلة . ومن ورائهم ...

قلنا فيما تقدم : حلت هيئة تحرير ليبيا في مركز الجبهة الوطنية المتحدة ، وقبل شهر أغسطس أعني قبل مجئ هيئة التحرير بقليل فيما أتذكر من سنة 1948 م وقع اجتماع

للجبهة المذكورة حدثت فيه مناقشة حادة حول قرار حاسم اتخذه أعضاء الجبهة الحاضرون في الاجتماع يتعلق بسير القضية الوطنية وقيادتها ، أدى إلى استقالة رئيس هذه الجبهة «سالم المنتصر» غفر الله له . وقد قبلت استقالته في نفس الاجتماع . وعلى هذه الاستقالة . استقال «محمود أحمد المنتصر» غفر الله له من هيئة تحرير ليبيا . لأسباب يعلمها الله والراسخون في علم أسبابها ومسبباتها . ونتيجة لاستقالة رئيس الجبهة وقع انتخاب الطاهر أحمد المريض رئيسا لها وذلك بتاريخ 17 أغسطس 1948 م .

في يوم من تلك الأيام الحوالي بينما كنت جالسا كعادتي في مكتب «الحاج محمد يونس الكريكشي» بسوق الربع الذي سبق أن أوضحت أنني كثير التردد عليه . ولازلت وقتئذ لم أنتم إلى أي حزب مع أنني في كل الحركات الوطنية ، أيا كان مصدرها من المؤسسات الوطنية أحضر فيها ، وأتكلم إذا كان لدي ما أقول . كنت جالسا هناك وإذا برجل لا أعرفه وقف أمامنا وأفشى السلام ، ثم ناولني ورقة مطوية بدون ظرف ، وانصرف إلى شأنه . ولما فتحتها إذا بها مرسلة من طرف رئيس الجبهة الجديد «الطاهر المريض» وفيها يطلب مني موافاته في مركز الجبهة ، فترددت في إجابة هذه الدعوة وهذا التردد لم يكن سببه شخص المرحوم الطاهر المريض . ولا عدم رغبتي في العمل . كلا فالمرحوم الطاهر المريض شخصية محترمة ، وعلى مستوى عال من حسن الأخلاق وليونة الجانب ، وكرم المحتد ، كما أنني أنا ملتزم تلقائيا بخدمة الوطن منذ عرفت الواجب ، وإنما هناك شيء آخر ، ذلك هو وجود عناصر معينة لا يمكن العمل معها ولا الاطمئنان إليها داخل أعضاء الجبهة ، وهي عناصر ذات مقدرة ودهاء فإذا لاحظنا ماضيها وما تهدف إليه يتعذر العمل معها . من أجل ذلك كان ترددي في اجابة دعوة رئيس الجبهة . إلا أن «الحاج محمد الكريكشي» خالفني في الرأي ، فألح علي في قبول الدعوة قائلا : إن الواجب الوطني يفرض عليك إجابة الدعوة ، ومقابلة الداعي حتى ولو كان الأمر كما تبادر إليك . فهو ليس بمانع من الإجابة ، فإن قبول الدخول في الجبهة وعدمه أنت حر فيها . تقبل أو لا تقبل . وقد اقتنعت بهذا الرأي وتوجهت في نفس الوقت إلى مركز الجبهة الوطنية وقد وجدت هناك : الطاهر المريض ـ وحمد أبو الاسعاد العالم ـ رحمهما الله «وأحمد عون سوف» أطال الله عمره .

وبعد مقدمة من حديث حول أحوال الاخوان في تونس وغير ذلك ، فاتحوني برغبتهم في انتسابي معهم في حزب الجبهة . فأجبتهم بأنني مع كل عامل مخلص ، ولكنني عازم على البقاء خارج الأحزاب ، إلا أن الجماعة لم يقنعهم كلامي هذا فألحوا عليَّ بالقبول . وأخيرا وبعد أخذ ورد قلت : مع احترامي لجماعة الجبهة كمجموعة إلا أنني أرى بين أعضائها أفرادا مختلفي الأهداف والغايات . وما تخفيه الصدور أكبر وأخطر . إنهم مزيج يشكل خطرا على مستقبل الوطن على حد فهمي . وهناك ماضي لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار . أفي مثل هذا الوضع تطلبون مني الانتساب ؟ ! . أقول الحق إنني لا أستطيع العمل مع مزيج كهذا لا أطمئن إليه ، ومجتمع لا أثق فيه ولا أنسجم معه . وعندئذ فكر قليلا . ثم قال لي : أصبت فيما قلت . ولذا فإني أرى الواجب عليَّ أن أصارحك بالحقيقة ، وصدقني أنني كنت أفكر في هذا الأمر من مدة ماضية . إلا أنه لا يخفى إننا حينما جئنا إلى الوطن وجدنا هذه العناصر قائمة متحركة ، ولا إخالك تخالفني في أننا لا نستطيع التخلص منهم إلا بعد تقوية جانبنا ، وبعد المخالطة ، ومعرفة جوانب الضعف من جوانب القوة ، لكي نستطيع التحرك للتصفية .

واليوم ، وقد مرت فترة مرحلية اتضح لنا فيها ما كان غامضا ، وأصبح التحرك ممكنا ، فنحن على استعداد الآن للتصفية . وقد بدأت العملية فعلا ، وسنكمل البقية إن شاء الله ، وعليه فالواجب عليك أنت وغيرك الدخول معنا في الحركة لكي نستطيع التحرك في قوة واطمئنان ونسد الفراغ ، وعلى هذا الأساس قبلت الطلب ، وانتسبت للجبهة الوطنية المتحدة وتمت تصفية العناصر المعنية .

ولنترك الأسماء حتّى يحين الوقت لذكرها . أو يترك ذكرها إلى كتبهم حتّى يقرءوها بأنفسهم حينما يؤمرون بذلك من لدن عليم حكيم « .... » ورغم التصفية فقد بقيت في الجبهة عناصر موبوءة ، لكنها دقيقة في نفاقها ، بارعة في خبثها ، تعمل للظهور على المسرح كي تلتفت إليها الأنظار للوصول إلى مصالحها الشخصية ، ثم تترك الميدان .

لجنة الاستفتاء الرباعية الدّولية
تصل إلى طرابلس

أشرنا فيما تقدم إلى أن « لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية » قد حلت بمدينة الأقصر بالقطر المصري لصياغة تقاريرها عن إقليمي « الصومال ـ واريتريا » ، وقبل ذلك بأيام ، أي في أوائل شهر فبراير من سنة 1948م نشرت الإدارة البريطانية في طرابلس بلاغا تعلن فيه أن هذه اللجنة ستصل إلى طرابلس أوائل مارس الموالي ، وتشير إلى أن مهمتها تنحصر في جمع المعلومات والحقائق من مختلف المصادر الممكنة ليستعين بها وكلاء وزراء الخارجية الأربعة في دراستهم لمصير المستعمرات الايطالية السابقة ... إلخ .

وفي يوم 25 ربيع الآخر من سنة 1367 هـ الموافق ليوم 7 مارس 1948 م حلت هذه اللجنة بطرابلس ، وهي تتكون من أربعة وفود لأربع دول هي : أمريكا ـ روسيا ـ بريطانيا ـ فرنسا . وفي اليوم الموالي ليوم وصولها انطلقت هذه الوفود تجوب المدينة وضواحيها ، تسأل الناس ، وتسجل ما تسمعه منهم ، ثم انتشرت في مختلف المدن والطرقات . وقد استغرق وجودها في إقليم طرابلس أربعين يوما . وقد كانت الأفكار مهيأة ، والأجوبة مركزة . ويرجع ذلك إلى نشاط هيئة تحرير ليبيا وتأثيرها البالغ بين جماهير الشعب .

ولا شك أن ذلك النجاح الباهر والتوفيق الهائل في توجيه شعب كامل إلى الوجهة السليمة المطلوبة في أمد قصير جداً بالنسبة لهذه الأمور . وفي ظروف لا تزال فيها هيبة سيطرة العدو ورهبته قائمة في النفوس . وبقايا ذلك العدو المنهزم وأعوانه داخل البلاد في نشاط مستمر ومتواصل ، لا شك عندي أن ذلك نتيجة إخلاص القيادة ، وجوهر الشعب النقي .

وقد وضعت لجنة الاستفتاء هذه صندوقا في « شارع بيرغمو » بطرابلس ولعله شارع تونس اليوم فيما أظن ، وأعلنت للشعب أن كل من لا يتمكن من الاتصال المباشر بالوفود ، وله أية وثيقة أو ملاحظة أو رأي يريد إبلاغه فليضعه في ذلك الصندوق .

وهنا يقفز في مخيلتي موضوع الجنود الليبيين الذين كانوا في الجيش الإيطالي ، والذين عملت إيطاليا وأعوانها مختلف الوسائل والإغراءات لاستمالتهم حتّى يطالبوا أمام اللجنة الدولية بعودتها إلى بلادهم . ومن وسائل الإغراء فتحها ذلك المحل في المدينة القديمة لدفع مستحقات هؤلاء الجنود ، في وقت كانت فيه البلاد بصورة عامة تعاني من حالة اقتصادية شديدة . والناس في ضيق شديد جدا وحالة الجنود المشار إليهم بصورة خاصة .

هذه الظروف والملابسات جعلت الحركة الوطنية تهتم بصورة خاصة بطقة الجنود الليبيين الذين كانوا في الجيش الإيطالي نظرا إلى عددهم الكبير ، وإن حالتهم الاقتصادية كما أشرنا متدهورة تدهورا حادا . وقيام إيطاليا بفتح ذلك المحل لتسديد حقوقهم المتخلفة فهذه ظروف وملابسات جد خطيرة ، ولكن رئيس الحركة تلافى الموقف .

أذكر في هذا الأمر بالذات أننا كنا اثنين أو ثلاثة ، لا أتذكر أسماءهم لطول الوقت ، دعانا «الحاج محمد يونس الكريكشي» في يوم من تلك الأيام لتناول طعام الغداء معه ، وكان منزله إذذاك في شارع ميزران . وبينما نحن نسير على الرصيف إلى هذا المنزل ، إذ وقفت حذونا سيارة الزعيم السعداوي ، فوقفنا بدورنا وبعد تبادل التحية قال السعداوي : أود أن تذهبوا معي للغداء فأجابه الحاج محمد الكريكشي بالآتي : لوكان للزعيم بيت هنا لأسرعنا لقبول دعوته شاكرين ولكن بيننا وبين بيتي أقل من مائتي متر ، لو يتكرم الزعيم بتشريفنا نكون له شاكرين . وكان السعداوي يقيم في فندق المهاري .

ولما سمع السعداوي كلام الكريكشي قال : وهو كذلك ، أي أنه موافق على المشي معنا إلى منزل الكريكشي . وصلنا بيت الحاج محمد ، وبعد الغداء دار الكلام فقال السعداوي : ماذا ترون اتجاه الشعب ؟ فقال الكريكشي : أنا فيما أراه أن سبعين في المائة يريدون الطليان ، وعشرة في المائة وطنيون ، والعشرين الباقية مذبذبون . وهنا قلت للحاج أنت متفائل يا حاج ! أنا أرى ثمانين في المائة للطليان ، وعشرة في المائة وطنيين وعشرة لا يعرف لهم اتجاه . هذا ما أراه والله أعلم ! !

فسكت السعداوي هنيهة ثم قال : أود الاتصال برؤساء العساكر الليبيين . فقال الحاج الكريكشي : أنا بذلك جدير ، وسوف يأتونك إن شاء الله . وبالفعل بعد

يومين اتصل السعداوي برؤساء الجنود . وكان أول من اتصل منهم « القبطان خليفة خالد » غفر الله له ، وبعد هذا الاجتماع جاء وفد منهم برئاسة القبطان خليفة المذكور ، وطلب هذا الوفد من السعداوي أن يخصص يوما لزيارتهم حتّى يلتقي بمجموعة منهم أوسع . من رؤساء الجنود ليتحدثوا إليه ويتحدث إليهم ، ويرفع من معنوياتهم حتّى يعرفوا موقفهم .

ولقد تم ذلك فعلا فأدى لهم الزياره في يوم حددوه هم أنفسهم . وكان اللقاء في « قرقارش » وألقي فيهم خطابا فطمأنهم فيه على مستقبلهم الجديد المنتظر ، ذلك المستقبل الذي كانوا ينتظرونه بشيء من القلق ، وقد سأل أحدهم قائلا : يا سعادة الزعيم ، إيطاليا فتحت محلا لتدفع لنا حقوقنا المتخلفة ، هل نأخذها أم لا ؟ فأجابه السعداوي :« إن ما قامت به إيطاليا من دفع حقوق الجنود المتخلفة لديها ليس فيه أي فضل ، بل هي مرغمة على ذلك ، لأنها حقوق ثابتة لكم تضمنتها معاهدة الاستسلام أمام الحلفاء ، وعليه فلا مانع من أخذ هذه الحقوق ، بل أخذ واجب . وإن كانت إيطاليا وعحلاؤها تظن في مخيلتها أنها بذلك تستطيع أن تؤثر عليكم ، فتجعلكم تقفون ضد مصلحة بلادكم وإخوانكم ، وتطلبون بعودة نفوذها .

ولكننا نحن مطمئنون تماما من جهتكم لعلمنا أنكم جنود . والجنود دائما هم حياة الأوطان في كل زمان ومكان ، وحامي الوطن لا يبيعه أبدا » وفعلا فإنه رغم الظروف العسيرة والملابسات الخطيرة ، والإغراءات الكثيرة لم يبيعوا وطنهم ، بل وقفوا موقفا وطنيا رائعا ، موقفا يستحق كل التقدير والشكر والتسجيل للتاريخ .

ومنذ تلك الزيارة الآنفة الذكر التزم أفراد منهم بأن يكونوا همزة الوصل بين مجموعة الجنود وبين قيادة الحركة الوطنية . أتذكر منهم اليوم أربعة عناصر هم : « القبطان خليفة خالد ــ وعبد الله موسى ــ وبلوزة ــ والطاهر البوعبسي » والحق أقول فإنه الكثير من الفضل يعود إلى هؤلاء الأفذاذ . ومن كان معهم في توجيه الجنود الوجهة السليمة في تلك الظروف العصبية ، وان طليعة هذه المجموعة وأقدرها وأكثرها تأثيرا على حزب الاستقلال هو المرحوم خليفة خالد ، حتّى لقد هدده « محمود المنتصر» غفر الله له ، بالابعاد إن لم يبتعد عن الحركة الوطنية . ولكنه لم يأبه بذلك التهديد ، وواصل مناصرته للحركة الوطنية .

نـــــداء

من بشـير السعـداوي إلى الشـعب الليـــبي

أبنــاء وطـني الاعـزاء :

حقا لقد كان عيد الفطر المبارك مناسبة سعيدة ، أتاحت لنا فرصة الاجتماع برجالات طرابلس العاملين الصادقين ، نبحث وإياهم شئون بلادنا العزيزة ، ونقلب وجوه الرأي فيما ينتظر (الأمة) الليبية من مستقبل زاهر إن شاء الله ، ما دامت قلوب أبنائها متحدة مؤتلفة ، وطالما كان رجالها متضامنين متساندين . ولن أكتم أبناء وطني الاعزاء القول بأني وجدت من اجماع أهل الرأي وذوي الشأن في بلادنا على ضرورة التمسك بالوحدة والاستقلال ما ملأ قلبي غبطة وسرورا ، فحمدت الله الذي جعل هذه الأمة الكريمة المجاهدة متيقظة إلى أحداث الزمان ، ثابتة على المبدأ والايمان ، لا يثنيها عن عزمها طغيان ولا يغرر بها شيطان .

أبنــاء وطـني الأعِـزّاء :

غادرت الوطن العزيز في شهر أبريل الماضي بعد أن كافحت الأمة عن كيانها أمام لجنة التحقيق الدولية ، وأشهدت العالم على أنها مستمسكة بالوحدة والاستقلال ، وبات لزاما علينا أن نتدبر الأمر فيما يجب اتخاذه من خطوات ممهدة لبلوغ الغاية من تلك الوحِدة التي أجمعنا عليها ، وذلك الاستقلال الذي صح عزمنا على نواله . وأما تلك الشهور القليلة التي قضيناها في القاهرة فقد تميزت بالدأب المتواصل ، والمباحثات المستمرة في كل ما من شأنه أن يعود بالنفع والخير على الوطن العزيز . وليس من شك في أننا ما عدنا إلى البلاد إلّا وقلوبنا على عهدها دائما ، عامرة بالثقة في أننا بإذن الله ، وباعتمادنا على تساند وتآزر أبناء وطننا الاغراء ، شيوخا وشبابا . لا محالة واصلون إلى مطالبنا المنشودة وغايتنا المقصودة ، وهي مطالب وغايات قوامها الوحدة والاستقلال ، والتمتع بالسيادة الكاملة ، ونبذ كل سيطرة أجنبية ، ورفض الانضواء تحت لواء الأجنبي مهما كانت وعوده معسولة ، ومهما خيل له الوهم انه سيبلغ غايته ـ لا سمح الله . وإننا لنحمد الله تعالى على أن (الأمة) ما تزال بخير ، لأن روح الاخلاص والتضحية سجلت لأبناء الوطن صفحات الخلود . فباتوا

جميعهم أبطالا تفيض قلوبهم بالوطنية الحقة ، ويفتدون بأنفسهم كل ما عمل له أجدادهم وآباؤهم ، من بين أولئك الشهداء الصالحين الذين بذلوا النفوس رخيصة في سبيل الحرية والوحدة والاستقلال .

أبناء وطني الأعزّاء :

لقد نادينا فيما مضى بالوحدة والاستقلال ، وسوف نظل مستمسكين بالوحدة والاستقلال حتّى نظفر بكليهما ، ما في ذلك شك ، بيد أن الوحدة والاستقلال لا يمكن إدراكهما بمجرد القول دون العمل والظفر بهما عن طريق التطلع والتشوق دون البذل والتضحية . وأيم الله ، لقد ظلت هذه الأمة مجاهدة في سبيل الوحدة والاستقلال سنوات طويلة حتّى كاد يفنَى شبابها وكهولها ... أما وقد لاح بريق الأمل ، وعقد رجالات العرب العظام في مختلف أقطار العالم العربي العتيد عزمهم الصحيح على مؤازرتنا ومعاضدتنا حتّى نحقق قصدنا ونبلغ غايتنا ، فحرام علينا أن نفرط في مصلحة الوطن ، وحرام علينا أن نحجم عن التضحية في سبيل إنقاذه .

إن الساعة لجد خطيرة ، وبلادنا العزيزة لا تزال في مفترق الطرق ، فأي حياة أنتم تفضلون ؟ وأي سبيل أنتم تعتزمون ..؟ إن الساعة لجد خطيرة ومصيرنا لا يزال معلقا بيد القدر ، فأي مستقبل أنتم تريدون ؟ وأي مقصد أنتم تقصدون ..؟ الحياة الحرة المستقلة فتعيشون سعداء محررين ، أم حياة الضعف والهوان ..؟ استغفر الله ، إن هذه (الأمة) الكريمة قد نضج أبناؤها ، واستمع شبابها لنصح شيوخها . واتعظ جيلها الحاضر بتجارب الأجيال السابقة دليل القوة والحيوية وعلامة الفتوة ، وسمو الروح المعنوية . ألا بارك الله في (أمة) تضافر أبناؤها على فعل الخير ، وامتلأت صدورهم بحب وطنهم وتقديسه ، وعرف كل امرئ قدره .

أبناء وطني الأعزاء :

لطالما استمددت منكم قوة . ولطالما ازددت من بأسكم بأسا ولطالما أستبشر بايمانكم خيرا فشكرت الله . اللهم إنا نحمدك ونشكرك أن أبقيت هذه (الأمة) رجالها واصطفيت لها شبابها وشيوخها وأرشدتها إلى سواء السبيل .

اللّهم إنا نحمدك فقد حفظت لشهدائها العهد ، وأبيت أن تذهب دمائهم سدى ، وجمعت قلوب أبنائهم وأحفادهم على الحق والصدق ، وكتبت لهم الخلود . اللّهم حقق آمال (الأمة) واكتب لها الهداية . اللّهم أنت أرحم الراحمـين .

11 / 8 / 1948م
بشـير السعـداوي

* * * *

ذهـبت الأمـوال .. وخـابت الآمـال .. وارتفـع الستـار !

في فترة ما بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية ، واستقرار الإدارة البريطانية في ليبيا ، بدأت الاجتماعات السياسية حول مصير المستعمرات الايطالية ، في تلك الظروف والملابسات وانتشار أخبار تلك الاجتماعات انتبهت غريزة الطمع الأشعبي الفاشي في نفوس الإيطاليين الرسميين ، وقد اتضح ذلك في تصرفاتهم ومساعيهم لدى الدول المنتصرة . وتذكروا أيامهم المنتهية في ليبيا . تلك الأيام التي لم يعملوا فيها بما يجعل لهم ذكرا حسنا .

أجل ، لقد عاودهم الحنين إلى ليبيا . إلى ذلك العهد البغيض عند الليبيين ، وكأني بهم لم يفهموا ، أو أنهم لا يريدون أن يفهموا أن الفرصة قد تخلت عنهم نهائيا ، وسنحت لصاحب الحق حتّى يسترد حقه . وأن الأقدار قد قررت نهائيا إنصاف المظلوم . وأنها سمحت بدفع الظالم إلى حيث لا عودة طبقا لما جناه واقترفه . ولم يفكروا في أن كل قطرة من دم أريقت من ليبي على أرض بلاده ، وكل إهانة تلقاها في عقر داره ظلما وعدوانا .. قد استحال كل ذلك إلى جو قاتم نحو ذلك الجيل ، ومن سبقه من الايطاليين .

وفي الـوقت الذي نقول فيه هذا الكلام يجب علينا أن لا ننكر أن من الإيطـاليين في ذلك الجيل نفسه رجالا يتحلون بالإنسانيـة ويدينون بالعدالة ويحبون الانصاف غير أن «الكرام قليل» كما قال شاعر عـربي . ومع ذلك فإنّ بربرية قوادهم في

الحرب وغطرسة حكامهم في ذلك العهد . واغراقهم البلاد وهي الفقيرة . اغراقها بعشرات الالآف من أفقر طبقة في إيطاليا وأكثرها تأخرا . حتّى لقد ضايقت أهل البلاد في أحط الأعمال اليومية . وفوق هذا كله ذلك التعصب الديني الذي يظهر واضحا في تصرفاتهم وأهدافهم وفى أشعارهم . كل هذا وذاك ملأ قلوب الليبيين كراهة وحقدا على الايطاليين ، حتّى انهم لم يعودوا يفرقون بين مسيئهم ومحسنهم إلّا في المخالطات الفردية ، تراهم يعرفون لكل شخص قيمته ومستواه .

أجل لم يتعظوا بماضيهم ، ذلك الماضي الذي اتصف بالكثير من أنواع الإرهاب والمظالم والتعصب الأهوج . رغم ذلك فقد شرعوا في محاولات يائسة للعودة إلى ليبيا إبان حكم الإدارة البريطانية ، فلقد عمدوا إلى تخصيص أموال ضخمة ، وضعوها تحت تصرف شخصية من بقاياهم في ليبيا كالسكن يومئذ في شارع «عمر المختار» بطرابلس «فوق بنك روما» سابقا مصرف الأمة اليوم ، وهذه الشخصية تدعى «جلمبيرتو» لتوزيعها على الشعب الليبي ، استدراجا له ، كي ينادي بعودة إيطاليا إلى حكم بلاده من جديد ، حينما يجري استفتاء الشعب لتقرير مصيره بواسطة لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية حينما تحضر إلى ليبيا .

لقد ظنت إيطاليا في مخيلتها التائهة في عالم أحلام اليقظة : أن تلك الأموال الطائلة والعناصر القليلة المنحرفة التي كانت تؤكد لها أنها قادرة على توجيه الشعب إليها في الوقت المناسب ، فصدقت إيطاليا أن هذه العناصر تفيدها حقا مع تصورها بأن الضمائر في ليبيا تباع وتشترى بالليرات الإيطالية . وعلى أساس من هذه الخيالات والأوهام شرع هذا الشخص «جلمبيرتو» فعلا في توزيع تلك الأموال المخصصة فتقدمت إليه تلك العناصر العديمة الإحساس بالكرامة الوطنية .

تقدمت هذه العناصر ، يدفعها الطمع ، ويعميها حب المادة ، فتاهت في دروب الانحراف . وهي في الواقع عناصر قليلة العدد نسبيا ، ولكنها واسعة الحيلة في طرق الاصطياد ، فقد أخذت تتقدم إلى ذلك الشخص بقوائم تحتوي على المئات بل والآلاف من «الاتباع الخياليين» قوائم وقع تنسيقها وراء أبواب مغلقة ، وبعقول (شاطرة) في مثل هذا الفن . وتتلقى ثمن تلك القوائم . وقد سارت على تلك الوتيرة حتّى استنزف ذلك الرصيد المرصود كله . واقتربت الساعة ، ووقف الشعب موقفه الطبيعي فاختفت تلك العناصر كما تختفي الخفافيش من ضوء الشمس ، وعندها انتبه

ذلك الشخص الممول ، انتبه لكارثة التي حلت به حينما تأكد من خيبته ، وندم على غفلته ، فاسودت الدنيا في عينيه ، وضاق به كل تفكير ، ولم يجد مهربًا مما ينتظره من حساب عسير من دولته التي اعتمدت عليه ، باعتباره من ثعالبة السياسة ! !

أجل ، لم يجد مهربا إلا الخروج من هذه الدنيا ، فعمد إلى اضرام النار في أوراقه وسجلاته . ثم إلى الانتحار الشنيع ، بواسطة الغاز في بيته ، متخلصا بذلك من الورطة التي أوقعته فيها تلك العناصر ، وما سيكون لها من نتائج سيئة عليه لو بقي على قيد الحياة . انتبهت الشرطة إلى وجود الحريق داخل المنزل ، فأسرعت إلى اقتحامه ، وأنقذت ما أمكنها انقاذه من تلك الوثائق والسجلات التي احتوت على عدد من أسماء أولئك المنحرفين من المواطنين مع الأسف . أولئك الذين مدوا أيدهم صاغرين لتناول ثمن ضمائرهم التي باعوها . أما الرجل فقد قضَى نحـو انتـهَى ! !

ولكن حكومات العهد الملكي أخذت هذه الوثائق والسجلات ووضعتها في مكان ما . وأبقت عليها سرا مكتوما لا يعرف الشعب عنها شيئا . ولعلها فعلت ذلك تسترا على تلك العناصر التي هي من نوعها . والحكم على الأكثرية . ولكن شاءت الأقدار التي لا مرد لحكمها أن تقوم الثورة في فاتح سبتمبر 1969 م ولم تتوقف ثورة الفاتح هذه إلى أن كشفت عنها الستار حيث نشرتها في جريدة « الثورة » ثم ضمنتها في أحد أجزاء كتاب « حقيقة إدريس » أما تلك التي التهمتها النيران فقد بقيت في سرية حيث احتفظ بها سجل القدر الذي لا يغادر كبيرة أو صغيرة إلا أحصاها إلى يوم معلوم ، وهكذا فقد برزت أسماء بعض مدعي الوطنية والذين كانوا يقفون في الصف الأول في الحركة الوطنية . قاتل الله النفاق والمنافقين .

ومما يؤسف ، بل ويحز في النفس « نفس الوطني المخلص » أن يرى عناصر من تلك العناصر المنحرفة التي كانت مميزة ومحظوظة لدى إيطاليا بالنسبة لمواطنيها في زمن الحكم الايطالي في ليبيا ثم صارت كذلك أمام الإدارة البريطانية مميزة ومحظوظة أيضا . ولا غرابة لدينا في هذا ، لأن الاستعمار هو الاستعمار مهما تغيرت وجوهه ، وتباينت أنظمته ، واختلفت لغاته . لا فرق . ولكن المؤسف حقا هو أنه جاء عهد الاستقلال المزعوم ، وقام في البلاد عهد حكم ملكي دام ثمانية عشر عاما ، توالت في خلال هذه المدة عدة حكومات على البلاد فكانت تلك العناصر أرفع مستوى مما كانت عليه في العهدين السابقين ، وأكثر حظا ، إذ قد أسندت عليها الوظائف

السياسية العليا ، فضلا عن الوظائف الدنيا ، فأصبحت هذه العناصر بفضل ذلك تسكن الدارات الأنيقة ، والقصور الفخمة الجميلة ، وتركب السيارات الفارهة ، وتمتلك المزارع الزاهرة ، هذا علاوة على الجاه الطويل العريض والكلمة النافذة ! !

هذا كان وضع تلك العناصر المنحرفة في مدة حكم العهد الملكي ، بينما المواطنون المخلصون الصامدون كامل حياتهم يشردون خارج الوطن شرقا وغربا ، وآخرون إلى مختلف أنحاء الوطن النائية ، وغيرهم يعانون مرارة السجون والحرمان . هذا جزاء إخلاصهم وتضحياتهم . إنه «جزاء سنمّار» كما أننا نرى بأعيننا أولئك الذين تحملوا المسئولية الكبرى أيام الجهاد ، قادوا المجاهدين ، وضحوا بأموالهم وأنفسهم ، إلى أن غادروا الوطن مجبورين غير مختارين . وصودرت أرزاقهم وممتلكاتهم في سبيل هذا الوطن ، وعادوا إليه من هجرتهم التي امتدت زهاء ربع قرن من الزمن . عادوا إليه وفي أنفسهم آمال وآمال ومن بينهم من عضه الفقر بأنيابه الحادة في فترة هجرته . عادوا ولم ينظر إليهم . بل تركوا وشأنهم على الرغم من استتباب النظام واستقرار الحكم ووجود (الاستقلال) ! هذا موقف حفظه التاريخ وقد يكون له تأثير سيئ في نفوس الأجيال المتتالية ! !

قفينا على ذكر توزيع الأموال بكلمة تتعلق بتصرفات حكومات العهد الماضي ، أملاها عليَّ ما أتحسس به من تلك التصرفات اللاوطنية على ألطف الأوصاف . وعليه أقف هنا لأعود للموضوع فأقول : في ذلك الجو الذي انتشرت فيه الإشاعات في الأوساط الشعبية حول توزيع الأموال . وأخذت تلك العناصر المنحرفة تهتبل فرصة ذلك التوزيع لتفوز بالقسط الأوفر منها أخذت تتزاحم على مقر التوزيع ، ولا عبرة عندهم للمثاليات . ولا اهتمام بما قد يسجله التاريخ ، ولا رادع من ضمير . أما الوطن . أما مستقبل الوطن ، فذلك عندهم حديث ....

وبدافع من تلك الإشاعات أخذ الشعب يترصد للمترددين على مراكز التوزيع ، ومراكز أعوانه ، ومحل ثقته أيضا ، ويضبط حركاتهم وتسللهم آناء الليل وأطراف النهار . وكانت الاخبار تصلنا منه أولا بأول ، حتّى أكثريتهم ، فاتخذنا الاحتياطات اللازمة ، وما التوفيق إلا من عند الله تعالى .

نصيحة مشبوهة من صديق
رفضتها فغضب عني

في يوم من تلك الأيام الحوالي ، لا أستطيع أن أحدد تاريخها بالضبط لطول المدة أولا ، ولضياع أوراقي التي كونتها في فترة الإدارة ، وذلك حينما اقتحموا مقر المؤتمر وعاثوا فيه فسادا ، حيث فعلوا فيه أعمالا يعف القلم عن ذكرها خصوصا من بعض أفراد الشرطة العرب مثل « .... » الذين اقترفوا ما لم يفعله الضباط الانجليز ، والحق يقال ! !

قلت : في يوم من تلك الأيام الخوالي كنت سائرا في « شارع الرشيد » في اتجاهي نحو « ميدان الشهداء » إذ التقيت بصديق هو شخصية من شخصيات البلاد البارزة أعرفها جيدا ، إنها تخالفني فكريا في الحركة الوطنية ، ولكنه صديق عزيز في الناحية الاجتماعية ، وكنت أعتقد أن هذه الشخصية من الشخصيات النزيهة العفيفة من الناحية المادية . ولكن كلمة صدرت منه جاءت فيما دار بيننا أرجعتني عن هذا الاعتقاد إلى مجرد الظن .

ومن هنا صرت أنظر إلى هذا الصديق كشخصية على جانب من الدهاء . « ويعرف من أين تؤكل الكتف » كما يقولون . أقول هذا اعتمادا على معرفتي به . إنه شخصية تعشق كراسي الحكم إلى حد الوله ، وتسعى إليها بكل الطرق والوسائل الممكنة ، ومن جهة أخرى إنها تعطف على إيطاليا عطفا واضحا ، بل وصريحا ! !

التقيت بهذه الشخصية ، أو الصديق في أول شارع الرشيد عند تفرعه من « شارع عمر المختار » فقصدته للسلام عليه ، ولعلي أسمع منه بعض أخبار قد تفيدني فيما يتعلق بالحركة الوطنية ، فحييته ، ورد التحية . وبعد كلمات متبادلة غير ذات موضوع . وإن شئت قل : هي مقدمة للدخول في الكلام عن مشروع لم تسبق لي معرفته . ولم أكن أتوقعه مطلقا ، فدار بيننا الحديث التالي . وهذا هو المشروع المشار إليه :

قال لي صديقي هذا : تريد أن تملأ جيوبك بالفلوس ..؟

قلت : حبذا والله أتسألني عن هذا ؟

قال : أتَّبعني تملأ جيوبك .	قلت : منين الفلوس..؟
قال : أتَّبعني ولا تسأل .	قلت : كيف أدخل على مجهول ؟
قال : الفلوس لا يسأل عنها . املأ جيوبك وخلاص !	قلت : هل هناك مانع أن تخبرني ؟
قال : لعلّك تظن أنني سأكسب على جرتك. أنا أشرب من رأس العين. إذا أريد ذلك.	قلت : أنا ضميري ينازعني أن آخذ فلوس لا أعرف مصدرها ولا أسبابها.
قال : أأنت من جماعة الضمير..؟	قلت : أظن ذلك .

وهنا نظر إلي صاحبي هذا نظرة فيها شيء من العتاب المصحوب بالغضب . وقال لي : (برًّا . والله ما تْموتْ إلا في الفقر) قال هذه الكلمة ، وأشاح عني وجهه ، وذهب لشأنه غاضبا عني ، لأنني لم أستجب لما دعاني إليه وصديقي هذا هو : « .... » وهو لا يزال حيا يرزق ومن سكان طرابلس العاصمة إلى ساعة كتابة هذه السطور . وعسَى أن يطيل الله في عمره ، ويقدر لهذا الكتاب أو الذكريات أن تتم وتطبع فيطلع عليها فيتذكر تلك الأيام .

ولا أدري ما هو هدفه من هذا الاستدراج ؟ أهو يقصد توريطي لكي يذيع ذلك بين جماعته ثم يقع انتشاره في الأوساط الشعبية حتّى تضعف الحركة الوطنية ويصبح المؤتمر كله محل ريبة وشكوك ؟ أو هو مجرد عطف عليَّ كصديق ، على تفكيره ، لما رأى أنني في ظرف أحتاج فيه للمساعدة ؟ والحمد لله على كل حال .

ضيافة كريمة ولكنّها مُرَّة ! !

في سنة 1948 م كنت حديث العهد في طرابلس ، تعرف عليَّ رجل ، مواطن ليبي من سكان طرابلس ، ولا أتذكر كيف حصل ذلك التعارف . وعلى كل فقد عرفته واستمرت المعرفة بيننا . وفي يوم من تلك الأيام دعاني هذا المواطن لتناول العشاء معه في بيته فقبلت . وقد جاءني في الوقت المحدد بعد الغروب ، أي عند غياب الشفق تماما .

نهضت معه، وسرنا في طريقنا إلى بيته. وفي شارع من طرابلس، نسيته أي شارع هو. وهذا الشارع به شيء من الخراب، وليس به إنارة، يخيم عليه الظلام، ففي هذا الشارع بينما كنا نسير معا .. فجأة توقف صاحبي عن السير. فوقفت لوقوفه طبعا. فنظر الرجل يمينا وشمالا، ثم تنفس الصعداء بنفثة صدرية عميقة وقال: ليت شعري هل ترجع ايطاليا لهذه البلاد مرة أخرى فتعود مضيئة وجميلة ونظيفة كما كانت ..؟

ومن هنا عرفت أن صاحبي هذا يهيم في حب إيطاليا إلى حد بعيد، فكرت كثيرا: ماذا يريد بوقفته تلك؟ وماذا يعني بتمنياته هذه؟ هل هو يريد أن يبعث في نفسي اليأس باعتباره نموذجا من الشعب ..؟ هل هو يعرف وضعي وسر وجودي في طرابلس؟ أما أنني قادم من الخارج فذلك عرفه. ماذا أفعل بعد الذي سمعته ضد تفكيري وضد آمالي؟ ماذا أفعل وأنا ضيفه وأنا جديد في البلاد، وأود أن أعرف كل شيء عنها؟ أأعود أدراجي وأتركه؟ هل دعوته هذه مؤامرة ..؟ لماذا يقول على مسامعي كلاما لا أريد سماعه؟ ولولا أنني خفت أن يصفني بالجبن لعدت أدراجي. ولكن أسررتها في نفسي وكفى، وقد استمرت المعرفة بيننا حتّى الآن، وهو اليوم حي يرزق وهذا المواطن هو: (..........) ب

ولله في خلـقه شئـون !!

* * * *

مؤتـمر مسلاتـة .. مقدمـاته وانعقـاده

كان رئيس هيئة تحرير ليبيا آنذاك يفكر كثيرا في الطرق التي تمكنه من انتزاع إدريس من أحضان الانجليز ولو جزئيا لعله ينحاز نوعا ما إلى الحركة الوطنية. أو على الأقل تجعله منفتحا على الوطنيين لكي يتمكنوا من إسماعه آراءهم مباشرة، عسَى أن يتأثر بما يُسمعونه من اتجاههم. وحتّى يزيلوا من نفسه ما ينقل إليه من أقوال وأخبار عن طريق المنحرفين والانفصاليين ومن ورائهم الأجانب ضد الحركة الوطنية، فيصورونها له العدو الأكبر له، فيرتمي في أحضان الأجانب أكثر مما هو.

ومن هنا من هذه الأسباب، برزت فكرة البيعة التي رأت فيها قيادة الحركة الوطنية الوسيلة الفعالة لاثبات وحدة الوطن، وإذا نفذت فلا يستطيع التراجع عنها

بعد ذلك كما أنها ، في نفس الوقت ، آلة حادة لقطع أيدي الانفصاليين ومن وراءهم !

ومن البديهي إنه لا بد لمثل هذا الأمر من مقدمات تمهيدية ، ومساع ليست بالهينة . ومن أهم هذه المقدمات والمساعي أمران اثنان . أولا : ينبغي استقطاب الجالية الأجنبية الموجودة في البلاد ، ومنها الجالية الإيطالية التي هي أضخمها عددا وأكثرها تمكنا في البلاد ، وأوسعها سيطرة على مقدرات البلاد الاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية ، وغير ذلك .

كما أن هذه الجالية ، بدون شك ، تسير وتعمل بوحي من روما . وروما برغم وضعها كانت لها مطامع آنذاك. وفي نفس الوقت عرفت أن إدريس ارتمى في أحضان الأنجليز ، ومن هنا أصبح استقطاب هذه الجاليات أو تطويعها بطريقة أو بأخرى لتأييد مطالب الشعب الليبي في الوحدة والحرية والاستقلال أمرًا لا بدّ منه .

والأمر الثاني لا يقل أهمية عن الأول . ألا وهـو توحيد الأحزاب المتعددة والمختلفة الآراء وحتّى الاتجاهات . لا بد من توحيدها لتكون كتلة واحدة قادرة على مجابهة المناورات ، والأحداث التي يصطنعها الأجنبي وأعوانه . وهذه الجاليات ستتأثر بوضعنا ، فإذا كنا متفرقين كل يعمل على شاكلته ، فلا تطمئن لنا . ولا لمستقبلها . أما إذا كنا كتلة واحدة ، واتجاها واحدا انصاعت لنا رغبة أو رهبة .

وعلى هذا الأساس بدأ السعداوي رحمه الله في اتصالاته برؤساء الجاليات ، يطلب منهم وبلهجة فيها قوة ، مناصرة الشعب الليبي في طلب الوحدة والحرية والاستقلال . وأذكر هنا قصة وقعت في اجتماع من تلك الاجتماعات المتعددة ، وقد كنت أنا من شهودها إلا أنني لا أتذكر تاريخها . في اجتماع وقع بين « السعداوي ـ و ـ شيبيلي » وشيبيلي هذا محام إيطالي شيوعي النزعة ، وكان رجلا جريئا وصريحا إلى حد بعيد . وهو رئيس (الجمعية الإيطالية للترقي ليبيا) .

ولقد حضرت في هذا الاجتماع عدة شخصيات من وطنين وإيطاليين ، وتكلم السعداوي موجها كلامه إلى الجاليات الأجنبية بصورة عامة ، وإلى الجالية الإيطالية بصورة خاصة قائلا : إن الواجب يفرض على الجاليات التي عاشت في هذه البلاد ، ولا زالت تعيش فيها بين أبنائها ، وتود مواصلة عيشها في راحة واطمئنان ، أن تؤيد مطالب الشعب علنا وبكل صراحة ووضوح ، أمام لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية

في الوحدة والاستقلال ، وفي كل المناسبات الآتية بدون تردد لكي تفوز البلاد بحقها .

وعلى إثر هذا الكلام تكلم «سيبيلي» فقال : هذا واجب على الجميع فعلا . وإذا سمح الزعيم ، لي ملاحظة أود أن أبديها . وهي : نحن متأكدون أنك زعيم البلاد وقائد حركتها الوطنية لا يجاريك أحد من أبنائها ، كما أنه لا شك لدينا في إخلاصك لوطنك . إلا أننا نلاحظ عليك أمرًا لم نفهم سره . وهو أننا نراك كأنك تميل لإدريس ، لأنك تتردد عليه بدلا من مقاومته . وهو فيما نعلمه أنجليزي مائة في المائة . وهنا أجابه السعداوي : ملاحظتك لا بأس بها ، غير أنه لا يخفى على مثلك أننا مضطرون لهذا الموقف بحكم المصلحة . وإننا نحاول انتزاعه من أحضان الأجنبي إن أمكن لنا ذلك . أما انقطاعنا عنه أو مقاومته علنا فذلك ليس في مصلحتنا في الوقت الحاضر .

اقتنع شيبيلي بهذا الجواب . ثم واصل شيبيلي كلامه حول الأراضي والدور وغير ذلك من الأملاك التي اغتصبتها إيطاليا أو صادرتها بطرق تعسفية فقال : هذه الأشياء أمرها بسيط ، فحينما تستقل البلاد يمكن استرجاعها بنفس القانون الذي أخذت به . وانتهى الاجتماع .

واصلت هيئة تحرير ليبيا معالجة الموقف الذي كان معقدا وخطيرا جدا ، ولكنها تغلبت على كل الصعوبات بتوفيق من الله . وباتخاذها الوسائل الموصلة ، فتمكنت من توحيد الشعب إلا قليلا منه ، تلك القلة التي تنكبت الطريق عن عمد منها ، فلا ينتظر لها العودة وقتئذ . فأصبحت كتلة واحدة يعتمد عليها في مجابهة المناورات الأجنبية بعدما فرقتها تلك الأحزاب المتعددة والتي بلغ عددها سبعة أحزاب .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى ما بقي في الذاكرة من أنواع تلك العراقيل التي كانت تهدد مستقبل الشعب ، لكي تعرف الأجيال المقبلة حقيقة الموقف في زماننا ذاك ومدى ما قاسته الحركة الوطنية في ظروف معيشية شديدة جدا ، ولكنها صبرت وقاومت وتعففت . فأقول :

أولا كانت هناك بين صفوف الحركة الوطنية عناصر من الشعب غير صادقة في موقفها . وإنما دفعتها للدخول في صلب الحركة مصلحة خاصة في النفس . ولذلك

فهي تعمل مع الحركة في النهار . ثم تتسرب تحت جنح الظلام إلى «شارع ميزران» لتمحو ما فعلته بالنهار ، فتفوز بصك الغفران ، من طرف ذلك المارد الذي كان يعدهم وما يعدهم ...

وهناك الدوائر الانجليزية الأخرى بسلطاتها وإغراءاتها . وهناك الإيطاليون وعملاؤهم ، ورهبة حكمهم لا تزال تسيطر على النفوس ومن ورائهم خزائن (روما) . وهناك مؤسسات إيطالية داخل البلاد تقودها شخصيات من ذوي الخبرة والتجارب . كما عمدت إيطاليا قبيل مجيء لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية إلى فتح مكتب بمبنَى الآثار سابقا . بميدان السيدة مريم بالمدينة القديمة ، تحت عنوان دفع مستحقات الجنود الليبيين الذين وقعوا في أسر العدو ، وغيرهم وقد اختارت لذلك الوقت المناسب كما هو واضح . كما عمدت إيطاليا إلى رصد مبالغ طائلة من الأموال ووضعتها في عهدة رجل إيطالي يدعى «جلمبيرتو» لتوزيعها في البلاد ظانة في مخيلتها أن الذمم في ليبيا تباع وتشترى بالليرات الايطالية . وقد وزعت تلك الأموال فعلا ، ووجدت أفواها فاغرة فالتهمتها ولكنها ذهبت سدى . وكانت النتيجة الحتمية لتصرفات هذا الرجل هي «الانتحار الشنيع» بعدما نضبت الأموال وخابت الآمال .

وتدعيما لما تقدم ذكره ، وما سيأتي ذكره أيضا . فلقد أشارت إيطاليا إلى بعض عناصر من أهل البلاد تثق بهم ، وترتاح إليهم أمثال « » ومن على شاكلته للقيام بتشكيل منظمة سياسية لخدمة أهدافها . ولقد قامت هذه العناصر بما طلب منها ، فأسست ما عرف «بحزب الاستقلال» بأموال إيطالية ، وذلك في سنة 1949 م . كما استدرجت إيطاليا ، من جهة أخرى ، أفرادا من فاقدي الضمير ، وسقيمي الوجدان من الليبيين أمثال : « » وغيرهم فأخذوا يكتبون في صحافة إيطاليا ضد وطنهم وأهلهم . ولم يستنكفوا عن القول : إن هؤلاء الحفاة العراة الجياع لا يستحقون الاستقلال ، يعنون بذلك شعبهم وأهلهم . كما وقف بعضهم بدون خوف من الله ولا حياء من عباد الله في إذاعة إيطاليا يوجه إلى شعبه وأهله على أمواج الأثير أقذع أنواع الشتائم وأحط عبارات التحقير . كما أرسلت إيطاليا عناصر من هؤلاء العاقين لوطنهم وفدا إلى هيئة الأمم المتحدة كوفد ليبي يطالب بعودة الحكم الإيطالي إلى بلاده لاستعباد شعبه وإذلاله !

ولما نجحت الحركة الوطنية ، وانتزعت استقلال البلاد من بين فكي الاستعمار . وتشكلت حكومة وطنية ، وأقول وطنية بحكم المواطنة . لا بحكم الشعور . عندئذ عاد أولئك العاقون لوطنهم الشاتمون لأهلهم ، عادوا من إيطاليا إلى الوطن الذي عقوه . وآبوا إلى الشعب الذي شتموه وأهانوه . ومنهم اليوم من مات ، ومنهم أحياء يرزقون ، وهم يعيشون في نعيم بين أبناء هذا الشعب دون أن تحمر وجوههم خجلا مما اقترفوه في تلك المواقف المخزية والأقوال البذيئة . أما الشعب فقد نسي ما سمعه بأذنيه ، وما قرأه بلسانه وعينيه . وكان الله غفورا رحيما . ويا ليت أولئك المسيئين ندموا وتابوا . ولكن بعضهم اليوم تمكن في وظائف ، وصار يعاكس بعضا من خيرة الوطنيين المخلصين . وما ضر الأوطان في كل زمان ومكان إلا حسن الظن بالمسيئين . «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» .

أجل ، نجحت الحركة الوطنية ، وتشكلت حكومات العهد الغابر ، حكومات الرجل المسلم «والمجاهد أيضا كما كان يصفه أولئك الوصوليون والمنافقون دونما ظروف تفرض ذلك . اللهم إلا الاصطياد في الماء العكر . تشكلت تلك الحكومات من ربائب إيطاليا ومحبي الإنجليز من ذوي الماضي المحفوظ في ملفاتهم من عهد الاستعمار الإيطالي . وما برهنوا عليه في عهد الإدارة البريطانية . وتلك هي مؤهلاتهم الأكثر اعتبارا . ولما كانت هذه هي صفة وتكوين تلك الحكومات . فقد كان من الطبيعي أن تعطف هذه على تلك النماذج العاقة التي هي من نوعها وإن كانت أدنَى مستوى ، إذ لم تكتف بالصفح والعفو عما ارتكبوه في حق وطنهم وشعبهم سابقا ولاحقا . بل رفعتهم إلى أعلى المراكز ذات النفوذ كالنظارات والوزارات ومجالس الأمة ودوائر الحكومة .

ونتيجة لذلك ارتاحت الجالية الإيطالية الفاشية لمستقبلها وامتيازاتها في البلاد ، وهكذا كانت تجري الأمور بفضل «إرادة سامية» فهل يستطيع أحد من الذين عرفوا ذلك العهد أن يبرئ هذه الإرادة من مسؤولية ذلك التصرف.. ؟ أنا أقول حسب معرفتي : إن الرأس مسئول عن كل الأخطاء ، وكل ما يقع في نطاق حكمه ، يعلم أو لا يعلم . فإن كان يعلم فتلك المصيبة وإن كان لا يعلم فالمصيبة أكبر كما يقولون .

هذه هي مواقف وتصرفات العهد الغابر مع المنحرفين والمسيئين للوطن والشعب سابقا ولاحقا ، أما مواقفه تجاه الوطنيين العاملين المخلصين الذين وقفوا في وجه

المطامع الأجنبية ، ولم يتأثروا بالإغراءات الاستعمارية ، وتحملوا مرارة السجون ، وقاسوا ظروف الخصاصة والحرمان ، وصبروا صبرا جميلا لسنوات وسنوات فإنهم قوبلوا من طرف العهد الغابر بجزاء سنمار ، إذ أخذ ذلك العهد يطاردهم فشرد فريقا منهم بالإبعاد إلى مختلف الأقطار العربية الشرقية منها والغربية ، يعاني آلام الغربة ويتجرع مرارة الجزاء المعكوس . وملئت السجون بفريق آخر . كما عمد ذلك العهد إلى سد أبواب المعيشة في وجوه البقية من المواطنين داخل الوطن . وأبعد آخرين إلى مختلف أطراف البلاد . هكذا وقع للحركة الوطنية المختلفة في العهد « الغابر ، وبفضل إرادته » بعدما فرضته هذه الحركة نفسها على الشعب بحكم المصلحة الوطنية العليا .

لقد طفح بنا الفكر والقلم حتّى أدخلنا في متاهات الاستطراد الواسعة ، وعليه فلنعد الآن إلى الوراء قليلا لمواصلة ذكر تلك المعوقات الخطيرة ، والجبهات المضادة لمصلحة الوطن الحقيقية فنقول : لقد أشرنا آنفا إلى بعض تلك العوائق الكثيرة التي طوقت بها إيطاليا الحركة الوطنية من كل جانب في الداخل وفي الخارج . في داخل البلاد توجد المؤسسات المشار إليها والتي تسيرها شخصيات إيطالية مثقفة ، لها خبرة ومقدرة وإمكانيات مادية ، فضلا عما تتمتع به من دعم مادي ، وتشجيع معنوي من طرف حكومة « روما » وإليكم هذه المؤسسات :

1 ـ اللجنة التمثيلية الإيطالية	برئاسة سوطا كازا
2 ـ الجمعية الإيطالية للترقي ليبيا	المحامي شيبيلّـي
3 ـ الجبهة الديمقراطيـة	فيليتشـــي
4 ـ الجبهة الليبية الإيطالية	كـــاتيتـــي
5 ـ جمعية الحركة الكاتوليكية	................؟

فهذه المؤسسات الخمس تعمل سياسيا تحت هذه الأسماء الساترة . وأعتقد أنني لست في حاجة إلى القول بأنها كلها تعمل لمصلحة حكومتها ، ولا شيء لفائدة ليبيا إلا الاسم في بعضها . وهناك مساعي إيطاليا في الميدان الدولي ، ومناصرة فرنسا لها . وعطف أمريكا عليها وغير ذلك . وموقف « إدريس » ومن ورائه الانجليز والانفصاليون وهناك المتصيدون والأفاقون والحاسدون والحاقدون في الخارج أمثال : يونس بحري الذي منح الجنسية الليبية ، ولقب بالمواطن الأول . وهناك محمد علي

الطاهر وأطاعه . وعبد الله لملوم وحقده . مواقف اللجنة الطرابلسية في مصر ، ومن ورائها عزام «باشا» ومآربه رحم الله الجميع وغفر لهم .

ونحن إذا ما جمعنا هذه الجبهات التي كونتها إيطاليا ، والتي أوجدتها المطامع الشخصية المحلية ، والتي دفعها الحقد لسبب أو لآخر . وغير ذلك من المعوقات الأخرى كمطامع فرنسا ، وأهداف الاتحاد السوفياتي ، ومطامع الولايات المتحدة الأمريكية . وسيطرة الانجليز . وغير ذلك من المعوقات داخل البلاد وخارجها ... وجدنا أنها كلها تعمل بكل ما أوتيت من قوة للفوز بما تريده ، أو بعودة الحكم الإيطالي إلى ليبيا ، أو إلى إقليم طرابلس على الأقل .

أجل ، إذا ما جمعنا هذه المعوقات كلها وغيرها ما لم أذكرها ، اما لعدم إطلاعي عليها ، أو بسبب نسيانها ... إذا ما جمعناها كلها بهدف تقييم أعمال هيئة تحرير ليبيا ، والمؤتمر الوطني فيما بعد بتجرد وإنصاف ، اتضح لنا مدى ما قامت به الحركة الوطنية ، والأعباء التي كابدتها ، والجهود التي بذلتها في سبيل انقاذ الوطن من مطامع الطامعين ، ولتبين لنا مدى التوفيق الذي حالفها في كفاحها ذاك المرير .

نعم تمكنت من إنقاذ البلاد من الوقوع في هوة الاستعمار من جديد بشكل أو بآخر . وبطرق قد تكون أشد من الماضي . فانتزعت بعناية الله تعالى وجهودها وإخلاصها مع عوامل دولية عرفت كيف تستغلها بحكمة ولباقة . فانتزعت استقلال البلاد (الكامل والسريع) من بين فكي الاستعمار . أما ما تردى فيه هذا الاستقلال فيما بعد ، وكيف أصبح اسما لا معنًى له . فذلك أمر آخر يسأل عنه (إدريس) وأول حكومة له قامت في البلاد بجراب الانجليز ، أولئك هم أدرى بكيفية اغتياله . وأسباب اغتياله !

قلنا آنفا : توفق الزعيم السعداوي بحنكته ـ رحمه الله تعالى ـ إلى توحيد كل الأحزاب في البلاد إلا «حزب الاستقلال» الذي لم يندمج في ذلك التكتل الشعبي . والحقيقة أن «حزب الاستقلال» هذا لم يكن قد ولد بعد عندما سعى السعداوي لتوحيد الأحزاب ، وإنما كانت إرهاصاته وعناصره معروفة وموجودة ، ولكنها كانت مشاققة للحركة الوطنية ، ولم تشارك في تلك المساعي ، ولم تنتم هي نفسها إلى ذلك

التكتل الشعبي . وعلى كل فإن حزب الاستقلال وعناصره معروفون لدى المجتمع وكفى .

وهناك «الكتلة الوطنية الحرة» التي تثاقلت أول الأمر في الانضمام إلى التكتل الشعبي ، إلا أنها قد استجابت في الوقت المناسب لدعوة هيئة التحرير في مواجهة لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية برأي واحد ، كما أنها قد وقعت المذكرة المشتركة ضمن الأحزاب الأخرى . وفي الحقيقة أن هذا لا يستغرب من الكتلة الوطنية ، إذ إنها فيما أعرف «واني أشهد بذلك» بأنها مخلصة في وطنيتها ، صادقة في مواقفها . وإنما الذي جعلها تتثاقل أول الأمر فيما يبدو لي : ذلك لما لها من الكبرياء الحزبية التي تتضح في الطموح الجامح الذي يسيطر على بعض عناصرها ذلك الطموح الذي جعلها ترى أن لا أحد يدانيها في الاخلاص للوطن ، ولا أحد أولى وأقدر منها في تسيير الحركة الوطنية ، وهو طموح تجاوز حد المعقول ، وحتّى ولو أردنا تخفيفه والتمسنا له عذرا فاعتبرناه من قبيل تنازع البقاء ان صحّ ذلك .

قلنا ولو اعتبرناه من قبيل تنازع البقاء فإننا نجده ينطوي على نواقص تجعله سرابا لا شيء فيه ذلك لأنه يفتقر إلى مقومات أساسية لا غنى عنها في مثل تلك الظروف ، وهي : قوة الصبر على المكاره . والارادة الفولاذية التي لا تنثني إلا بدافع من مصلحة عامة . والانتباه الشديد الحذر لما يخططه العدو المضاد حتّى يتجنب الانهيار أمام الزوابع التي يفتعلها ذلك العدو للإطاحة بالخصم والقضاء عليه .

والعامل الثاني ، كانت الكتلة تكره إدريس كراهية شديدة ولا تقبله إلا إذا تقدم هو مباشرة أو بواسطة من يعتمده وطلب قبوله . وهذا معناه معارضة أدبية تؤدي إلى ابعاده وهي ، أي الكتلة ، تضحي بالوحدة الوطنية ، حيث تترك «برقة وفزّان» للمنحرفين والانفصاليين هنا وهناك ، ومن ورائهم الانجليز . وهي غاية ينشدها الاستعمار . في الوقت الذي تعلم فيه الكتلة أن البلاد مهددة بالاستعمار في حالة الانقسام . مع توقع عودة إيطاليا إلى إقليم طرابلس . وكان على من يتولى النضال عن الشعوب لإنقاذها من الأخطار وتحقيق مصالحها . كان عليه إذا ماسدت أمامه الطرق ، وتجسم الخطر أن يلجأ إلى أهون الشرين ، حتّى يبقَى الباب مفتوحا لمن يأتي بعده ليجد مدخلا يبدأ منه ليكمل المسيرة . وحتّى تبقَى الطريق مفتوحة بين شرقي الأمة العربية وغربها . ولا تصبح البلاد حاجزا قاتلا بين جزأي هذه الأمة . في حالة عودة النفوذ الاستعماري إلى ليبيا .

أن هذه الحالة ، لو وقعت ، كانت تشكل جريمة لا ينساها التاريخ ، ولا تغتفرها الأجيال المقبلة في مختلف أقطار العروبة والإسلام . وعلى كل فإن موقف الكتلة ذاك كان ، فيما يبدو لي ، على حسن نية ، وسلامة طوية ، إلا أن حسن النية مع الخصم في الحركات الوطنية والمداورات السياسية لا مكان له . وبالجملة يبدو لي حسبما أفهم أنها نظرية قصيرة المدى محدودة الزمن فقيرة إلى بعد النظر . وكأني بها لم تجعل في حسابها ما قد يأتي به المستقبل بين أيامه ولياليه من الأحداث . ولكن بعد هذا الموقف من « الكتلة » وفي يوم من تلك الأيام ذهب رئيسها إلى بنغازي لمقابلة « إدريس » ولا أدري أهو مدعو من طرفه لهذه المقابلة أم هو طالبها ؟

بعد هذا الاستطراد أعود إلى الوراء قليلا فأقول : قلنا توفقت هيئة تحرير ليبيا إلى توحيد الأحزاب وتطمين الجاليات الأجنبية لكي تسير في الخط المطلوب . وذلك بفضل حنكة رئيسها المغفور له « بشير السعداوي » رحمه الله ، بما حباه الله به من المؤهلات الموهوبة التي هي من مقومات الزعامة ، فهو واسع الأفق ، عميق الإخلاص ، كثير التجارب ، ثابت المبدأ . له شخصية مهيبة ، ومنطق مؤثر ، وسرعة بديهة ، وجرأة نادرة . كما أن له صفات مكتسبة ، كالتزامه المتواصل بالدفاع عن الوطن في ميدان الجهاد داخل الوطن ضد الغزو الإيطالي . ثم بعثه للحركة الوطنية في المهجر خارج الوطن لمناهضة الوجود الاستعماري في وطنه فيما بعد .

كما أنه شارك عمليا في مقاومة الاستعمار في الأقطار العربية الشرقية . ثم عضويته في المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في القدس سنة 1931 م . ومن اختياره من طرف المؤتمرين عضوا في اللجنة الدائمة لهذا المؤتمر . ثم مستشارا سياسيا للملك عبد العزيز آل سعود . رحمه الله تعالى ومقابلته للشخصيات العالمية في أوروبا وأمريكا . ثم صداقته للشخصيات العربية السياسية والعلمية المجاهدة أمثال : شكيب أرسلان ـ عوني عبد الهادي ـ إحسان الجابري ـ شكري القوتـلي ـ رياض الصلح ـ جميل مردم ـ فخري البارودي ـ عبد العزيز الثعالبي ـ عبد الكريم الخطابي ـ فاضل الجمّـالي ـ عبد الحميد بن باديس ـ محي الدين القليبي ـ وشخصيات في مصر أكثر من أن تذكر هنا . إن تلك الميزات الموهوبة ، وهذه المكتسبة جعلته في مستوى الشخصيات البارزة في الوطن العربي . وهو آخذ في الارتفاع إلى مستوى عالمي بفضل جهاده المتواصل وإخلاصه العميق ، وصفاته المذكورة لو أمد الله في حياته ، ولكنه أدى واجبه ، وانتقل إلى جوار ربه . جزاه الله بما هو أهل له من الرضا والرضوان .

قلنا : توفق إلى القضاء على جميع العراقيل بما فيها الاطمئنان إلى موقف الجاليات الأجنبية في البلاد . وتوحيد الأحزاب الوطنية تمهيدا إلى انعقاد مؤتمر شعبي لتوقيع وثيقة اتحاد الأحزاب وقيام المؤتمر الوطني وفي النصف الأول من شهر أغسطس لسنة 1949 م وزعت الدعوات لحضور المؤتمر الذي سينعقد في القصبات : مسلاتة . وفي «جامع المجابرة» بالذات ذلك المكان التاريخي الذي وقع فيه اجتماع أنهى به الخلاف الذي كان ناشبا بين : «ترهونة ـ ومسراتة» وفيه أيضا أعلن عن تشكيل أول حكومة ليبية بمجرد انسحاب الأتراك من ميدان الجهاد سنة 1912 م تلك الحكومة التي أعلنت باسم الضابط الليبي العثماني «عبد القادر الغناي» غفر الله له .

وفي يوم 19 من أغسطس تكامل توارد الوفود من جميع نواحي القطر . وفي يوم 25 من شوال سنة 1368 هـ الموافق ليوم 20 من أغسطس تحركت أرتال السيارات من طرابلس في اتجاه مسلاتة . وحينما وصلت السيارات إلى أول هذه المدينة «القصبات» ترجل الناس من السيارات ، وأخذت الجماهير تسير نحو الأماكن التي خصصت لنزولها . وبينما الجماهير في سيرها ، إذا بالسعداوي يقف فجأة متسمرا في مكانه . دون ما سبب ملحوظ لدينا عن هذا الموقف المفاجئ . فنظرت إليه فإذا هو مركز نظره في الأفق ، كأنه ينظر إلى شيء مثير . أو هو يقرأ شيئا على صفحات الكون كتبته يد الأقدار ولم تتكشف لنا نحن رؤيته . وقد امتقع لونه ، وشفتاه تتحركان بدون صوت . وبينما نحن في ذلك الوجوم إذ انطلق صوته مدويا في حدة وانفعال قائلا : «لا أريد أن أرى علما أجنبيا يرتفع فوق مباني البلاد» وقد كان العلم الانجليزي يداعبه النسيم منتصبا فوق بلدية مسلاتة . وذلك هو المنظر الذي أثار حفيظته .

ولقد كان بين تلك الجموع الكثيرة ، كثير من جماعة المخابرات فضلا عن المتبرعين بالعمل في هذا الميدان كأولئك الذين أشرنا إليهم فيما تقدم . والجميع لا يتركون كبيرة أو صغيرة إلا أوصلوها . بعد ذلك واصلت الجماهير سيرها إلى الأماكن المعدة لها . وفي تلك الليلة عقد اجتماع غير موسع خارج الجامع في صورة لجنة راجعت فيها جدول أعمال المؤتمر من جديد ، ثم أقرته نهائيا .

وفي يوم الغد ، وفي الساعة التاسعة صباحا اجتمع المؤتمر بأكمله في الجامع المتقدم ذكره بالقصبات . وقد كان عدد الوفود الرسمية حوالي ثلاثمائة شخص تقريبا . أما الجماهير المرافقة للمؤتمرين فكانت أكثر بكثير ، كما حضرت في هذا المؤتمر

عناصر من الإقليمين : الشرقي والجنوبي تشارك بصفتها الشخصية ، إذ أنها غير مفوضة من إقليمها . وقد افتتح المؤتمر بتلاوة من آيات الذكر الحكيم ، رتلها المقرئ الشهير طيب الذكر «الشيخ مختار حورية» عليه رحمة الله تعالى . ثم تلاه الأستاذ «محمد ميلاد مبارك» فألقى قصيدة سيأتي نصها بعد قليل . وعلى إثر ذلك بدأت المناقشات ، وتبودلت الآراء . ثم انتخب المؤتمرون رئيسا للمؤتمر . ووكلاء للرئيس فكانت النتيجة كما يلي :

بشير السعداوي :	رئيس هيئة تحرير ليبيا رئيسا للمؤتمر
محمد أبو الاسعاد العالم :	مفتي ليبيا السابق نائبا للرئيس
الطاهر أحمد المريض :	رئيس الجبهة الوطنية المتحدة ، نائبا للرئيس
الحاج مصطفى ميزران	رئيس الحزب الوطني ، نائبا للرئيس

وعلى اثر الانتهاء من انتخاب الرئيس ووكلائه أعلن عن انتخاب لجنة مالية للمؤتمر فكانت النتيجة كما يلي :

الحاج محمد يونس الكريكشي :	رئيسا للجنة
الحاج سالم إبراهيم اندير :	أمين مال
الحاج إبراهيم بورقيبة :	عضوا
الحاج باكير طريش :	عضوا
بشير الزقلعي :	عضوا
محمد إبراهيم الميت :	عضوا
مفتاح عريقيب :	عضوا
الحاج بشير بن رمضان :	عضوا
علي بن عثمان :	عضوا

وبعد الانتهاء من انتخاب اللجنة المالية أعلن عن انتخاب اللجنة التنفيذية . وقد تم ذلك ، وهذه اللجنة عددها كبير لا يمكنني ذكر أعضائها . ولذلك نكتفي بالإشارة . أما أعضاء هيئة المكتب للعمل الدائمي فقد ترك اختيار عناصرها لرئيس المؤتمر عند العودة إلى العاصمة . وبعد الوصول إلى طرابلس أعلن رئيس المؤتمر أسماء أعضاء هيئة المكتب للعمل الدائمي ، كما اختارها . فكانت كما يلي :

أحمــــد زارم
محمــد ميلاد مبارك
عــلي مــحمد المسلاتي
سلــيمان دهــان

ثم انضم فيما بعد إلى مكتب المؤتمر سعيد ساسي ـ وأحمد أبو عرقوب تطوعا منهما . وكانا مدرسين في وزارة التربية فتخلّيا عنها وانضما للمؤتمر أي لمكتب المؤتمر .

ثم قرر المؤتمر تشكيل وفد برئاسة السعداوي للذهاب إلى هيئة الأمم للدفاع عن قضية الوطن ، وفي هذا الموضوع أيضا ترك الأمر لرئيس الوفد في اختيار من يرافقه . وأخيرا طرحت مسألة تمويل الوفد فتقرر أن يبدأ الاكتتاب حالا قبل انفضاض الاجتماع . وفعلا فقد بدأت التبرعات ذات المبالغ المحترمة من أثرياء البلاد . فتجمع مبلغ ضخم . إلا أنني لا أستطيع أن أحدده . ذلك لأنني من عادتي دائما الابتعاد عن النواحي المالية ما وجدت للبعد طريقا . (لأن المال مفسد للأخلاق) إلا من رحم ربك . ثم تداول المؤتمرون في وجوب إيجاد مورد دائم للمؤتمر كي يستطيع القيام بمهمته ، فقرروا إضافة «فرنك» واحد : (مال) في الشهر على طريق بطاقات التموين والمال هذا عملة مؤقتة أصدرتها الإدارة العسكرية البريطانية عند احتلال البلاد . والأربعمائة والثمانون (مالاً : فرنكًا) منها تساوي جنيها ليبيا آنذاك ، وهكذا كان عند استبدالها بالجنيه .

وبعد ما تقدم وبعض أبحاث ثانوية تم تنفيذ فكرة البيعة . وقد دام المؤتمر ثلاثة أيام عقد خلالها ثلاثة اجتماعات كلها كانت مفتوحة . وبالانتهاء ألقَى السعداوي خطابا شكر فيه أهالي (مسلاتة) على ما أبدوه من كرم ووطنية صادقة ستبقى ذكرى في النفوس ما بقيت هذه النفوس بقيد الحياة . وسينقلها التاريخ إلى الأجيال الآتية . وستكون صفحة بيضاء مجيدة في سجل القضية الوطنية لأهالي مسلاتة .

ومما يجدر ذكره بالمناسبة ، وتسجيله للتاريخ أن أهالي مسلاتة بصورة عامة . باستثناء أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة ، هم من أتباع حزب الاستقلال . أعرفهم بأسمائهم ، ولكن لا فائدة من ذكرهم هنا . هؤلاء الأفراد وقفوا بعيدا عابسي الوجوه كأنهم أصيبوا بكارثة . باستثناء هؤلاء فإن جميع أهالي مسلاتة قد استقبلوا

المؤتمرين بغبطة وسرور . فلقد أخلوا الكثير من منازلهم من سكانها لإيواء المؤتمرين . وقد قاموا بتموين الجموع كلها بكل ما يلزم ، كامل مدة انعقاد المؤتمر ، وقد رفضوا بشدة واباء أن تتولى الحركة الوطنية صرف أي شيء طول مدة الانعقاد .
رفضوا بشدة وإباء أن تتولى الحركة الوطنية صرف أي شيء طول مدة الانعقاد .

انتهى المؤتمر من أعماله ، وودع المؤتمرون أهالي مسلاتة شاكرين لهم موقفهم الوطني وكرمهم العظيم ، محتفظين لهم في نفوسهم بأطيب الذكريات وأجملها . وأخذت الجماهير طريق العودة إلى طرابلس . وكانت العودة عن طريق (ترهونة) وحينما وصل ركب المؤتمر إلى مدينة ترهونة اعترض الركب المريض ، وطلب منهم أن ينزلوا في ضيافته تلك الليلة . إلا أن الجماهير امتنعت قائلة : إنها كلفة لا لزوم لها ، فأصروا على مواصلة السير إلى طرابلس .

وقبل أن يواصل الركب سيره اتصل بي «الطاهر أحمد المريض» رحمه الله تعالى ، وطلب مني أن أبذل جهدي في التأثير على جماعة الجبل لكي يوافقوا على المبيت تلك الليلة ، لأنه يرى أنهم لا يستطيعون العودة إلى ديارهم ، وإنما سيضطرون للمبيت في طرابلس . وقد لا يجدون أماكن في الفنادق ، ومن هنا يرى أن بقاءهم في ترهونة أصوب . واستجابة لطلبه فقد اتصلت بالاخوان وأفهمتهم الموقف ، وطلبت من الجميع عدم الامتناع . فوافقوا وهم زهاء عشرين شخصا ، أتذكر منهم اليوم : الشيخ أحمد البدوي ـ الشيخ محمد بن سعيد الرحيبي ـ الشيخ محمد بن الحاج حسن ـ الشيخ أحمد السني ـ أحمد الحاج خليفة بن مبارك ـ عبد العالي الصيد ـ سليمان بن سعيد ـ الشيخ عويدات ـ امحمد حْنيتيش . وهناك آخرون من أولاد أبي سيف وغريان والزنتان والعربان وغيرهم . وهم جميعا من ذوي الكلمة النافذة في مناطقهم وغيرها أيضا .

تخلفت هذه المجموعة في ضيافة آل المريض بترهونة تلك الليلة ، وكان صاحب هذه المذكرات من بينها وتيمنا للكرم العربي خصوصا في إكرام الضيف فقد قدمت لكل مجموعة من الأكلـة شاة ناضجة على القصعة : (مسلان) ومن قبيل الصدف أن جاء في يدي كتف الشا . وكنت كثيرا ما أسمع عن حكايات الكتف ، وما تعطى من إشارات كثيرا ما تصادف.

وقد كان شعوري متعلقا بسير قضيتنا الوطنية . وأريد أن أسمع عنها شيئا يسرني ولو من قبيل التفاؤل . فاحتفظت بالكتف نظيفة « بعدما أكلت ما كان عليها طبعا » وبعد انتهاء العشاء وفي جلسة هادئة رتيبة تقربت من المرحوم « الشيخ محمد بن الحاج حسن » وناولته الكتف ورجوته أن ينظر ما فيها على عادة البادية وتجاربهم التي كانت كثيرا ما تصادف . وقليل هم أولئك الذين يعرفون هذا السر . فنظرا إليها مليا ثم ناولها إلى شيخ آخر كان حذوه . وناولها هذا إلى شيخ ثالث ، وسكت الثلاثة عن الجواب ..

وبعد صبر قليل دنوت من الشيخ الثاني ، وأتذكر الآن أنه « الشيخ عويدات » إذا لم تخني الذاكرة فسألته : ماذا في الكتف ؟ فأجابني بصوت خافت قائلا : فيها (دم) قلت الله لطيف بعباده . وقد تبادر إليَّ بأن حوادث قد تحدث لسبب أو لآخر . ولكن بعد مدة لا أتذكر طولها من قصرها انتقل إلى رحمة الله تعالى عميد آل المريض آنذاك المغفور له « الطاهر أحمد المريض » والله أعلم إن هي إشارة الكتف أم لا وفي صباح اليوم التالي واصلنا سفرنا إلى طرابلس .

أما المجموعة الكبرى التي واصلت سيرها رأسا إلى طرابلس فقد استقبلها الشعب عند وصولها استقبالا عظيما رائعا ، وقصدت مقر الجبهة الوطنية المتحدة . أو مقر هيئة تحرير ليبيا على الأصح الذي أصبح مقر « المؤتمر الوطني العام » منذ ذلك اليوم . وبوصول الجماهير صعد (بشير السعداوي) إلى شرفة المقر بشارع عمر المختار ، وألقى خطابا على الجماهير بأسلوبه المثير ، أوجز فيه للجماهير ما قرره المؤتمر فكان تصفيق حـاد ، وهتفت الجماهير بحياة المؤتمر .

وبانتهاء المؤتمر وعودة المؤتمرين إلى طرابلس أود أن أوضح أنه منذ ذلك اليوم . يوم انتهاء مؤتمر مسلاتة قد وضعت أسماء الجبهة الوطنية المتحدة ، وهيئة تحرير ليبيا والأحزاب الأخرى « الوطني والكتلة والأحرار . والعمال . والاتحاد المصري ... » وضعت هذه المؤسسات كلها على الرف من الناحية العملية ، وأعلن بدلا منها « المؤتمر الوطني العام » كحزب يسير قضية البلاد ، وبذلك أصبح «كل الصيد في جوف الفرا » فتكتل الشعب ، وتوحدت الكلمة ، فكانت جبهة قوية صلبة هي هذا المؤتمر الذي أوصل سفينة القضية الوطنية إلى شاطئ السلامة والفوز .

أشرنا فيما تقدم إلى موضوع البيعة وتنفيذها بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر ، وقد تم ذلك ، وأرسلت إلى بنغازي ووقف الشعب ينتظر النتيجة ، ولكنه تنصل وهرب كعادته حيث قال : إن طلبكم جاء متأخرا عن وقته فأحدث هذا الجواب موجة من الأسف والاستياء العميق في أوساط الشعب . وليس ذلك من أجل «إدريس» وإنما من أجل الوحدة الوطنية التي كانت قاب قوسين منا ، فأبعدها بجوابه هذا المتخاذل بعداً شاسعا . والحقيقة التي يجب أن أقولها ، ولست متجنيا على أحد ، وإنما هو واقع معاش وملموس ، هي أن الناس كانوا دائما يشكون كثيرا في الوصول إلى نتيجة مرضية مع هذا الرجل ، بناء على تجارب الماضي ولكنهم يرون أن مواصلة العمل واجبة .

ذلك لأن المصلحة العليا للوطن وللقومية العامة تفرض ذلك السعي ، وحتّى إذا لم يسفر العمل عن النتيجة المطلوبة فهي مادة تاريخية لفترة معينة من تاريخ الكفاح المتواصل لهذا الشعب ، كي تبقى في سجله التاريخي للأجيال المقبلة ، كحقيقة ثابتة لمواقف المصيبين والمخطئين ، وكدروس تستفيد منها الأجيال المقبلة في صراعاتها . ذلك لأن الصراع بين البشر متواصل ، ما تواصل الجديدان في هذا الكون بحكم تنازع البقاء . ولن ينتهي أبدا .

* * * *

حاكم منطقة حاول أن يغريني فاستدرجته فانفضح

في إحدى جولاتنا الدعائية سنة 1951 م كنت قد أخذت سيارة المؤتمر مع اثنين من الاخوان ، أحدهما يسوق السيارة ، والثاني أحد أعضاء المؤتمر . وهذا الأخير انتقل إلى رحمة الله تعالى . أما الأول فلا يزال على قيد الحياة ، أطال الله عمره . خرجنا من طرابلس متجهين إلى منطقة الجبل عن طريق العزيزية ـ غريان . وبعد أن توقفنا في تغسات : غريان واتصلنا بكل الاخوان رؤساء فروع المؤتمر في مديريات غريان الأربع ، حيث كان اليوم يوم سوق هناك .

وبعد أن أتممنا اتصالاتنا السريعة واصلنا سيرنا نحو الجهة الغربية حيث كان أصل الجولة الأول أو هدفها الأساسي هو الاتصال بجادو . ولكن بالمناسبة فلا بد من المرور

بالمديريات التالية الواقعة في طريقنا إلى جادو ، وهي على الترتيب بعد غريان : ككلة ـ يفرن ـ الرياينة ـ الزنتان ـ الرجبان ، ثم جادو . وقد تم الاتصال مع هذه المديريات .

المهمّ في الأمر أو بيت القصيد ، هو أننا في طريقنا التقينا بحاكم منطقة غريان ، وهو السيد «   » غفر الله له ، انتقل إلى رحمة الله . إلتقينا به في وجه الزنتان . وبعد أن تجاوزنا الزنتان غربا قليلا التقينا بهذا الحاكم عائدا من الجهة الغربية . ولا أدري أكان في جولة تفقدية أم غير ذلك . وكان معه أفراد آخرون ، لا أتذكرهم ، فأوقف الحاكم سيارته ، ووقفنا بدورنا ، وترجل الجميع ، وتبادلنا التحية .

وبعد كلام بين المجموعتين أخذني هذا الحاكم إلى جهة على حدة بعيدا عن المجموعة المتكونة من الطرفين . وبعد تجديد السلام ، والسؤال عن الحال والأحوال والعيال وما إلى ذلك قال لي هذا الحاكم الوطني : والله أنا من مدة أفكر في أمرك ، وأريد مقابلتك ، ولكن المشاغل كثيرة حالت دون ذلك . ولكن رب صدفة خير من ميعاد كما يقولون .

قال لي : لي معك رأي .

قلت : خيرا إن شاء الله .

قال : ما ظنك في ؟

قلت : ما أظن فيك إلا الخير .

قال : أنا كثيرا ما فكرت في أمرك لأنني رأيت بعض الناس الذين كانوا معك « دبروا رؤسهم » وتحصّلوا على وظائف وأنت تخدم على غيرك إلى متى ..؟ راك تندم .

قلت : لا يخفَى عليك الدنيا حظوظ . وحظي لم يساعدني . ماذا تريد مني أن أفعل ..؟

قال : والله أنت إذا تريد الحصول على وظيفة ممتازة أحسن من غيرك وأنا أساعدك .

قلت : أنا أعرف أنك تود لي كل خير لو كان الأمر بيدك ، ولكنه بيد الانجليز .

قال : اطلب أية وظيفة تريدها . وحتّى إذا تريد الدخول في المجلس الإداري الذي سيصبح حكومة البلاد بعد مدة قصيرة حاضر .

قلت : والله هذا شيء مغري ، ولكنني غير مطمئن وليس ذلك من جهتك أنت . وإنما من جهة الإدارة .

وهنا اندفع الرجل في الكلام والتأكيد لي بأني سأجد ما أريده بعد أن سمع إجابتي له بهذه الطريقة التي تتسم بالاهتمام والطمع حيث فهم بأنني قد وقعت في الفخ وهو الأمر الذي جعله يرفع ستار التحفظ . فقال : اسمع يا فلان ، أنا لا أكلمك من عندي . وإنما أنا مكلف من أقوى مركز تنفيذي في الإدارة . وعندي ورقة بيضاء في الموضوع ، أي شيء نتفق فيه معك سينفذ حالا وبكل تأكيد . ومن هذا الموقف وما دار فيه عرفت تماما موقف الرجل وأهدافه ودوافعه . ولم يبق لي إلا أن أصارحه بالحقيقة لعله يتأثر بها ويستقيم .

وهنا قلت لصاحبي حاكم المنطقة : تسمح لي أن أصارخك بالجواب الصحيح ..؟ قال : أجل ذلك ما أريده منك . قلت : اسمع إذن الحقيقة ، لعلك لا تعرف بأنني منذ خمسة وعشرين عاما مضت وأنا واقف ضد الاستعمار ، أي استعمار ، خصوصا الإيطالي ، على الرغم من ظروفي التي أعيشها والمحيط الذي أعمل فيه والأخطار التي كانت تهددني . وحينما عدت إلى الوطن كانت العودة بنية مواصلة مقاومة الاستعمار في بلادنا . وذلك على اتفاق مع الحركات الوطنية في كل مكان ، وأهمها تلك التي في سوريا . برئاسة المغفور له بشير السعداوي رحمه الله ، كما أننا على اتصال بزعماء الجهاد في مهاجرهم ، وفي الوطن ، فضلا عن الكثير من زعماء العرب ، وقد عُرفنا عند الجميع بهذا الموقف .

أجل عُرفنا عند الجميع واتفقنا مع الجميع . فهل من المروءة أم من الرجولة أن أنكص اليوم على عقبي وأترك ذلك كله سفاهة ..؟ من أجل وظيفة تحت سيطرة استعمارية علما بأنه لا فرق بين استعمار وآخر إلا في الأسلوب . أما الجوهر فهو واحد . وأقول لك الحق إن الأمر الذي يهمني في الدرجة الأولى هو استقلال بلادنا . وبعد ذلك يستطيع الإنسان أن يعيش بين إخوانه بأي طريقة شريفة تتاح له .

من هنا ، من هذه الاعتبارات نرى أن الواجب الوطني يفرض على اخواننا موظفي الإدارة وحكام الدواخل أن يكونوا جميعا في مساعدتنا على هذا الاتجاه الذي هو في صالح الوطن ، وبالذات في صالحهم أنفسهم ، لأن الحكم سيكون لهم ، نظرا لما لهم من الخبرة الإدارية ، ومعرفة أحوال البلاد وظروفها . لذا فنحن نطلب إعانتكم بقدر ما تسمح بها ظروفكم ولا نطلب إليكم مخالفة القوانين الإدارية ، ولا ارتكاب ما من شأنه أن يضر بكم أبدا ، وإنما كل ما نطلبه منكم هو ألا تكونوا

آلات طيعة بأيدي الأجنبي ، أيا كان هذا الأجنبي حتّى لا يتمكن من السيطرة على البلاد واستعباد الجميع .

وحينما كنت ألقي بكلامي هذا «أو هذا الدرس في الوطنية» إذا قبلت هذه التسمية كان حضرة «البيه» المواطن حاكم المنطقة يسمع لي بعناية واهتمام ملحوظين ، حتّى ظننت أن الرجل قد بدأ في دور الاقتناع ، ولكن ماكدت أصل إلى عبارة : نطلب إعانتكم بقدر ما تسمح به ظروفكم حتّى بدأ وجه الرجل يتغير رويدا رويدا ، ثم قطب حاجبيه ، ويبدو لي أنه صدم بكلامي هذا .

أجل ، ماكدت أصل إلى آخر الجملة من كلامي حتّى قاطعني بانفعال شديد ، وبجملة دلت على ما في نفس هذا الرجل من الانحطاط . جملة لا أستطيع تسجيلها كما نطق بها صاحبها وسمعتها من فيه لخروجها تماما عن دائرة الأدب ، بل عن دائرة العقل والشهامة والرجولة حيث قال بحدة وانفعال : «أنا إذا طلبني الحاكم الانجليزي في أي شيء... أفعله وأنا أرد الفعل في ستين واحدا من الذين هم تحت حكمي» وبهذه الجملة انتهى بيننا الكلام ، وأخذ كل منا جماعته وواصل اتجاهه الذي كان متجها إليه .

وكم كان بودي أن يطيل الله في عمره حتّى تصدر هذه الذكريات فيقرأها ، ويتذكر الموقف فلعله يتعظ ويندم فيستغفر . ولكن وافاه الأجل المحتوم قبل صدورها . غفر الله له ورحمه . وعلى الرغم من كونه توفي فسوف يحفظ اسمه في النسخة المخطوطة أي (أصول الذكريات) أو في نسخة مطبوعة ، سأحتفظ بها .

هذا بعض ما عرض لي من الإغراءات. ولولا أنني أخشى أن يظن القارئ (وما أكثر ظن السوء) انها أقوال يراد بها تزكية النفس ، وبعبارة أوضح واضح لولا أنني أبتعد حذرا من الوقوع فيما يعتبر عند أهل الظن أنه من دائرة التمجيد الذاتي . لولا ذلك لسجلت الكثير من هذه المحاولات بأسماء أصحابها . تارة بالاغراءات ، وأخرى بالتهديدات ، ولكنني أحتسب ذلك . وأكتفي بما سجلته . والله على ما أقول شهيد .

هو حسبي . نعم المولى ونعم الوكيل .

من طـرف المنحرفـين في مقاومـة الحـركة الوطنيـة

مجموعة من عملاء الإدارة البريطانية تشي بنا لدى الضابط الانجليزي «رئيس شرطة غريان» لكي تقطع علينا طريق الاتصال لمناطق الدواخل . كيف ... وأين وقع ذلك .. ؟ في بحر سنة 1951 م كنا يومئذ في ظروف متحركة نشطة ، وكنا نحن تبعا لذلك كثيري التجول في مختلف مناطق البلاد للدعاية للانتخابات النيابية الأولى في ليبيا . بعد انتهاء حكم الدولة العثمانية في ليبيا . وبعد هزيمة إيطاليا ومغادرتها ليبيا نهائيا ، تلك الانتخابات التي حدد لها موعد اجرائها في شهر فبراير من سنة 1952 م .

في يوم من تلك الأيام الغابرة أخذنا سيارة (جيب) كانت سيارة المؤتمر ، وكنا ثلاثة فيما أتذكر ، محمد وهيب الزقعار رحمه الله ، وأنا ، والهاشمي أبو خلال أو علي بوفارس لا أدري أيهما كان ، اشتبه عني الأمر لطول المدة . كان هذا يسوق السيارة وهو شاب قوي الإرادة معتدل البنية سريع السير . أخذنا طريق «سواني بني آدم» متجهين نحو الجبل عن طريق العزيزية غريان . وصلنا قرب العزيزية وإذا أربعة أشخاص أوقفوا سيارتهم بجانب الطريق ، وانتشروا في أرض ذات تربة حمراء لا شجر فيها ولا نبات . إذذاك . أما الآن فهي مشجرة بالزيتون . أتذكر أنني سألت عنها في يوم من تلك الأيام الخوالي فقيل لي إنها «للفاضل بن زكري» والله أعلم ، وكان أحد هؤلاء الأربعة عنده بندقية «قلوبر» كان يتصيد بها العصافير ، والآخرون منتشرون حواليه .

ولما نظرت إلى الجماعة عرفتهم وهم : فاضل بن زكري ـ السيفا وخريبشة رحمهما الله تعالى . وثالثهما هو «   » لم أضع اسمه لأنه لا يزال على قيد حياة ومن سكان طرابلس ، أما رابعهم فقد نسيت من هو ، قلت : فلما نظرت إلى الجماعة عرفتهم كلهم ، فهتفت بالهاشمي أو الذي يسوق السيارة ، أن قف قف ، لأنه تجاوزهم بمسافة لسرعته فوقف ، ثم طلبت إليه العودة إلى حيث سيارة الجماعة ، فرجع خلفيا في عنف وسرعة . ولما نظروا إلينا أننا وقفنا تجمعوا بسرعة حول سيارتهم . وبمجرد وصولنا إليهم ترجلنا من السيارة بصورة اندفاعية مسرعة تشبه الطريقة العسكرية . ولما نظرت إلى أحدهم وجدته قد امتقع لونه بصورة واضحة ، وبعد أن تبادلنا التحية مصحوبة بابتسامة خفيفة عادت الوجوه إلى طبيعتها

ومن هنا حيث ارتاحت الأفكار ، وانطلقت الألسن ، بدأ بيننا الكلام فسألني أحدهم ـ وهو الثالث في الترتيب ـ والذي عدلت عن ذكر اسمه سألني قائلا : أين أنتم ذاهبون.. ؟ قلت : عجبا ، تسألني وأنا ابن الجبل ومتجه إليه ؟ أليس من الأولى أن أسألك أنا أين أنت ذاهب ؟ قال : أنتم جيئتم إلى بلادي ، ولو لم تأتوا إلى بلادي ما أتيت بلادكم . وهكذا فقد دار بيننا كلام هو أقرب إلى الفذلكة منه إلى الجد ، وهو الأمر الذي أطلق الألسن أكثر. وجعل العقول تفكر في مكر وخبث مفتشة عن طرق الايقاع بنا لعرقلة عملنا إذذاك وهو الشيء المرغوب لديهم ، حيث دار بيننا الحوار التالي :

قال : هل عندك سلاح..؟
قلت : أفي الله شك ؟
قال : أرنيه .
قلت : أما هذا فلا .
قال : لماذا..؟
قلت : لأنه بدون رخصة .
قال : ها أنا أريك سلاحي .
قلت : أنت في رضًى ياسيدي أما أنا...
قال : ها هي رخصتي فلماذا لا تطلب رخصة مثلي..؟
قلت : أنت تعطَى لك لأنك في رضًى أما أنا فلا .
قال : كله من رأيك .
قلت : أعرف ذلك وأنا به راض وعليهساير .

وهناك كلام آخر وحوارات طويلة رأيت من الأفضل تركها اجتنابا للتطويل . وبعد ذلك تدخل الأول في الذكر ، أعني فاضل بن زكري ـ غفر الله له ـ ووجه إليَّ كلامه قائلا : لماذا هذه الأتعاب التي لا فائدة فيها ولا نتيجة من ورائها ؟ أترك جريك هذا وتعال وشح نفسك في طرابلس وأنا أقسم لك بكل الايمان وأعاهدك أمام شهود بأن لا يزاحمك أي كان . وسأجعلك تفوز بالتزكية .

قلت : من قال لك أني أريد الترشيح لنفسي..؟
قال : إذن لماذا هذه الأتعاب..؟
قلت : ذلك للمؤتمر الذي سوف يرشح من يشاء ، ويرى فيه أهلية ، أنا أو غيري . وإلى هنا وبصرف النظر عن كلام طويل لا أرى فائدة في ذكره ، أنهينا موقفنا ، وتركنا الجماعة هناك ، وواصلنا السير حتى انتهينا إلى «تغسات» غريان ،

فقصدنا محطة بنزين كانت للحاج الشيباني بن حميد للتزود فيها . وبوصولنا المحطة وجدنا شرطيا عربيا واقفا بالمحطة ، وبمجرد نزولي من السيارة تقدم مني هذا الشرطي وقال لي بأدب واحترام : ضابط المركز يطلبك إليه .

قلت : طيب نذهب إليه ، ونترك السيارة هنا ريثما تتزود بالبنزين وتلتحق بنا ..

قال : لا ، يجب أن نذهب بالسيارة . وبعد أن تزودت السيارة توجهنا إلى المركز رأسا .

تركنا السيارة ودخلنا إلى مكتب الضابط الانجليزي ، فإذا هو جالس على كرسيه مطرقا برأسه . وقفت قليلا فلم يرفع رأسه ، ولم يكلمني رغم كوني أطلقت عليه التحية . وعندها جلست على كرسي كان شاغرا دون استئذان . وعندها نظر إلي الضابط شزرا وقال : أنت بتدخل كده بدون سلام ..؟

قلت : لا يا أفندي أنا سلمت لكن حضرتك مشغول لعلك لم تسمعني ؛

ثم قال : أنت رايح فين..؟ قلت : ليس لي مكان معين .

قال : أنت بتدعو للسعداوي..؟ قلت : لا ، أبدا .

قال : إذن لمن تدعو..؟ قلت : للمؤتمر الوطني .

قال : عندك سلاح..؟ قلت : لا ، ليس لي سلاح .

قال : لازم عندك سلاح أرنيه..؟ قلت : ليس لدي سلاح ، هأنا أمامك فتشني .

نهض الضابط من مكانه ، ونهضت أنا بنهوضه ، فتقدم مني وتلمس جوانبي فلم يجد شيئا . ثم قال : السيارة فين..؟

قلت : هي أمام المركز. ذهبنا إليها وفتشها كما يشاء فلم يجد شيئا وعدنا للمكتب ، وبعد أن جلس على مقعده . وأنا واقف لم يشر لي بالجلوس وقال لي : أحسن اتقول ، فين السلاح بتاعك على شان صحيح عندك سلاح ؟ وسكت قليلا : أنا عندي خبر أنت عندك سلاح على شان اللّي قالّي موش كذاب .

قلت : كل شيء أمام حضرتك يا أفندي .

وبعد لحظة سكوت قال لي : روح فين عاوز تروح البوليس (ديمة وراك) فهمت..؟

قلت : شكرا يا أفندي . أنا أكون مطمئنا لوجود البوليس معي ، فهو أمان لي فلا يحاول أحد الاعتداء عليَّ وإلى هنا غادرنا «غريان» متجهين غربا نحو جادو .

وأعود إلى موضوع السلاح فأقول : الواقع كان عندي سلاح . عندي مسدس فعلا ولكن وقفتنا مع الجماعة قرب العزيزية والسؤال الذي وجهه لي أحدهم عن السلاح جعلني أفكر جيدا في طريقة إخفائه . وقد وفقني الله في اخفائه بطريقة يعسر العثور عليه وفي نفس السيارة وقد بقيت هذه الوشاية في نفسي إلى أن عدت إلى الوطن من ذلك الإبعاد الذي دام تسع سنوات إلا قليلا فبراير 1952 ـ يناير 1961م ، وفي يوم من تلك الأيام التقيت فيها الرجل الذي كان قد سألني إن كان عندي سلاح ، وهو الذي ظننته صاحب الوشاية . وإن كانت هذه لم ينفرد بها أحدهم بل لا بد أنهم اتفقوا عليها .

التقيت بهذا الرجل ، وهو معرفتي وصاحبي ، وإني والله أحبه وأحترمه . التقيت معه وسألته أن يصدقني في هذا الأمر الذي مضَى وانقضَى ، ولم يبق له من أثر ، لأنه نتيجة خلاف سياسي انتهى بانتهاء ظروفه ، أجل طلبت منه أن يصدقني إن كان هو الذي أبلغ مركز شرطة غريان هاتفيا أو بأي واسطة أو مباشرة ، أنكر ذلك وتبرأ منه ، والله أعلم بالفاعل . ولكن الذي يبدو لي أن أحد هذه الجماعة هو الذي أعطَى الخبر لمركز شرطة غريان .

* * * *

حادثتان أثبتهما هنا للاعتبار

الأولى :

في أوائل أيام الإدارة البريطانية في طرابلس كان لا يزال عدد كبير من الجيش الانجليزي في طرابلس ، وكانوا ينتشرون ليلا في البارات ، وفي سهرات داخل بيوت اليهود ... ويعودون أواخر الليل إلى ثكناتهم ثمالى . وأية عربة يجدونها من العربات التي تجرها الخيول (كروسة) يركبونها . وعند وصولهم إلى ثكناتهم ينزلون منها ويقولون لصاحبها : «إذهب إلى فاروق يدفع لك الأجر» وذلك لأن مصر كانت قد ألغت امتياز شركة قناة السويس من جهة واحدة من الناحية القانونية . ولم تؤممها وإنما وقع تأميمها في عهد المغفور له جمال عبد الناصر رحمه الله تعالى .

وفي يوم من تلك الأيام الخوالي جاءني فريق من أصحاب تلك العربات يشكون معاملة الجيش الانجليزي ، هذه المعاملة الاستبدادية . ومن الغد كتبت مقالا نشر في (شعلة الحرية) هاجمت فيه هذا التصرف بشدة ، فما كان من الإدارة البريطانية إلا أن رفعت قضية ضدي إلى المحاكم ، وقد صدر الحكم ضدي بستة أشهر سجنا أو غرامة مالية قدرها أربعون ألف (مال) أي ما يساوي خمسة وثمانين جنيها تقريبا حسبما وقع حينما أبدل المال بالجنيه. فكان الجنيه يساوي (480) مالا .

حينما صدر هذا الحكم كتبت الخبر في الجريدة نفسها مع صورتي الفوتوغرافية . وكتبت تحت الصورة الآية الكريمة : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وحينما انتشر العدد من الجريدة قام بعض فروع المؤتمر في الدواخل بارسال مبالغ من المال لتسديد الغرامة بلغت في مجموعها ما يساوي مائة جنيه ، أو يزيد قليلا فيما أتذكر . وبما أنني غارق في تسيير الجريدة وحساباتها . خشيت إذا بقي المبلغ عندي أن يختلط مع الجريدة . وعندما يحين وقت الدفع لا يكون المبلغ حاضرا . ولذلك فقد أودعته ، أي المبلغ كله ، عند أحد الاخوان من (سكرتيري) مكتب المؤتمر حتّى يحين وقت الدفع . لأن وقت الدفع مجهول عندي .

وقد كانت لي في هذا الأخ ثقة تامة وأحسبه أمينا . حان وقت الدفع ، وأبلغت رسميا بالدفع أو السجن . وعندها ذهبت إلى الأخ محل ثقتي لأتسلم المبلغ وأدفعه . فقال لي هذا الأخ : المبلغ صرفته كله .

قلت : فيم صرفته.. ؟
قال : صرفته على المؤتمر.
قلت : ومتَى كنت مكلفا بالصرف على المؤتمر..؟
قال : صرفتـه ..
قلت : بيّن لي فيم صرفته ؟ ومتَى كان ذلك وبعلم من.. ؟ وإلا أدفع لي المبلغ وأنت تعرف أن هذا المبلغ لم يكن للصرف على المؤتمر.

وهنا رفع عينيه معي وكأنه يخيفني وقال : أأفضح أأفضح ..؟
فقلت له في شيء من الانفعال : لا سترك الله ، ولا ستر لك فضيحة إذا تستر عليَّ في شيء وأنت تعرفه. هات ما عندك أعلنه في الناس ، أفضح إن كنت

صادقا ، فسكت ولم يجب بشيء . وقد عرفت بعد هذه المواجهة الصفيقة أنه لا مطمع في المبلغ ولا فائدة في زيادة الكلام .

وعند هذا الحد تركته ، وذهبت رأسا إلى السعداوي في حالة انفعال . دخلت عليه في بيته (بقرقارش) وبعد أن حييته بالسلام . ورد عليَّ . وقال لي : تفضل اجلس . قلت : أنا في عجلة من أمري ، أنا جئت لأودعك وأذهب إلى السجن .

فقال بلهفة : السجن ، لماذا السجن..؟

قلت : جاء طلب دفع الغرامة المحكوم بها عليَّ وليس عندي ما أدفعه .

قال : أين المبلغ المتبرع به للموضوع .

قلت : أودعته عند فلان ريثما يحين وقت الدفع . والآن لما طلبته قال إنه صرفه على المؤتمر .

فنهض السعداوي من حينه ، وذهبنا معا للرجل محل ثقتي هذا . فقال له السعداوي : أين المبلغ يا فلان..؟

فأجابه بنفس الجواب . إنه صرفه على المؤتمر .

فقال له : من أمرك بالصرف..؟ وهل الصرف من اختصاصك أنت..؟

فقال : صرفته وسكت .

وهنا قال لي السعداوي : اتركه وهيا معي ، فذهبت معه حيث سلم لي المبلغ . فذهبت مسرعا ، وسددت الغرامة . وانتهى المشكل . وهذا الأخ محل ثقتي لا يزال على قيد الحياة وهو : «   » .

الثانيــة :

لم أعد إلى السعداوي في ذلك اليوم . لأنني لم أتمكن من التسديد إلا في اليوم التالي . وقد شغلتني بعض الأمور في بقية اليوم فلم أذهب إليه في هذا اليوم أيضا . وفي اليوم الثالث ذهبت إليه في بيته بقرقارش . فوجدت معه ثلاثة أشخاص هم : المرحوم الطاهر المريض . والأخ سليمان دهان . والثالث نسيت من هو ، ربما كان «الأستاذ محمد ميلاد مبارك» لست متأكدا من ذلك .

المهم في الأمر أننا تغدينا عنده ، أربعتنا . وبعد راحة قصيرة جلسنا في جلسة ذكريات وحكايات من الماضي . وأحوال وتدابير في الحاضر . وتفكير عميق في

المستقبل . وفي خلال ذلك الجو الصريح المأمون المطمئن قال لنا السعداوي : اسمعوا يا جماعة . سأبوح لكم بسر مكتوم في نفسي منذ أمد بعيد ، ولم أقله لأحد من قبل لتكونوا على بصيرة من الأمر.

أقول لكم : أنا كل هدفي وغايتي القصوى من مجهوداتي وعملي واجتهادي في سبيل الله والوطن هو أن نتمكن جميعا بفضل مجهوداتكم المخلصة ، وموقف الشعب ككل ، من انتزاع استقلال البلاد استقلالا كاملا غير منقوص . وقيام حكومة وطنية من عناصر وطنية مخلصة صادقة ذات إرادة قوية لا ترهبها الأحداث . وعندئذ سأعود إلى الحجاز ، لأنني قررت مع نفسي قرارًا لا رجوع فيه بأنني سأقضي بقية حياتي مجاورا في الأراضي المقدسة إن شاء الله . ولم تبق لي بعد هذا العمر أية رغبة في مال ولا في جاه ، ولا في حكم .

وهنا تكلم المرحوم الطاهر المريض بسرعة قائلا : لا ، لا ، يا بشير بك ، لا تعد مثل هذا الكلام أمام الناس . والله لو سمع الناس منك هذا القول لانفضوا من حولك ، ولم يتبعك أحد منهم أبدا لا تعده . لا تعده . أرجوك يا بشير بك .

* * * *

مشــــروع بيـفن /اسفـورزا وغضبــــة الشّعــب اللّيـــبي

كان الشعب الليبي في أكثريته الساحقة شديد الإنتباه من أوّل ما بدأت الاتصالات بين دول الحلفاء حينما سقطت إيطاليا في الميدان. ولقد ازداد الانتباه يقظة وتحفّزا للحركة عندما حررت معاهدة استسلامها التي تنازلت بمقتضاها عن جميع حقوقها في مستعمراتها السابقة في إفريقيا . ثم تم توقيعها من طرف أصحاب الشأن في الموضوع . ذلك لأنه لا يخفَى على الليبيين أن إيطاليا رغم هزيمتها في الميدان ، وتنازلها عن حقوقها في هذه المستعمرات ... فهي رغم ذلك لم تيأس من العودة لهذه المستعمرات أو بعضها على الأقل ، بل هي آخذة في بذل أقصي جهودها وكامل ديبلوماسيتها لهذا الهدف ، معتمدة في ذلك على بعض العوامل . كموقف بعض العناصر منها . كانت قد أجرت اتصالات سرية مع الحلفاء في أواخر الحرب العالمية الثانية بزعامة «بادوليو» وفي نفس الوقت كانت تعمل على إثارة العرقية

والقومية لدى الحلفاء لاستدرار عطفهم فيعملون على تمكينها من الوصاية على مستعمراتها الآنفة الذكر. وبصورة خاصة «ليبيا» وبالأخص طرابلس الغرب. وبالفعل فقد ظهرت تأثيرات هذه الإثارة، وبصورة خاصة من طرف فرنسا حيث بذلت هذه مجهودات جبارة وحادة متواصلة في مختلف الاجتماعات لتحقيق مطامع إيطاليا، ولكن مطامع بريطانيا في الاستحواذ على (برقة) وأهداف أمريكا الاستراتيجية في المنطقة قد حالت دون ذلك. أي دون نجاح مساعي فرنسا لفائدة إيطاليا.

إن مساعي إيطاليا تلك، وعطف فرنسا الأخت اللاتينية التي اتّضح في مختلف الاجتماعات، هو الذي جعل الشعب في ليبيا على غاية الانتباه كما أوضحنا. ومن علائم هذا الانتباه أن صار الناس في طرابلس لا يتركون إذاعة من إذاعات الدول إلّا واستمعوا لها بدقة وعناية، يسجلون كل ما يسمعونه، مما له علاقة بالموضوع من قريب أو من بعيد، ويزوّدون به هيئة التحرير يوميا دون أن يطلب منهم ذلك. وقد بدأت بوادر مشروع «بيفن / اسفورزا» تنمو وتتّضح من خلال الاتصالات المتوالية بين ساسة الدول المنتصرة بصورة غير مزعجة ولكنها مخيفة. وفي أوّل يناير 1949 م وعلى وجه التحديد في اليوم السادس منه صباحا أذاعت محطة لندن أن بعثة برلمانية يرأسها رئيس مجلس العموم البريطاني ستسافر إلى «روما» بدعوة من أعضاء البرلمان الإيطالي، ومن الغد أذاعت محطة القاهرة خبرًا مفاده أن وفدا من أعضاء مجلس العموم البريطاني وصل إلى روما بدعوة من أعضاء البرلمان الإيطالي وأن هذا الوفد سيزور المراجع العليا في إيطاليا، مثل البابا ـ ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب وغيرهم. ولقد أحدث هذا الخبر انزعاجا في أوساط الشعب الليبي. وفي اليوم الموالي أذاعت محطة روما عن وصول هذا الوفد إليها، وممّا لاحظه الشعب أن هذا الوفد مكوّن من جميع الأحزاب في بريطانيا الأمر الذي بعث في الأفكار، أن لهذا الوفد مهمّة خطيرة تحتاج إلى إجماع. ومن أجل ذلك تكون الوفد الإنجليزي على تلك الطريقة. فكان لهذا الخبر وقعه كما قلنا في نفوس الشعب. وبينما كانت الهيئات السياسية في البلاد تدرس تلك التحركات، وما قد ينتج عنها إذا بمحطة «لندن» تذيع مساء يوم منه خبرا مفاده أن «المسيو شومان» الوزير الفرنسي يصل إلى لندن في نفس ذلك المساء وسيمكث بها يومين ليبحث مع «المستر بيفن» المسائل الهامّة التي تهم الحكومتين، ومن هذه المسائل قضية المستعمرات الإيطالية السابقة.

وعلى إثر هذه الأخبار التي اعتبرت عند سماعها نذير شؤم نشرت جريدة « الدايلي اكسبريس » تعليقا نقلته عنها إذاعة لندن على زيارة « شومان » جاء فيه : إن من بين المسائل التي سيبحثها « المسيو شومان » مع « المستر بيفن » قضية المستعمرات الإيطالية السابقة . وأردفت هذا الخبر قائلة : « ان التساهل الذي أبداه « شومان » مع إيطاليا في تحقيق آمالها أثناء علاقاته مع اسفورزا لن يجد تأييدا في لندن بين الأوساط الحكومية » فهذه الجملة الأخيرة أثبتت بصورة قاطعة لدى الليبيين ماكانوا يخشونه من تلاعب الساسة حول مستقبلهم ، من وجود هذه المناورات الخطيرة التي تعمل لعودة النفوذ الإيطالي إلى ليبيا بطريقة أو بأخرى . كما تأكد الشعب الليبي أن فرنسا من أنصار هذه العودة . وأن الخطر أصبح واضحا جليًّا . وإن كانت الجملة الأخيرة من الإذاعة أعطت للنفوس شيئا من الراحة الممزوجة بالقلق ، ولكن الإنجليز لا يرتاح الإنسان لموقفهم وعلى كل فقد حصلت راحة ولكنها غير مطمئنة بما فيه الكفاية .

وفي النصف الأخير من شهر يناير 1949 م أذاعت محطة روما خبرا كشف الستار عن حلقة أخرى من سلسلة المساعي التي كانت تجرى بصورة سرية بالنسبة لليبيا بين الحكومات صاحبة الشأن في الموضوع ، حيث قالت : إن الكونت « اسفورزا » استقبل سفير « بريطانيا / وفرنسا » في روما . وأن الحديث دار خلال هذه الاستقبالات حول المستعمرات الإيطالية السابقة . وأردفت هذا الخبر بالقول ، إن قضية المستعمرات هي الآن الموضوع الرئيسي في محادثات « بيفن / اسفوزرا » في لندن .

وفي نفس الوقت ذكرت إذاعة إيطاليا نفسها بأن « اسفورزا » استقبل سفير إيطاليا في « موسكو » وأن نشاطا سياسيا كبيرا يقوم الآن بين العواصم الثلاث ; « روما / لندن / باريس » ويتركز هذا النشاط حول الاتحاد الغربي .ومستقبل المستعمرات الإيطالية بصورة خاصة . وفي نفس الوقت يقول الخبر ، قد استقبل « اسفورزا » سفير أمريكا في روما مرتين في مدى أسبوع واحد .

وهكذا ، فبهذه المناورات المتعدّدة هنا وهناك « ولد ذلك الجنين الخيالي » الذي أشرنا إليه فيما تقدم من هذه المذكرات ؛ ذلك هو مشروع « بيفن / أسفورزا » الذي برز للوجود في أجلى مظاهره ، ودفع به إلى هيئة الأمم المتحدة ، فتجول في

أروقتها ، وتواجد وراء كواليسها فارتفع ذكره بين وكالات الأنباء ، وهو الأمر الذي أزعج ليبيا إزعاجا مريعا فتوالت اجتماعات الحركة الوطنية ، وتواردت رجالات الحل والعقد من المدن الساحلية الأخرى ، ومن جميع نواحي الدواخل حتّى أصبحت العاصمة تعجّ كخلية النحل ، وقد قامت جميع المؤسسات الوطنية في البلاد من أقصاها إلى أدناها من أحزاب سياسية وبلديات ودوائر شرعية ومدنية ونواد رياضية ونقابات عمّالية ومهنيّة وجمعيات خيرية وغير ذلك من المؤسسات الوطنية ، قامت كلها فأمطرت هيئة الأمم المتحدة ببرقيات الاحتجاج الغاضب إلى حد أن بعضها أكّد بوضوح عزم البلاد على المقاومة بكل الوسائل لأي نفوذ يفرض علينا ، إيطاليا كان أو غيره .

جمعيــة المهاجــرين اللّيبيــين بتونــس
تُــبرق إلى هيــئة الأمــم

أبرقت جمعية المهاجرين الليبيين بتونس إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة بمناسبة عرض قضية الوطن على بساط البحث أشارت فيه إلى ما قطعه الحلفاء على أنفسهم من عهد بشأن احترام حقوق الليبيين ، وأكدوا ما سبق أن أشعروا به لجنة الاستفتاء في مذكرة مؤرخة في 28 مارس 1948م من تمسكهم باستقلال ليبيا موحدة .

أبرقت جمعية المهاجرين الليبين بتونس إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة بمناسبة عرض قضية الوطن على بساط البحث أشارت فيه إلى ما قطعه الحلفاء على أنفسهم من عهد بشأن احترام حقوق الليبيين ، وأكدوا ما سبق أن أشعروا به لجنة الإستفتاء في مذكرة مؤرخة في 28 مارس 1948 م من تمسكهم باستقلال ليبيا موحدة ، كما أكدوا استعدادهم لمقاومة أي حل لا يتّفق والأماني القومية ، وقد نشرت نصّ هذه البرقية جريدة «الصريح» الأسبوعية التي تصدر بتونس آنذاك .

ما كاد ينتشر خبر موافقة اللجنة على مشروع (بيــفن / اسفــورز» حتّى تكهرب الجو في كامل البلاد الليبية ، وعقدت الأحزاب والهيئات السياسية وغير السياسية اجتماعا مشتركا يوم الثلاثاء 2 مايو وقد دام هذا الاجتماع أكثر من عشر ساعات ،

وقد انفضّ في الصباح الباكر من يوم الإربعاء 12 منه ، وقد اتّخذت في هذا الاجتماع قرارات لمواجهة الأخطار الاستعمارية التي أخذت تهدّد البلاد ، على أنّ تنفيذ هذه المقرّرات يكون في حلقات متتابعة حسب تطوّرات الظروف. وقد تقرّر أن يكون أوّل هذه المقرّرات في التنفيذ إضراب سلمي عام شامل تصحبه مظاهرات في صباح يوم الإربعاء. ولقد بدأ الإضراب كما قرّر له أن يكون عاما شاملا ، بما في هاتين العبارتين من معنًى.

فلقد أقفلت المتاجر والمحال العمومية ، وأضرب المواطنون العرب . طلبة المدارس والأساتذة والعمّال لمدة ساعتين من العاشرة صباحا حتّى الثانية عشرة . وقد تجمهر الناس في الشوارع . واكتظ باب الحرية بجماهير الشعب ، فألقيت خطب توضح للجمهور أسباب الإضراب والهدف منه ، وتشرّح لهم الموقف وما تتخلّله من أخطار وكيف ينبغي أن تسير المظاهرة .

ولقد تجمع ما يزيد على عشرة آلاف من جماهير الشعب . وبهذا العدد بدأت المظاهرة ، وكان في المقدّمة قادة الأحزاب السياسية وممثلو النوادي والأعيان وتصدرت المظاهرة رئاسة الإدارة البريطانية . وكان المتظاهرون يحملون لافات ويهتفون بحياة ليبيا حرة مستقلة موحّدة ، وبسقوط مشروع « بيـفن / اسفـورزا » والموت لإيطاليا وكل الاستعمار . ومن المفارقات أن كان وسط المظاهرات « علم روسي » وهتفوا بحياة روسيا وستالين. وعند وصول المظاهرات أمام مقر رئاسة الإدارة البريطانية دخل وفد يتقدمه فضيلة الشيخ المفتّي « محمد أبو الأسعاد العالم » وقد كان صاحب هذه المذكرات من ضمن هذه المجموعة التي دخلت لمقابلة الوالي الإنجليزي ، وسلمت له المذكرة التالية واليكموها :

سعادة رئيس الإدارة البريطانية : طرابلس .

حيث أن بريطانيا قد تخلّت عن الشعب الطرابلسي في آخر ساعة ، وخيبت آماله في وقوفها بجانب العدالة وحماية حريات الشعوب ، فإن الشعب الطرابلسي يقرر اليوم عدم التعاون مع الإدارة البريطانية في طرابلس على أي شكل من الأشكال ، وسيرى نفسه مضطرا إلى إعلان العصيان المدني إذا لم تتلاف بريطانيا الأمر ، وتعدل اقتراحها الأخير الذي يهدف إلى الإلقاء بالشعب الطرابلسي إلى جلاديه الإيطاليين .

كما أنه سيرى نفسه مجبرا إزاء موقف بريطانيا هذا على اتخاذ كل ما يراه ضروريا من التدابير للدفاع عن نفسه وقضيته محمّلا بريطانيا التبعات التي تنجم عن ذلك .
وتفضّلوا بقبول فائق الاحترام .

طرابلس الغرب في 1949/5/11 م

عاد الوفد الذي قابل رئيس الإدارة ، وسارت المظاهرات إلى ميدان الشهداء فشارع (العزيزية) وأمام القنصلية الفرنسية توقف الموكب ، وهتفت الجماهير بسقوط الاستعمار الفرنسي . واصل المتظاهرون السير إلى ميدان «الكاتدرائية» حيث مقرّ قنصلية أمريكا ، وهتف المتظاهرون بسقوط أمريكا ، وألقيت خطب موجزة بانوا فيها تواطؤ الولايات المتحدة مع الاستعمار ، وقفلت المظاهرة راجعة ، ووقفت أمام القنصلية اليونانية ، وهتفت الجماهير بحياة الأمة اليونانية ، وحكومتها لمواقفها العادلة نحو القضايا العربية .

قصد المتظاهرون فندقا كان ينزل به جماعة من الإخوان البرقاويين ، وعند وصول المظاهرة إلى الفندق أخذت الجماهير تهتف بحياة ليبيا مستقلة . وعندها نهض الشاب «وقتذاك» الجريء الأستاذ محمود مخلوف أحد أعضاء جمعية عمر المختار ، وألقى كلمة في المحتشدين معلنا فيها : أن الشعب مع الوحدة ، فقوبلت كلمته هذه بعميق الاستحسان . وواصلت المظاهرة طوافها في جميع شوارع المدينة ، والموكب يزداد ضخامة حتّى أصبح لا يعرف أوّلها من آخرها .

وقد كانت مظاهرات سلمية ، لم يحدث فيها إلّا بعض أمور بسيطة كإنزال العلم الأمريكي ، وأضرار طفيفة ببعض المراكز السياسية والنوادي الإيطالية ، ولم يكن هناك أي اعتداء على الأشخاص ، وعلى إثر ذلك أعلنت الإدارة منع التجول من الثامنة مساء حتّى السادسة صباحا .

ولقد انتشرت المظاهرات ، وتقديم المذكرات في كل مكان . فلقد قامت مظاهرة في مدينة الخمس ، وقدمت مذكرة للمتصرفية بها . كما قامت مظاهرات في مسراتة ، وبرقيات من كل من البلدية والمحكمة الأهلية ، وفرع الحزب الوطني . والجمعية الخيرية إلى سكرتير هيئة الأمم «تريجفي» وفي زوارة وقع إضراب أغلقت فيه المتاجر وتجمهر الشعب في الميادين العامة . ثم ساروا في مظاهرة إلى المتصرفية ، وأعلنوا استنكارهم لمشروع «بيفن / اسفورزا» وفي الزاوية نظّم اجتماع نتج عنه تقديم

مذكرة احتجاج على مشروع بيـفن / اسفـورزا ، إلى متصرف البلد ، وفي صبراتة اعلن الإضراب العام ، وعقد اجتماع كبير في مسجد مدينة صبراتة ، وقد ألقي « محمد غالب الكيب » رحمه الله تعالى ، خطابا في الجماهير ، داعيا إلى التمسك بالوحدة ، ومقاومة المناورات الإستعمارية . وفي هذا الجوّ الصاخب أرسلت برقية مشتركة بين الجبهة الوطنية المتحدة والحزب الوطني إلى إدريس في بنغازي ، نصّها :

« الشعب في طرابلس متظاهر استنكارا لاتفاقية « بيفـن / اسفـورزا » ومعلنا عـدم التعاون مع الإدارة البريطانية . الشعب مصمّم على نيل حقوقه في الوحدة والاستقلال ، راجيا إعلان حكومة ليبيا الموحدة » .

وقد وقع على هذه البرقية علاوة على الحزبين المذكورين كل من مفتي ليبيا « محمد أبو الأسعاد العالم ـ وقاضي القضاة محمود أبو رخيص ، رحمهما الله . ورئيس المحكمة العليا .

كما قدمت الكتلة الوطنية الحرة يوم 11 مايو 1949 م مذكّرة احتجاج إلى رئيس الإدارة البريطانية بطرابلس ضدّ اتفاقية بيـفن / اسفـورزا . وممّا جاء في هذه المذكرة : « أن الشعب الليبي يعتبر هذا الموقف من بريطانيا غير ودي ، وأنه مصمّم على النضال من أجل استقلاله ووحدته . وأن البوادر الظاهرة هذه الأيام تؤيّد هذا التصميم . وعلى الحكومة البريطانية أن تعدل عن موقفها إذا كانت تريد استتباب الأمن والسلام في هذه الربوع » .

وفي هذا الوقت والمظاهرات متوالية أرسل مؤتمر الشباب البرقاوي ببرقية إلى مؤتمر الشباب الطرابلسي ، وإليكموها :

« نشارككم شعوركم الوطني الفيّاض ، ونقف إلى جانبكم الآن وفي ساعة الشدّة ، ونعاهدكم على أن برقة شقيقتكم ستذكي النار معكم إذا استمرّ الظالمون في طغيانهم . إن بلادنا يجب أن تضمن لها الحرية ، وأن عودة إيطاليا إلى أي جزء إن هي إلا الطامة التي يعقبها القضاء المبرم . إن أي ليبي يرفض بشدة أن تكون طرابلس ضحية الوعود البلفورية الهدامة . الله معكـم » .

عبـد ربّه الغنـاي

وعلى إثر اندلاع المظاهرات أعلنت الإدارة حالة الطوارئ ، وقد جرح في المظاهرة ثمانية مدنيين . أحدهم جروحه كانت بليغة . كما جرح ثلاثة من رجال البوليس العرب وضابط انجليزي . وقد استدعت الإدارة قوات الجيش . وهو الذي أطلق النار على المتظاهرين .

اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني العام تعقد اجتماعا تحضره وفود الدواخل

في صباح يوم الأحد الرابع عشر من مايو 1949 م عقدت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني العام اجتماعا حضرته وفود من جميع نواحي الدواخل التي وصلت أخيرا للمشاركة في العمل ، والاستعداد لمقاومة مشروع « بيـفن / اسفـورزا » وقد شرحت اللجنة للوفود القرارات التي اتخذت لمجابهة الموقف ، وقد أعلن على الجماهير العصيان المدني كخطوة أولى . ومن ثم تكوّنت مظاهرات سارت إلى قصر الحاكم الإنجليزي ، وأخذت تهتف بسقوط الاستعمار وحياة ليبيا . وهنا استعمل البوليس القنابل المسيلة للدموع وسط الجماهير المتراصّة ، فجرح بعض الأفراد واستمرت المظاهرة كامل يوم الأحد ، وفي عدة مصادمات بين المتظاهرين والبوليس في أكثر من مكان واحد جرح 26 شخصا من بين المدنيين كلهم من العرب ، إلّا أنها كانت جروحا سليمة . وجرح اثنان من البوليس .

وفي اليوم الموالي تجمعت الجماهير تحت شرفة المؤتمر الوطني ، وكان من بين هذه الجماهير عدد من شباب « جمعية عمر المختار » وتكوّنت مظاهرة أخذت تطوف شوارع المدينة ، وتقف أمام كل المحلّات الديبلوماسية ، وتهتف بسقوط الاستعمار . وبينما المدينة في تلك الحالة من الهياج إذ وصلت أخبار بأن جماهير سوق الجمعة قد احتشدت في ميدان السوق ، ثم اتّجهت إلى مقر الحاكم المحلي مجدّدة استنكارها لمشروع (بيـفن / اسفـورزا) وألقيت أمامه خطب شديدة العبارات . ثم تحركت هذه المظاهرة الضخمة متجهة إلى طرابلس . ووصلت أخبارها إلى المؤتمر . ونظرا إلى أن الحالة في طرابلس في هياج شديد ، ووصول جماهير سوق الجمعة إلى طرابلس يزيد حتما في هياج المتظاهرين ، ويضاعف حماسهم وهو الأمر الذي يخشَى منه أن يؤدي إلى إفلات الزمام من أيدي المسيرين فيحدث ما قد يسيء للهدف من تلك

الحركات . واجتنابا لذلك فقد وجه المؤتمر اشخاصا من أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر هم : المفتي أبو الأسعاد العالم ـ وطاهر أحمد المريض ـ وأحمد عون سوف ـ وعلي ثامر ـ وقد اسرعوا فاتّصلوا بالمظاهرة قبل أن تتجاوز سوق الجمعة ، فأوقفوا سيرها ، وخطب بعضهم في المتظاهرين ، وطلبوا منهم الإكتفاء بسوق الجمعة .

كما أن سكان فندق بن غشير والعزيزية قاموا بإضراب عام ، وتكونت مظاهرة كان من بينها كوكبة من الفرسان يقودها أحمد عون سوف . ووقع مثل ذلك في يفرن يوم الخميس ، وتقدم وفد منهم وسلم احتجاجا إلى الحاكم المحلي كما وقع نفس العمل في جادو . كما قام سكان خنزور بإضراب عام ومظاهرة سلمية اشتركت فيها الفرسان أيضا ، وقدموا مذكرة إلى متصرف الزاوية . كما قامت حركة احتجاج ومظاهرات صاخبة في غريان . ومظاهرة في بنغازي ضد مشروع (بيـفن / اسفـورزا) فتجمعت الجماهير في ساحة البلدية ، منادين بوحدة ليبيا واستقلالها ، ثم توجهت المظاهرة إلى القصر حاملين لافتات . كما وقع نفس الشيء في أجدابيا . وفي درنة وكلّها تهتف بسقوط محاولة تهدف إلى تجزيئة ليبيا ووضعها تحت الإستعمار ، أي استعمار ، واستمر العصيان والمظاهرات في بني وليد وصرمان والعجيلات وتاجوراء والخمس وترهونة .

وأرسلت برقية من بنغازي إلى المؤتمر الوطني بطرابلس إليكموها «إن شعب برقة المتظاهر اليوم في مدنه وعاصمته ليشارككم في الموقف ويتحدّ معكم . إنه سيقف موقف الكفاح ضد الطغيان الظالم والجبروت الصارخ . إن بلادنا بحدودها الطبيعية لم تعد تعترف بغير استقلالها الناجز التام أو حرب المستعمرين الظالمين الطغاة» .

عن المتظاهرين : بوبصير ـ المطردي ـ بسيكري ـ شنيب ـ العبار ـ مخلوف ـ بن صويد ـ

بنغـازي ، في 1949/5/17م

وقد أجاب المؤتمر الوطني العام بطرابلس على برقية بنغازي بالبرقية التالية :

[برقية (الشعب) البرقاوي الشقيق المتظاهر المتحمس قد تلقاها (الشعب) الطرابلسي في حالة مظاهرة عظيمة جدا فهذه البرقية ومشاركة الوفد البرقاوي في

المظاهرات بطرابلس الآن زادت الشعب حماسة وتضامنا ، وسيواصل الكفاح والنضال في سبيل حرية ليبيا ووحدتها الطبيعية وسيقاوم الإستعمار بقوته وإيمانه ويضحّي بما لديه في سبيل حريته ، وعاشت ليبيا حرة وعاش تضامنها]

المؤتمر الوطني العام ـ طرابلس

أرسل الوفد الذي حضر من بنغازي إلى طرابلس للمشاركة في المظاهرات القائمة في طرابلس تجسيما للوحدة الوطنية بين سكان أقاليم الوطن الواحد الذي يحاول الظالمون تشتيته ، أرسل هذا الوفد البرقية التالية إلى إدريس ، جاء فيها ما يلي :
[نناشدكم الله والوطن تحقيق رغبات (الأمة) الليبية في وحدتها] عبد ربّه الغناي ـ محمد بشير المغيربي ـ عبد الحميد بن حلـيم .

وهكذا فقد استمرت تلك المظاهرات ليلا ونهارا بدون انقطاع منذ وقع تقديم ذلك المشروع الاستعماري الظالم إلى هيئة الأمم المتحدة إلى أن سقط في 17 مايو 1949م ذلك السقـوط النهائي الذي أدى إلى موته الأبدي . ولم تنته تلك المظاهرات بمجرد موت المشروع بل بمجرد وصول نبأ سقوطه ازدادت المظاهرات قوّة وكثافة إلّا أنها انقلبت من مظاهرات الانفعال والتواتر إلى مظاهر الفرح والتيه والسرور بذلك الانتصار العظيم .

وهنا أود أن أشير إلى شيء كانت له أهميته وتأثيره في سير القضية الوطنية ، ولكنه بقي سرا مكتوما ، وطالما اتّخذه المخالفون وسيلة دعائية لتشويه حركة المؤتمر الوطني لدى عامة الشعب كطريقة من طرق المقاومة ، ولكنهم فعلوا ذلك بدون جدوى .

ولم يكن عملهم هذا نتيجة جهل بالحقيقة . كلا بل كان نتيجة خبث وحقد على حركة المؤتمر عندما شعروا بضعفهم ورأوا التفاف الشعب حوله والتوفيق الذي حالفه .

والشيء الذي أشرت إلى أن له أهمية وتأثيرا في سير الحركة الوطنية ، وأردت إيضاحه الآن هو أنه كان قد وقع تفاهم واتفاق في نطاق محدود بين العناصر المسيرة للحركة الوطنية على مصانعة الإدارة الإنجليزية إلى حدّ ما . وذلك تقيّة من مكر

الإنجليز . حتّى نبعد خطر المطامع الإيطالية . ثم بعد ذلك نسفر عن الوجه الحقيقي للحركة نحو الإنجليز وغيرهم . والذي أعتقده أنها فكرة موفقة .

وفي اعتقادي لو أننا ظهرنا بالوجه العبوس من أوّل الأمر في مقاومة الإنجليز كمقاومتنا لمطامع إيطاليا لقابلنا الإنجليز بالعمل على تمكين إيطاليا من العودة إلى طرابلس على الأقل . وبذلك يستأثر إدريس ببرقة ! !

ذلك لأن بريطانيا كانت لها الكلمة العليا في ذلك الوقت خصوصا في ليبيا حيث أن جيشها الثامن هو الذي زحف من الشرق ، واقتحم البلاد وطرد الإيطاليين منها ، وسيطرت إدارتها العسكرية على البلاد الليبية كلّها . ولا عبرة بوجود فرنسا الضعيفة آنذاك في الجنوب الليبي الصحراوي . هذا مع وجود عناصر في البلاد كانوا يأملون عودة إيطاليا ، وقد عملوا لذلك ما أمكنهم العمل ، غير أنهم لما فهموا أخيرا ضعف موقف إيطاليا أخذت آمالهم تنهار في عودة إيطاليا ، ومن هنا صدوا عنها ، وأخذوا يتوددون للإنجليز .

هذه العوامل كلها مع ما عرفت به بريطانيا من الدهاء السياسي وبعد النظر . مع عداوتها للعرب والمسلمين ، تبين أن هذه الحركة الوطنية لو وقفت مناهضة للإنجليز كمناهضتها للطليان كما أشرنا آنفا ، لكانت النتيجة عكسية بدون شك . ومن هنا يفهم أن المصانعة كانت لها فائدتها . ومن المعلوم أن السياسة ومداوراتها لا ترتكز على قاعدة معينة وإنما هي تتطور كتطور البراكين قوّة وضعفا طبقا للظروف والحاجة .

قلت عداوة بريطانيا للعرب والمسلمين ، ولا أتراجع في هذا القول . لأن العداوة شيء واقع واضح ملموس ، فإن ما يعانيه العرب والمسلمون ، وما أصابهم في مقدساتهم الإسلامية منذ عشرات السنين ، فضلا عما قبل ذلك ما هي إلّا شواهد ناطقة على هذه العداوة . مع أن العرب فيما نعرف ونسمع ونشاهد لم يسعوا في عداوتها قط . لا بل يسعون إلى صداقتها . وأكثر من ذلك فإنهم قد أعانوها في ظروفها العسيرة ولا يزالون ، وبقدر وضوح هذه العداوة ، بقدر غموض أسبابها ، اللّهم إلّا إذا كان سببها التعصب الديني ، وإن كنا في القرن العشرين وإياهم . ولزيادة الإيضاح أقول : لقد اغتر العرب في المشرق بوعود بريطانيا التي تقضي بتكوين دولة عربية واحدة مستقلة ، وذلك في نهاية الحرب وفي حالة انتصار

الحلفاء ، قوام هذه الدولة الشعوب العربية التي ستقوم بالثورة على الدولة العثمانية ، وعلى هذا الأساس ثارت الشعوب العربية في المشرق بقيادة شريف مكّة المكرمة «حسين بن علي» وأولاده غفر الله لهم . ثاروا على الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية مقابل وعود بريطانيا كتابيا . وذلك في الحرب العالمية الأولى (1914 م ـ 1918) .

ولكن بريطانيا قبل أن يجف حبر رسائلها للعرب وذلك في سنة 1917 ، التفتت إلى اليهود ، ووعدتهم بفلسطين كوطن قومي لهم . هذا في الظاهر . وأما في الباطن فهو تخطيط مبيت رهيب يهدف إلى سلب العرب أراضيهم وحقوقهم ومقدساتهم . وقد ظهر خبر هذا الوعد وعلمه كثير من رجال الحل والعقد آنذاك وأسلحتهم في أيديهم وروح الحلفاء آنئذ بالغة التراقي . فلو أنهم وقفوا موقف المنتبه ، وصاح صائح عربي أن في الأمر خيانة ، قفوا ...

لو فعلوا ذلك لتبدل وجه التاريخ رأسا على عقب . ولا أدري لماذا لم يأبهوا للأمر في وقته ، بل واصلوا زحفهم للقضاء على دولة الخلافة الإسلامية في تلك الحرب التي لا وجود فيها لطائرات تذكر ، ولا قنابل ذرية تفجر . بل كانت الحروب وقتئذ تعتمد كثيرا على شجاعة الجنود ، ومهارتهم ، وإن العرب معروفون منذ القدم بالشجاعة والمهارة الحربية .

وهكذا فقد قضينا على دولة الإسلام التي طالما سعَى لديها اليهود مباشرة وبالواسطة لتسمح لهم بالتجمع في فلسطين ، ولكنها رفضت لمعرفتها نواياهم . وحافظت على بقائها عربية إسلامية . وانتهت تلك الحرب بفوز الحلفاء ـ وكان جزاء العرب عما فعلوه استعباد تلك الأقطار الثائرة لمدة ثلاثين سنة ، وفي خلال هذه المدة فتح الإنجليز أبواب البلاد المقدسة في وجه كل أفاق من اليهود والمتهودين تمهيدا لخلق دولة إسرائيل من ذلك الخليط . وهكذا كان جزاء العرب من طرف بريطانيا بصورة خاصة ، ومن طرف الحلفاء بصورة عامة «جزاء سنمار» ! ! ثم جاءت الحرب العالمية الثانية (1940 م ـ 1945) وعلى إثر انتهائها دفعت بريطانيا بذلك الخليط بعد أن تزود بأسلحتها واطمأنّ بضمانتها وبعد أن جردت العرب من كل سلاح فاندفع هذا الخليط في وحشية لا مثيل لها في التاريخ الحديث فأخذو يذبحون النساء والأطفال والشيوخ ذبح الخراف ، ويستولون على ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة ، هذا يقع وبريطانيا تنظر من عليائها نتائج أعمالها الغادرة ! !

ولعل بريطانيا كانت تتلذذ بذلك كما تلذذ احد قادتها «لا يحضرني اسمه الآن» حينما دخل فلسطين وتنفس الصعداء فقال : «الآن انتهت الحرب الصليبية» وكما قال القائد الفرنسي أيضا «الجنرال غورو» حينما دخل دمشق الفيحاء ، وقد قصد ضريح المغفور له «صلاح الدين» رضي الله عنه ، حيث وكز برجله ذلك الضريح الصامت ، وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين ، هذا ما نقلته لنا الأخبار . وهكذا فقد أوضح هذان الجنرالان أن حروب القرن العشرين والغدر بالعرب والمسلمين ليست إلّا امتدادا للحروب الصليبية التّي أثارها «البابا أوربان» الفرنسي في القرن الحادي عشر الميلادي ! !

وأعود للكلام عن الإنجليز ، فأقول : في ظرف ثلاث سنوات ، هي تلك التّي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثلاث سنوات برزت في خلالها نتيجة جهود بريطانيا في إذلال العرب بقيام حكومة ما يسمّى بإسرائيل وفي لحظة قيامها تسابقت أوروبا الغربية منها والشرقية بالاعتراف بها مقرونا هذا الاعتراف بتهديد العرب من طرف شخص بارز من الشخصيات الأروبية هو «تشرشيل» وتبعه الآخرون .

وجدت إسرائيل لتبقى ، وبهذه النتيجة أصبح الإرهابي الأول ، والمتوحش الأكبر ، والمعتدي الأفظع يلقب (بالمستر) ويتصرف تصرف الولد المدلّل إلى حد يتجرأ على رفض قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن بكل عنجهية . وهذا يعني عدم احترام العالم كلّه ، إلّا الغرب والشرق الأوروبيين ، المتدين ـ والملحد ، فاحترام إسرائيل للأول ناشئ عن رغبة لأنه هو خالقها وحاميها . أما احترامها للثاني فناشئ عن رهبة ، لأنها (أي إسرائيل) ليست أكثر من برغوث في ساق فيل ضخم طبقا لما جاء في تصريح أحد المسؤولين السوفيات في مناسبة ماضية .

أما فريسة الغدر الإنجليزي ، وشريد الظلم الأوروبي والغطرسة والأستبداد الأمريكي ، وضحية التعصب الصليبي (الشعب الفلسطيني) فقد أصبح يلقب عندهم بالإرهابي وبهذا اللقب لا تنطبق عليه إنسانية الغرب ، ولا يستحق إنصافه ، ولا تشمله عدالته إن كانت له إنسانية أو عدالة وإنصاف؟! !

هكذا فعلت بريطانيا وحلفاؤها ، ولا يعتبر غدرا لبريطانيا أبدا ما تتذرع به من تدخل هيئة الأمم المتحدة ، أو موقف أمريكا هذه الدولة الباغية ، أو قوة إسرائيلية طائشة لم تسطع لها كبحا ، وما عبارة «الوطن القومي لليهود» الذي تعترف بريطانيا

صراحة بأنها عملت له وتعمل لإبقائه ، إلّا بداية لتخطيط رهيب ومبيت لتكوين (دولة إسرائيل) وكانت .

وإلّا فإن بريطانيا هذه التي كانت العامل الأول والأقوى في هزيمة «تركيا /وألمانيا / والنمسا» من قبل ، وهزيمة «ألمانيا / وإيطاليا / واليابان» من بعد في الحربين العالميتين ـ الأولى والثانية ـ أتعجز هذه الدولة عن إيقاف تيار يهودي لولاها هي ، بالذات ، لم يستطع حتّى التفكير في القيام بهذه المغامرة ، حتّى ولو اجتمع يهود العالم كلّه في صعيد واحد ، وأفرغوا عقولهم تفكيرا ، وجندوا إمكانياتهم كلها؟!!

وهكذا فإن بريطانيا هذه «الفتية في الحرب والعجوز في السياسة» حينما أتمت مأموريتها سلمت الدور للولايات المتحدة الأمريكية. لتعود هي إلى التّقنّع بجلد الناسك المتبتل لاصطياد الضحايا من جديد . وتقوم سليلتها أمريكا برعاية وحماية المولود اللقيط . والحقيقة أن إسرائيل هذه ليست إلّا ذلك الحيوان المدرب الذي يطلقه صاحبه وراء صيد ليأتي له به فريسة ، لأنه حيوان طيّع ، إذا دفعته اندفع ، وإذا زجره صاحبه وقف لا يعصي له أمرا .

هكذا أرادت عدالة الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام هذا الحيوان المدرب لتصفية ما بقي لنا من الأراضي في فلسطين ، ثم بعد ذلك تدفعه ليواصل زحفه على الأراضي العربية الأخرى تحت حماية هدير أحدث الطائرات الأمريكية . ورهبة أشد القنابل والصواريخ النووية فتكا . ثم ترسل هي بجيوشها لاحتلال الأراضي الجديدة تحت عنوان المحافظة على السلام هذا إذا استطاعت ذلك ولكنها لن تستطيع لأن الحق معنا ، والله معنا ، والزمن معنا .

وفي اعتقادي أن حياة (دولة إسرائيل) هذه في المنطقة العربية لن يكتب لها الدوام ، بل إنها سائرة إلى الفناء قطعا إن عاجلا أو آجلا . فهي وإن كانت ستعيش فترة لا يستطيع أحد التكهن بمدتها إلّا أنها لن تذوق خلالها طعم الراحة ولا الاطمئنان إلى أن تحلّ ساعة سحقها «والشر بالشر والبادئ أظلم» اللّهم إلّا إذا انقلبت في نظامها وصارت دولة علمانية تعيش تحت لوائها كل الطوائف على اختلاف عناصرها ، وأديانها في عدالة واطمئنان ويا ليت شعري إلى متَى .

يعتبر العرب والمسلمون بعبارة ضبط النفس؟!! ثلاثة وثلاثون عاما والنفوس منضبطة. والسلام العادل يزداد ابتعادا. والخطر ينمو ويزداد اقترابا. فإلى متى يستمر حسن الظن بالمسيئين؟!! وإلى متى نستمر في حجب «شعاع الشمس بالغربال» نندد بإسرائيل هذه الدولة المصطنعة، وهي كما وصفناها آنفا. ونترك موضع الداء العضال كي يستشري في جسمنا حتّى يقضي على بعض أعضائه بالوهن. ثم يصاب الجسم كلّه بشلل قد يصعب علاجه؟!!

أمريكا التي تمتلك من القنابل والصواريخ النووية ما يدمّر الكرة الأرضية بأكملها. فضلا عن قنابل «النيترون» تلك التي تفني العباد، وتترك البلاد خالية تنعى من بناها، وكأن المباني أفضل من البشر!! ولا يكفي الولايات المتحدة الأمريكية كل ذلك حتّى دفعت إسرائيل إلى صنع السلاح الذري، حامية إياها من كل مراقبة رغم القوانين الدولية، وهو الأمر الذي دفع أحد الشخصيات العلمية الإسرائيلية أن يرفع صوته علنا مطالبا حكومتها بسحق العرب عن بكرة أبيهم بواسطة ما امتلكته من القنابل الذرية على علم ومسمع من أمريكا.

والولايات المتحدة الأمريكية نفسها، هذه الدولة الضخمة، تهدد بدورها الدول النامية بهذا السلاح الرهيب. فلقد سمعت بأذني إبان وجود الرهائن الأمريكان في «إيران» صوتا يرتفع في الإذاعة، مهددا حيث قال حرفيا وباللغة العربية: «تذكروا قنبلة هيروشيما» ونحن لا يهمنا من هو صاحب الصوت ولا من أي إذاعة أطلقه، ولا مستواه الاجتماعي. وإنما هو صوت ارتفع على حساب أمريكا ولم يلق أية معارضة أو استنكار، والسكوت على الشيء رضا به.

ولم يقف استبداد أمريكا وظلمها عند هذا الحد. بل إنها في الوقت الذي امتلكت فيه هذا السلاح حوالي عشر دول. من بينها ما هي أكثر خطرا على البشرية، وأكثرها طيشا وطمعا وحقدا على الناس تقف الولايات المتحدة الأمريكية في وجه الدول النامية مانعة إياها من امتلاك نفس السلاح لتؤمّن به نفسها، وتتجنب الخطر. فبأي حق، وبأي منطق أو عدالة يقع هذا الحيف؟ أليس هذا حكما بالإعدام على الآخرين من طرف أمريكا؟!!

لقد جمح بنا الفكر، وطفح بنا القلم في متاهات الاستطراد حول الخبث والغدر الإنجليزي. والظلم والاستبداد الأمريكي. والحديث ذو شجون كما يقولون. حتّى

لقد كاد أن يخرج بنا عن موضوعنا ، وإن كان حتّى هذا الاستطراد يعتبر من جملة المذكرات ، لأننا عاصرنا هذه الحوادث كلّها ، وانطبعت في صفحات قلوبنا ، وحفظتّها الذاكرة ، فهي أيضا من المذكرات . ولم تخرج عنها إلّا من حيث تحديد الزمن الذي نتكلم في حوادثه ابتداء بانهزام إيطاليا حتّى قيام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة وهذا الاستطراد عاد بنا إلى الماضي الأبعد إلى أكثر من ستين عاما قبل يومنا هذا .

وعلى كل فلنعد إلى موضوعنا

داخل ستة وعشرين عاما ، أي : 1943 ـ إلى ـ 1969 م فأقول : كنتيجة لهذا الدور المليء بالمراوغات السياسية واللف والدوران ، ذلك الدور الذي لعبته هيئة تحرير ليبيا وسار عليه المؤتمر الوطني من مصانعة الإدارة البريطانية طوال المدة التي كانت فيها الحركة الوطنية تشغلها بصورة خاصة مطامع إيطاليا ومساعيها في العودة إلى طرابلس ، وهو الأمر الذي جعل هذه الإدارة تشعر بشيء من الاطمئنان نحو موقفنا ، فأخذت هي الأخرى في مقاومة المطامع الايطالية حيث كانت إذاعة (لندن) ذات المقدرة الفائقة في تصوير الأخبار بصورة تنفذ إلى قلب السامع ، والسم في الدسم .

كانت هذه الإذاعة تنشر على العالم أخبار المظاهرات في ليبيا ، وكثيرا ما تبالغ في وصفها من الناحية العددية . وكنا نحن نظن أننا قد نجحنا في استدراج الإدارة البريطانية حتّى أصبحت تعمل في جانبنا ، وإن كنا ندرك أن عملها ذاك ، لم يكن القصد منه تحقيق آمال الحركة الوطنية الليبية على الكيفية التي تضمرها هذه الحركة جـزاء عما قدمه لها ولحلفائها الليبيون أثناء الحرب العالمية الثانية في المشرق والمغرب العربيين وداخل الوطن . وإنما كان لها في ذلك هدف آخر معروف . ومن الأسباب الرئيسية لتحقيق هذا الهدف احتواء الحركة الوطنية .

وهكذا ، فقد كانت الإدارة البريطانية تظن أننا في جانبها . كما أننا نحن كنا نرى أن موقفها ذاك في مصلحتنا بصرف النظر عما تضمره . وفي نفس الوقت كنا منتظرين ساعة الفراق التي سيكون لها أثر شديد لنا أو علينا . وعلى كل فقد واصلت الحركة الوطنية والإدارة البريطانية عملها المنسجم في مقاومة مطامع إيطاليا إلى أن حولت

قضية الوطن إلى هيئة الأمم المتحدة . وبهذا التحول بدا لنا أن خطر عودة النفوذ الايطالي قد ابتعد إلى حدّ ما .

ومن هنا بدأت الإدارة البريطانية في محاولة جني ثمار ذلك الموقف . وذلك الانسجام فطلبت من رئيس هيئة التحرير المغفور له «بشير السعداوي» أن يؤلف حكومة إقليمية على غرار حكومة (برقة) التي أعلنت سنة 1949م واعترف بها الإنجليز أنفسهم ولكن سرعان ما نسفتها الإرادة الشعبية . ولكن السعداوي رفض هذا الطلب بحجّة أنه ليس من المعقول ، ولا من المصلحة الوطنية ، أن يتلقّى أمرا كهذا من بريطانيا ويعمل به بينما القول الفصل في الموضوع يجب أن يكون عن طريق هيئة الأمم . وليس من بريطانيا . وحاولت بريطانيا ذلك مرتين ، في الوقت الذي يطالب فيه الشعب كلّه بوحدة البلاد . ومن هنا تغير موقف الإدارة تجاه الحركة الوطنية حيث تأكدت هذه الإدارة من أن فترة المصانعة التي كانت تسير عليها الحركة الوطنية غير جادة ولذلك لم تأت بنتيجة ، ومن ثم بدأت الإدارة في محاربة الحركة الوطنية بصورة واضحة وعنيفة .

حتّى لقد شعر الكثير من عناصر الحركة الوطنية أن تتبعا بوليسيا يتابعهم أينما اتجهوا ليلا ونهارا . حتّى لقد كاد أن يكون مفضوحا . لأن الهدف منه إرهاب الشعب لكي يتخلى عن مؤازرة الحركة الوطنية بعامل الخوف . وفي يوم من تلك الأيام أشارت الإدارة إلى جريدة (طرابلس الغرب) وكان يترأس تحريرها الأستاذ «منير برشان» رحمه الله تعالى ، أشارت إليه بأن يعمد إلى تقليل شأن الحركة الوطنيين ، وتضاؤل شعبيتها عندما يصف اجتماعاتها . وقد وقع ذلك فعلا ، ففي وصفها لاجتماع كبير ألقيت فيه عدة خطب قالت الجريدة... وحضرته مجموعة من الناس لا بأس بها ، وهو الأمر الذي دفع رئيس المؤتمر في اليوم التالي إلى إلقاء خطاب هاجم فيه هذه الجريدة ولم يدع إلى مقاطعتها ولكنه وصفها «بالوريقة» الصفراء ، ومن الغد أصبحت هذه الجريدة اليومية أكداسا مكدسة عند الباعة فلم يشترها أحد من الشعب ، فازداد غضب الإدارة ، وأخذت في مطاردة المدرسين والموظفين والعمال . وأخذت تبعد قسما منهم إلى أماكن نائية . وتحرم آخرين من الترقية ، وتنزل آخرين من درجة إلى درجة أسفل منها ، وغير ذلك .

وبالجملة فقد أوجدت الإدارة جوا من الارتباك والبهذلة في أوساط الشعب . ظانة في مخيلتها أن تصرفاتها تلك ستجعل الشعب ينفض من حول الحركة الوطنية . والأمر الجدير بالملاحظة في هذا الموقف الذي أسيء فيه إلى الشعب كثيرا لا لشيء. إلاّ لأنه تمسك بحقّه ، هو أن هذه التدابير وغيرها ضد الحركة الوطنية كانت من تصرفات ضابط الاتصال المدني «المستر جريتوريكس» وقد اشتدت وطأة هذا الضابط على الشعب نظرا إلى أنه يتقن اللغة العربية الدارجة باللهجة المصرية بكل طلاقة وهذا ما مكّنه من الاتصال المباشر بالجميع ، جميع الطبقات من القمة إلى القاعدة . وهو رجل دائم الحركة جم النشاط طلق اللّسان ، حتّى لقد أثرت مساعيه على بعض العناصر المؤثرة في المجتمع تأثيرا واضحا وهذا خطر مخيف . وليس هذا بالأمر الغريب ، فالناس في أكثريتها مع المصالح الخاصة قبل العامة . وقليل ما هم الذين يدركون أن المصلحة العامة هي الضمان الحقيقي لبقاء ودوام المصلحة الخاصة .

ومن هنا فكرت كثيرا في عمل ما يحط من هيبة «جريتوريكس» هذا في نفوس الشعب ، وقد يحدّ من نشاطه ويخيف أولئك الذين يتواردون عليه في جنح الظلام ، فعثرت على طريقة رأيتها صالحة على حد تفكيري . ولم أطلع السعداوي على ما عزمت عليه ، لأن السعداوي كان يكره العنف . ولا يوافقني لو أطلعته . وهذه الطريقة تمثلت في عنصر من العناصر التي وضعت نفسها في خدمة الوطن . فتحين هذا العنصر الفرصة . وفي ليلة مظلمة وفي فترة اختفاء المارة ألقى هذا العنصر «قنبلة» على بيت ذلك الضابط الخطير ، الكائن بشارع ميزران . وهو بيت «آل فكيني» اليوم وقد احدثت هذه القنبلة دويا هائلا في سكون ذلك الليل المظلم ، فحطمت زجاج المبني ، وزعزعت الأبواب ، وصاحب البيت لم يكن موجودا به عند وقوع الانفجار ، وإنما كانت هناك زوجته التي روعها الانفجار «ولو علمت أنه غير موجود لتأجلت العملية» إلى فرصة أخرى ، وأقول إنني لما علمت بعدم وجود صاحب البيت تأسفت كثيرا . ولكن سبق السيف العذل كما يقولون .

وفي صباح اليوم التالي للانفجار ، وحوالي الساعة التاسعة صباحا تقريبا خرجت من (فندق طرابلس الغرب الذي كنت أسكن به مدّة أيام الحركة ، خرجت من الفندق واتجهت نحو مبنَى الحكومة «مبنَى وزارة الداخلية حيث مكتب ضابط الاتصال المدني ، فدخلت عليه في مكتبه ، وبعد التحية سألته في أسف واستنكار سمعت البارحة وأنا في الفندق صدى صوت انفجار شديد ، وبما أنني من عادتي ألّا

أخرج بالليل فلم أعرف عن هذا الانفجار شيئا إلّا هذا الصباح. التقيت ببعض الإخوان فسألت عن سبب الانفجار فقيل لي : إنه في بيت (المستر جريتوريكس) فأزعجني الخبر، فجئت إليك لأتثبت، فهل الخبر صحيح؟ قال نعم صحيح قلت أرجو أن يكون سليما.

وهنا نظر إليَّ الرجل نظرة الفاحص المتأمل، وفي نظرته شيء من الريبة، وقال لي : الأمر صحيح كما سمعت وأنا لم أكن ساعتئذ في البيت. ولكن زوجتي هناك انزعجت. ثم أردف قائلا : «نعم في بيتي الانفجار وإن شاء الله ما يكونش من أصحابنا اللي عرفناهم وعرفونا» فأجبته بأنني لا أعتقد ولا أظن حتّى مجرد الظن أن أصحابك الذين عرفتهم وعرفوك هم من هذا النوع الذي يعمل مثل هذه الأعمال المتهورة دون تفكير في عواقبها. وما قد يعود على البلاد بسببها، بل هم أرفع من ذلك تفكيرا وأكبر عقلا، وقد تبادر إليَّ من خلال نظرته وعباراته هذه أنه يتهمني بطريقة غير مباشرة بارتكاب هذه العملية، وعلى كل فقد أصاب تفكيره كبد الحقيقة في الموضوع «ولكن أين الحجة»؟ لقد جعل يلوح تلويحا عسَى أن يفهم شيئا في وجهي. ولكن ...

وبعد أيام تالية لا أتذكر عدتها أعلن في جريدة طرابلس الغرب عن جائزة مالية بمبلغ خمسة آلاف فرنك «مال» والمال هذا عملة أوجدتها الإدارة البريطانية للتعامل بها بدلا من الليرة الإيطالية، وقد كانت هذه العملة (المال) الأربعمائة وثمانون منها تساوي جنيها ليبيا، هكذا كان صرفها حينما أوجد الجنيه وأبطل المال هذه الجائزة لمن يكتشف الذي قام بعملية الانفجار الذي وقع بمنزل ضابط الاتصال المدني، ولكن الجهود والتحريات ذهبت أدراج الرياح، وانطوى سرها في أكفان التاريخ إلى اليوم ذلك لأنه لا يعرف الفاعل، أيا كان، إلّا أنا، ولو علمه غيري لانفضح االأمر بسهولة، لأن الناس عبيد المال، إلّا من رحم ربّك، وقليل ما هم، خصوصا وأن مبلغ الجائزة يعتبر مغريا في تلك الظروف جدا.

زيارة منطقة سِرت
ومعاكسات حزب الاستقلال

بعد تلك الجولات التي كانت تقوم بها هيئة تحرير ليبيا في مختلف أنحاء الوطن . والاتصالات العديدة بإدريس والشخصيات الأخرى في إقليم برقة ، جريا وراء الوصول إلى وحدة الوطن ، تلك المساعي التي كان من نتائجها اجتماع « مؤتمر مسلاتة » والتي انتهت اجتماعاته على النحو الذي أوضحناه قام المؤتمر على أنقاض الأحزاب من الناحية العملية . وواصل المؤتمر جولاته على غرار ما كانت تقوم به هيئة التحرير محذرا المواطنين من الدعايات التي كان يقوم بها الاستعمار الإنجليزي والإيطالي والفرنسي بمختلف الوسائل والوسائط ، والعمل على تهيئة الشعب للوقوف في وجه المناورات الأخرى وما أكثرها آنذاك . وإعداده لما قد يتطلبه الوطن في مستقبل الأيام .

وفي سلسلة تلك الزيارات جاء دور زيارة منطقة « سرت » . وزيارة هذه المنطقة يجب التفكير فيها مليًّا ، والإعداد لها قبل القيام بتنفيذها ، ذلك لأن « سرت » هذه كادت أن تكون في أفكار الشعب منطقة « منتصرية » تماما . ولعلها كانت في الواقع كذلك ، إذ كانت سيطرة آل المنتصر المصراتيين في العهدين العثماني ـ والإيطالي ـ على سرت معروفة . ذلك لأنهم كانوا يمتلكون قسما كبيرا من أراضيها . حيث منحتهم إياها الدولة العثمانية إبان حكمها في ليبيا . لأسباب يطول شرحها . وبالتالي فإن البحث فيها ليس من متعلقات موضوعنا هذا .

كما أنه في أغلب الأوقات كان حكام سرت من آل المنتصر أو من محاسيبهم ، وقد انجرت لهم هذه الميزة وغيرها نتيجة لمواقفهم من أية دولة حلت بليبيا ، وعلى أي وجه كان حلولها . كانوا هم دائما من انصارها وعملائها وهو الأمر الذي جعلهم يسيطرون باستمرار حتّى على السكان أنفسهم في المنطقة ، فأمرهم بين قبائلها نافذ طوال ثلاثة عهود عرفناها هي : العثماني ـ الإيطالي ـ الإدريسي .

ومن هنا ، من هذا الوضع للمنطقة أصبحت زيارة « سرت » تشكل مشكلة فكرية داخل المؤتمر . ورغم ذلك فإن المؤتمر الوطني كان يرى أن اقحام منطقة « سرت » أمر ضروري لا يمكن التخلي عنه . ومن هنا دعا رئيس المؤتمر أعضاء مكتب

المؤتمر للعمل الدائم لبحث زيارة سرت والطرق التي تتضمن نجاحها في جلسات محدودة وسرية ، حتّى لا تصل الأخبار إلى حزب الاستقلال قبل القيام بالزيارة ، خصوصا وأنه مع وضع المنطقة الآنف الذكر ، فإن الحاكم الأعلى فيها هو : «الصديق المنتصر» رحمه الله تعالى ، أحد أفراد هذه العائلة ، وهذا ما ضاعف الشكوك في موقف قبائلها .

واصل أعضاء مكتب المؤتمر بحثهم في جلسات متوالية ، وبعد دراسة الموضوع دراسة مستفيضة رفعوا تقريرا بما وصلوا إليه لرئيس المؤتمر جاء فيه فيما يختص بزيارة سرت : (... بعد دراستنا للموضوع فإننا نرى أنه لا يمكن لنا القيام بزيارة منطقة سرت إلّا بعد مقدمة تمهيدية تسبق الزيارة نظرا إلى وضع المنطقة وهي فيما نتصوّر لا تخلو من خلافات في الاتجاهات . وعليه فالزيارة بدون مقدمة توضح لنا حقيقة الوضع والحالة تلك قد تزيد الخلافات تفاقما والموقف حرجا . وهذا ما يتحاشاه المؤتمر ، لأن من مبادئه الرئيسية توحيد الشعب .

كما أننا نرى فيما يختص بالمقدمة التمهيدية ، ضرورة تأليف وفد من شخصيات على مستوى جيّد من النواحي الشخصية والقبلية والاجتماعية ، لكي تقوم بمهمة الاتصال بقبائل «سرت» وبرجال الحل والعقد فيها ، فإن العرب كما هو معروف عادة يستجيبون للعناصر التي تتوفر فيها هذه الصفات . وتبعا لإشارتنا هذه . ونرجو أن لا نكون قد تجاوزنا حدود ما كلفنا به ، عندما نشير إلى أن المصلحة تقضي بأن تؤخذ عناصر الوفد من ثلاث مناطق هي : «مسراتة ـ ورفلة ـ ترهونة» نظرا لقرب هذه المناطق من سرت ، ولما لها من الصلة بقبائلها . ونحن لا نعني الاقتصار عليها . وإنما وجودها أقرب إلى النجاح . هذا ما توصلنا إليه حسب اجتهادنا . ونرجو أن نكون قد توفقنا إلى أفضل طريق في الموضوع ... الخ والله ولي التوفيق .

سلم هذا التقرير إلى رئيس الحركة فاحتفظ به حوالي ثلاثين يوما . كنّا في خلالها ننتظر رأيه فيما وصلنا إليه ، وهل وفقنا؟.. ولكنه سكت ، وبعد هذه المدة وفي يوم من تلك الأيام جاء دور زيارة (ورفلة) فاجتمع أمام مقر المؤتمر حوالي أربعين شخصا من أعضاء الحركة الوطنية ، وفي المقدمة رئيسها ونوابه ، وفي حوالي الساعة التاسعة صباحا حضرت السيارات وكانت كلّها سيارات أجرة . وكانت دائما على حساب

الحركة الوطنية . ومن بين هذه السيارات سيارة « بشير العداوي » وسيارة أخرى تابعة للحركة الوطنية . وبعد حوالي نصف ساعة تحرك رتل من السيارات في اتجاه ورفلة .

استقبل أهالي ورفلة الزائرين بحفاوة وابتهاج بالغين . وقد كان يمثل الحركة الوطنية هناك أحد أعضاء اللجنة التنفيذية وهو السيد « علي ثامر » وكان بالطبع على رأس المستقبلين . وبعد أن ألقيت الخطب ، وجرت الاتصالات وتمت الزيارة ، وفي منتصف الليل من تلك الليلة نفسها ... عقدت جلسة محدودة وسرية ، ومن بين المجتمعين صاحب هذه الذكريات ، وفيها تقررت شخصيات الوفد وتحدّد موعد سفره ، أما شخصيات الوفد فهي : (علي ثامر ، ورفلة ــ سالم المريض ، ترهونة ــ الشيخ علي الكالوش ، مصراتة) .

وهذا الأخير لم يكن حاضرا في ورفلة. إنما هو في مصراتة وقد وقع عليه الاختيار من طرف المجتمعين . وبعد عودة المجموعة إلى طرابلس بأيام لا أتذكر عدتها . سافر سالم المريض من ترهونة إلى ورفلة حيث اتصل بـ « علي ثامر » ومن الغد سافر الاثنان إلى مصراتة وهناك انضم إليهما الشيخ علي الكالوش . وبعد يوم في مصراتة انتقل ثلاثتهم إلى « سرت » .

بلغ إلى حزب الاستقلال خبر سفر وفد المؤتمر إلى « سرت » كما عرف أيضا ممن يتألف الوفد والمناطق التي تألف منها ، فأسرع هو الآخر إلى تشكيل وفد على غرار وفد المؤتمر . حيث أخذت عناصره من نفس المناطق التي تألف منها وفد المؤتمر فكان كما يلي :

(عبد القادر المنتصر ، مصراتة ــ أبو بكر بونعامة ، ترهونة ــ عبد الله معتوق ، ورفلّة) وأسرع هذا الوفد بالسفر إلى سرت ملتحقا بوفد المؤتمر ، عسى أن يستطيع صرف الجماهير عنه ، أو مشاركته فيها على الأقل ولكن الحالة هناك ظهرت على غير ما كنّا نظنه . حيث أظهر الموقف عكس ذلك تماما . إذ ما كاد ينتشر خبر وصول وفد المؤتمر بين قبائل المنطقة حتّى هرعت أفواجا متلاحقة إلى مدينة « سرت » من كل حدب وصوب مرحبة بقدومه مستجيبة لندائه .

بينما كانت الجماهير في نشوة منبعثة من شعور وطني كامن في النفوس . والبلاد على قدم وساق بين صهيل الخيول . وأهازيج الرجال . وقوافي الشعراء ، وزغاريد

النساء ، إذ وصل إلى المدينة «سرت» وفد حزب الاستقلال . وعلى الرغم ممّا كنا نتوقعه من أنه قد يقع انقسام في موقف الجماهير . فقد بقي الجو على ما هو عليه . كأن تلك الجماهير لم تشعر بقدوم هذا الوفد الاستقلالي . فلقد وقف أفراده قليلا بالقرب من تجمّعات الجماهير عسَى أن تلتفت إليه الأنظار. ولكن لم يلتفت إليه أحد إلّا شخص واحد هو على ما أتذكر أحد مشايخ الفرجان ، ذكر لي اسمه ، ولكني نسيته .

وبهذا الموقف صار وفد حزب الاستقلال يائسا . بل ساوره شيء من الخوف حينما حاول الاتصال ببعض العناصر القبلية ، فالتفتت له أنظار الجماهير ، فانتبه لذلك المتصرف ، ودعا أفراد هذا الوفد ، وأنذرهم بأنهم إذا تمادوا في محاولتهم في هذا الجو الصاخب ، قد يقع عليهم اعتداء من طرف الجماهير. وقد لا يستطيع حمايتهم وعليه نصحهم أن يبقوا جانبا إلى أن ينتهي وفد المؤتمر. وبعد ذلك يستطيعون الاتصال بمن يريدون ، ولا أحد يمنعهم . وقد انصاع أفراد الوفد إلى نصيحة المتصرف فأووا إلى بيت خصّصه لهم المتصرف نفسه ، ولا أدري ماذا فعلوا بعد ذلك ، إنما الذي أعلمه أن قبائل سرت كلّها بقيت مع المؤتمر.

وبعد نجاح وفد المؤتمر في مهمته التي ذهب من أجلها إلى سرت . عاد إلى طرابلس ، وعندئذ أخذ المؤتمر في الاستعداد لزيارة منطقة سرت . وبعد أيام معدودات كانت أرتال السيارات تغادر طرابلس في اتجاهها شرقا إلى سرت . وقد استقبل مواطنو المنطقة هذه الزيارة بحفاوة وسرور بالغين . وبعد اجتماعات تمهيدية بين وجهاء وأعيان المنطقة ، والسعداوي تمكّن المواطنون في اليوم التالي لتلك الاجتماعات من تشكيل فرع للمؤتمر ، وقدموا لرئيس المؤتمر كشفا بأسماء رئيس وأعضاء الفرع ، فوافقهم على ما اتفقوا عليه ، وقد دامت زيارة سرت هذه ثلاثة أيام .

* * * *

حول زيارة ادريس إلى لندن
في يوليه من سنة 1949م

أشيع في أواخر يونيه 1949 م أن دعوة من بريطانيا وصلت إلى إدريس لزيارة لندن ، والإيطاليون كانوا لمثل هذه التحرّكات بالمرصاد ، ليحاولوا إفسادها بأية

وسيلة أتيحت لهم ، رغم ما هم عليه من ضعف مادي ومعنوي ، لأنهم لا تزال تراودهم المطامع في عودة نفوذهم إلى ليبيا على أي وجه من الوجوه . وقد علموا بالتأكيد بهذه الدعوة ، وعلموا بموعد السفر وطريقه ، حيث إنه سيمر بطرابلس ومنها يواصل سفره بحرا .

وقبل مجيئه بحوالي خمسة عشر يوما تقريبا جاءني ذلك الرجل الذي كان قد استضافني في يوم من تلك الأيام الماضية . وبعد تبادل التحيّة قال لي : هناك جهة إيطالية تودّ الاجتماع بك . قلت : وأية صلة بيني وبين الجهة الإيطالية هذه حتّى تطلب مقابلتي ؟ ـ فقال صاحبي : ماذا تخسر أنت في المقابلة ؟ بل قد تكون فيها فائدة لك . قلت طيب ، أنا مستعدّ ، حدّد لي معها المكان والزمان ، وأعلموني بهما قبل الوقت لكي نتفرغ .

ولقد تمّت هذه المقابلة فعلا ، فما هي نتيجة المقابلة ..؟ ثلاثة أشخاص من الإيطاليين وجدتهم في انتظاري ، واحد منهم يتكلّم العربية باللهجة الليبية كأنه ليبي قح . بعد مقدمة غير طويلة قالوا لي : اسمع ، إنّنا نؤكد بكل صدق وبشرف أن جاليتنا لم يعد لها أي مطمع في بلادكم مطلقا لأسباب كثيرة . ولكنّنا في الوقت نفسه لا نريد أن يحل الإنجليز محلّنا في ليبيا . ولذلك فنحن على استعداد لمساعدتكم بكل ما نستطيع حتّى تتمكنوا من القضاء على المؤامرات التي تحاك حول بلادكم ، وبذلك تحققون استقلالكم ونحن في إعانتكم . وعليه فإنه لدينا مشروع لمقاومة هذه المطامع . وفي رأينا أنه لا يستطيع القيام به غيرك فإذا كنت مستعدا فإننا نشرحه لك .

قلت : ابسطوا لي الموضوع ، ودعوني أفكر ، أأستطيعه أم لا ؟ ثم أجيبكم . فقالوا بما أنّنا درسناك وعرفناك جيّدا ، وعرفنا موقفك من الحركة الوطنية وأن كلمتك مسموعة في أوساط الشعب فإننا على استعداد لنرصد لك مبلغ مليون ونصف المليون فرنك « مال » باسمك تسحب منه كما تشاء ، على أن تجند العشرات من شباب المدارس وغيرهم وتبذل لهم العطاء بكل سخاء ، ليشتروا كميات من « الكبسول » الشديد الإنفجار كذلك الذي يفجرونه في مناسبات الأعياد وبما أن إدريس لا بد أن تصحبه مجموعة من برقة ، كما ستنضم إليها مجموعة أخرى من هنا ، فعند وصول تلك إلى طرابلس وانضمام هذه لتلك فليتخلّل الشباب الموكب ويبدأ في التفجير بصورة

كثيفة ومتوالية في وقت واحد ، ويصيحوا بسقوط الإستعمار الإنجليزي وكل الإستعمار وأذنابه .

وإلى هنا قلت أنا سمعت المشروع ، وهو جدير بالدرس ، فأعطوني مهلة للتفكير ، قالوا نحن في انتظارك متى شئت . المهم قبل فوات الأوان . قلت بعد يومين أجيبكم إن شاء الله . وألاحظ هنا أنّني فهمت من أوّل وهلة أنهم يهدفون من وراء ذلك إلى فصل برقة عن طرابلس ، لأنهم يتوهّمون أنهم بذلك قد يحققون آمالهم التي كانت تراودهم . وهي : العودة إلى طرابلس على أي وجه من الوجوه الاستعمارية المتعدّدة .

ولقد كتمت هذا الخبر إذذاك على أي كان ، إلّا شخصا واحدا ، لثقتي فيه أوّلا ، ولأنه لا يخالفني . وثانيا لأتخذه كشاهد إثبات ليوم يتيسر لي فيه نشر هذه المحاولة . وهذا الشخص هو الأخ (سليمان أبو زيد دهان) ولكن شاء القدر أن ينتقل الأخ سليمان إلى رحمة الله تعالى ، تولّاه الله برحمته .

وبعد كما كنت وعدتهم ذهبت إليهم وبصحبتي (سليمان المذكور) واجتمعنا من جديد ، وبحثنا الموضوع ، ثم طلبنا التأجيل ليوم واحد . وبعد خروجنا قال الأخ سليمان : المبلغ مغر ، لو توافقني نقبل ونبدأ بسحب أكبر مبلغ . قلت : كيف يا سليمان ، تريد أن نخون أنفسنا .. ! قال : لا . لا نخون أنفسنا بل نأخذ المال ، ولا نفعل ، وماذا عساهم أن يفعلوا؟ فهم لا يستطيعون إفشاء هذا السر .

قلت : ولكنّها خيانة حتّى مع العدو ، ثم إنهم قبل أن يتّصلوا بنا عرفوا عنا كل شيء ، وإذا كانوا لا يستطيعون إفشاء هذا السرّ اليوم فلا يمنعهم مانع من إثباته في التاريخ ، وسيخرج للمجتمع يوما ما . ومن هنا من هذا الاجتماع انقطعنا عن الإطاليّين ولم نعد إليهم ، إنما أبلغناهم عن طريق الواسطة بأننا لا نستطيع القيام بمثل هذا العمل . ثم قلت له (أي للواسطة) حذرهم أن أية بادرة تشويش تحدث فسيكونون مسئولين عنها . وإنّني بمجرد ذلك سأبلغ الجهات المسئولة ، وسأنشر على كل ، فليحذروا .

وفي اليوم الثامن شهر يوليو 1949 م أعلن من شرفة مقر المؤتمر أن إدريس سيزور طرابلس في اليوم العاشر منه ، ودعا الجماهير المحتشدة أن تنادي بليبيا مستقلة موحّدة ، وفي الموعد المحدد وصل الرجل إلى طرابلس . وقد كانت صيحات الوحدة

والاستقلال تتردّد في كل مكان مرّ به الزائر . وقد قصد هو والسعداوي مقر المؤتمر الوطني بشارع عمر المختار وألقى السعداوي كلمة الترحيب ، جاء فيها ما يلي :

هذا اليوم التاريخي الذي أعلن فيه الشعب عن هذه الأمنية الغالية والبغية السامية التي طالما تاقت لها النفوس ، وهتفت بها القلوب ، وهي وحدة الوطن واستقلاله ، وأقول إن هذه الزيارة جاءت في زمن مناسب ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق لهذه البلاد ولهذه (الأمة) أمانيها الوطنية » .

ثم أجاب إدريس على كلمة السعداوي وقد جاء جوابه : « إني أشكر هذا الشعب في شخصكم ، وأشكركم على خطبتكم هذه البليغة وأشكركم جميعا . وأشكركم وأشكرهم جميعا ... وإني سأبلغ الحكومة البريطانية أمانيّ طرابلس وبرقة وكل البلاد الليبية ...الخ » .

وصل الزائر إلى لندن يوم 15 منه ، وقد أشادت به جريدة (التايمس) في افتتاحيتها قائلة إنه يستحق المؤازرة من الحكومة البريطانية لكونه سياسيا عربيا وصديقا مخلصا لبريطانيا . وفي اليوم التاسع عشر منه قابل (بيفن) وزير خارجية بريطانيا آنذاك ، وفي 21 منه أقام له ملك الإنجليز حفلة في حديقة قصر « باكنجهام » وفي الثاني والعشرين منه زار الإذاعة ...

وفي 29 منه أذاعت وكالة (روتر) أنه سيغادر لندن يوم 7 أغسطس ، وقالت إن محادثاته تركزت حول الدستور المقترح وضعه ، والأعضاء الذين ستشكل منهم الحكومة ، وأنه سيكون مسؤولا عن الشئون الداخلية في برقة. أمّا الخارجية فتحت الرقابة البريطانية ، وفي 13 منه وصل إلى (باريس) وبصحبته « فتحي الكيخيا » واستقبله عند وصوله إلى باريز ، استقبله « دي كندول » حاكم برقة البريطاني ، وموظفو السفارة البريطانية وموظفون فرنسيون .

وفي يوم 3 سبتمبر 1949م وصل إلى طرابلس من بنغازي مجموعة قوامها خمسة عشر شخصا هم : (الصديق الرضا ـ أبو القاسم أحمد الشريف ـ حميدة المحجوب ـ علي جعودة ـ عبد الحميد العبار ـ الطاهر العسبلي ـ جربوع أبو عبد الجليل ـ منصور أبو مازق ـ صالح أبو خليفة ـ مصطفى السلاك ـ سالم بن عامر ـ الشيخ عبد الحميد الديباني ـ الحاج عبد الكافي السمين ـ عمر كانون ـ حسين الفقيه) .

في يوم السبت 3 سبتمبر الساعة الثالثة بعد الظهر وصل إدريس إلى طرابلس . وقصد « المؤتمر الوطني » وبعد ربع ساعة غادره إلى « فيلا فولبي » سابقا ، حيث نزل ضيفا على الحاكم الإنجليزي «كلارك» (بسكون أوّله وآخره) ، وأقام له هذا الحاكم حفلة دعا إليها رؤساء الأحزاب وقتئذ وكبار رجال الإدارة البريطانية .

وجريا وراء فرض وحدة الوطن ولو بطريقة غير مباشرة ، أي بتوريط إدريس فيها دون علم منه ، وباستدراج سفراء الدول أيضا فقد طبعت بطاقات الدعوة باسم أمير ليبيا دون استشارته . ووزعت البطاقات تدعو للحضور إلى حفلة أقامها المؤتمر الوطني العام في حدائق عمارة المحاكم « قصر الشعب اليوم » ذلك كان مساء يوم السبت الثالث من سبتمبر 1949 ولكن انتبه السفراء للأمر فامتنعوا جميعا عن الحضور ، وفي صباح يوم الإثنين الموالي غادر الرجل طرابلس إلى بنغازي .

من الإغـراءات الـتي وقــعت لي

شخصية بارزة ذات مركز اجتماعي وتاريخي استوقفتني في يوم من تلك الأيام على حين غفلة ، وهذه الشخصية شخصية صديق وأنا أعزّه وأحترمه كثيرا رغم اختلافنا في المبادئ في الحركة الوطنية إذ لكل نظريته . ولا يزال هذا الصديق على قيد الحياة . قلنا : استوقفني هذا الصديق على حين غفلة .

وبعد تبادل التحية قال لي : يا فلان لماذا لا تمشي اتشوف أولادك اليوم مدّة طويلة وأنت غايب عنهم؟

قلت : حبذا لو كان في استطاعتي لأسرعت ولكن ...

قال : ولكن ماذا ..؟

قلت : لكن الإمكانيات ...

قال : هذا ليس بالمشكل

قلت : ذلك بالنسبة لحضرتك يا بيه فعلا ، أمّا أنا فهذا مشكلي .

قال : إذا كنت راغبا حقا فأنا عليَّ السيارة توصلك حتّى باب منزلك .

قلت : الأمر ليس موقوفا على سيارة فأمر السيارة بسيط لا يعجزني ، حتّى ولو أخذتها خاصة بي ، وإنما غير هذا ؟

قال : وما ذاك ، قل لي بصراحة . أنا أذلّله..؟

قلت : اسمع يا حضرة الأخ ، لا يخفى عليك أن لي ربع قرن في تلك البلاد فأصبح لي بها أصدقاء ومعارف وجيران ، وهناك أيضا بعض الأقارب كما أن هناك بعض وجوه المهاجرين . تصور ، كم ينبغي لي من الهدايا ، وكما يقول العارفون : «الهدية على قدر مهديها» . وهنا تكمن الصعوبة يا صديقي ...

قال : وحتّى هذا أمر سهل ورهن موافقتك . «مائة ألف مال» والسيارة الخاصة توصلك إلى بيتك وأولادك في تونس ، على أن تقبل شرطا واحدا .

قلت : ما هو هذا الشرط ..؟

قال : على أن تبقى هناك في تونس حتّى تتم القضية الوطنية» وعندها تستطيع العودة إلى بلادك بأهلك إن شئت أو بدونهم بكل حرية ، وستجد عندئذ كل الترحيب والتقدير ، فما رأيك ، هل تقبل..؟

قلت : إن هذا الشرط شديد جدا ، ولكن على كل سأفكر فيه ، لأن الجواب على مثل هذا الأمر لا يمكن ارتجالا .

قال : الوقت معك وأنا في انتظار جوابك ، وقد بقي الرجل في انتظار جوابي ، وهذه الشخصية هي «....» غفر الله له وأطال عمره في صحة..؟

* * * *

كيف ... وبماذا ... ولماذا ... وبمن ... تأسّس حزب الاستقلال..؟

أشرنا في أكثر من صفحة في هذه الذكريات وما قبلها عن انحرافات بعض العناصر الوطنية ، وعن الأموال التي خصصتها الحكومة الإيطالية للدعاية وشراء الضمائر في طرابلس الغرب لكي تنادي بعودة إيطاليا إلى بلادها ، أمام لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية ، وأمام هيئة الأمم ، وكيف كانت تتسرب إلينا نتف من أخبار تلك

الأموال ، وتحركات تلك العناصر التي تهاوت إلى الحضيض الأسفل من الطمع والاستخذاء ، وكيف لعبت تلك الأموال بعقول بعض الأفراد من المواطنين حتّى مدّ كل واحد منهم كلتا يديه ، في إحداهما الضمير والكرامة دافعة بهما إلى سماسرة الاستعمار بلا خوف من الله ولا حياء من عباد الله . والأخرى مفتوحة لتلقي الثمن . وكنّا نحن جماهير الشعب في الحركة الوطنية نعلن للشعب ما يصلنا من تحركات للمنحرفين بكل الوسائل المتاحة . غير أن إعلاننا آنذاك كان يحتاج إلى برهان أنصع ، وتفصيل أوضح ، لكي يسلم الناس بصحته ، فأنّى لنا ذلك وتوزيع الأموال يجري بسرية وتحفّظ شديدين كما هو معروف؟!

وكل ما نعلمه هو تلك النتف من أخبار متسربة بطريقة أو بأخرى ، فكيف يقع إقناع الناس بصحة ما نقوله لهم؟ ولكن شاء ربك أن تحدث حادثة كنّا نظنها جاءت لتثبت ماكنّا نقوله . تلك هي حادثة انتحار (جلمبيرتو) في شارع عمر المختار بطرابلس . وظننا أنه سينكشف كل شيء ، ولكن أسرعت الشرطة ، واستحوذت على السجلات والأوراق التي لم تلتهمها النيران ، والتي تتضمن طرق صرف تلك الأموال .

وخاب ظننا ، إذ أحاطت الإدارة البريطانية بتلك الأوراق والسجلات بما فيها بسرية مطلقة في كامل تلك المدة ، أي مدة وجود الإدارة البريطانية في طرابلس ، وهكذا فقد بقي الغموض يلف الموضوع .

انتهت مدّة الإدارة البريطانية في طرابلس ، وأعلن الاستقلال استقلال البلاد المزعوم ، وتسلمت عناصر من أهل البلاد حكمها ، وقلنا : الآن قد انتهت السرية وبرح الخفاء ، وسينكشف كل شيء ، ولكن خاب ظننا للمرة الثانية ، إذ رغم توالي عدة حكومات ، الواحدة بعد الأخرى لمدة ثمانية عشر عاما ، هي عمر حكومات العهد الماضي فقد واصلت هي الأخرى خلال هذه السنين الإحتفاظ بسرية تلك السجلات ، على غرار ما فعلته الإدارة البريطانية ، فلم نعرف عنها شيئا . ولا ندري لماذا هذا الكتمان والتحفظ الذي لا مبرر له فيما أظن ، وما هو الداعي له؟!!

أجل ، بقيت تلك السجلات والأوراق سرا مكتوما حتّى لقد كاد الناس أن ينسوا الموضوع . ولكن شاء ربك ولا مردّ لمشيئته أن تنفجر ثورة الفاتح من سبتمبر

1969 م العظيمة ، وبمجرد استيلائها على الحكم أخرجت للناس تلك السجلات والأوراق من محبسها الذي ، ظلت به حوالي عشرين عاما . ونشرتها على الملأ ، ولقد اهتبلت فرصة نشرها فنقلتها كما هي للاحتفاظ بها ظنا في أنها لن تنشر بعد ذلك . والجريدة التي نشرتها قد تتلاشى وتضيع . ولكن بعد مدة نشرت مفصلة في الجزء الأول من كتاب حقيقة إدريس الذي صدر عن الادعاء العام . وقد قابلت ما نقلته عن الجريدة بما نشره الكتاب ، والآن ولما كنت بصدد جمع ذكرياتي رأيت من الفائدة للتاريخ وللمجتمعات الحالية والاستقبالية أن أضمها إلى ذكرياتي ، وهي من صميمها لتبقي في الكتب على مر العصور . وحتى هذا الجيل الجديد لا يعرف شيئا عن تلك الأيام الخوالي وأحداثها وتصرفات رجالها . وعسى أن يكون في تسجيلها عبرة وموعظة . والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .

ولا يفوتني هنا بعدما تقدم أن ألاحظ بأنني حينما قررت في نفسي نشر تفاصيل توزيع تلك الأموال كما جاء فيما نشرته ثورة الفاتح العظيمة . وأسماء الذين مدوا أيديهم صاغرين لعدو بلادهم . قلت لا يفوتني أن ألاحظ أنني حينما قررت نشر هذه التفاصيل لم أقصد بذلك التشنيع والتشهير بأولئك الأخوان الذين تهاووا إلى حضيض الطمع ، في وقت كانوا ينظرون فيه إلى من يقاسون ظروفا غاية في الشدة من جميع نواحي الحياة ، ولكنهم صابرون ، ومندفعون في مقاومة المطامع الأجنبية .

أجل ، أقول وأؤكد أنني لا أقصد التشنيع بهؤلاء الإخوان الذين انحرفوا عن طريق العزة والكرامة من أجل دريهمات لا تغني .... بالنسبة لعمر الإنسان . خصوصا وأن هؤلاء الأخوة أكثرهم قد انتقل إلى الآخرة ، وصاروا بين يدي الله تعالى وهو أعلم بهم فيما فعلوه . ومنهم من لم يزل على قيد الحياة ولم يبق لديه من تلك النقود التي تلقاها ثمنا لانحرافه إلّا الذكريات في النفس والوصمات في الوجه ، غفر الله لهم جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم .

وأعيد القول بأنني لا أقصد التشهير كما قد يتوهم البعض ، وإنما أتوخى فائدة أجيال المستقبل القريب والبعيد ، فإن هذه الأجيال ، إذا ما اطلعت على هذا وأمثاله فإن الشخص منهم مهما بلغت ظروفه فإنه سوف يفكر ألف مرّة قبل أن يقدم على ما وقع فيه غيره . وأقول إنني أرى أن ذكر الناس بأسمائهم وتصرفاتهم في كتب التاريخ خير طريقة لمقاومة الطمع والإستخداء للأجنبي ، إن الذين يكتبون الحوادث

للتاريخ ويتحاشون ذكر أسماء المسيئين للوطن وللمجتمع لسبب أو لآخر يرتكبون أعمالا مرادفة لأعمال المسيئين للوطن ، بل إنهم بعملهم ذاك يشجعونهم ويمهدون طريق الإنحراف لمن بعدهم . وأنا لا أقصد كل أخطاء الناس ، فالناس ليسوا بمعصومين ، وإنما أعني بذلك الأعمال التي ترتكب في حق الوطن والمواطنين ، خصوصا أن تكون لفائدة الأجنبي فتلك مصيبة ما مثلها مصيبة .

كيف تأسّس حزب الاستقلال؟ في سنة 1949 م جاء إلى طرابلس شخص إيطالي يبدو لي أنه شخصية ديبلوماسية ، حيث سمعت وقتئذ أنه جاء من (دمشق ، أو هو كان سفيرا لبلاده بها) لا أدري ، وصل هذا الإيطالي إلى طرابلس ، وأجرى اتصالات مع بعض عناصر البلاد ، وصادف أن كان سالم بن منتصر ، غفر الله له ، مستقيلا من رئاسة الجبهة الوطنية المتحدة قبل ذلك بمدّة طويلة لأسباب لا أعرفها بالتأكيد ، إلّا أنني سمعت آنذاك أنه استقال بسبب خلاف بينه وبين أعضاء اللجنة التنفيذية للجبهة ، أدى به ذلك الخلاف إلى الاستقالة . ولعلّ ذلك الخلاف كان بسبب استقبال الحركة الوطنية الآتية من الخارج وتسليم قيادة الشعب لها . والله أعلم بالحقيقة. قلنا : جاء هذا الإيطالي ، وأجرى اتصالاته ، وعلى إثر ذلك ظهر (حزب الاستقلال) في شهر أغسطس فيما أذكر من نفس السنة المذكورة . وقد برز هذا الحزب بقوّة مالية ضخمة بالنسبة لذلك الوقت . وبهذه الأموال قام هذا الحزب . وبها تمكن من استدراج مجموعة من أبناء الشعب ، ومن بينهم عناصر كنا نظن أنها أرفع من أن تغريهم المادة حتّى تخرجهم عن إجماع (الأمة) وتدفعهم إلى الوقوف ضد مصلحة وطنهم وأمتهم .

قلت آنفا : إنني لا أقصد التشهير بالإخوان الذين انحرفوا ، وعلى كل فأنا لست صاحب الكشف عن هذه الأسماء كما هو واضح ، وإنما أنا ناقل ، إلّا أنني لا أنكر أنّني أحبذ هذه الطريقة في تسجيل التاريخ .

تأسيس الهيئة التنفيذية لحزب الاستقلال

تأسس هذا الحزب بالمجموعة الآتي ذكرها ، عليها قام وبها باشر أعماله ، ولكنه فشل فشلا ذريعا ، وباء بغضب الشعب ، وفيما يلي أسماء هذه المجموعة ثم يعقبها كيفية تقسيم الأموال بين الهيئة التنفيذية والفرع . ثم كيفية التوزيع على الأفراد لاستقطاب أكثر عدد ممكن من الأتباع ، وإتماما للشرح فسأذكر أسماء الأفراد ، وما

أخذ كل منهم ، وبما أن الأسماء تكررت مرات ، فسأذكر الإسم مرّة واحدة . واجعل أمامه عدد المرات التي تردّدها بالرقم وتاريخ أحد تردداته والمبلغ الذي تسلمه في مجموع المرات :

الهيئة التنفيذية المركزية لحزب الاستقلال :

1 ـ سالم المنتصر
2 ـ علي بن شعبان
3 ـ راسم أحمد كعبار
4 ـ كامل الهالي
5 ـ عبد الله بن الشريف
6 ـ أحمد كرزة
7 ـ عبد الله بن حميدة
8 ـ علي ساسي خزام
9 ـ خليل ناصوف
10 ـ العيساوي بو خنجر
11 ـ عبد المجيد كعبار
12 ـ محمد حسن المنتصر
13 ـ محمد عبد الصمد النعاس
14 ـ عبد الله بن معتوق
15 ـ عبد الله العجيلي
16 ـ عبده المحجوب

أسماء أماكن الفروع	المبالغ المخصصة	أسماء الفروع	المبالغ المخصصـ
رئاسة الحزب إيجار	250	يفرن ايجار ودعايات	50
	500		100
غريان إيجار	100	هون ايجار ودعايات	100
	200		200
مزدة ايجار ودعايات	50	الزاوية ايجار ودعايات	50
	200		200

ترهونة إيجار ودعايات	50
	100
بنو وليد إيجار ودعايات	50
	100
مسراتة إيجار ودعايات	100
سرت إيجار ودعايات	200
	100
زليتن إيجار ودعايات	50
	100
زوارة إيجار ودعايات	50
	100
صبراته إيجار ودعايات	30
	100
صرمان إيجار ودعايات	30
	100

مساعدات للرؤساء والأعيان 3190,000

مصروفات لتنظيم 21 من شيوخ المحلّات لمدّة ستّة أشهر 5000,000
وبمبلغ قدره (10,000) لع لكلّ شيخ

مصروفات 21 فرقة كلّ منها مكوّنة من 20 شخصا أي 420 شخص شخصا بمبلغ قدره 150 لع يوميا 11340,000 لع 20 × 150 – 6 أشهر مصاريف متنوّعة 1,210,000 لع

سيكون مبلغ التأسيس والأعمال لستّة أشهر 22,000,000

الإسم	التاريخ	تعداد تكرار المرّات	المبالغ بالألف
بشير الرايس	48/7/2	11	113 ألف
محمد العريبي الأسود	48/7/29	11	106 ألف
علي الريقاني	48/7/30	13	60,583
عبد السلام الصلابي	48/7/30	18	249,181
عبد الله بي الشريف	48/7/6	1	160,000
دفعت إلى 45 شخصا	48/7/25		64,500
محمد كامل الهالي نيابة عن شفيق العرادي	48/6/26		10,000
حسين الطويبي	48/8/5		2,000
أحمد الحصائري عن طريق بشير الرايس	48/8/5		5,000
محمد الكميشي	48/8/4		5,000
أحمد خليفة دلّة	48/9/13		10,000
علي بهجت القره مانلي	48/9/13		10,000
إبراهيم بن سالم	48/9/7		12,900
محمد بن المبروك	48/9/28	2	2,300
زايد (500 ل ع) إلى علي الزاوي	48/9/4		3,500
مسعود شنيبة	48/10/25		5,00
عاشور خليفة جيش	48/9/18		,980
محمّد عبد الله شراد	48/10/4		,300
سالم بن رحومة	48/10/20		
علي الزّاوي	48/10/10		1,500
الهاشمي الباهي		7	65,000
محمد بن إبراهيم	48/7/21		1,500
سالم بن شعبان	48/1/9		6,000
عبد السلام بن محمد	48/3/20		12,000
محمّد مصطفى	48/5/30	3	15,000
علي السّاعدي	49/6/8		15,500
علي خزام	49/6/1	2	55,000
الهاشمي كاليلّو	49/6/2	1	500

رمضان علي مصطفى	48/7/26		20,000
لامين بن عتيق	49/7/25		1,000
سالم بن دنقيل	42/7/25		1,000
سالم الصّقر	49/7/3		5,000
علي بن عبد الله	بدون تاريخ		10,000
عبد السلام بن محمد	49/3/20	2	22,000
محمّد بن سالم	بدون تاريخ		10,000
صالحين خليفة	« «		10,000
نور الدين بن سالم قطنش	49/7/20		10,000
سالم بن رحومة	49/7/23	3	0,950
سالم بن مفتاح	48/7/23		11,000
الشتيوي بن فطيس	49/7/25		7,500
محمد أبو فارس	49/7/3		2,000
امحمّد بن عمر	بدون تاريخ		2,000
عبد الله محمد الرفاعي	49/8/2		,200
علي بن زايد			0,400
محفوظ بن عليوة			0,400
سالم الورفلّي	49/5/29		20,000
صالحة بنت صقر الشريدي	49/7/31		5,000
صالح الصّقر	49/8/21		4,000
سُلِّم إلى كليبلّو ليوزعها على المشايخ المذكورين أدناه	49/7/26		60,000
الشيخ عبد الرزاق الشتّي			
الشيخ أحمد العالم			
الشيخ علي الذيب			
نصر بن عبد الرحيم			

الإسم	التاريخ	تعداد تكرار المرّات	المبالغ بالألف
صالِح الصّقر	49/7/22	3	26,270
عيسى بن كشاط	49/7/30		5,000
خديجة القره مانلي	49/7/23		72,500
النعّاس الطيب بشير	49/9/15		5000
أحمد بن رحومة	49/9/30		2000
الأقسام الآتية			
سرت زليتن الخمس	49/9/26		27,300
اليمني محمود	بدون تاريخ		3,000
بطاقات سفر حول رجوع وفد حزب الاستقلال			542,680
إلى إيطاليا			
دولارات مصاريف لوفد حزب الاستقلال	49/9/20		1040,000
رمضان القريتلي	49/9/19		50,000
محمّد العنبري	49/9/17		5,000
محمد بن رمضان مغبولي	49/9/29		3,000
سالم المنصوري	49/9/29		5,000
محمّد بن عبد العزيز	49/9/1		3,000
محمد بن ميلاد درويش	49/9/29		1,000
موسَى بن علي	49/9/29		1,000
أ ـ عمران	49/9/23		3,000
عثمان محمد التومي	49/9/29		2,000
محمّد السنوسي	49/8/5		8,145
المختار بن خليفة	49/1/24		500
علي بن سعيد	49/10/23		500
أحمد عمر مخانب	49/12/14		200
عبد الله بن بشير	49/10/9		300
محمّد الجدير	49/10/31		400

عثمان بن محمد التومي	49/10/20		500
سعيد بن عبد النبي	49/10/20		500
فـرج بن مفـتاح	49/10/20		300
حسـين بن خليـفة	49/10/29		400
محمّـد الغريـاني	49/10/12		500
محمّـد حمّـودة	49/10/29		700
ميلاد بن عبد السلام	49/10/16		1,000
الفيتوري بن بركة	49/10/29		500
محمد بن محمد تعامة	49/10/29		500
سعيد محمد الورفلي	49/10/5		300
المـكّي أبوزيـد	49/10/29		600
عبد النـبي الزيتاني	49/10/22		500
المهـدي بن صـالح	49/10/22		500
عـمر بن سـالم	49/10/28	2	1,300
محمّـد بن عـمر	49/10/5		1,000
أحـمد الرفـاعي	49/10/5		1,000
حسـين بن إبراهيم	49/10/4		1,000
أبو بـكر نعامة	49/10/2		30,000
عبد الوهـاب الرفاعي	49/10/19		1,000
محمد بن عيـسَى	48/11/13		3,000
محمّـد خضـير	48/11/20		1,000
بشـير الغـويل	49/11/6		3,000
زايـد حمّـادي	49/10/31		3,000
رمضـان عـلي	49/9/5		20,000

انعقـاد مؤتـمر تاجـوراء

أسبـابه ودوافـعه

لمؤتمر تاجوراء فيما أعرف ، وفيما يبدو لي جذور عميقة في التاريخ نسبيا حيث إن بذرته وجدت منذ أيام الجهاد الليبي. وذلك حينما جاء الأستاذ «عبد الرحمن عزام» إلى ليبيا متسلّلا من الحدود المصرية ، قصد محاربة الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر آنذاك ، مع القوات العثمانية التي كانت في برقة بالقرب من حدود مصر بقيادة الضابط العثماني «نوري باشا» تلك هي أسباب مغامرات (عزام باشا) في دخوله إلى ليبيا . وقد حلّ المرحوم عزام ببرقة ، وانضم إلى هذا الضابط العثماني وقواته . وقد وقعت مناوشات بينهم وبين القوات الإنجليزية فتقهقر على إثرها العثمانيون ، لأنهم كانوا في حالة ضعف شديدة من النواحي التموينية والسلاح والعدد .

وقفت برقة موقف اللامبالاة بالحالة التي وصل إليها الضابط العثماني وجنوده ، وعزام معهم ، وموقف برقة هذا أسبابه أولا أن البلاد وصلت إلى حالة شديدة من الاحتيـاج العام . ثانيا أن الحدود المصرية كانت هي المنفذ الوحيد الذي تتسرب لهم منه بعض المواد الغذائية . ثالثا أن مناوشة الإنجليز من هناك تؤدي إلى إغلاق هذا المنفذ . وفوق ذلك أن رجال برقة لا يقبلون في منطقهم أيا كان مستقلا في تصرفاته ، إلّا إذا كان يعمل باسمهم ، ويأتمر بأمرهم . ومن أجل ذلك تبرموا بهم ووقفوا منهم موقفهم ذاك . فلم يكن لبقائهم والحالة تلك معنى فاتجهوا جميعا نحو إقليم طرابلس ، فوجدوا من زعمائه قبولا وترحيبا وجهادا متواصلا ، حتّى إذا استسلمت الدولة العثمانية غـادر طرابلس الأتراك .

وأما (عزام) فقد طاب له المقام بين إخوان له في تقدير واحترام ، وشاركهم بدوره في جهادهم فكريا ضد الاستعمار الإيطالي . فهو وإن لم تتح له فرصة محاربة الإنجليز في مصر العربية كما كان يودّ فلا أقل من محاربة الاستعمار . صادقا في عروبته . معتزا بإسلامه . ولا يخالجني في ذلك شكّ .

ومنذ خروج الأتراك وعزام من برقة وانتقالهم إلى إقليم طرابلس حزن عزام في نفسه من موقف برقة ذاك ومرت الشهور والأعوام ، وانتهت أيام الجهاد في المنطقة الشرقية من إقليم طرابلس . واتجه فريق من المجاهدين إلى مصر مهاجرا ، ومنهم

«عزام» الذي عاد إلى بلاده «مصر» بعد أن غاب عنها سبع سنوات قضاها في محاربة الاستعمار . وإن لم يكن استعمارا انجليزيا ، فهو استعمار على كل حال وفي بلد عربي ، وكانت لعزام رحمه الله مواقف في مصر نحو المهاجرين مذكورة ومشكورة ونحو قضيتهم أيضا .

وفي الحقيقة أن رجال مصر لذلك العهد جميعهم كانت لهم مواقف أخوية صادقة تجاه المهاجرين وقضيتهم منذ بدء الجهاد سنة 1911م إلى أن انهزمت إيطاليا ، وتم قيام حكومة ليبية سنة 1952م ، ولا غرو فإن مصر هي أم البلاد العربية بلا منازع ، وفضلها عليها أكثر مما يحصى ، وإنما نقتصر هنا على ذكر عزام وحده ومواقفه دون ذكر الآخرين ، ذلك لأن موضوعنا هذا لم يكن استعراضا لماضي الجهاد من كل جوانبه ، إنما هو موضوع محدود يتعلق بمؤتمر تاجوراء ودوافعه ، وما وقع فيه ، وكان عزام كما سيبدو هو أحد أقوى دوافعه .

قلنا : كانت للمرحوم عزام أيد ومواقف نحو كثير من المهاجرين فيما بلغنا ، ومنهم «فضيلة مفتي ليبيا الحالي» الشيخ الطاهر أحمد الزاوي ، ولعله كان أكثر اتصالا به من الآخرين ، وهذا ما نلاحظه من مواقف اللجنة الطرابلسية التي يسيرها فضيلته ، حيث نراها دائما وثيقة الصلة بعزام . وقد كان بدوره يزودها بمقومات العمل ، ويتعهدها بتوجيهاته وقد كان من مبادئها الوقوف ضد إدريس ، ونحن لا ننازعه في هذا الرأي إذ قد يكون هو أعرف منا به ، أقول هذا لأنني تلقيت من الشيخ الطاهر رسالتين أو ثلاثا وهو في مصر ، وأنا في تونس وكانت هذه الرسائل لا تتضمن إلّا التحذير من الموافقة على قبول إدريس حينما تأزف ساعة اختيار نوع الحكم بحجة أنه لا ينتظر خير منه للوطن .

ويتّضح من مجاري الأمور أن هذا الموقف الذي وقفته اللجنة الطرابلسية قد وجد هوى في نفس عزام نتيجة لما ألمحنا إليه آنفا ، مع أشياء أخرى يهدف إليها ، ولكنها كامنة في النفس تنتظر الظروف ، سيأتي ذكرها إن شاء الله ، ولذا أقول : إنه مع مرور الأشهر والأعوام ، وتفاعل الأحداث ، واقتراب اقتطاف ثمرة الجهادين : الميداني والسياسي ، ظهرت من عزام نفسه بادرة دلت على سبب إمعان اللجنة الطرابلسية في مناهضة (إدريس) وتأييد عزام لموقفها هذا . غير أنه رغم إمعان اللجنة وتأييد عزام لها فقد اخفقت تماما في إبعاد الشعب عن طريق الوحدة .

وحينما تألفت هيئة تحرير ليبيا في القاهرة أرادت اللجنة الطرابلسية الاندماج فيها ، غير أن هيئة التحرير ، وبعبارة أصح بشير السعداوي رفضت ذلك رفضا باتا . وتوالت المساعي إلى هذه الغاية حتّى وصل الأمر إلى الأمير فيصل وزير خارجية العربية السعودية آنذاك «الملك فيصل فيما بعد» رحمه الله تعالى ، بغية تدخله في الموضوع عسَى أن يتمكّن من التأثير على رئيس هيئة التحرير بطريقة أو بأخرى ، بحكم وضع هذا الأخير في المملكة العربية السعودية ، ولكن هيئة التحرير رفضت .

من هنا نشب الخلاف بين «اللجنة الطرابلسية / وهيئة تحرير ليبيا» وبعبارة أوضح وأصحّ بين بشير السعداوي والشيخ الطاهر الزاوي . ولكل من الطرفين نظريته : فاللجنة فيما أظن ترى مثلما عمل المهاجرون من «الطالب إلى العامل إلى الزعيم» في حقل القضية الوطنية في هجرتهم ، كل بقدر استطاعته وحسب ظروفه ... ترى أنه كان من الأفضل للجميع أن تعود القوّة الطليعية التي ستجابه المناورات الاستعمارية ، وتقود سفينة الوطن إلى شاطئ السلامة والنجاة . كان من الأفضل أن تعود مع بعضها بعضا ، وفي ذلك قوّة للحركة أكثر ، ومعنوية للشعب أرفع ، وقد تكون هنا أهداف أخرى مخفيّة أما هيئة تحرير ليبيا فترى أن اللجنة الطرابلسية قد اتّخذت سبيلا غير موصّل ، بل وخطيرا جدا من أوّل الأمر ، فهي كما يؤخذ من إسمها أنها حركة إقليمية صرفة . ثم هي عززت ذلك بمناصبتها العداء لإدريَس علنا ، بدون تحفظ ، وهي تعرف جيدا بأنه في تلك الظروف بدونه لا يمكن الوصول إلى وحدة الوطن . وأن قبولها في صلب هيئة التحرير سيكون هو المؤتمر الأول لانفصال الوطن إلى شطرين ، وربّما إلى ثلاثة أجزاء فالإنجليز سيتمكنون في برقة ، وقد تبقَى فرنسا في فزان ، ثم يصب البلاء على طرابلس .

والشيء المستغرب في هذا الموضوع هو موقف عزام من هذا الاتّجاه (اللجنوي) الذي يبدو لي أنه كما قلنا آنفا قد وجد هوى في نفسه نتيجة لما ألمحنا إليه في أوّل هذا الكلام ، وقد تكون هناك أشياء أخرى كامنة في النفس يهدف إليها ، ولم يحن وقت ظهورها ، وقتذاك وإلّا لما سكت عن اتجاه اللجنة لأنه رجل من رجال السياسة ومن ذوي التجارب العديدة والخبرة الطويلة ، والقضية الليبية معلومة لديه تماما باطنها وظاهرها ، وحاجتها له آنذاك كحاجة الإنسان للماء والهوى حتّى تتحقق وحدة البلاد .

ومن هنا يبدو لي حسب تفكيري أن عزاما كان من وراء هذا الاتجاه يباركه ويؤيده ، ومما عزز عندي تفكيري هذا اقتراحه على فريق من المهاجرين الطرابلسيين في مصر أن يأخذوا ابنه ليجعلوه حاكما على طرابلس . ومن المعلوم بالبداهة أنه بدون انفصال برقة عن طرابلس لا يمكن الوصول إلى هذا الهدف . حيث قال عزام لهذا الفريق : (ها هو ابنكم خذوه حاكما لطرابلس) أجل هو ابننا فعلا ، لأنه عربي ومسلم أولا ، ثم هو حفيد خالد القرقني رحمه الله تعالى ، ووالده رحمه الله يعتبر من مجاهدي طرابلس أو ليبيا ، حيث قضى حوالي سبع سنوات تقريبا بين المجاهدين ، عرف خلالها ليبيا والليبيين وعرفوه . فهذه كلها حقائق لا مشاحة فيها ، ولا يستطيع أحد تغطيتها .

ولكن الموضوع لم يكن موضوع صلة أو قرابة ، فلو كان الأمر كذلك لكفاه أن يكون عربيا ومسلما ، ليكون حاكما في طرابلس أو غيرها من أي بلد عربي إذا كان مكتسبا للمقومات المؤهلة لذلك ، ولكن الموضوع هنا موضوع اعتبار وكرامة ، ولذلك فقد أحدث هذا العرض من طرف عزام استياء في نفوس المهاجرين لما يشتمّ منه من رائحة الاستخفاف برجال طرابلس من علماء عاملين ، وزعماء محاربين ، وقادة عسكريين ، وغيرهم من المجاهدين ممّن حنكتهم التجارب ، ومرّنتهم الأحداث فقتلوا الدهر خبرة ، ولا شكّ أن تولية شاب حديث السن حاكما على هذه الشرائح من أولي السبق في الجهادين الميداني والسياسي مع ميزة التقدم في العمر أيضا أمر يحتاج إلى وقفة طويلة ، وطويلة جدا .

أقول : إن هذا الاقتراح أخبرني به أناس أمناء على ما يقولون ، ومع ذلك فإن من الذين حضروا هذا الاقتراح مَن لا يزالون أحياء يرزقون ، ومن سكان العاصمة طرابلس اليوم ، وسوف يطلعون على هذا إذا مدّ الله لهم في أعمارهم ، ووفقني وأحياني جلّ شأنه في انجازه وإخراجه للمجتمع إن شاء الله .

وقد بقى هذا الاقتراح في نطاق محدود بالنسبة للمجتمع احتراما وتقديرا لشعور المرحوم عزام ، نظرا لمواقفه وصفاته التي أشرنا إلى بعضها . تلك التي تتعلق بليبيا والليبيين ، ثم بعد ذلك جاءت عملية اتصال عزام بالصحفي الإيطالي في سنة 1949 م وجرى الحديث فيما بينهما وفي جملته دار حول بقاء الجالية الإيطالية في طرابلس ، وتمتعها بحقوق المواطن تماما . وهي جالية تعدادها حوالي أربعين ألفا ومن

بينها من كانوا جنودا وضباطا سابقين ، ومنها ثعالبة سياسة من ذوي الخبرة الطويلة نسبيا ، والتجارب في أوضاع البلاد وأهلها ، وهي في نفس الوقت مسيطرة على مقدرات البلاد صناعة وتجارة وزراعة .

ومن هنا فإن قبول هذه الجالية ، وتمتعها بحقوق المواطن كارثة أشد من الأولى ، ولولا فضل الله تعالى ، وقيام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة التي كانت إحدى حسناتها تصفية هذه الجالية وإعادتها إلى حيث أتت لما استراحت البلاد ، واطمأن العباد من أخطارها ، ثم إن قبولها يشكل حجّة قوية بيد الانفصاليين الذين هم حائزون على وعد الإنجليز بأن لا يعودوا إلى الحكم الطلياني ، وأن بقاء هذه الجالية قد يكون مقدمة لمطامع إيطالية على المدى البعيد .

واتصال عزام بوزير إيطاليا المفوض في القاهرة في شهر أغسطس 1949م وتباحثه معه في موضوع ليبيا التي لم يبت في مصيرها بعد ، ثم دعوة « الكونت اسفورزا » لعزام لزيارة روما والفاتيكان بمقتضى دعوة من الجمهورية الإيطالية ومن قداسة البابا ...

وقبول اللجنة الطرابلسية في صلب هيئة التحرير والحالة هذه يعدّ قضاء مبرما على وحدة الوطن، وأبلغ مبرر لتصرفات الانفصاليين، وأحدّ سلاح لتنفيذ المخطط الاستعماري وكما قلنا فيما تقدم فإنه بدون انفصال برقة عن طرابلس لا يمكن تحقيق ذلك الهدف المزدوج الذي يفيد الطرفين المتساندين ، ولذلك فقد غضب الشيخ الطاهر سامحه الله غضبا شديدا على السعداوي رحمه الله وجزاه بما هو أهل له من الرحمة والرضوان .

غضب الشيخ الطاهر على السعداوي لأنه امتنع عن قبول اللجنة الطرابلسية ضمن هيئة تحرير ليبيا . ثم هو قد اكتسح تلك الجهود والمساعي التي بذلت لفائدة اللجنة وأهدافها . وسيطر على الميدان الوطني سيطرة تامة لا مجال فيها لغيره كقائد لحركة وطنية موفقة وقتذاك ، وضاعت آمال وأهداف الآخرين .

ومن هنا ، وبعد انتقال السعداوي إلى رحمة الله تعالى ، وسعة فضله ، أصدر الشيخ الطاهر كتابه « جهاد الليبيين في ديار الهجرة » تحامل فيه على السعداوي والحق يقال ، إذ نسب له أشياء هو بريئ منها فيما نعرف ، ولو لم نكن نعرف السعداوي منذ

أيام الجهاد ، أي قبل أكثر من ستين سنة ، عرفته حينما جاء في وفد هو وأحمد البدوي وأحمد السني وآخرون للحيلولة دون وتوع الكارثة بين « الحاج محمد فكيني ـ وخليفة بن عسكر» غفر الله لهما ، وأقام يوما وليلة في قريتنا عند «آل التايب» فأعجبت به . ثم عرفناه منذ بدء النضال السياسي في المهجر . ثم أيام الحركة الوطنية على أرض الوطن عقب الحرب العالمية الثانية ، لو لم يكن ذلك لكان لأقوال الشيخ الطاهر تأثيرها نظرا لمقدرته التحريرية وسمعته العلمية وشيخوخته ومركزه الديني .

ولو تمهل فضيلته حتّى اطلع على ما جاء في كتاب (حقيقة إدريس) الذي أصدرته إدارة التوجيه المعنوي بشأن السعداوي ، وعلى ما يختص بليبيا في الوثائق السرية الإنجليزية التي كانت سـرًّا محفوظا فأفرج عنها أخيرا بعد مرور ثلاثين عاما عليها في سجنها ، ونشرتها الصحف... لو اطلع على ذلك لعدل عما قاله في السعداوي ، لأن كلامه فيه بعد ظهور تلك الحقائق ذات الصبغة الرسمية يصبح غير ذي موضوع . ومن جهة أخرى نلاحظ أن الشيخ الطاهر كان في كتبه كثير المحاباة للمرحوم عزام ، فأحيانا ينسب إليه أشياء قد لا يكون له فيها جهد ، أو هو فيها كغيره ولكن يظهر اسم عزام ويختفي غيره ، ولا أعرف لماذا ، أهو تكرم على عزام ؟ أم رد لإحسانه ، أو حقد على الآخرين؟ الله أعلم . وأيا كان ذلك فإن مما يتركه من انطباع لدى المطلع عليه ، وخصوصا الأجيال المقبلة التي سوف لا تعرف تاريخ أوائلها وتضحياتهم إلّا من طريق الكتب ، إنه سوف تتصور ممّا كتبه الشيخ الطاهر أن جهاد طرابلس الغرب واستمراريته لم يكن كما وقع لولا وجود عزام بين زعمائه وقادته يعلمهم ويوجههم .

وهنا أودّ أن أؤكد للمطلع على كلامي هذا أنه لا ينبغي له أن يفهم منه أنني أقصد الإنقاص من قيمة عزام ، أو أنني أحاول نكران جهوده وتضحياته في جهاد طرابلس . كلا واسم الله ، وإن ما قلته فيه عن إخلاصه وعروبته وإسلامه لا رجوع فيه . ولكن أيضا لا أعتقد فيه العصمة إلّا أن الحوادث سلسلة متّصلة الحلقات لا تحرك حلقة حتّى تفرض الأخرى نفسها ، وإذا تخليت عن أية حلقة منها يصبح الكلام غير مفهوم ، وعلى كل فإن الحق والتاريخ فوق مستوى العواطف والأحقاد والعداوة والصداقة والقرابة .

أذكر هنا نموذجا كمثل لهذه المحاباة البينة ما جاء في الكتاب المذكور صفحة 124 حيث ذكر فيها بيعة إدريس الأولى على عهد (هيئة الإصلاح المركزية) فقد جاء فيه قوله: [... على أن يكتبوا وثيقة البيعة بالإمارة، وارسلوها إلى السيد إدريس في أجدابيا مع وفد كان من بين أعضائه السيد عبد الرحمن عزام ... الخ] وهنا يحق للإنسان أن يتساءل ما هو الداعي لذكر عزام وحده ...؟ وما هو المانع من ذكر أعضاء الوفد كلهم ..؟ وإذا كان ذلك بداعي الاختصار، ألا يكون من الأولى والأجدر ذكر شخصية رئيس الوفد، هذه الشخصية التي بقيت هناك في أجدابيا بعد عودة الوفد لتمثيل طرابلس في برقة إلى أن تم الوحدة رسميا عند حضور إدريس إلى إقليم طرابلس ومبايعته بالإمارة؟ إلّا أن ذهاب إدريس إلى مصر وتركه الوطن يتخبط في ظروف جد قاسية حال دون قيام الوحدة.

وإنه والله ليحز في نفوسنا أن يصدر كتاب (جهاد الليبيين في ديار الهجرة) وفيه مساس بالسعداوي من شخصية وطنية علمية تشغل مركزا دينيا له قدسيته، بعد أن ارتحل السعداوي عن هذه الدنيا وكم كان من الأفضل لنا أن نعمل بقول الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه: «اذكروا موتاكم بخير كفاهم ما هم قائمون عليه» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وجاء في هذا الكتاب صفحة 343: «تمكن الأستاذ السعداوي بحيلة من الاستيلاء على مال كثير من الجامعة العربية وبعض دولها صرفت له باسم القضية الوطنية ولم يستشر غيره» وإليكم هذه الأموال:

10,000 : من الجامعة العربية على مدى ثلاث سنوات.

25,000 : من خمس دول هي: مصر، سوريا، العراق، الإنجليز، لبنان.

35,000 : الجملة.

هذه هي الأموال، أو المال الكثير الذي استلمه السعداوي (إذا صحّ ذلك) من الجامعة العربية وبعض دولها حسبما جاء في الكتاب المذكور بدون حجّة تثبته. وعبارة (استولى بحيلة) عبارة جافة فيما أفهم، وكان في اعتقادي أن الشيخ الطاهر أرفع وأسمى من أن يرمي بعبارة كهذه شخصية وطنية أوقفت حياتها على خدمة الوطن مهما كانت الخلافات، فضلا عن تسجيلها في كتاب لا يمكن التخلص منها.

وإن كان القارئ المهتم سوف يفهم من سياق ذلك الكلام أنها صادرة عن حقد مؤثر دفين.

ثم إنه من جهة أخرى لا أظن أن الشيخ الطاهر يظن، حتّى مجرد الظن، أن الجامعة العربية ودولها من الغفلة بمكان، حتّى يحتال عليها رجل، ويستمر لمدة ثلاث سنين وهم لا يشعرون. مع أنهم أعرف الناس بماضيه وحاضره. أو أن الجامعة العربية ودولها لا تعرف حقيقة القضية الليبية وما تستلزمه من أموال، وأنا وإن كنت من أبعد الناس آنذاك عن المجال المالي لأنني «أخافه أكثر مما أخاف الفقر» إلّا أنني مع ذلك كنت في قلب ذلك الصراع الوطني أعمل وأسمع وأشهد وأعي. وعليه أقول: إنَّ هذا المبلغ الذي ذكره الشيخ الطاهر في كتابه لا يساوي ثلاثين بالمائة من مجموع الأموال التي صرفت على القضية الوطنية من أموال الشعب، خاصة على مدى السنوات الأربع، إذن فإن ذكر مبلغ كهذا وتسجيله في كتاب، ونعته بالمال الكثير في سبيل قضية وطنية تهددها مطامع خمس دول، وقد لعب فيها الاستعمار أدوارا جد خطيرة ومخيفة، هو قول يبدو لي في غير محلّه، ولا أنعته بأكثر من هذا.

ومن المعلوم أنه قد دام هذا الصراع حول هذه القضية أربع سنوات كانت في خلالها أرتال من سيارات الأجرة علاوة على سيارات الهيئة تجوب كامل أراضي الوطن من أقصاها إلى أقصاها على مدى أربع سنوات، وما يتبع ذلك ممّا لا يمكن لي شرحه فهو أكثر وأكثر ولكنه لا يخفى على العارفين، كما كانت الرحلات الجوية متواصلة بين طرابلس والقاهرة ولندن وباريس وليك كسيس وما يتبع ذلك من أشياء لا أستطيع لها حصرا ولا يعرفها إلّا من باشر مثل هذه الأعمال.

وهنا أعود إلى ما قلته من محاباة الشيخ الطاهر لصديقه عزام في كتبه وما ينسبه إليه من أعمال، ذلك الإطراء الذي دفع عزام إلى ركوب مركب الغرور، أخبرني أحد مهاجري ليبيا في مصر وهو من المشاركين في الحركة الوطنية، وهو الآن في طرابلس وهو (   ) أخبرني قائلا: قبيل الحرب العالمية الثانية كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام مقالا في جريدة مصرية يظنها البلاغ قال في ذلك المقال...

حضرة الفاضل السيد محمد الشريف حفظه الله

بعد التحية اني يا حضرة الأخ في حاجة ماسة

- لا هو حبك الله - للدراهم فارجو ان تسعفني ببقية

المطلوب في هذا اليوم ولك مزيد الشكر

الجمعة ١٠ مارس ٩٥٦ م

[illegible]

حضرة الفاضل الاستاذ احمد الشريف

حفظه الله

اسعد الله صباحكم

فاتتني البارحة عند العودة الى

طرابلس وحيث اني سأتوجه الى

غريان فارجو ان تأتوني بما

تيسر لديكم ثم تسلموا السيارة

الى المحل الذي تريده لكم الشكر

ودمتم محترما المخلص

[illegible]

تح ٢٠ ربيع الثاني هـ الموافق

١٨ يناير ١٩٥٦ م

حضرة الأخ السيد سعد الشريف حفظه الله

تحية طيبة وبعد فارجو التكرم بتسليم اثنى عشر الفا

ونصف لحامل هذه التذكرة وهذا الباقي ولكم الشكر

١٤ يناير ٩٥٦ [illegible]

(مخطوطات يدوية)

هكذا كان السعداوي يسدّد مصاريف الحركة الوطنية رغم « الأموال الكثيرة » وما جمعه الشعب أيضا . وما كنّا نعلم ذلك إلّا اليوم حيث صاحب هذه الوثائق ساءه ما جاء في كتاب (جهاد الليبيين ...) فتكرّم بإخراجها . وقال انه خالص فيها .

ولكن من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها .

إنه قاد المجاهدين وخاض المعارك ، وبمجرد انتشار المقال إذا بردّ من الباروني « باشا » على مقال عزام نشر في مجلة الرابطة العربية ينفي فيه ما يختص بقيادة المجاهدين وخوض المعارك ، وعلى إثر ذلك اتصل عزام بالمرحوم أحمد السويحلي يشكو له من رد الباروني ، وأنه قد يؤثر على سمعته . ألا يعتبر هذا من باب الغرور؟ أو لم يكن هذا نتيجة مباشرة لتلك المحاباة والإطراء..؟

واقترح عزام تنصيب ابنه حاكما على طرابلس . ألم يكن هذا أيضا من باب الغرور..؟

وأخيرا حينما استدعت ثورة الفاتح من سبتمبر عزام لزيارة ليبيا تكريما له على ماضيه وإخلاصه ، وكأحد قدماء مجاهدي طرابلس ، كنت في هذه الزيارة قد ترددت عليه مرارا في بيت الضيافة في طرابلس ، وفي إحدى هذه الزيارات كنا وحدنا ، وكان الوقت ليلا ، ولا يوجد أي زائر معنا فتحادثنا طويلا حول الجهاد والمجاهدين ، وذكرنا بعض الزعامات ، فقصّ عليّ قصة لم اسمع بها من قبل ، وهي قصة غير جديرة بالتسجيل ، إلّا أن جملة صدرت من عزام في آخر القصة هي التي فرضت عليَّ تسجيل القصة كاملة ، وإليكم ما قال عزام :

«في أيام الجهاد ونحن في الخمس شعرنا بضغط من جانب العدو ، فقررنا الانسحاب إلى الوراء قليلا ، في هذه الليلة جاءني «عبد العاطي الجرم» عليه رحمة الله» وجلس معي حصة من الوقت في أحاديث وذكريات . ومن أحاديثه على نفسه يقول : إنه رجل طيب مسالم لم يؤذ أحدا في حياته و و ... يقول لي هذا وأنا أعرف أنه كان مهربا ، وكثيرا ما تقع مصادمات بينه وبين أرصاد الحدود ، وأحيانا يقع بينهم تبادل إطلاق النار ، وحينما همّ عبد العاطي بالإنصراف قال :

يا عبد الرحمــن ، هذه أمتعّي معك هنيني عليها لأنني أريد أن أتاخر هنا حتّى الليلة التالية ، قلت لماذا هذا التأخر . !؟ قال هناك امرأة [ ] أريد أن أذبحها . قلت كيف تذبح امرأة ألا تخاف الله . !؟ وما هو ذنب هذه المرأة الذي يبيح لك قتلها . !؟ قال : في الأيام القليلة الماضية وردت عليَّ جماعة محترمة ضيوف في وقت متأخر ، ولم أجد كيف أدبر في إكرامهم . وهذه المرأة تمتلك (خروفا) ممتازا فذهبت إليها وطلبت منها أن تبيعني إياه بأي ثمن تطلبه فامتنعت . وهكذا فقد فضحتني مع ضيوفي فلا أغادر الخمس حتّى أذبحها» إلى هنا انتهت القصّة .

وهنا قلت للأستاذ عزام : يا سعادة الباشا أنت تعرف عبد العاطي مباشرة ، وأنا أعرفه عن بعد وبالسماع ، فهو رجل مخلص وصادق وكريم وشجاع ولكنه جاهل لا يدرك عواقب قتل النفس بغير حق ، فلا يقاس عليه فقال عزام : (هم كلهم ما يفهموا شيء) هكذا قال لفظا ومعنًى . أقول هذا وأنا أعرف أنني محاسب على قولي هذا أمام الله . ولا شك أن عزاما بقوله هذا يقصد زعماء طرابلس . أليس هذا منتهى الغرور . !؟ سمعت منه هذه الجملة ، ولم أراجعه فيها نظرا لمنزلته في نفوسنا وتقدمه في السن ، ثم حالته الصحية كانت متدهورة ويشعر بآلام وبالتالي فهو ضيف مكرم . وبعد ربع ساعة ودعته وخرجت .

وبعد ممّا تقدم من الكلام حول عزام أرى من واجبي أن أنبه في شأنه إلى أن عزاما غير مقصود في موضوعنا هذا ، بل الموضوع أساسا يتعلق بموقف الشيخ الطاهر نحو بشير السعداوي ، حيث إنه نال منه بعد وفاته وأن للسعداوي علينا حقا بعد غيابه ، ولا يتخلّى عن الواجب إلّا المنافق الأفاق . وكان بودّنا ألّا نذكر عزاما بما ذكرناه خصوصا وأن أكثر حياة الرجل مضيئة فيما نعلم . ثم إنه اليوم صار في ذمة الله . وعلى كل فما ذكرناه عنه لا يعدو كونه خطأً وكل الناس عرضة للأخطاء ولا يوجد فيهم معصوم . ولا يسعنا إلّا أن نرجو له من الله جل شأنه أن يدخله في واسع رحمته ، وأن يسكنه فسيح جنّته . ولكن الملابسات وظروف الحركة الوطنية وارتباط تلك المحاولات بموقف اللجنة الطرابلسية وأهدافها كان هو الدافع لذكر عزام .

كما أننا بالنسبة للشيخ الطاهر قد انتبهنا للواجب منذ صدور الكتاب السالف الذكر ، ولكننا جعلنا في اعتبارنا الظروف التي لا تسمح بإثارة مثل هذا الموضوع . وما كنا واسم الله نريد مناقشته في هذه الظروف . ولكن للمرحوم السعداوي حق علينا كمواطنين عرفناه وعرفنا كل تصرفاته ، وآمنا بإخلاصه ونزاهته في الحركة الوطنية . ولعلنا أعرف من يعرف حقيقته في هذا الميدان . ولذلك نقول فيه كلمة الحق . والله على ما نقول وكيل .

وهكذا فقد تفاعلت تلك الظروف بأحداثها وتناقضاتها فخلقت في بعض النفوس أشياء بقيت محبوسة في الأعماق ، إلى أن تفجرت في أوّل سنة 1950 م ذلك أنه في أحد ترددات السعداوي على (مصر) واتصالاته بجامعة الدول العربية في القاهرة والحكومة المصرية لمصلحة القضية الوطنية قد اجتمع «السعداوي ـ وعزام» وهو آنئذ أمين الجامعة العربية . وكان عزام كثيرا ما يتصرف في قضية ليبيا تصرّفا شخصيا خارجا عن الجامعة وبطريقة لا تتفق ووحدة البلاد ، كما أنه كان يقول إنه مفوض من طرف الليبيين دونما تحديد لجهة التفويض التي فوّضته لا تصريحا ولا تلميحا !؟

قلنا في أحد ترددات السعداوي حصل بينه وبين عزام نقاش بسبب ما تجمع في ذاكرة السعداوي من تصرفات عزام الشخصية في القضية الليبية ، وبعضها كان مزعجا وخطيرا على وحدة الوطن :

كاقتراحه بجعل ابنه حاكما لطرابلس .

إلى القول بأنه مفوض من قبل الطرابلسيين ، أو الليبيين (لا أتذكر)

إلى اجتماعه بوزير إيطاليا المفوض في القاهرة ...

إلى دعوة (اسفورزا) له لزيارة روما والفاتيكان بمقتضَى دعوة من الجمهورية الإيطالية وقداسة البابا

إلى مقابلته للصحفي الإيطالي والقول ببقاء الجالية الإيطالية في طرابلس ولها حقوق المواطن ...

هذه الأشياء التي عرفتها سجلتها هنا (بدون ترتيب من الناحية التاريخية) وقد تكون هناك أشياء أخرى لا أعرفها ، كما أن عزاما لا بد أن يكون في نفسه شيء على السعداوي ، بسبب فشل الجهود والمساعي التي بذلت لدخول اللجنة الطرابلسية ضمن هيئة تحرير ليبيا لكي تلعب دورها داخل الهيئة. وقد تكون هناك أشياء أخرى لا أعرفها أيضا . بسبب هذه التصرفات وفي هذا الجو النفسي حصل بين الاثنين نقاش حمى وطيسه ، وارتفعت درجة حرارته ، حينما طلب السعداوي من عزام أن يكفّ عن تصرفاته الشخصية في القضية الليبية ، وهنا غضب عزام وقال للسعداوي : أنت «لا تمثل طرابلس» فاحتدّ السعداوي إلى حدّ أنه هدّد عزاما بقوله : «لو تعيد هذا القول مرة أخرى لأصبَّن الستة في فمك» هكذا سمعتها آنذاك مباشرة من السعداوي نفسه ، وسمعها كثيرون غيري ، منهم من انتقل إلى رحمة الله تعالى ، ومنهم أحياء يرزقون .

وبعد هذا الخلاف بين السعداوي وعزام عاد السعداوي إلى طرابلس ، وبمجرد عودته صرّح بأنه في الأيام القليلة القادمة سيعلن عن اجتماع مؤتمر في مكان ما . وبعد ثلاثة أيام من هذا التصريح طلب إلى مكتب المؤتمر أن يشرع في إحضار بطاقات الدعوة ، وقد وقع الاختيار على «جامع مراد أغا» بتاجوراء اختير نظرا لتاريخه وموقعه القريب من العاصمة واتساعه ، كما أنه كانت تحيط به مساحة من أرض شاغرة . وقد قام أهالي المنطقة بتهيئته وإعداده للاجتماع . ولقد حضر هذا الاجتماع عدد وافر من المواطنين من مختلف أنحاء القطر ، وقام الأهالي باستضافة المؤتمرين ، إلّا الذين جاءوا من العاصمة وضواحيها فقد غادر بعضهم المكان بمجراد انتهاء الاجتماع .

وزعت الدعوات ، وفي يوم السبت السادس من جمادي الأولى سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف هجرية الموافق 25 من شهر مارس 1950م تم افتتاح المؤتمر في الجامع المذكور بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، ثم ألقى بشير السعداوي رحمه الله كلمة حيًّا فيها المؤتمرين ، وشكر وفود الدواخل على اهتمامهم وتجشمهم للمتاعب ، ثم أسهب في بيان الأسباب والدوافع التي دعت إلى هذا المؤتمر وما يستدعي الأمر اتخاذه من إجراءات فاستقر الرأي على إرسال برقيات إلى كل من الجامعة العربية والحكومة المصرية بكف يد عزام عن التدخل الشخصي في القضية الليبية .

قام الدكتور «محمد فؤاد شكري» عليه رحمة الله ورضوانه بتحرير نصوص البرقيات وتلاوتها على الحاضرين لترسل باسم المؤتمر إلى الجهات الموجهة إليها . وهنا رأيت الأستاذ «عبد الغني البشتي» قد رفع يده يطلب الكلمة ، فاتجهت إليه الأنظار والأسماع فقال : «إن عزاما عرفناه ، وكان معنا في بلادنا ، وحارب معنا فلا نريد أن نسيء إليه» هكذا كان قوله بالمعنَى تماما ، وأما باللّفظ فإن لم يكن هو بالضبط فقريب منه جدا .

وقد أحدث هذا القول ردود فعل متعاكسة ، فقام بضعة أفراد لمغادرة الاجتماع ، وارتفعت أصوات التأييد للسعداوي من هنا وهناك ، وصيحات الاستنكار لموقف الأستاذ «عبد الغني» ثم هدأ الجوّ وعاد كل إلى مكانه ، وواصل المؤتمر أعماله حتّى النهاية ، هذه هي الأسباب والمسببات والدوافع والبداية والنهاية لمؤتمر تاجوراء التاريخي .

وفي هذا المؤتمر المنعقد إثر عودة الوفد الليبي برئاسة بشير السعداوي من الأمم المتحدة عن طريق مصر. ألقَى الأستاذ «محمد ميلاد مبارك» قصيدة هتف لها المؤتمرون ، واستعادوا أبياتها أكثر من مرة ، رأيت أن أثبتها هنا ، وإليكموها :

يا وافدًا حمد الأنام سراكا ... نفسي إذا عز الفداء فداكا

لله للوطن الحبيب لمن به ... خروا كراما : ما خطته خطاكا

رحبتك أفئدة البلاد ورحبت ... بك أنفس عطشي إلى لقياكا

وتحرقت شوقا إليك وأقبلت ... تهفو الوفود جميعها لتراكا

عزت وفاخرت الورى بك أمة ... كادت تداس حقوقها لولاكا

لولاك لاغتالت خرائد خدرها ... غول تجيد الفتك والإهلاكا

ولجرعت غصص الحياة أسودها ... ولوت على أشبالها الأسلاكا

لولاك ما فكت قيود إسارها ... أو يستطيع لها سواك فكاكا

ماذا أقول وأنت أنت حقيقة ... لا أستطيع لكنهها إدراكا

وسع الجميع هناك فانقادوا له ... وقد استبدّ بهم عظيم هواكا

وملكت هذا الشعب لا متسلطا ... بطرا ولا متزعّما أفاكا

كنت الطبيب له وكان مثقلا ... بجراحه فشفيته بدواكا

وفتحت أبواب الحياة أمامه ... وأزحت عن طرقاته الأشواكا

وجمعت من شبّانه وحماته جيش الخلاص وسسته بنهاكا
وأثرتها حربا على أعدائه قارعتهم فيها بكل قواكا
ودفعته فمضى يخوض غمارها يخطو خطاك ولا يمل عراكا
وأتاك نصر الله في وضح الضحَى وبلغت شأو المجد في دنياكا

★ ★ ★

يا صبح يوم ـ عطرت أنفاسه لكأنني فيه ـ الغداة ـ أراكا
يوم التقت زمر الوفود بهيئة كانت تعدّ حقوقنا إشراكا
ألقوا بسمعهمو إليك وأكبروا فيك الحمى إذ راعهم مرآكا
وتطاولت أعناقهم وعيونهم بك علقت حين النداء دعاكا
فوقفت تزأر كالهزبر مزمجرا وتهز بين جموعهم يمناكا
وتدفقت كالسيل تقرع سمعهم كلمٌ كآي الذكر تملأ فاكا
نفذت إلى أعماقهم وتسللت لقلوبهم فتجاوبت لهداكا
وعنت إلى الحق المبين ولم تكن يوما تلين قلوبهم لسواكا

★ ★ ★

نصر حملت لواءه ومنارة للمجد شادت صرحها كفاكا
وسجل فخر سطرت صفحاته بين الممالك والشعوب يداكا
فاهنأ حباك الله كل عظيمة وجزاك خير الأجر في أخراكا
وأطال عمرك للبلاد تضمها وتسوسها وتنيرها بسناكا
حتّى تحقق سؤلها ومنالها وتنال من شأو الحياة مناكا

محمّد ميلاد مبارك

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

حضرة الأخ العزيز الأستاذ الفاضل السيد أحمد زارم حفظه الله :

تحية واحتراما ، وبعد فأدعو الله أن تكونوا وجملة الأهل بأتم الصحة والعافية . إني يا سيدي الأخ أعتذر إليك بسبب تأخري في أمر المراسلة لذلك أرجوك العفو والصفح الجميل . ومن مدة قصيرة جئت إلى الحجاز بسبب وفاة المغفور له جلالة الملك الراحل تغمده الله بالرحمة وأسكنه فسيح الجنان . قد انتهزت هذه الفرصة فحولت لك مبلغا يأتيك بما يعادله «شيك» على البنك أرجو استلامه والتفضل بتعريفي عن وصوله بعنوان البيت في القاهرة لأني على أهبة السفر ، وعلى الأكثر بعد يوم إن شاء الله .

وبعد أخذي جوابك سأكتب لك مفصلاً من مصر إن شاء الله وإني لا زلت أفكر وأعمل وأهتم بقضية البلاد التي طعنها الأعداء أعدائهم الخاسرين تلك الطعنة الدامية ، بسبب المعاهدة التي غلوا بها أعناق ذلك الشعب المجاهد . ولكن يجب أن لا يتسرب إلى قلوبنا اليأس وسنعمل إن شاء الله على احباط سعي كل خوان أثيم . والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

هذا وأنتظر جوابك في القاهرة ، ودمت ودامت لنا العزائم الصادقة والإيمان بالله الذي يرفع أجر من أحسن عملا . ومني عليك أتم السلام وأعمه أخي العزيز .

8 ديسمبر سنة 1983

أخوكم

بشير السعداوي

غواني بالقاهرة

الدقي شارع موصيري نمرة 9

وصل صباح يوم الاثنين

1953/12/28

محتـوى الرسـالة المخطوطـة :

حضرة الأخ العزيز الأستاذ أحمد زارم حفظه الله :

تحية واحتراما ، وبعد فإننا تلقينا بمزيد الفرح والسرور كتابك الأول والثاني ، وحمدنا الله الذي نجاك من أيدي القوم الظالمين ، وجمع شملك بالأهل والأولاد . واذكر أن كتابك الأوّل قد ضاع منّا مع الأسف وصرنا في حيرة كيف نتّصل بعنوانك بعد كتابك . ولكنك قد أنجدتنا بكتابك الثاني فلك الشكر الجزيل على هذه العناية لأننا في شوق لمراسلتك والاتصال بك ، ولا نشك بأنّك تقدّر شعورنا وموقفنا من هذه الكيفية التي أخرجنا بها من بلادنا في الوقت الذي كنّا نخوض فيه غمرة جهاد ونضال لسلامة البلاد وتحقيق استقلاله من عبث العابثين وطغيان المارقين عن الدين والوطن وأن ما لقيناه من ظلم واضطهاد وإبعاد كلّه في سبيل الله ولأجل سلامة الوطن وإننا نؤكّد لحضرة الأخ بأنّنا كنّا ولا زلنا نوالي الجهاد في سبيل تحرير تلك البلاد التي ضحينا لأجلها بكل مرتخص وغال .

فبعد وصولنا إلى القاهرة اتّصلنا برجالات العرب وشرحنا لهم الأوضاع التي تجري وكتبنا عنه مذكرات تأتيكم نسخة منها لتحيطوا علما بما قمنا به من الأعمال وإننا لازلنا نوالي السعي والعمل في سبيل تلك البلاد التي عاهدنا الله بأن لا ندخر جهدا لإنقاذها وتحقيق استقلالها فكن على يقين بأننا أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

منذ بضعة أيام وصل إلينا الأخ عبد السلام المريض بك ، هو وأحد أقاربه ، وقد لاقَى الكثير من المشاق والعناء ولكن الله سلمه وهو اليوم بمنزلي ، وتراني بالليل والنهار نفكر في العمل الموصل إلى إنقاذ البلاد من براثن المستعمرين ، ولا يتطرق إلى قلوبنا الفتور ، والله ناصرنا ما دام رائدنا حب البلاد وحب الدين والوطن ، والآن أكتب إليك هذه العجالة لنطمئنك عن بقائنا بالقاهرة وإننا بأتم الصحّة جميعا ، وإن الأخ نوري وزهير وعبد الحميد يهدونكم مزيد السلام ومني إليك أتـم السلام وأعمّه كما وانتظر موالات المراسلة ، ودمت بخير والسلام ختام 14 / أبريل 1952م .

بشـير السعـداوي

هـذا الملـحق من نـوري السعـداوي

أهديك تحياتي ومزيد أشواقي وأحمد الله تعالى إليك على نعمة العافية وأرجو أن تكون على أتمها : لقد سررنا أيما سرور شاكرا الباري تعالى الذي انقذك من براثن الظلمة المستعمرين وأذنابهم الخونة المارقين الذين خسروا الدنيا والآخرة ببيعهم الدين بالدنيا فما ربحت تجارتهم .

فحرصنا على مواصلة الجهاد في سبيل قضية الوطن التي نعتقد أنها فريضة مقدّسة لا يجوز شرعا إهمالها ولا السكوت عنها . فثق أيها الأخ إننا منذ وصولنا القاهرة لم نفتر عن موالات الاتصال برجالات العرب وإعلانهم تفاصيل ما حصل في البلاد من مظالم تقشعرّ منها الأبدان قد شرحناها في مذكّرات أرسلناها إلى جميع رؤساء الدول العربية والإسلامية والأجنبية والجرائد العالمية ولازلنا نواصل جهادنا إلى أن يأذن الله تعالى بإرجاع الحق إلى نصابه والله ولي التوفيق .

نـوري السعـداوي

* * * *

من حـوادث سـنة 1951 م في الحـركة الوطنـية

حمـلة اعتقـالات

بعد صراع سياسي طويل تتخلله وفود واجتماعات واتصالات ومظاهرات صاخبة ومساع كثيفة حتّى أصبح الاستقلال أمرا واقعا. إلاّ أن وضع البلاد كان يتأرجح بين الانفصال والاتحاد والوحدة ، ولكل اتجاه من هذه الاتجاهات أنصار . ولكن أنصار الوحدة كانوا أغلبية ساحقة . أما أنصار الانفصال فقد داخلهم اليأس ولم يبق لهم في ذلك من أمل ، وبقي الصراع في عنفوانه بين أنصار الوحدة وأنصار الاتحاد مستمرا .

وقد فرض ذلك على وجهة معينة أن توحى لإدريس بزيارة طرابلس « هذا ما نـمَى إلينا في وقته ، والله أعلم بالحقيقة » المهم أنه استعد لزيارة طرابلس ليسبر غورها ، ويعجم عودها في موضوع النظام الاتحادي « الفيديرالي » الذي يبدو أن إدريس اتجه إليه كحل وسط بين الوحدة والانفصال ، حتّى يأذن الله في هذه أو تلك .

وهكذا فقد عزم إدريس في سنة 1951 م على زيارة طرابلس ، وبطبيعة الحال كانت الإدارة البريطانية في جانب جماعة الفيديرالية التي تأثر بأمرها ، لكي تمكنها من كراسي الحكم . ثم ترد هذه الجميل بتمكين من مكنها . هؤلاء وأولئك جميعا كانوا يصورون لإدريس أن طرابلس ، وبالتحديد الحركة الوطنية المتمثلة في المؤتمر الوطني ، هي العدو اللدود له . وأن الخطر على حياته يكمن فيها . وأخذوا يهولون له أخطار الزيارة بأكاذيب مختلفة عن طريق عناصر معينة ، هم غلاة الإقليمية .

هذه العناصر كانت قريبة منه حسا ومعنى ، وهي كثيرة الاتصال به ، والتردد عليه ، وهو يأخذ بأقوالها ويتأثر بأفكارها ، والإقليمية التي يعملون لها من أهداف الإنجليز للبقاء في برقة . وهم يعلمون ذلك جيدا . ولذلك فالإنجليز يعملون عن طريق هذه العناصر ، حيث يخططون لها ويدعونها للعمل ، وهكذا فقد اتفقت مصلحة الطرفين . فطرف يريد الوصول إلى كراسي الحكم بأي ثمن كان . وطرف آخر يريد التمكن في البلاد ، ولكن بطلب من أهلها . وقد فشل الطرفان .

قلنا : عزم الرجل على زيارة طرابلس ، وقد تحدد موعد الزيارة في أواخر شهر مايو من سنة 1951 م ، وحل الشهر وبدأت تجرى الاستعدادات لهذه الزيارة ، وفي هذه الأثناء نمى إلينا بصورة مؤكدة ما تبينه الإدارة البريطانية وعملاؤها من إجراءات أمنية تحفظية . ومن جملة هذه التحفظات إلقاء القبض على عدد من عناصر الحركة الوطنية ، وإبعادهم إلى وجهات مختلفة ، حفاظا على حياة الزائر .

وهذه التدابير التحفظية كانت نتيجة حتمية لتلك الأكاذيب الذي اختلقوها ليبرهنوا على صدق أقوالهم واخلاص نواياهم نحوه . وسوء نية الآخرين . وهم يعلمون أن الشعب كلّه في طرابلس وفي غير طرابلس لم يكن كما يأفكون ، وإنما هو يطالب بإلحاح بتحقيق وحدة البلاد ، ليس إلّا .

وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة 7 مايو 1951 بينما كنا في قصر المؤتمر الوطني العام بشارع عمر المختار . الدكتور محمد فؤاد شكري ـ وأنا ـ وأتذكر أنه كان معنا شخص ثالث نسيت من هو والدكتور شكري هذا مصري كما ذكرت آنفا ، وهو معار من الحكومة المصرية كمستشار لرئيس هيئة تحرير ليبيا « بشير السعداوي » كنا كامل تلك الليلة في شغل شاغل بتصفية وتصنيف وثائق المؤتمر .

ذلك لأن الدكتور شكري تلقى إنذارا بمغادرة البلاد في وقت ضيق جدا باعتباره أجنبيا عنها .

أجل ، بينما نحن غارقون في أعمالنا تلك ، وعلى حين غفلة «إذ أننا لا نعرف الساعة التي سيطلبوننا فيها» إذ اقتحم علينا المؤتمر نفر من البوليس مع ضابط انجليزي . ولم يلتفتوا للدكتور شكري ولم يكلّموه . وإنما طلبوا مني الخروج معهم . ولم أسألهم ماذا يريدون . لأننا ، كما أشرت آنفا ، لدينا معلومات وافية ومؤكّدة عن ذلك . إذن فلا فائدة من التجاهل . وعند خروجنا وجدت سيارة بوليسية واقفة أمام مدخل المؤتمر ، فأمرت بالركوب فركبت ، وراحت تخترق شوارع المدينة مفتشة عن منازل بعض الإخوان في تلك الساعة المبكرة .

ولقد تجمعت في مركز البوليس المسمّى «روما» سابقا . وأظنه نقطة شرطة منيذر فيما بعد ، بشارع الوادي آنئذ . شارع عمرو بن العاص فيما بعد ... لقد تجمعت مجموعة كبيرة لا أعرف عددها ، ولقد كان من بين هذه المجموعة الأستاذ «سعيد السراج» وكان إذ ذاك شابا في ريعان الشباب . وكان له نشاط ملحوظ في الحركة الوطنية ، ومواقف تذكر فتشكر .

ومن المصادفات أنهم حينما قسمونا إلى فرق ، وأخذت كل فرقة إلى منطقة معينة كان «سعيد السراج» في الفرقة التي كنت أنا من ضمنها والتي نقلت إلى «نالوت» ، وقد اعتنى سعيد السراج بدافع من نفسه بتلك الرحلة القهرية ، فأخذ يسجل كل حركاتنا وسكناتنا ومجادلاتنا يوما بيوم ، لا فرق بين جدها وهزلها ، كما أنه مزج ذلك بملاحظات في وضع البلاد الطبيعي والاجتماعي والتاريخي ، مناظر الجبال ، واتساع الأرض ، وعمق الأودية ، وهدوء المنطقة ، وغير ذلك مما تبادر له ، مثل بعض المعالم الأثرية وتسميتها ، وبعض أسعار البلاد في تلك الحقبة من الزمن .

ولعلّ دافعه إلى ذلك هو أنه لم تسبق له معرفة الجبل من قبل معرفة إقامة وجولات واطلاعات واختلاط بالسكان والسماع منهم بأشياء لم يعرفها معرفة جيدة . خصوصا تلك الجهة ، فأعجبته تلك المناظر الجديدة بالنسبة له ، فسرح فيها نظره وفكره ، وسجل ما تبادر إليه منها . وهي تسجيلات لا تخلو من فائدة تاريخية ، وقد تجدها الأجيال المقبلة في الأعصار الآتية كنقطة انطلاق لأبحاث أوسع وأعمّ وأعمق .

واليوم ، وأنا أحاول جمع شتات ما يمكنني جمعه من تلك الحركات الشعبية والمواقف الحزبية والمعاكسات الإدارية التي لم تتعرض لها الجهات الرسمية بالتسجيل كمجلس هيئة الأمم المتحدة لليبيا . أو الإدارة البريطانية ، أو حتّى الحكومة الوطنية التي فرضتها تلك الجهود التي بذلت في سبيل انقاذ الوطن ممّا يستهدف له من محاولات التشتيت ومطامع الاستيلاء ، ولما كانت هذه الحركات والمواقف هي من صميم تاريخ الشعب ومن مفاخره وجب علينا نحن الذين عاصرناها وعشناها أن نسجلها ، كل بقدر مقدرته ومعلوماته وإمكاناته ، لتبقى للأحفاد حتّى يعرفوا مواقف الأجداد وكفاحهم المرير الطويل ، ليتركوا لهم وطنا قويًّا حرًّا غير موبوء . ولما كنت أعرف أن الأخ سعيد السراج كان يسجل في تلك الرحلة القهرية يوما بيوم ، وكنت أنا أيضا أسجل . ولكن تسجيلاتي ضاعت عندما وقع إبعادنا من البلاد وعبثت أيد مجرمة خائنة بمقر المؤتمر ومحتوياته في أول سنة 1952م ....

قلنا اليوم وأنا أحاول جمع شتات ما يمكنني جمعه فقد اتصلت بالأستاذ سعيد السراج ، وطلبت منه صورة من تسجيلاته تلك كي أجعلها في مذكراتي هذه إن شاء الله . إذا وفقني الله لجمعها وإصدارها . كذكرى لماض عشناه ، وذكريات الماضي دائما جميلة ومحبوبة . وكم من ظروف أتت علينا في الماضي ، كنا في خلالها نتمنَى مفارقة هذه الحياة ، فأصبحت اليوم تلك الظروف ذكريات عزيزة ولذيذة .

قلت : اتصلت بالأستاذ سعيد السراج وطلبت منه صورة من تسجيلاته تلك ، فتكرم ، جزاه الله خيرا ، وسلمها لي . وهذه التسجيلات . أو ذكريات الرحلة القهرية تقع في حوالي نيف وخمسين صفحة مقياس 30 في 20 ولما كانت هذه التسجيلات كما ذكرت آنفا حوت الهزل والجد ، وجمعت الغث والسمين ، فقد أخذت منها ما رأيت أنه أجدر بالنشر ممّا تركته . وإلى هنا أقف بمقدمتي هذه ، وأترك القول للأستاذ السراج حيث يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه بعض ذكريات عن عملية إبعادي مع مجموعة من الإخوة المواطنين بمناسبة زيارة إدريس إلى طرابلس ، وقد أبعدنا عنها حفاظا على الأمن وسلامته كما يزعمون . وكانت إقامتنا في «نالوت» وقد دامت 14 يوما من 1951/5/17 إلى

1951/5/20 كان عمري يومئذ 27 سنة تقريبا . ومجموعة نالوت هذه كانت من الإخوة :

1 ـ سعيد السراج .	8 ـ عبد المجيد كاره .
2 ـ أحمد زارم .	9 ـ الضاوي امْسلم .
3 ـ عبد الرحمن دقدق .	10 ـ الطاهر تنتوش .
4 ـ محمد ميلاد مبارك .	11 ـ الحاج امحمد التكبالي .
5 ـ الحاج محمود المقدود .	12 ـ محمد فرنكة .
6 ـ علي محمد المسلاتي .	13 ـ سالم شيتة .
7 ـ علي الحمداني .	14 ـ أحمد أبو عرقوب .

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، أي : في صباح يوم 17 / 5 / 1951 عندما دق جرس البيت بعنف دقات متتالية أيقظت كل من في البيت ، وأخذوا يتساءلون من الطارق ...؟ إن شاء الله خير ، دخل الضابط ومعه نفران من البوليس إلى داخل البيت اقتحاما ، وطلبوا مني أن أخرج معهم . ما هو السبب؟ هل فعل شيئا ..؟ ولكن الضابط لم يزد عن طلب خروجي معه ، وإنما تعليمات أمنية . ونصحني بأن آخذ بعض أمتعتي الخاصة فقد أضطر إلى المبيت في الخارج . وأمهلني عشر دقائق أسرعت خلالها في جمع بعض أمتعتي وخرجت في صحبة الضابط والبوليس .

وكانت الساعة الثالثة والثلث تقريبا . قادني الضابط إلى سيارة واقفة أمام البيت تابعة للبوليس ، دخلتها فوجدت بها الأستاذ أحمد زارم قابعا في زاويتها . عندئذ شعرت بشيء من الطمأنينة ، إذ أن المسألة ليست محصورة في شيء يريدون تسميته غوغاء ومشوشين من الطريق وحشري معهم . ولكن المسألة أكبر ، إذ تضمّ قياديين أيضا سلم عليَّ زارم فوجدته عالي المعنوية ، يبتسم ، ويتحدث في اطمئنان . وقد قال لي : كنت أترقب هذا فلم أنم قط . سرنا سويا في سيارة البوليس إلى مركز البوليس المسمّى «روما» سابقا فنزلنا بأمتعتنا . وكان زارم يحمل حقيبة صغيرة . ويلبس بدلة سوداء وطربوشا .

نزلنا في المركز فوجدناه يعج بالبوليس كلهم بعصيهم ، وفي الساحة خمسة من الضباط الإنجليز وثلاثة من المفتشين العرب ، أحدهم «مصطفى الجيو» قادنا المفتش

«عقيلة» إلى سجن المركز فوجدنا به الحاج العربي وبعض أفراد من «حزب الكتلة» من بينهم «إبراهيم الحاج العربي المقدود» وأبو بكر بلخير أخو الحاج سالم بلخير وآخرون لا أعرفهم .

طرب الحاج محمود المقدود لما رأى زارم وأخذ يمزح معه . بقينا هناك حصة ، فإذا بالباب يفتح ، ويدخل منه الحاج امحمد التكبالي . ثم ميلود الزقعلي . ومحمد فرنكة ، وبعد قليل سالم شيتة ، وقفل الباب ثم فتح على عبد الرحمـن دقدوق ثم علي المسلاتي ثم محمد ميلاد مبارك ثم الحمداني . وهنا أخذ الحاج محمود يمزح على الحمداني قائلا له مع كلام كثير جدا «خيَّطت» عشرة آلاف علم فيديرالي ولكن لم تشفع لك هذه الخياطة. جابوك ، جابوك.

كل الحاضرين كانوا يظهرون الشجاعة وعدم المبالاة ، ثم ازداد العدد ، فدخل الطاهر بن تنتوش والضاوي مْسلم ، وآخر معهما لا أعرفه ، ثم عبد المجيد كاره في «قفطان النوم» وجبة خفيفة وكان الطقس باردا . أعطيته «الحولي» الذي (جبته) معي وجلس بجانبي وأخذ يقصّ ما حدث له . ثم أخذ كل واحد من الجماعة يقصّ قصّته وكيف فاجأوه .

قال أحمد زارم : لقد بقيت مع الدكتور شكري ومعنا ثالث اسمه أحمد بن علي نتصفح الأوراق ، فأحسسنا بالجوع ، فقال الدكتور هل عندك ما نأكل ..؟ قلت : شيء «الزميتة» أي : السويقة . قال : هاتها . قلت : ألم تقل إنها تعلق بأسنانك الصناعيات ..؟ قال ولكن ليس لدينا غيرها ، أحضرناها ، وقبل أن نبدأ الأكل دقّ الباب فعلمنا أن البوليس يريدني فأحضرت أمتعتي وسلمت المفتاح للدكتور شكري كي يسلمه بدوره للمسؤول عن المركز ، وودعته وخرجت .

قال الحاج محمود المقدود عند الساعة الثالثة سمعت الباب يدق بشدّة فخرجت بسرعة فوجدت بوليسا عربيا فلمته بشدّة على هذا الطرق المزعج فقال : سامحني يا حاج كنت أظنك نائما ، على كل ماذا تريد..؟ قال إنك مطلوب للمركز ، وكنت أعرف أن هذا سيحدث ، وسمح لي البوليس بلبس ثيابي وخرجت معه.

قال : عبد الرحمن دقدق : كنت نائما عندما أيقظني أخي قائلا أسرع البوليس ... البوليس يسأل عنك ، إنه يريد الدخول : فقلت : لا تجزع ، سأخرج

لهم حالا ، وقد أخذت تمرينات على مثل هذا . فقد أخذت يوم الثورة على اليهود بطرابلس . ولما خرجت إلى الضابط قال لي : أنت مطلوب لدى المركز فلبست عمامتي وأخذت بعض ملابسي وخرجت معه .

وهكذا فقد تعاقبت الجماعة في سرد قصصها إلى أن سمعنا صوت سيارة تدخل المركز ثم سمعنا بعدها جريا أوامر من الضباط للبوليس فلم نفهم شيئا ، وبدأت بيننا التعليقات حتّى دخل ضابط في يده ورقة فقرأ ستة أسماء من بينها أبو بكر بلخير فخرجوا معه ، وكان من بين الستة «محمد ماعوتة» وقد ظهر عليه التأثر ولا أعرف السبب . وعادت التعاليق حول مصيرنا ، وبعد قليل فتح الباب ودخل الضابط ، وأخذ يقرأ الأسماء حتّى انتهَى ، ثم قال : اركبوا السيارة فركبنا . وكان الوقت لا يزال ظلاما . والساعة تشير إلى الرابعة والربع تقريبا تحركت السيارة . وكانت جلستي في آخر السيارة وبجانبي محمد ميلاد مبارك . وأمامي عبد المجيد كاره ، والضاوي مْسلم . وأمامهما عبد الرحمن دقدق . وأحمد زارم . ثم علي المسلاتي ... الخ وفي مقدمة السيارة الضابط الإنجليزي والسائق ومعاونه ، وهما إيطاليان ، ثم بوليس مسلح ، وفي آخر مقاعد السيارة ثلاثة من البوليس المسلمين .

وسارت بنا «مركب نوح» حاملة من كل جنس ، لا يعلم أحد منا إلى أين تسير بنا . فودعنا من كان بالمركز منهم : الكتاف ، وعقيلة ، والجبو وضابط انجليزي ، وعلى ذكر مصطفَى الجبـو أذكر ما قاله لعبد المجيد كاره : «البوليس مثل الكلب المربوط في سلسلة يطيع صاحبه الذي يملك السلسلة فإذا قال له كوتشه عض من أشاربه عليه» دارت السيارة نحو شارع ليكاردو : أول سبتمبر اليوم ، ثم شارع المالكية وأخذ جماعة الكتلة ينشدون «أيها الأحرار هبوا» ولكن سرعان ما سكتوا . وواصلت السيارة سيرها نحو سيدي منيند ، ثم إلى أبي هريدة ، فباب العزيزية فخارج السور إلى طريق سواني بني آدم .

وكان بجانبي محمد ميلاد مبارك يشعر بالبرد ، ويقول إنه مصاب «بالروماتيزم» فأعطيه الحولي والبرد كان لاذعا خصوصا في هذا الصباح الباكر . قفلنا نوافذ السيارة . وقد استسلم بعضنا للنّعاس أو قل للهدوء والتفكير فيما سيحصل . وآخر يفكر فيما حصل وما ترك وراءه من مصالح وأعمال عائلية . وقد كنت أحد هؤلاء لقد بدأت أفكر كيف سيكون مصير الدكان . وهل سيوصل الضابط المفتاح أم لا ، ثم

حالة العائلة وقد تركت الوالدة وبقية أفراد الأسرة في قلق. شعورهم بأنني سأعود في نفس اليوم. كما لمح الضابط عند خروجي من البيت.

وعلى كل فحديث بعض الجماعة ألهاني بعض الشيء فاستسلمت للواقع. لم تقف السيارة في سواني بنيادم وقفت في العزيزية ولم يسمح لنا البوليس بالنزول. وقد علمنا أن سبب الوقوف هو البحث عن «الحاج بشير بن رمضان» الذي بلغهم أنه في العزيزية ولكنهم لم يجدوه. ويبدو أنه اختفى في بعض القبائل البعيدة عن المركز (1) وقف جمهور على بعد منا وعلى وجوههم التساؤل وحاولوا الاقتراب منا ولكنهم منعوا. وبعد ربع ساعة تقريبا جيء لنا بالسجاير، اسبيريا، غرياني، جفاره، انجليزي، ثم واصلنا السفر.

نحن الآن في الساعة الثامنة صباحا من يوم 17 / 5 / 1951 أمام مركز بوليس غريان. ظننا أنها نهاية المطاف ولكن البوليس لم يسمح لنا بالنزول. دخل الضابط إلى المركز وبيده أوراق. وفي أثناء ذلك فكرت أن أتصل بأحد المواطنين لأسلم له ورقة كانت جاهزة ليوصلها إلى أحد أصدقائنا في غريانة هو محمد الفطيسي لكي يتصل هذا بأخوتي ويخبرهم عنا ولكنني فشلت. وبعد برهة رأينا بعض أفراد من البوليس يخرجون من المركز، ومعهم أجهزة إذاعة مخابرات، ووضعوها في سيارة الضابط الصغيرة التي كانت ترافقنا من الخلف. وبها ضابطان انجليزيان وأربعة من البوليس العرب. وقد لاحظنا «أبا بكر الزليطني» مستترا وراءها يرمقنا من خلال زجاجها في حذر بسبب ضعف شخصيته أمام الإنجليز، فناداه علي المسلاتي بصوت عال، قصد إحراجه فاختفى تماما. لاحظنا العلم «الفيديرالي» مرفوعا فوق متصرفية غريان.

مجموعة من الأهالي تجمهرت عن بعد، فقام أحد أفراد الكتلة يخطب فيهم قصد رفع معنوياتهم. قال لنا أحد أفراد البوليس، هناك سيارة أخرى محملة بشباب المعارضة اتجهت إلى مكان مجهول. وهنا فكرت في أخويّ مصطفى وكمال ماذا يكون حال العائلة لو قبض عليهما؟ خصوصا وأن أحمد زارم يسألني عن مصطفى وقال:

---

(1) سألته بعد انتهاء الإبعاد هل كان في العزيزية فعلا. فقال: لا أنا في طرابلس لكنهم لم يعثروا علي.

إنه يخشَى أن يقبض عليه أيضا فقصصت عليه ما دار بيني وبين مصطفى فاطمأن قليلا .

بعد خمس وعشرين دقيقة تقريبا تبودل الحرس ، فبقي الذين رافقونا من طرابلس في غريان ، وركب معنا بوليس جديد من غريان . وسارت السيارة فعلمنا أن المقصود مكان آخر وكان تفكير أكثرنا أننا سنلقى في خيام بين تلك الجبال خصوصا وأن أجهزة مذياع كانت معنا .

وما جاءت الساعة التاسعة تقريبا من يوم 17 منه حتّى كنا بمنطقة « الأصابعة » . وقد كنت أسمع عنها كثيرا من أخي مصطفى الجو لطيف منعش والشمس دافية والأرض مخضرة ومرتوبة ويظهر أن المطر نزل بها كثيرا . فقد مررنا ببعض الغدران الصغيرة على حافتي الطريق . يظهر ان أحمد زارم يعرفها جيدا فأخذ يصف لنا جوها ومحصولها وناسها .

وقفت السيارة وأمرنا الضابط بالترجل للفطور وشيء من الراحة . ونزلت معنا (قفة) بها خبز وجبن وزيتون فأكلنا ، وبعد ربع ساعة واصلنا السير ، فكرت في الاتصال بالشيخ عبدالله السحيري صديقنا . ولكن كيف..؟ خطر ببالي أن أكتب ورقة وأضعها في علبة سجاير ، وأقذفها من السيارة عند تجمع الأهالي . وأي من يلتقطها سيجد بها الشيخ عبد الله ستصله ، ولكن مرت السيارة بسرعة ، ولم أتمكن من قذفها ، وهكذا فقد ضاعت هذه الفرصة كما ضاعت الأولى من قبلها .

السيارة مازالت تنهب الأرض إلى مكان مجهول بالنسبة لنا . وقد دب النشاط في الحديث بعد الفطور ، والحاج محمود دائما هو محور الحديث . وبدأ يقصّ علينا حكايات وذكريات عن اعتقالهم يوم الثورة ضد اليهود . وكيف كان « علي الفقيه حسن » من بينهم وهم في المعتقل ... الخ ...

وما حلّت الساعة الحادية عشرة من نفس اليوم والتاريخ حتّى أشرفت بنا السيارة على « وادي الرومية » وقفت به قليلا بقدر ما سلمنا ضابط الحراسة إلى ضابط آخر من يفرن ليعود الأول إلى غريان . وغادرت السيارة « وادي الرومية » فأصبحت يفرن غير ذات موضوع تابعت السير والطريق يمتد أمامنا حتّى الساعة الواحدة حيث دخلت بنا السيارة إلى « جادو » نزلنا أمام مركز البوليس ودخل المفتش والضابط المرافق إلى المركز يتناقشان .

وبعد قليل أدخلنا البوليس إلى المركز ، فالتف بنا من كان داخله ، وتجول بعضنا في أرجائه . وصعد بعضنا إلى سطح المبنَى ، وكنت من بين من صعد لنرى البلد تحفها الجبال الشاهقة ، والأودية العميقة . وأخذ زارم والتكبالي يسردان شيئا من التاريخ فكان شرحا ممتعا . وقد تجمع بعض أهالي البلد شباب وصبية وغيرهم ، بعضهم ينظر إلينا في استغراب ، وآخر في ترحيب وثالث في فضول ، وكثير منهم يظن أننا طلائع السعداوي ، لقد أنسانا هذا المشهد واللقاء الطبيعي شيئا من تعب الرحلة ، وأحسسنا بأنها رحلة استطلاعية أكثر منها إبعادا واعتقالا .

لقد زرت جادو من قبل . وهذه هي المرة الثانية ، وهي أمتع من الأولى لوجود من يعرف المنطقة فيبين لنا كل ما نريد معرفته . ولقد اعتقدنا أو ظننا على الأصح أن غيابنا عن طرابلس سيكون لمدة أسبوع تقريبا . أي حتّى تنتهي زيارة إدريس ، نحن الآن لازلنا بجادو ، جاءنا الغـداء مستعجلا ، لكل ستة أشخاص صحن به بيض مسلوق وبطاطا مقلية ، وسلطة ، ثم جاء الشاهي على الطريقة الإنجليزية .

وفي الساعة الثالثة تقريبا أخرجنا أمام المركز بطلب من الضابط ، وهنا نادى على ستة أشخاص منهم محمد ماعونة وميلود الزملعي وآخر اسمه يوسف من أتباع الكتلة . وأمرهم بالبقاء في جادو. أما البقية فإلى « نالوت » ... ومن هنا عرفنا مقرّنا بعد ما كنّا نسير إلى مجهول. تألم الستة الذين بقوا في جادو لهذا الفراق وطالبوا بالذهاب معنا ولكن الضابط أصرّ على بقائهم في جادو. فرجونا المفتش العربي أن يعتني بهم ، ثم ودعناهم وركبنا متجهين إلى « نالوت » .

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر من نفس اليوم وصلنا إلى « تيجي » إن الخارج من جادو إلى نالوت يشعر بوعورة الطريق وخطورتها فهي ملتوية ومنحدرة بخلاف الطريق الداخلة إليها من يفرن . وقد كان الضاوي مسلم يتظاهر بالخوف أو هو كذلك . فانهالت عليه تعليقات الجماعة . وصلنا السهل ومررنا « بشكشوك » وهي تجمع نخيل جميل جدا في سهل تحيط به الجبال من ثلاث جهات ، وتواصل السير حتّى « الجوش » وهذه عرفناها من قبل ، ولم نتوقف ، لا في الأولى ، ولا في الثانية .

واصلنا السير رأسا إلى « تيجي » حتّى وصلناها « سماعك بالمعيدي خير من أن تراه » هذا مثل ينطبق على تيجي على العموم ، إنها مركز قضاء ، ولقد سمعت يوما أن الشيخ المسعودي كان قاضيا بها ، فظننت أنها شيء ما ، ولكن تبين أنها مركز صغير

للبوليس به ستة من الإبل وثمانية بوليس وشاويش ومدير ناحية أو شبه مدير وقاض وعشر عائلات رحّل ، بناء متواضع للمركز وبقربه آخر للمحكمة والمدير ، تحيط بالجميع حديقة بها بعض النخيل وشجر السرول . وقريب منها عين ماء ومن حولها خضرة وشجرة توت وارفة الظل . أما المنطقة ككل فهي منطقة جرداء حيثما وليت وجهك ، ولكن المسافة الطويلة التي قطعناها تجعل من «تيجي» جنة وفيها التوت . فقد أكل عبد الرحمن دقدق من بصلها الأخضر وتوتها واسترحنا بها قليلا ؛ وجدنا مديرها وهو معروف عند «أحمد زارم ، ودقدق» فسلم علينا وألح على البقاء للشاهي ولكن كان غير ممكن فالضابط لا يوافق .

حكَى لنا الشيخ عبد الرحمن دقدق عن «تيجي» ما سمعه من الشيخ المسعودي عندما كان قاضيا بها ، قال : قال له الشيخ المسعودي حينما كان قاضيا هناك ، مات أحد الأهالي ولم يوجد في المكان غيري ، فغسلته وكفّنته ، وانتظرت أن يأتي أحد يساعد في دفنه ، حفرت القبر لوحدي ، ومرّ أغلب النهار وكادت الشمس أن تختفي ، ولم يحضر أحد ، فصليت عليه وحدي وجرجرته على الحصير إلى القبر ، حيث دفنته وحدي . وهذه هي تيجي وكفى ! ! !

تركنا تيجي في الساعة الرابعة مساء تقريبا في طريقنا إلى «نالوت» والمسافة بين تيجي ، ونالوت حوالي ثمانية وأربعين كيلومترا ، الطريق منبسطة معبّدة ، وعند كل خمسة عشر كيلو مترا يوجد مخيم للعمال يصلحون ما أفسدته الأيام قالها البوليس الجالس بالمقعد خلفي : هذه منطقة يكثر فيها الغزال ، ولقد قابلنا منذ أسبوع «جليب» كدنا نصدم بعضه بالسيارة ، ونحن في مهمة . وهنا ركزت نظري يمينا وشمالا ، ولكن لا غزال ولا إنسان ... على الإطلاق ! !

ولقد علمنا أن مفتش بوليس نالوت هو عبد الله شتيتة ، ومتصرفها الصادق البشتي ، قائمقامها هو سالم خريبشة ، ومديرها هو الصادق الشريف ، وقد استبشر الجميع بأن هذه المجموعة ستكون لطيفة معنا .

وعلى بعد كيلو متر من بداية الثنية الصاعدة إلى نالوت وقفت بنا السيارة لراحة المحرك ، وزيادة البنزين ، فنزلنا جميعا ومن حولنا هذه الجبال الشاهقة . ونحن في قعر الوادي . تجوّلنا قريبا من موقع السيارة . أعشاب المنطقة أغلبها طيبة ، مثل :

الحرمل ـ الروبيا ـ الشيح وغير ذلك ، ومن هذه النباتات وغيرها كثير تنبعث رائحة يلقح بعضها البعض فتتكون منها رائحة ذكية تعطر الجو كله .

بعد نصف ساعة تقريبا عدنا للسيارة ، وبعد أن تأكد الضابط من عددنا ركبنا السيارة وتحركت بنا صاعدة في ثنية كثيرة التعرج ضيقة الزوايا ، وعلى كل وصلنا إلى نهاية المطاف بفضل الله بصحة وسلامة حوالي الساعة السادسة تقريبا .

هـــذه نالـــوت

الساعة الخامسة والنصف أو أكثر قليلا من يوم الخميس 1951/5/17م وقفت بنا السيارة أمام فندق نالوت . وما كنت أظن أن نالوت بهذه الروعة والجمال ... إنه جمال الطبيعة وعظمتها ... الجبال الشاهقة والسهول المترامية والأودية السحيقة والنخيل المتناثرة هنا وهناك في ذلك الوادي السحيق ـ الطريق الملتوية كأنها ثعبان من خط الاستواء ؟

ولقد لفت نظري بصورة خاصة نظافة أهالي نالوت ، فكل لباسهم «حوالي» بيضاء ناصعة . وصلنا المركز وتجمع الأهالي من كل حدب وصوب ، وهم يتساءلون في اهتمام ... من هؤلاء ..؟ الوجوه مستبشرة ، والعيون تتساءل : هذا وفد مهمّ ... فيه طرابيش وعمائم ... شخصيات ... وقد علمنا فيما بعد أنهم اعتقدوا أننا وفد من طرف السعداوي في جولة وطنية مهمّة ، هذا يلوح بيده ، وآخر يبتسم ، وثالث متحفظ . ودخلنا بناء المركز فإذا هو بناء فسيح على حافة الجبل يطل على واد سحيق ، الواقف على حافته يرى المواطنين كأنهم حملان صغيرة لبعد المسافة ، وارتفاع موقع الناظر .

استقبلنا عبد الله شتيتة والصادق البشتي والصادق الشريف ، سُرّ بقدومنا الجميع ، واظهروا لنا سخطهم على الأوضاع الغاشمة ، ومهما تكن حقيقة موقفهم فهو تشجيع لنا ورفع لمعنوياتنا ، لاحظت والسيارة تمر بنا أن العلم (المثلث الفيديرالي) مرفوع على مركز المتصرفية كما رأينا الصادق البشتي واقفا مع بعض السكان . وبعد تبادل التعليمات بين الضابط الإنجليزي والمفتش عبد الله شيتة رجعنا

إلى السيارة ، واتجهت بنا نحو الفندق ، وقد رافقنا الإمباشي (علي بوشاقور) وهو ملتهب حماسا للسعداوي والمؤتمر.

وفي الفندق وجدنا الصادق البشتي ، وكان لطيفا معنا جاملنا مجاملة طيبة ، قال لنا : إنه يتحسّس بتطورات ومفاجآت ستظهر ، وأحداث مهمّة ستقع ، ولكن كيف ومتي وأين ؟ لا يعرف أحد . جلسنا قليلا للراحة ، ثم ذهبنا إلى اختيار فندق . عرفنا أن « هوتيل » نالوت بلا شك أجمل فندق في الجبل من حيث الموقع والبناء ، ولو لا أثاثه القديم ، والذي نهب معظمه الإنجليز الذين تعاقبوا على نالوت « على حد قول الصادق البشتي » لولا ذلك لكان أجمل فندق في منطقة الجبل .

عدنا إلى الصالة حول مائدة كبيرة في حفلة شاي بحضور الضابط الإنجليزي والصادق البشتي والصادق الشريف وعبد الله شيتة وغيرهم ، وجاء الشاهي واللّبن والحديث يدور مع كؤوس الشاهي . لاحظنا أمام مدخل الفندق نفرا من البوليس ، يرجع مجموعة من السكان يريدون الدخول إلينا ، فقد انتشر خبر وجودنا في الفندق ، ولكن البوليس أفهمهم أننا معتقلون لا يسمح الاتصال بنا . وزّع علينا الصادق البشتي وعبد الله شيتة البطاطين ، وحصر الخيش ، ولكن أغنانا الله عنها بسكنَى الفندق ، فجعلناها تحت أرجلنا . عدنا بعد ذلك وتجمعنا في شرفة الفندق المطلة على الوادي السحيق ، وإنها لجلسة هادئة رائعة ، عظمة الجبال ، وسحر الطبيعة ، وعمق الهدوء ، وروعة المنظر إن شهرا في هذا المكان يقضيه الإنسان في هدوء وتفكير ومطالعة كفيل بأن يخرج بتحف فكرية فنيّة رائعة .

كانت جلستي بين البشتي وعلي المسلاتي وبن ميلاد وزارم والحمداني ، بينما آخرون حول شيتة وبوشاقور والصادق الشريف . أمروا الإيطالي الذي يدير الفندق بتحضير العشاء في الساعة التاسعة . ودار الحديث حول منطقة نالوت ، وإدارتها ، فتبين أنها مستقلة عن كل أجنبي تماما ، فإن المتصرف وضابط البوليس والقائم مقام والمدير والممرض ورئيس وفنيي المرصد الجوي والكهرباء والماء وعامل مخابرات (الراديو) ، كل هؤلاء عرب ، والمنطقة مترامية الأطراف سكانها حوالي ثلاثين ألفا ، وهي تتاخم الحدود التونسية ، ومع ذلك فالأمن مستتب وكان الانسجام بين مسئوليها على ما يبدو قائما .

قال البشتي : إن البلاد تعاني هذه السنة جفافا مريرا ، والتموين كلّه من طرابلس ، وقد حرصت على توفير الدقيق من تونس بطريق التهريب ، وألغيت ضريبة الجمرك تشجيعا لدخول المواد الغذائية من تونس ، ونتيجة لهذه الحالة الصعبة فقد ترك المنطقة أكثر من ثلاثمائة عائلة إلى طرابلس .

سألت الصادق عن قوام حياة سكان المنطقة ، فقال : أكثرهم من مالكي الحيوانات من إبل وغنم وغيرها ، والزراعة الموسمية كالقمح والشعير . كما علمت أن الصادق البشتي هو الذي شجع على تأسيس ناد ثقافي في نالوت هو الآن قبلة الشباب المثقف من أساتذة وتلاميذ ومديرين ومشايخ وأعيان ، وقد طلبنا زيارته فقال عبد الله شيتة : لا تنسوا أنكم معتقلون ، كما قال الصادق البشتي : إنه بذل جهدا في إعادة الحياة للفندق ، وجمع ما أمكنه جمعه من أثاثه الذي تبعثر هنا وهناك .

حان وقت العشاء ، اجتمعنا على المادة ، وكان العشاء يتكون من : «شربة ودجاج مقلي وبطاطا ومشمش وتفاح وقهوة» وبعده خرجنا إلى شرفة الفندق ، حضر بيننا «أخ سوداني موظف إسمه محمود» شاب لطيف كلما وجه كلامه لأحد كان يبدأ بعبارة : «يا أخي العزيز» وهو من أنصار وحدة وادي النيل . وكذلك وحدة ليبيا . وقد علمنا أن الصادق الشريف وآخرين مسافرون غدا إلى طرابلس لحضور احتفالات إدريس، حاولت أن أرسل مع الصادق رسالة لأخي كمال ، ولكن امتنع من حملها وتعهد أنه سيبلغه شفويا .

قال لي «زارم» الصادق البشتي سيسافر غدا بعد الظهر فطلبت منه أن يحمل رسالة مني إلى أخي كمال فقبل فشكرته ، ونظرا إلى قيامنا المبكر جدا في ذلك اليوم ، ونظرا إلى أتعاب الطريق فقد آوى كل منّا إلى حجرته مبكرا في الساعة العاشرة . وقبل أن أجلس على «سريري» إذا بي أسمع علي المسلاتي يرغى ويزبد ، محتجا ، يطالب بجلاء الإنجليزي عن الغرفة التي دخلها ووضع فيها أمتعته ، وذلك أن الإيطالي القائم بأعمال الفندق . نقل (أدباش) المسلاتي ووضعها في غرفة بها عبد المجيد كاره ـ والطاهر تنتوش . وأعطى غرفة المسلاتي إلى الإنجليزي لعدم وجود غرفة شاغرة . وأخذ الإيطالي يعتذر فتدخلنا وأنهينا المشكل بانتقال عبد المجيد والطاهر معي في غرفتي ، وبقي المسلاتي في غرفتهما وهدأت العاصفة على هذا الحل .

الساعة تجاوزت العاشرة وأنا في حجرتي . وبدأت أسبح في عالم الخيال ، سبحان الله ، البارحة في طرابلس في بيتي وبين أسرتي . فلو قيل لي إنك ستبيت هذه الليلة في فندق نالوت لما صدقته ، ما الداعي ..؟ ولماذا نالوت..؟ ومع فلان وفلان..؟ أمر إلهي ، وها نحن هنا ، وأنا على سريري وعلى بعد ثلاثمائة وخمسين كيلوا مرتا من طرابلس . استعرضت الرحلة كلها ثم رجعت بي الذاكرة إلى الأسرة والوالدة هل عندهم معلومات عنا؟ لا شك أنهم مشغولون بمصيرنا . الهدوء يملأ الحجرة ، بل الفندق ، بل نالوت كلّها وما حولها ، وبدأ النعاس يتسلل ، فتركت القلم مرغما .

مضت هذه الليلة بين سباحة في عالم الخيال ، والاستغراق في لذّة النوم بعد التبكير والتعب ، وأطلت علينا شمس اليوم التالي (الجمعة 1951/5/18) وبينما أنا في الاستحمام إذ سمعت حركة غير عادية في بهو الفندق . ولما خرجت وجدت الجماعة الذين سيسافرون إلى طرابلس جاؤوا ليودعونا وكان بينهم الصادق مصباح الشريف ـ وقائمقام نالوت ـ وسالم خربيشة ، ثم جيء لنا بالفطور ويتكون من لبن وقهوة وخبز وبيض مسلوق أو ناضج» .

ثم جاء الصادق البشتي ، وجلسنا نتحادث عن الماضي بما فيه «أيام الحرب العالمية الثانية» حتّى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر . وفي الساعة الواحدة ظهرا جاء موظف (الراديو) يحمل ورقة سلمها للمتصرف ، علمنا فيما بعد أنها تحمل أمرا من طرابلس بعدم سفر السيارة حتّى أمر جديد ، ولكن السيارة سافرت قبل مجيْ الأمر . كلف موظف (الراديو) أن يتّصل بغريان ويعلمهم بالأمر . وعلى إثر ذلك اجتمعنا على مائدة الغداء فاعتذر البشتي وشيتة والسوداني عن تناول الغداء معنا ، وبعد الغداء جلس قسم للشاهي ، وبعضنا ركن للراحة ، وأنا من هذا البعض . نمت ولم أنتبه إلّا في الساعة الخامسة والنصف ، خرجت إلى الشرفة ، فوجدت كل الجماعة متواجدة ، فسألت عن (الأستاذ) البشتي فقيل لي : إنه سافر في الساعة الرابعة ، وضاعت فرصة رسالتي التي كنت سأرسلها معه وهذه هي المحاولة الرابعة التي لم تنجح .

الآن الساعة التاسعة ليلا ، أنا في حجرتي أستعرض بقية أحداث المساء ، والكهرباء لم تنقطع مع أن الساعة تجاوزت منتصف الليل ، إنما أكرمنا المتصرف

بزيادة ساعة فوق العادة لأن التيار كان يقطع في الساعة الثانية عشرة عادة . وفي هذا اليوم زارنا أحد أعيان نالوت ، وهو «قائمقامها في عهد ايطاليا» شيخ في السبعين من العمر تقريبا ، يتكلّم في هدوء ، قليل الكلام ، حاد النظر ، يظهر من كلامه أنه وحدوي وقد عرفه «أحمد زارم ودقدق» يبدو أنه كان يتردّد على المؤتمر .

حدث لـ(علي الحمداني) ألم في معدته فصار يتلوى فأحضرنا له الطبيب. وهو المرض ، ولكنه الطبيب مجازا لأن الطبيب في إجازة ، وجاء له بالدواء ، وأفاد وفي الساعة التاسعة قمنا للعشاء ، والتئمنا على المائدة ، وكان نوع العشاء كسابقه ، ولما اكتمل جلوسنا إذا بكرسي شاغر ، فقال الحاج محمود «مازحا» : مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، ولما التفتنا وجدنا الشيخ عبد الرحمٰن لا يزال عند محطة الشرق الأدني ، إن صبره على خشخشة «الراديو» وكلام المحطات الإذاعية صبر يحسد عليه . وبعد العشاء خرجنا إلى الشرفة حتّى الساعة الثانية عشرة والنصف ، حيث أوى كل منا إلى حجرته ، أخذت معي جهاز «الراديو» لأن الشيخ عبد الرحمٰن تحصل على جهاز آخر أحضر لنا أهالي نالوت ثلاثة أجهزة «تكرما وتكريما» لم أتتبع أي خبر ، وإنما تركته (يدندن) وأنا أكتب هذه الأسطر ، ثم دخل «عبد المجيد كاره» و «الطاهر تنتوش» فامتلأت الحجرة بالدخان لأن كل واحد منهما دخل مولعا نصف متر حتّى اضطرت لفتح النافذة ليجد الدخان طريقه إلى الخارج .

الظهر من هذا اليوم نفسه ، قمت اليوم متأخرا جدا ، لأني البارحة لم أنم حتّى الساعة الرابعة صباحا بدون أي سبب . الحجرة مظلمة ، فقد انقطع التيار الكهربائي ، ولكن ضوءا شاعريا تسلل من الخارج ، أرسله القرص الفضي فأعطى للحجرة جوا لطيفا حالما . مرت الدقائق متلاحقة وعيوني مفتوحة ، مرّة على الحجرة وأخرى على الماضي ، وتارة على المستقبل ، وأخيرا كانت على الكتلة لمحت الطاهر بن تنتوش بين رقاد وجلوس ، طاهر الخير ، ما رقدتش ..؟ لا والله . ودار الحديث من هنا وهناك . كنت أعلم أكثر المنتسبين إلى (حزب الكتلة) تجمعهم «الحماقة والعناد» كقاسم مشترك أو علاقة مميزة . لكن ماكنت أتصوّرها إلى هذا الحد .

بدأ الحديث مع الطاهر هادئا نوعا . ثم استحال إلى جدل وجدال ، و (معيز ولو طاروا) وعناد لا يستند إلى منطق أو عقل ، إن الكتلة لا تريد إدريس . وقال : «إبليس ولا إدريس» ولا يريد أن يعرف ماذا ستكون النتيجة حتّى ولو صارت

البلاد إلى الخراب؟ قال بن تنتوش (خربت الخربة) «مع هي ما شيه باهي توًّا» واستمرت الحالة حتّى الساعة الرابعة صباحا حيث فتر الجدال حينما تسلّل النوم إلى العيون. ولم أفق إلّا على تلاوة القرآن من إذاعة لندن. ثم عدت إلى النوم حتّى الساعة العاشرة.

جولة في واحة الجويبية الخضراء

الجويبية واحة نخيل بها عين ماء، تقع في قعر الوادي بين جبال نالوت، وتبعد عن المركز بضعة كيلومترات، وقد ضرب للذهاب إليها موعد، هو الساعة التاسعة صباحا من يوم الأحد 27 / 5 / 1951م على أن يرافقنا عبد الله شيتة ومحمود السوداني.

لقد قلت إني خفت من العقرب أو العقارب التي نبّه لها التكبالي وبوعرقوب، ولكن اتّضح أنّني شجاع أمام الشيخ عبد الرحمن، فقد ظهر أنه يخاف منها خوفا شديدا رغم المكابرة التي انهارت أخيرا.

كنا جلوسا، وكان الظلام حالكا، حتّى إنك لا تميز الوادي من السهل من الجبل، والهدوء يلفّ هذا العالم الذي حولنا... وقال التكبالي مع كل هذا الظلام فإن أهل البلد يستطيعون السير في مسالك الجبال وعلى كل حافة بكل خفّة ويسر. كما يسير أهل المدينة في شوارعها. قلت في هذا الهدوء والظلمة؟ وقف الشيخ عبد الرحمن دقدق فجأة، وقال: يا جماعة إنني سمعت عقربا تعوي... وضحك الجميع وبدأت موجة التعليق والتنكيت. أهذا معقول يا شيخ؟

الحاج محمود، كيف تعوي العقارب..؟ أعد لنا ماذا سمعت؟.. وارتبك الشيخ عبد الرحمن... علي الحمداني بالك غالط يا شيخ؟ وسمعت بن تنتوش الطاهر:... اسكت يا حمداني خير لك يا رأس «اللفعة» واحتكر التعليق والتهكم الحاج محمود وعلي الحمداني، والشيخ عبد الرحمن يبحث عن نصير فلا يجده وقد تخلى عنه زارم أيضا.

دون الأستاذ محمود السوداني أسماءنا وعناويننا في طرابلس، دونها في مفكرته. وقد دعوته لزيارتنا بطرابلس إذا هو تواجد بها في يوم من الأيام، وقد ردّ شاكرا

وقال : إنني مدين لهذه الظروف التي عرفتني بإخوة أعزاء ، أنستُ بهم ، وأدعو الله أن تتكرر هذه الظروف ، وضحك الجميع وعلقوا على هذه الفكاهة الخفيفة . وقلنا : مصائب قوم عند قوم فوائد .

قمت اليوم باكرا ، وهذه هي المرّة الأولى طوال الأيام العشرة . كنت نشطا ساعدني هواء الصباح المنعش . ففتحت النافذة وباب الشرفة أيضا . كانت الساعة عندئذ السادسة والربع . ولم تمض دقائق حتّى استيقظ عبد المجيد ، ثم دخل علينا علي الحمداني وخرجنا إلى الشرفة لنطل على الطبيعة في هذه الساعة المبكرة ... والنسيم عليل يهب فيدخل الرئة ليتسرب إلى الجسم فتشعر بالانتعاش والنشاط .

البلد مازال هادئا ، اللّهم إلّا من بعض النسوة عائدات بجرار الماء من العين أسفل الوادي ، وبعض الكلاب التي استيقظت قبل علي الحمداني بقليل ، وهي تجري نابحة هنا وهناك ، بعد برهة دخل التكبالي وفرنكه واستيقظ بن تنتوش أيضا ، فذهب إلى (الراديو) ونشبت مع دقدق معركة صباحية ، كل منهما يريد سماع محطة معيّنة .

انتقلنا إلى الصالة حيث الفطور . ذكرنا آنفا الجويبية وموقعها ، وإننا سنذهب إليها ، وقد اتّفقنا مع السيارة العمومية على نقلنا إليها والعودة منها . وضربنا لذلك موعدا . وكان الموعد اليوم هذا الصباح وعلى أن يرافقنا عبد الله شيته ومحمود السوداني . وما انتهينا من الفطور حتّى بدأ العدد يتكامل . ودقت الثامنة فجاء السواق بالسيارة ومعه مساعده . ونودي للاستعداد ، وإذا كل شيء جاهز ، وفي الساعة التاسعة إلّا عشر دقائق جاء عبد الله شيته ، ولم ينقصنا إلّا السوداني ، فقرّرنا أن نمرّ عليه ونأخذه من بيته فهو على طريقنا ... وركبنا جميعا .

أخذنا السوداني من بيته ، والمنظار من بيت عبد الله شيته ، وانظم إلينا شابان يعملان في محطة الأرصاد ، وأقلعت بنا السيارة ، واستمرت في سيرها ، ولم تقف إلّا في «الجويبية» وحقا فهي جويبية . واحة خضراء منخفضة تحيط بها الجبال الشاهقة في حلقة مفرغة ... وقد وصلت إليها السيارة في كثير من الحذر بين منحدر ومرتفع ومنعرج ، والجماعة طوال الطريق بين سابح في روعة المنظر ، وخائف ملتصق بالكرسي ، والسائق ماهر ومنتبه ... والنسيم يهب لطيفا معطرا ...

إنّك لتستطيع أن تميز رائحة كثير من الأعشاب : «الشعاعيل» الطبية فهذا زعتر... وإكليل ... وشندقورة ... وشيح ... وروبيا ... وحرمل ... وفيجل ... وغير ذلك تغطي المنطقة هنا وهناك . ونزلنا من السيارة التي ركنت جانبا ، وسرنا على الأقدام إلى مشبك نخيل في إحدى زوايا الجبل وبين الصخور الكبيرة .... ومن صخرة لأخرى الواحد وراء الآخر صعودا ... كل يستعرض مهارته ... واسترحنا قليلا وقد خلفنا السيارة وراءنا هناك في قعر الوادي ، وظهرت لنا الطريق التي قطعناها بالسيارة ملتوية ضيقة خطيرة أكثر مما هي عليه .

لقد مررنا ونحن نصعد نحو الاستراحة الخضراء ، مررنا على عدة مغارات وكهوف بعضها طبيعي ... تستعمل كمأوى للمارة صيفا ، من الحر ، وشتاء من البرد ... تابعنا السير في حذر ، غير أن زارم أصرّ على إظهار براعته الجبلية فزلت قدمه ... ولكن لم يصب بسوء ، وكذلك علي الحمداني وبن تنتوش وخدشت ركبتي أنا أيضا .

وأخيرا وصلنا ، وكان في استقبالنا بعض الإخوة من نالوت مهلّلين مرحبين ، ذهبنا معهم إلى العين التي لا تبعد إلّا أمتارا عن عش النخيل . وسط هذا المنظر ، ومن هذا المكان ترى حولك عظمة المنظر وجلال الجبال الشاهقة . وهناك السيارة العامة وكأنها لعبة أطفال ... وتخيلت أمامي شريطا (سينمائيا) عن بطولات عنتر ، ومتاهة قيس بن الملوّح التي ملأت التاريخ . ومنظار عبد الله شيته في يدي يقرب ما بعد ، ويزيدُ في روعة التأمل . وهو من النوع الممتاز وقياسه : 1 على 12 .

وجاء (اللاقبي)... الحلو... فطاب للحاج محمود الشراب وعبّ ... ولم يفلح صراع الشيخ عبد الرحمن في الحصول على «جغمة» وقال له الحاج محمود : يا شيخ ، هذا ما يصلحش بيك راهو حلو... الشيخ استغفر الله عيب عليك يا حاج ، ثم جاء «السماط» الكبير فارتوى الجميع .

أما علي الحمداني ـ والضاوي مسلم ـ وأحد موظفي المرصد ـ والسوداني ـ وسائق السيارة ـ ونفر من البوليس ـ وسعيد صاحب مقهى الساعة ـ فقد انتحوا ركنا من مشبك النخيل واستسلموا «لعبار» عن «اللاقبي» القارس حتّى دارت برؤوسهم نشوة .

وعندما عادوا إلينا أخذ الحاج محمود يتّهكّم ... هذه خيانة يا جماعة ... «ليه ما قلتولناش» وين حصة زارم ..؟ فقال الحمداني مازحا : الشيخ عبد الرحمن شرب معنا . وخاف الشيخ أن تلصق به التّهمة ولو مزحا خصوصا أن معنا أناسا غرباء من مجموعتنا ، فقال الشيخ لقد غرروا بي ، ولكن من أوّل ماذقته بصقته فورا ... وكانت فرصة للحاج محمود مع دقدق وأصبح الشيخ بين مطرقة الحاج محمود وسندان علي الحمداني وأخيرا انتهى المشوار .

أخذنا بعض الصور التذكارية وجلسنا (لطرح كارطة) والشاهي الذي ترأسه عبد المجيد كاره ، وعند الساعة الثانية عشر استعدت الجماعة للرجوع ، بعد أن قضينا اليوم أمتع فسحة في الجبل واستمتعنا بالتطلع إلى مناظر لم نرها من قبل إلّا في (الأفلام) . فقد كانت ساحرة خلابة رغم جفاف الأرض ، وقلّة الأمطار التي تركت الأرض جرداء قاحلة .

لقد أقلعت بنا السيارة في طريق العودة . وبدأت تسير في شيء من السرعة ، فخاف من لم يخف ، خصوصا بعد أن رأوا الطريق من عل ، ولسبب آخر أيضا ، وهو أن السائق (واخذ نشوة) ... وبدأت الأناشيد والقصائد والمألوف إلى أن وصلنا طرف البلاد .

إلى هنا أراد بعض الجماعة النزول وإتمام الطريق سيرا على الأقدام إلّا (زارم) فقد أبى ـ سرنا على الأرجل فدخلنا نادي الإصلاح مع ميلاد والحمداني وبن تنتوش ... بناء النادي جميل ولكن الأثاث جدّ متواضع . واخترقنا شارع نالوت الرئيسي ، وأهل البلد من حولنا تتجمّع وتتطلع وتسلم وترحب ونحن نردّ التحيّة ونجامل .

دخلنا سوق الخضار ، وهو بسيط جدّا ، وأهم ما يلفت النظر فيه «غار» صغير يستعمل كثلاجة طبيعية ، وفعلا فإن درجة الحرارة به منخفضة ، ولا يمكن البقاء فيه لمدة طويلة ، كما زرنا الجامع ، ولاحظنا انخفاض سقفه بحيث لا يستطيع أمثال عبد المجيد كاره ومن على شاكلته الوقوف فيه باعتدال . في الواحدة عدنا للفندق لنجد الغداء جاهزا . بدأت حرارة الجو ترتفع نوعا . لذا فقد انسحب أكثر الجماعة بعد الغداء مباشرة ، كل إلى حجرته للراحة .

عند الساعة الخامسة من يوم أمس خرجت للجماعة ... لقد ارتفعت درجة الحرارة ، والهواء مضغوط ، وريح خفيفة ساخنة تهب بين الحين والآخر ، وذكرتني بقيلولة لوليو في طرابلس ، لم نستطع البقاء في الشرفة ، وأغلقنا الأبواب والشبابيك في الصالة ، ولكن الحر مازال كما هو ... عند الساعة السادسة تقريبا هدأت حدّة (القبلي) وتراجعت ألسنة الحرّ فخرجنا إلى الشرفة .

إن الرسالة التي وصلت أوّل أمس إلى المسئولين هنا ، والتي تقول : راقبوهم ولا تدعوا أحدا يتّصل بهم ، ولا يخرج منهم أحد إلى يوم 26 ، ومعنى هذا أننا الآن شبه أحرار ... لذا فقد خفّت الرقابة نوعا وغضّ البوليس الطرف عن الداخلين ، فزارنا العديد من أعيان نالوت وآخرون ... وبعض المعلّمين .

جلسنا نتجاذب أطراف الحديث، فقال الحلاق : إن قصر نالوت العتيق يستعمل الآن لحفظ الحبوب، إن تاريخه يرجع إلى (500) سنة خلت وكان به (450) بيتا للتخزين لم يبق منها إلّا (200)؟ مستعملة لتخزين المحصولات الموسمية ، واتّسع الحديث فوضّح لنا المعلّمون حالة التعليم في البلاد فقالوا : إن في البلاد مدرسة واحدة بها (500) تلميذا تقريبا منهم (52) فتاة في فصول مستقلة . وعدد المعلمين (14) وعدد الذين دخلوا امتحان السنة السادسة (34) طالبا ، ومدّة الامتحان (6 أيام) .

جريدة وتمثيلية يصدرهما المعتقلون في نالوت 1951

عادت للجماعة فكرة إصدار جريدة تبرز للوجود في المعتقل . وتمثيلية أيضا تحوم أدوارها حول أعضاء المجلس الإداري ، ومن لفّ لفّهم . عادت هذه الفكرة بعدما كنا قد عدلنا عنها ، وقد تحمّس لها أكثر الجماعة كالعادة ، وطال الحديث في اختيار اسم الجريدة ... صوت الحرية ... لا ... صوت الأحرار مثلا ، ووافقت هذه المرة جماعة «الكتلة» أيضا ، وبسرعة على غير عادتهم .

وبعد متابعتي للسبب علمت أن (الكتلة) كانت تنوي إصدار جريدة بهذا الاسم . ولمّا علم بعضهم بهذا أصرّوا على تغيير الاسم ... بحجّة أنه يجب أن يكون

فيه شمول ... واختاروا اسم (الوحدة) وبدأ علي المسلاتي في رسم الخطوط العريضة لها ... أبوابها ... مواضيعها ... محرّرها ... واستمرّ هذا الحديث الطريف مع الشاهي والتعليقات .

1 ـ علي محمد المسلاتي : مدير الجريدة .

2 ـ سعيد السراج محرّر ومراسل يجمع الأخبار من الـ 14 .

3 ـ علي الحمداني يأخذ باب «الهتشيات» وأعدَّ منها هذه المقتطفات حديث صحيح : عن علي بن محمد بن عمر الحمداني طيب الله خاطره أنه قال : مازال المؤمن بخير والليبي في بحبوحة ما لم يشترك في الكتلة . فإن اشترك فيها رفع الله عنه العقل والمال والإيمان .

4 ـ شعار الجريدة الدعوة في الظالم .

5 ـ قرار هام يصدر عن الـ 14 في جلسة سريّة عقدها المعتقلون قرروا بأن تقوم سيارات البوليس بتوصيلهم إلى الأماكن التي أخذوا منها وإلّا فإنهم لن يخرجوا من نالوت ولن يعودوا إلى طرابلس.

6 ـ (عهد وعهد ...) .

7 ـ زيارة = ابتهاج ب .

8 ـ زيارة = اعتقال .

9 ـ الجريدة تصدر بالتساهيل .

10 ـ الاشتراك إجباري .

11 ـ والدفع بالتي هي أحسن .

وبعد الانتهاء من موضوع الجريدة أخذ يقصّ علينا الأستاذ عبد الله شيته جانبا من حياته الأولى في سلك الجيش الإنجليزي . وكيف اختير لمهمّة النزول بالمظلة في العزيزية وراء خط الألمان والطليان ومقابلاته في مصر مع السنوسي وسوف وغيرهما . ثم كيف بدأ التدريب على النزول من الطائرة . وكيف نزل فعلا والمخاطر التي لاقاها . وكيف اختفى وسط الليبيين وفي الحياة العامة الخ ... إنها مغامرات ومواقف تشدّ السامع . وتسجل كتاريخ طريف .

علمت من الشاويش علي أنه من المرجّح العودة إلى طرابلس يوم 26 ، أي بعد غد السبت ، وكل آت قريب . وفي تحليل أسباب التضييق علينا في الإقامة قال علي بوشاقور : الأخبار التي وصلت إلى الجهات المختصّة تفيد أنّنا في حرية أكثر من اللازم . كما أن أخبارنا وصلت إلى هذه الجهات بطرابلس تسربا من رسائلنا ، ثم السيارة العمومية ستعود إلى نالوت غدا قادمة إليها من طرابلس . ولا شك أنها محملة بالأخبار ، ولا يريدون وصولها إلينا كيفما كانت ، وأخيرا فإن زيارة إدريس لغريان ويفرن ستكون غدا أو بعد غد . والمنطقة قريبة نوعا ، ولذا فإن الأمر بالتشديد علينا له مبرّره في نظرهم وتفكيرهم .

يوم 22 / 5 / 1951 م نحن الآن في شرفة الفندق ، ومعنا شاويش من رجال البوليس ، سوكني رجل طيب قصّ علينا شطرا من حياته ، وتاريخ أجداده ، قال إن أباه تركي ، كان موظفا في سوكنة فتزوّج منها ، وأخذ يحكي لنا عن الهيكل الإداري التركي ، وكيف كان مركز فزان في « مرزق » ومركز الجبل في « يفرن » ومركز المنطقة الشرقية في « الخمس » وأحاديث طويلة متلاحقة لا تنتهي .

لقد مرّ عليَّ وأنا ملازم للفراش؟ زادت الدوخة وارتفعت الحرارة وأصابني (مغص) وفقدت شهية الأكل ، فلم أفطر وحاولت مجاملة الجماعة فلم أستطع ، بل عدت إلى حجرتي ، ثم كان إسهال وقيء ، ارتحت بعدهما . ثم جاء بعض الجماعة لعيادتي ، وأحضر لي الحاج محمود (شاهي) بالنعناع وجلس بجانبي ، مع أحمد زارم يجاملانني .

جاء علي المسلاتي يحمل رسالة من ابن عمّه سالم المسلاتي ، وقد حملها إليه السائق سالم شلبك ، وكانت حافلة بتهويشات سالم المسلاتي وكثير من أخبار طرابلس ، ووصف للاحتفالات كما يراها هو سالم وهو متفائل ويرى المعارضة قوية ، ورغم المبالغة في الأخبار ، فهي على علاتها ترفع المعنويات .

ثم جاء سالم شيته يحمل معه العدد الثالث من جريدة « الصريح » وقد رأيتها لأوّل مرّة وهي (باردة وبايخة) جدا جدا ، ومآلها الفشل لأنها خالية من كل مقومات الصحافة ، فلا روح ولا إخراج ، ولا مادة . وقد مزح عبد الرحمن دقدق مع الحاج محمود المقدود فقال له ... هذه جريدتكم ، ما شاء الله؟ تبارك الله فهو

سكرتير الحزب (1) فأجابه الحاج : إن سكرتيرنا عمل جريدة . ولكن نائب رئيسكم «خرَّب البيعه» (2) وقد دام النقاش نشيطا ساخنا ، جاء محمود السوداني وجلس عبد المجيد كاره للشاهي وجاء العدد الأول والثاني من الصريح وهما كالعدد الثالث .

البارحة 25 منه نمت في الساعة العاشرة مساء ، ولم أفق إلّا عند الثامنة والنصف صباحا ، زال ما كان بي من مغص ، وأصبحت أحسن حالا رغم بعض الآثار... فخرجت في التاسعة وصلت لمحمد مبارك والضاوي مسلم وعبد المجيد وبن تنتوش والحاج محمود أخبار من طرابلس كلّها تحمل مواضيع متشابهة إلّا الأسلوب فكل يرويها حسب نضجه الفكري وميوله ...

أخبرنا السائق سالم أن الجماعة الذين انفصلوا عنّا يوم (17) هم الآن في بني وليد . وقد رأى معهم علي بن مصطفَى الذي خرج من السجن لانتهاء المدة ، كنّا نظن أن متصرّف نالوت الصادق البشتي سيحضر اليوم ، ولكن جاءت منه رسالة للأستاذ محمود السوداني يقول له فيها إنه سيحضر بعد زيارة إدريس ، أي يوم 26 ... سنأخذ اليوم بعض الصور التذكارية فقد أحضر لنا السائق سالم (فِلْم) لآلة التصوير .

قضيت جزءا من الوقت مع علي الحمداني والسوداني وهما في مباراة طاولة ، فهذا بتهويشه ، وذاك بخفة روحه ، ثم انتقلت مع زارم إلى الشرفة ... إنه قلق لا يعرف عن المؤتمر أي خبر . إذ لم تصله معلومات حقيقية عن الحالة من طرابلس . كما أنني أنا ايضا شعرت بالملل ، فالحياة هنا رغم الراحة التامة والنظافة ورعاية الأهالي وكرمهم ومناظر الجبل الجميلة ، رغم هذا كلّه حياة مملّة ، فأنا معتقل لا أخرج ولا يدخل لنا إلّا القليل ، والشعور بالحرية المقيدة نفسه هو سجن ، وقيد ثقيل .

---

1) يعني ابراهيم البكباك وهو سكرتير الحزب الوطني الذي كلفته الادارة البريطانية ، أو عملائها لا أدري باصدار جريدة لمعارضة الحركة الوطنية فاصدر اعدادا فيها ثم تخلى عنها أو تخلت عنه لا أدري . وكلف بعده علي الذيب « الليبي » وحارب الحركة الوطنية بدون هوادة .

2) يعني مفتي ليبيا السابق محمد أبو الأسعاد العالم الذي كان واضع يد في الحركة الوطنية وأخرى في الادارة الأنجليزية .

جاء وقت العشاء فجمعتنا المائدة . أردنا السهرة في الشرفة ، ولكن تحركت زوبعة اضطرتنا إلى الدخول إلى القاعة وقفل الأبواب . إن صوت هياج الرياح يسمع من الداخل رغم النوافذ والأبواب المغلقة. ودامت السهرة حتّى الحادية عشرة والنصف ، فانسحبت إلى الفراش وتركت البعض ساهرا ، استيقظت صباح اليوم نشطا معافي والحمد لله . وكان مقرر أن نأخذ بعض الصور أمام الفندق قبل أن ترتفع الشمس .

لم يسمح لنا البوليس أمس بالذهاب إلى الجامع لصلاة الجمعة . ثم إننا علمنا اليوم بأن « جماعة جادو » الذين منهم ماعوتة سينقلون الليلة إلى مركز البوليس للمبيت فيه تحت حراسة يقظة إلى نهاية اليوم التالي حيث أن إدريس سيزور « يفرن » غدا .

وفي الساعة الثانية عشرة تقريبا قبل الظهر دخل علينا الشاويش علي بوشاقور مع رجل آخر قدّمه إلينا مفتش مدارس منطقة نالوت ، وبعد التحية والسلام سألني : ألست الأستاذ سعيد السراج ؟ فأجبت بنعم ... فقال يبلغك السلام سالم الصادق ، وكلّفني بتسليم هذه إليك ... وكانت مجموعة من : « أخبار اليوم ، وآخر ساعة ، وآخر لحظة ، والرسالة ، والأديب ، وروايات الجيب » فتلقفتها الجماعة ، وتخاطفتها الأيدي قبلي ، فقد كانوا متعطشين لأخبار العالم ... عالم النور ... إنني أسجل هنا عطف سالم الصادق ، ومجاملته لنا ، وأشكره شكر الأخ الأصغر.

تركنا المجلات لنتفرغ لسماع الأستاذ محمود السوداني الذي أخذ يصف حياة السودان وأعمال الوطنيين هناك ومكايد الإنجليز ، وكيف يساند الأقلية الضئيلة ضد الأكثرية ، وهي شبيهة بما يجري اليوم في طرابلس ، وعادت به الذاكرة إلى زجل سوداني قاله يوما في نادي شباب المؤتمر بالخرطوم بمناسبة زيارة صالح حرب باشا للسودان ، وفي حفلة تكريم أقيمت له ، تركنا هذا الزجل لأنه غير ذي موضوع

جاء رجل من طرابلس، قالوا إنه مفتش شركة الحلفة، اسمه رمضان، أعرف اسمه ، ولا أعرف لقبه . تجمّعنا حوله وهو يحدّثنا عن الاحتفالات ... التي كانت فاشلة ، وأن الناس لم تستجب لها فعمدت السلطات إلى جلب أناس من الدواخل لتغطي بها الاحتفالات ، وقد أكد لنا مما كنا سمعناه من قبل ، ولو أنه كان كثير المبالغة جدا في أخباره .

لقد علمت من الحاج محمود المقدود بأنه رتّب لنا مع البوليس برنامج فسحة في (واحة الجويبية الخضرا) على أن السيارة العامة التي كانت موجودة في نالوت في ذلك اليوم ستتولى نقلنا إلى الجويبية ، وإعادتنا منها ، وسنأخذ بعض الصور التذكارية ، وربما وجدنا شيئا من (اللاقبي) .

جمعتنا مائدة الغذاء ، بل جلسة الغذاء على الأصح ، لأن الغذاء كان « بازين » وهو ثاني بازين . وهو الأخير على ما أظن في نالوت في هذه الرحلة ، اللّهم إلّا إذا حدث ما لم يكن في الحسبان وجلست في مجموعة [فرنكه المسلاتي المقدود التكبالي]. وجاءت القصعة ، وكالعادة عليها ثلاث طبقات من اللحم والبيض والبطاطة ، فيها ما يكفي عشرة أو أكثر. وبعد الغذاء جلسنا للشاهي ، ولكنني عجزت عن البقاء مع الجماعة ولم أقاوم حتّى النهاية ، ولذا انسحبت إلى غرفتي لأنام قليلا ، خصوصا وقد قالا التكبالي وأبو عرقوب إنهما سمعا خشخشة ، ومن المحتمل أن تكون خشخشة عقارب ، فأغلقت النافذة والباب ولم أنتبه إلّا في الساعة الرابعة .

خرجت للجماعة فوجدتهم غارقين في مواضيع مختلفة . سياسية ، واجتماعية ، وعلمية ، وأدبية ، وغير ذلك . ثم جاء موعد الشاهي والشرفة ، ودقدق و (الراديو) وبن تنتوش والسياسة ـ والحمداني والتعليق ـ والتكبالي والتلكيع ـ والسوداني والماضي ـ وبن ميلاد بين القفشة والنكتة ـ والحاج محمود وتهويشاته ـ ووزارم بين الجد والمزح المتحفظ ـ وأنا بين هذا وذاك ، واستمرت الجلسة حتّى الثانية عشرة تقريبا ، وتطرّق الحديث للفروسية والعرب ، فقصّ سالم شيته والتكبالي وتنتوش غرائب الفرسان والفروسية ونشاطهم في الميدان .

* * * *

الحلّاق والطّبيب وأسعار المنطقة

احتجت إلى الحلاقة ، فنودي لي على الحلاق ، وهو الحلاق الوحيد في البلاد . فسلمت له رأسي وأمري إلى الله ، على فكرة إنه أيضا الجزار الوحيد في البلاد ... وتذكرت ذلك الذي تفاخر بأنّه ابن الحلاق حينما قال : « أنا ابن من دانت الرقاب له ... » فظُن أن أباه من ذوي السلطة والنفوذ ... لقد تأكّد لي أن كل الحلاقين في

العالم ثرثارون من حلاق شبيلية ، حتّى جزار نالوت . فلم ينفك عن الحديث المتواصل من أوّل ما وضع الفوطة إلى ... (نعيما)

فإذا كان أوّل الغيث قطرا ، ثم ينهمر كما يقولون ، فهذا أوّل كلامه بدأ بسؤال مني وهو : لماذا تظهر نالوت القديمة مهجورة ...؟ ولم يتركني أنهي كلامي ، بدأ الحديث : هذه المدينة القديمة لم تعمّر طويلا فقد بني فيها القصر وما حوله ، وصادف أن كان أحد السكان ينادي ابن اخته الموجود في الرأس المقابل للبناء ومناديا . يا عمر ... يا عمر فأجاب الشاب النداء ، ماذا تريد يا خالي؟... يا خالي ماذا تريد ..؟ فتطير الجميع من هذا الفأل واعتبروا أن المكان نذير شرّ ، فهجروه إلى المرتفع المقابل حيث نالوت الآن ... أما نالوت القديمة وقصرها فقد استغلت كمخازن للحبوب والمحاصيل الأخرى ، ولكلّ السكان حق فيها يرجع تاريخ القصر القديم إلى خمسمائة سنة ، أما صحّة هذه الرواية فمتروكة لذوي العلم ، أمّا أنا فلا أستطيع التكذيب ولا التصديق .

هذا ، والحلاق شاهر سلاحه ، وقد أسلمت له رأسي ، وقد أشار إلى بعض الجبال الشاهقة والرؤوس المرتفعة ، وقال : هناك كانت تتجمّع قوات المجاهدين ضدّ الطليان ... وعلى ذاك الرأس كان «بن عسكر» يجمع المجاهدين وقد سمي الرأس باسمه ... وهنا تذكرت ما كان يرويه لنا والدي وأعمامي عن جدّنا الأول الذي كان ضابطا في الجيش العثماني التركي ، وجاء إلى نالوت ، وكان حاكما عسكريا بها ، وتزوج من عائلة «بن عسكر» فتاة اسمها «سعيدة» هي جدتي ، وانتقلت معه إلى طرابلس ، وكم تمنيت أن أجد من يصلني بهذا النسب القديم .

انتقل الحلاق إلى الحديث عن حياته الخاصة بدون مقدّمات ، وعن أيام الجهاد ، وقد كان صغير السن ، غير أنني لاحظت عليه انتقادا للمجاهدين بطريق غير مباشر على بعض تصرفاتهم . وتحمّس عند ذكر الجهاد والموسَى في يده تدور في الهوى . فخفت على رأسي فأدرت الحديث إلى جوّ نالوت الهادئ الجميل ، فانجرّ الرجل معي فيما يوحي للنفس بالهدوء . وبذلك هدأ وانتهت الحلاقة بسلام .

قرّرت الجماعة إصدار جريدة يتولها «علي المسلّاتي» وتقديم تمثيلية أقوم أنا بكتابتها وإخراجها على أن يقوم بأدوارها الجماعة . وبُدئ فعلا في وضع التصوّر للفكرتين ، وباشر المسلاتي تخطيط هيكل الجريدة ، وكلّفني بكتابة (قصّة العدد)

وصدر العدد الأول ، ولكنه كان باردا ... رغم ما بذل فيه من مجهود . فماتت الفكرة ، أما التمثيلية فقد بدأت في كتابتها ، ويدور موضوعها حول جماعة «الفيديرالي» وخيانتهم وتعاونهم مع اليهود والإنجليز ... وجعلت عنوانها «ليلة الكدر» غير أني لاحظت الجهد الكبير المطلوب من الجماعة في خطط الأدوار والتمرينات فأوقفت المشروع . وقلت لعبد الرحمن ، وهو أكثر الجماعة حماسًا لها ... إننا سنخرجها في طرابلس ، وندعو لها كل المجموعة ، فأعجبته الفكرة وانتهَى الأمر ، زارنا اليوم في غياب الرقيب مدير المدرسة ولفيف المعلمين إنهم شعلة من الحماس والوطنية ، وهم مع الوحدة .

في نفس اليوم والساعة الثانية عشرة والنصف ليلا ، استعرضت وقائع اليوم ... أو|بقيته على الأصح كان مدعوا للغداء معنا معلم ومدير من نالوت . كان الغداء كالعادة ، جلسنا للشاهي ، الحاج محمود يتقن سياسة التهويش والدعاية مثل «جماعة الفيديرالي» ولكنه يخالفهم في النتيجة ، فهو يربح دائما وينتصر بهذه التهويشات حتّى في لعب الورق . وكانت المجموعة المجتمعة على الورق من : الحاج محمود ـ محمد ميلاد ـ علي المسلاتي ـ عبد المجيد كاره ، وبعضنا استسلم للنوم .

أما أنا فقد ذهبت لتسلّم ملابسي من الغسيل وتسليم غيرها . وقد تكفل بهذا بعض أهالي البلاد نظير عشرة فرنكات للسورية أو السروال ، أو الفانيلية ، والقفطان تكلفته خمسة وعشرون فرنكا و «الحولي» ستون فرنكا ، الجو عشية اليوم هادئ جميل ، بعد أن كان في الصباح رمالا ورياحا .

لقد أظهر سكان نالوت معنا تعاطفا ملحوظا ، فلا يأتي أحد منهم لزيارتنا إلّا ومعه شاهي وسكر ، سكر الرأس الذي يأتيهم من تونس وسعره بالبقالة «ستون فرنكا» للرأس الذي يزن كيلو جرامين اثنين . وما دمنا في الأسعار فلنذكر أسعار بعض الأشياء التي عرفنا أسعارها بالتأكيد فأقول : سعر مرطة الشعير 210 فرنكات ، أما القمح فغير موجود ، الزيت ثمانون فرنكا (الليترة) والسمن غير موجود «الحولي» من «2000 إلى 2500» فرنك ، العباءة الممتازة (3000) فرنك . (حارة) البيض ستة فرنكات اللحم «100 فرنك» «خروف وطني» . سكان نالوت يشربون الشاهي الأخضر فقط .

جاء موعد الأخبار ، فانتظمت الجماعة حول المذياع ، والشيخ عبد الرحمن هو الذي يفتش عن المحطات لأنه خبير بها ، تكلمت «الهند» عن الاحتفال فقالت : تفجرت قنبلة في طرابلس قرب سيارة إدريس ، وقد اكتشفت قنبلة أخرى وبدأت التقليقات ، فكل الجماعة ضد «الفيديرالي» مطالبة بالوحدة الكاملة ، والذين يطلبون الوحدة لا يكرهون إدريس في شخصه ، وإنما يكرهون رضاءه «بالفيديرالية» .

أما «الكتلة» فإنها تكره «الفيديرالية ـ وإدريس ـ والإنجليز» ولكنها لا تعرف ماذا تريد ... وليس في الأمر أية مرونة . التعليقات كثيرة ، كل حسب مستواه الفكري ، وحماسه الوطني ، دقت الساعة ، وحان موعد العشاء ، ونظمت المائدة على هيئة حفلة ، وترأس زارم المائدة ، ودعا الله أن ينصر الحق ، ويأخذ بأيدي المخلصين ، وأكلت الجماعة بشراهة لأن النفوس كانت منشرحة ، وعدنا إلى الشاهي ، وجاءت جماعة نالوت والبوليس ، وضاقت القاعة بالوطنيين المخلصين ، وعلا الهتاف والحماس تأييدا للوطن في شخص السعداوي ، وضد الإنجليز وأعوانه ، ممّا اضطر البوليس إلى الملاحظة بطريق خفي فهدأت الحالة نوعا ...

مرّت الساعات بسرعة ، وأصبحت الساعة الثانية عشرة تقريبا . وكان التحفظ باديا على الجميع بعد أن أحسوا بإحراج البوليس حينما هتفوا بحياة بشير بك السعداوي ، ثم بدأت الجماعة تعود إلى حجراتها ، ولكن النقاش والتعليقات في حجراتنا لم ينته ، فالكتلة (تنتوش) ، تصرّ على عنادها وتريد أن تستغل الحادث والموقف عموما لصالحها رغم اعترافهم بزعامة السعداوي وإخلاصه للوطن والتفاف الشعب حوله وهل بعد هذا الاعتراف هناك «كتلة أو برسيل..؟» .

يوم الأحد 20 منه دعانا «القائمقام السابق» إلى غداء في جانب عين ماء جارية تقع في عمق الوادي على سبعمائة وخمسين مترا تحت مستوى موقع الفندق ، غير أن الطقس تغيّر ، فأصبح مضطربا نوعا . فعدلنا عن الموقع المذكور بالفندق .

أما من جهة الأخبار الإذاعية التي كنا نترصّدها باشتياق ، فلا جديد يذكر في هذه الفترة من هذا اليوم ، خرجت للجماعة فكان أكثرهم في الصالة ، وقد أحضر لنا (القهواجي) «سعيد النالوتي» الذي كان قرب ميدان الساعة بطرابلس ، أحضر لنا «بريقا» من القهوة «الإكسبريس» تعبيرا عن تضامنه . كما أحضر بعض الأهالي

الكعك ،|بنفس الشعور. علمت بوجود الممرض الوحيد في|نالوت ، فطلبت منه مداواة عيني بل عيني الاثنتين وقد أظهر بالفعل خبرة لا بأس بها، وعلمت أنه حصل على شهادة التمريض سنة 1945م أي بعدي بسنة ، وهو يحاول جهده التكلّم بالفصحى ، وخصوصا أسماء الأدوية التي كان يعرّبها كما يحلو له.

الساعة الواحدة تقريبا جاء الغداء يحمله (وصيفان) للقائمقام. في قصعتي عود ، لا كالقصاع التي نعرفها في طرابلس ، ولكنها من الضخامة بمكان. ففي كل قصعة حلقتان ويحملها شخصان ، ورفع علي المسلاتي الطبق فهالني المنظر. إنها ربوة من (البازين) مرشوق عليها أكثر من اثنتي عشرة بيضة ، وأكثر من اثنتي عشرة قطعة لحم خروف من الحجم الكبير «يعني إنه على المفاصل» وكان ابن عبد الله شيته معنا ، واسمه عزالدين.

محمد ميلاد يخاطب أحمد زارم : يظهر أنك خبير في الرفس ، فقال نه أحدهم : كيف لا وقد تعود عليه في المؤتمر؟ وفي هذا الجوّ المشبع بالفكاهة أكلنا أكلة تاريخية ، وقد انسحب أكثرنا ، كل إلى حجرته للراحة وتركنا المهمة ، لزارم ـ والحـاج محمود ـ والتكـبالي ـ ودقـدق.

أما أنا فقد أسلمني «البازين» إلى النوم حتّى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وحينما صحوت من النوم خرجت إلى الشرفة ، وجلست أمتع النظر بما حولي ، إن في تلك الجبال ، وفي ذلك الوادي السحيق كل يوم منظرا جديدا جميلا ، وأخذت في كتابة هذه الأسطر.

وبعد كتابة هذه الأسطر خرجت إلى الجماعة فلم أجد منهم أحدا ، ولما سألت عنهم قيل لي : إنهم خرجوا صحبة الموظف السوداني ، ونفر من البوليس لزيارة محطة الكهرباء ، وما حولها ، فالتحقت بهم ، وكان الطريق في الجبل سهلا ، لأنه ممهّد للسير فيه ، المحطة على ما يظهر كبيرة بها محركان ، أحدهما قوّة أربعين حصانا ، وهو جديد تقريبا ، والثاني قوته خمسة وعشرون حصانا ، استورده الإنجليز من حيفا. والمسئول عن هذه المحطة شاب من طرابلس : يديرها بكفاءة ونشاط ، المحركان يولدان الكهرباء ، ويضخان الماء للبلاد ، ومن المحطة نزلنا إلى المنحدر حيث معالم معسكر قديم ، به بعض آثار البناء ، للطليان.

وبعد هذه الجولة عدنا إلى الفندق ، وفي الساعة السادسة تقريبا ، بدأت الجماعات تتوافد ودخل البعض ، ثم انتبه البوليس . أوقف مجموعة كانت تودّ الدخول ، وفي هذه اللحظة جاءنا الشيخ عبد الرحمن دقدق بخبر من محطة إذاعة القاهرة ، يقول إن السلطة قد اعتقلت أكثر من خمسمائة شاب ، ورغم احتجاج الكتلة ، فإن الحكومة لا تزال تضغط على المواطنين .

وهنا تشجع فرنكه وبنتنتوش ، وكأنهما شعرا بأن الكتلة لها وزنها ، وصوتها مسموع ، فأخذا يتبجحان ويتفاخران بها ، وأنها قمّة الوطنية . ولكننا كنا جميعا عقلاء . ثم سمعنا أخبارا من لندن تقول : إن إدريس ذهب إلى ميدان البلدية حيث كان مقررا أن يلقي خطابا ، ولكن تأجل الخطاب ، وهتفت له الجماهير وكفى .

وهنا بدأت التعليقات ، لماذا أجل الخطاب ..؟ وما هو فحوى هذا الخطاب ..؟ لا شك أن هناك صراعا خفيا وراء إدريس وحوله ، فليست برقة كلّها راضية «بالفيديرالية» وطرابلس أغلبيتها الساحقة ، إن لم أقل كلّها ، غير راضية ، واستمرت التعليقات إلى الساعة الحادية عشرة والنصف .

كانت جلستي حذو الأستاذ محمود السوداني ، وقد شدّني إليه بحديثه الشيّق ، فهو محدّث لبق ولطيف . لقد حدثني عن الإنجليز وخططهم التي كانوا يستعملونها ، في السودان ، تارة بطريق مباشر وأخرى غير مباشر . ولكن على يد السودانيين أنفسهم . وهم يشعرون أو لا يشعرون . تارة بالبرود ، وأخرى بالخبث والدهاء . وبعضها بالعنف والقسوة .

قمت هذا اليوم متأخرا الساعة التاسعة صباحا ، خرجت إلى بهو الفندق ، فوجدت الأستاذ السوداني يحمل آلة تصوير ، يريد أخذ صورة للجماعة فخرجنا أمام الفندق ، وتصدّر أحمد زارم الجلسة ، واحتلّ الآخرون أماكنهم حواليه . فاحتج الحاج محمود ، وأبَى التصوير مع الجماعة غاضبا . حاولت إرضاءه ، فلم أفلح في إرجاعه ، وأخيرا أخذت آلة التصوير وأخذت صورة للمجموعة دون وجود الحاج محمود ، ثم استرضيته فرضَى ، وأخذ مكان زارم ، وأخذت الصورة .

في صبيحة هذا اليوم مرّت قافلة من الجيش الإنجليزي ، ودخل ضابطان منها إلى شرفة الفندق ، أحدهما ينظر بمنظار مكبّر ، والآخر يرسم بعض المناظر ، وتداخلنا

معهم بما نعرف من الإنجليزية أنا وعلي المسلاتي ، وأحمد زارم بفرنسيته الضعيفة : ففهمنا منهم أنهم في رحلة استطلاعية تشمل : صبراتة ـ زوارة ـ يفرن ـ جادو ـ نالوت ـ غدامس .

مساء هذا اليوم وصلت إلى نالوت «البولمان» الذي نقلنا من طرابلس إلى نالوت ، رأيناه من شرفة الفندق وهو يسير رويدا رويدا كالخنفساء في طريق نالوت الجبلية الملتوية ، وبدأت التعليقات حول السيارة حتّى وقفت أمام الفندق ، ونزل منها قاضي نالوت ، فالتفت حوله الجماعة في شرفة الفندق ، وقد جاء لنا علي بوشاقور بعددين من جريدة ، ونحن في شوق لمتابعة أخبار طرابلس وكانت محمّلة بأخبار زيارة إدريس ، تابعنا الأخبار فعلمنا أن السلطة مازالت تحقّق في مسألة القنابل ، وأنها أوقفت اثنين ، وتراقب آخرين ، قضينا سهرة هذه الليلة حول القاضي الآنف الذكر ، وكان رجلا ذكيا نبيهًا يتكلّم في حذر ، وبطريقة غير مباشرة أشعرنا بأن المنطقة كلّها غير راضية عن الوضع والله تعالى يصلح الأحوال .

لقد رأينا على بعد ، وفي الوادي السحيق على (الثنية) نور سيارة ، ولكن النور كان قويًّا ، وفي مكان واحد ولم يتحرك ..؟ جاءني في حجرتي السائق سالم شلبك وهو مزمع العودة إلى طرابلس ، وطلب مني إذا كنت أريد إرسال شيء للعائلة . ولم يكن عندي جديد فسلمته ورقة فيها أخبار قصيرة .

إن النور الذي رأيناه بالأمس كان لهيبا من حريق اشتعل في سيارة كبيرة من سيارات القافلة الإنجليزية . وقد احترقت السيارة تماما ، وتعطلت أخرى .

وفي هذا المساء الساعة الرابعة تقريبا جاء (الحلاق) وأعاد كثيرا من حكاياته السابقة وأحاديثه المتكررة ، ثم أتى إلى ذكر أيام هيئة التحرير وبشير بك السعداوي .:. لاحظت أنهم يؤمنون بزعامته وصدقه وحبّه للوطن ثم عرج على لجنة الاستفتاء ومكائد الفرنسيين مع المواطنين ... الخ

سلم عبد المجيد كاره مبلغ (8500) فرنك : (مال) لأحفظها له حيث ليس له في ملابسه جيب ، ولا محفظة ، ولا مكان أمين ، فقبلتها منه ، وأنا الآن لا أملك غير عشرة فرنكات ، فقد خرجت على عجل من البيت كما هو معروف وفي جيبي (200) فرنك : «مال» فقط انفقت قسما منها في غسيل الملابس وأشياء رقيقة .

لا شكّ أنّي سأحتاج إلى نقود خصوصا إذا طالت الإقامة في نالوت . ولا أعرف لمن أتوجه إذا احتجت ، هل أطلب من أحمد زارم الذي أشعرني أنه لديه بعض الشيء زيادة ..؟ أم أطلب من الحاج محمود ... أم أطلب من عبد المجيد كاره ونقود في جيبي ..؟ ولكن يظهر أني أفضل أحمد زارم . خرجت إلى الجماعة في الشرفة ، وجاء وقت المذياع فاتجهنا إليه ، وفي الساعة السابعة سمعنا خبرا أطربنا ، وهو أن إدريس ألغى زيارته للدواخل .

كنت جالسا بجانب «الحاج امحمد التكبالي» وقد تطرق الحديث إلى خليفة خالد ، فقال : إنه من أصل تركي ممزوج بككلة ، فأبوه موظف تركي أقام في ككلة وزوج منها ، وهذه الحكاية ذكرتني بجدي الأول ، وكيف تزوّج من عائلة بن عسكر في نالوت. وشرح التكبالي عائلة بن عسكر، وأن خليفة من خيرة الأبطال المجاهدين. وأخوه عمرو أيضا ، وإن لعمرو ابنا مازال على قيد الحياة ، فرجوته أن يعرفني ببعض أفراد هذه العائلة ، فقد يعرف بعضهم هذا الضابط التركي الذي تزوّج بالفتاة «سعيدة» بن عسكر ، ورحلت معه بعدئذ إلى طرابلس... فوعد... ولكن...

* * * *

جـــولة
في قــصر نالــوت العتــيق وسركــوكم

الاثنين 27 منه ، كان حرّ اليوم شديدا مثل الأمس أو أشد ، الريح ساكنة ، والسماء صافية ، وعند الساعة العاشرة اقترح علينا محمود السوداني زيارة القصر العتيق ، وأخذ صور تذكارية هناك فخرجنا واعتذر الحاج محمود لألم في رجله . إن القصر بناء غير نظامي ، مربع الشكل تقريبا ، يرتفع 4 أو 5 أمتار مدخله ثغرة مستطيلة «سقيفة» ثم بهو القصر ، وهو بمثابة زقاق ضيق يلف مع جدران القصر الأربعة .

وجدنا به رجلا «يخيط معلفا» فقدمه لنا محمود السوداني على أنه العساس ... سأله علي المسلاتي عن تاريخ بناء القصر. فقال : يرجع تاريخ القصر إلى (500) سنة تقريبا ، وقد جدد في أيام يوسف باشا القره مانلي ، وقد كان به ما يقرب من

(500) بيت ، أما الآن فالمستعمل منها 300 أو 200 فقط المشغولة ... وسعة البيت تختلف «من 200 مرطة إلى 30 مرطة» وهو ملك ، لكل الأهالي وقد باع بعض الفقراء بيوتهم فيه ، وقد يصل ثمن البيت أيام الصابة إلى (14) كارطة من فيئة المائة (فرنك) والقصر يتكون من أربعة طوابق . مبـني بالجبس وحجـارة الجبل ، وقد قرأت على سقفه كتابة بالطين واضحة كان أوّلها : بسم الله الرحمـن الرحيم ، سنة أربعين بعد المائتين والألف ، وبعض كلمات أخرى لم أفهمها وربما كانت بربرية .

إن منظر البلد من هذا المرتفع جميل جدا ، وأجمل منه الفندق والسهل الذي بين الجبل ، تجمعنا لأخذ صورة يرى فيها الفندق عن بعد ، ونزلنا ليذهب بعضنا إلى الفندق وبعضنا الآخر إلى جولة في المدينة ، وأصحاب المدينة هم : سالم شيته الطاهر بن تنتوش سعيد السراج ، ذهبنا مع محمود السوداني إلى مركز المتصرفية حيث مكتب السوداني ، ومن هناك عدنا إلى الفندق .

إن جوّ نالوت جميل ، وصحبة (الـ 14) مسلية ، وأهل نالوت قاموا نحونا بأكثر من الواجب . ولكن أخذنا على حين غفلة . وما تركناه في طرابلس من فراغ نسبي ، وما يسبب لغيرنا من إرباك هو الذي يقلقني وأخيرا نمت مع النائمين ، وهذه سنة الحياة فلا مفر منها .

اليوم الثلاثاء 28 منه . قمت في الساعة السابعة والربع . وبعد الفطور جاء بوليس من جادو وسلم للحاج محمود (صرّة) بها ملابس له ، بعثت بها إليه عائلته مع عددين من جريدة «طرابلس الغرب» ليومي السبت والأحد ، فقرأنا فيهما وصف زيارة إدريس للجبل ، وبعض الأخبار الأخرى ، كما أحضر لنا السائق سالم الصور التي أخذناها هنا وكانت لطيفة .

كنا نظنّ قبل وصول الجرائد إلينا أن السيارة ستصل اليوم ، حتّى نعود فيها إلى طرابلس في غدٍ ، ولكن سرت موجة من القلق في الجميع فإدريس سيرجع إلى «بنغازي» يوم الإربعاء . وهذا معناه أن السيارة لا تأتي إلّا يوم الخميس . وإذا تكرّموا زيادة فقد تصل يوم الإربعاء مساء ... إن اليوم الذي يزيد في مدّة الإقامة بعد الآن يعتبر عندنا كأنه أسبوع . بل شهر ، فقد مللنا هذه الحياة الرتيبة ، وهذا الاعتقال البغيض ... خصوصا لمثلي ، وقد كنت لا يسعني مكان في طرابلس ...

على العموم فإننا سنكون في طرابلس يوم الجمعة بعون الله . هذا إذا لم يحدث أي طارئ جديد .

كان في برنامجنا أن نذهب اليوم صباحا في جولة إلى «سركوكم» هذه عين ماء مثل الجويبية ، بل أجمل منها ، ولكن السيارة العامة سافرت إلى طرابلس قبل موعدها ... وقد قيل فيما تناقله ألسنة العامة إن اسم : «سركوكم» هذا محرف من «سرقوكم» وهم يرجعون الأمر إلى حكاية قديمة ، وهي أن مجموعة من أهل البلاد كانت تدخر محصولاتها الموسمية في هذا المكان ، وكانوا يتفقدوها يوميا بالتناوب ، وفي يوم من الأيام ذهب أحدهم ليتفقدها فوجد المحاصيل المدخرة قد سرقت ، فرجع منزعجا وهو يصيح لقد سرقوكم ... سرقوكم ... والله أعلم بالصحيح .

مشادتان وقعتا اليوم مساء بين الجماعة . وقد كانتا عنيفتين حتّى خشينا نتائجها . أما الأولى فلم أحضرها بل نقلت إلي : في الساعة الثالثة والنصف حضر الأستاذ «محمود السوداني» إلى الفندق وقد كان بعض الجماعة في الشرفة . وبدأ الحديث في هدوء كالعادة ، اجتماعيا وسياسيا ، وتشعّب وطال ، واشترك فيه «عبد الرحمـن دقدق» والحاج محمود ، والأستاذ زارم ، وعلي المسلاتي ، ولا أدري من الآخر ، استقر الحديث حول الدين الإسلامي ، والمذاهب واختلافاتها ، ومحاولة التقريب بينها ، ومن هنا بدأت الشرارة .

محمود السوداني وجد مجالا للكلام والنقاش ، وأكد أنه من الضروري توحيد المذاهب ، وإزالة ما بينها من تعارض جانبي ، وإلى هنا كان كلاما سليما . إلّا أن محمود السوداني قد اندفع إلى ما لا يحسن السكوت عليه حيث قال : إن الدين يجب أن ينقّح . وأن القرآن يتعارض مع الحالة الحاضرة ، أو على الأقل لا يصلح نظاما وقانونا يطبّق في العصر الحاضر ... وهنا ثار أحمد زارم والحاج محمود وعلي المسلاتي والشيخ عبد الرحمـن والآخرون ، وشدّدوا على الأستاذ محمود ، وأخذ هو بدوره يدافع عن رأيه ، ووجهة نظره ! !

وقد اشتدّ النقاش واحتدّ ، وتدخّل الحاج محمود بشكل خشن ، وهو الأمر الذي جعل محمود السوداني يوقف سير النقاش ، وينسحب من الجلسة ، بل ويخرج من الفندق ، ولما لمت الحاج محمود على خشونته قال لي : إنّني لا أقصده في شخصه ، ولكن في هذه الأفكار الهدامة ...

أما المشادّة الثانية فقد كانت أشد وأعنف ، حتّى كادت أن تنتهي إلى ما لا يحمد ، فقد وقعت في الساعة التاسعة . وفي أثناء العشاء بدأ الحديث وانتقل من موضوع لآخر . فانتقد علي الحمداني بعض تصرفات الكتلة ، فتصدى له الطاهر بن تنتوش في شيء من الحدّة فانتقده سالم شيته ، فزاد النار لهيبا ، وتدخل الضاوي فزاد الطاهر من حدّته ، وبدأ يصيح بأعلى صوته ، وأغلظ القول حتّى قال : « السعداوي خاين » ...الخ فوقف له سالم شيته ليسكته ، وارتفعت الأيدي ، ثم تشابكت ووصلت إلى حافة الضرب ، فتدخل عبد الله شيته بصفته محايدا .

ألم أقل لكم : إن الطاهر بن تنتوش أحمق ..؟ وقد تكون الحماقة هي القاسم المشترك بين أعضاء الكتلة . والطاهر هذا وفرنكة نماذج منها ، ولم نجد طريقا إلّا تـرك الطاهر وهديره يتبدد في الهواء ولا صدى له في النفوس ... وقد تمثل أحدهم

بقول الشاعـر :

[ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ]

اليوم لم أستيقظ إلّا عند الساعة الثامنة إلّا ربعا ، وإذا بالحجرة خالية ، فأردت العودة إلى النوم ولكن الشيخ عبد الرحمـٰن دقدق فتح محطة إذاعة ، تنادي بأعلى صوت . وكانت إذاعته هذه المرة « إذاعته الخاصة » أي حنجرته ، إنه يوجه نداء بصوت مرتفع ويلحّ ويكرر (يجب التجمع في الصالة) وهو يطوف على الحجرات فتجمعت الجماعة وخرجت بدوري متثاقلا ، فإذا هم في جلبة و(دوشة) وحماس إن اليوم هو يومنا الأخير في نالوت .

ذهبت إلى حجرتي وخلوت إلى (مجلة الأديب) فقد كنت ضيق الصدر نتيجة لأخبار « محطة الأدنَى » القائلة : إن إدريس ألقَى خطابه فأيد « الفيديرالية » وأقر الحكومة الحالية ، وبارك جمعية الستين ، ولكن رغم هذا فإننا لم نيأس ولم نفشل ، وسنسير مع هدفنا حتّى يتحقّق إن شاء الله .

زارني في حجرتي الأستاذ محمود السوداني[1] وقال لي : إنه أحضر لي كتابا

---

1) محمد السوداني هذا رجل طيب مثقف وذكي . ولكنه من اتباع البهائية ، وداعٍ لها معه كتب لها يمنحها لمن يتوسم فيه الميول والقابلية ، تباحثت معه كثيرا معرفته جيّدا .

مجملا عن البهائية . ولكن اختطفه الأستاذ زارم مني ... فخرجت معه فوجدت زارما في الشرفة ، ولكنه أبى أن يسلّمه لي ، وذهب به إلى حجرته حيث وضعه في حقيبته وأقفل عليه بالمفتاح .

ولقد علمت منه بعدئذ أنه لا يريد مني أن أطلع على مثل هذه الكتب . وقال : إنه سوف يحرقه . فرجوته أن أطلع عليه ولو عبورا ، ولقد كنت أسمع عن طريقتهم في التحية ، أعني البهائيين ، بدل السلام عليكم يقولون : [الله أبهَى] ، فيكون الرد ، [وعليك البها الأبهى] لم أبق في الشرفة مع الجماعة ، بل عدت إلى حجرتي محاولا القراءة فلم أستطع ، وعليه بدأت في كتابة هذه الخواطر .

سبحان الله ، ما أعظم شأنه ، وأجل حكمته ، يصرف الأمور كيف يشاء ، بين شدّة ورخاء ، وسعادة وشقاء ! ! ! كنت في حجرتي عندما انتهَى إلي صوت الشيخ عبد الرحمـن دقدق ينادي : سعيد ... سعيد هناك في الصالة رجل يريد أن يسلمك جرائد أتتك من طرابلس ، فأسرعت إلى الصالة حيث الرجل . وبعد التحية ناولني ملفا به جرائد فشكرته ، وبعد لحظة المجاملة فتحت الملف فوجدت به بين الجرائد رسالة من العائلة قرأتها في تلهّف فكانت بردا وسلاما ، فكل أخبارها سارّة .

تعرفت على السيد القادم اسمه «الهادي» وهو من المحاميد «يعني أولاد محمود» وقدمته للجماعة ثم قرأت عليهم الفقرة التي تتعلق بأخبار السعداوي في الرسالة ، وفيها التفاؤل بالوحدة في لقاء السعداوي مع إدريس ، قال لنا الهادي إن «بيلت» نفسه اعترف بأن الوحدة مطلب الشعب وناشد إدريس أن يحققها ،.. الخ . وبعد أن بقي معنا حصّة من الوقت انصرف ، وإذا به أرسل إلينا صندوقا من العوينة والتفاح .

جمعتنا مائدة الغداء ، وبينما نحن في الأحاديث بعد الغداء ، إذ جاء الولد الذي في خدمتنا واسمه (سعيد) جاء يصيح : (البولمان ... البولمان) فهرع الجميع إلى الشرفة . فكان سعيد صادقا . فالسيارة فعلا قد وصلت جاءت خصيصا لإعادتنا إلى طرابلس . عقدت الجماعة جلسة عاجلة حول المائدة للاتفاق على موعد السفر ، وشكر أهالي نالوت وغير ذلك ، ثم جاء البوليس وأخبرنا بأن السفر سيكون غدا الساعة السابعة صباحا .

طلب مني الشيخ عبد الرحمـن أن آخذ الولد «سعيد» معي إلى طرابلس ليعمل معنا ، وقال إنه ولد أمين وذكي ، وأيده في ذلك الحاج محمود . وقد علمت أن

الضاوي مْسلَّم هو الأخير له نفس الفكرة. فهو يريده للعمل معه في معمل الصابون. على العموم قررنا دعوة والده، وأخذنا موافقته.

نحن الآن في يوم 1951/5/30م لم يحدث في الفندق شيء جديد يستحق الذكر إلّا الاستعداد. جاءنا الأستاذ عبد الله شيته بسجلّه الرسمي، وسجّل أسماء المجموعة، وتسلّم البطاطين المسلمة إلينا حين وصولنا نالوت، وحدّد موعد السفر مع الضابط الإنجليزي، وأخبرنا بعد ذلك عن طريق عودتنا فقال: الساعة السادسة والنصف صباحا يكون الإقلاع من نالوت، الساعة العاشرة في جادو، الساعة الحادية عشرة والنصف في يفرن، الساعة الثانية والنصف في غريان، الغداء في غريان أما بقية الرحلة فهو غير مسئول عنها. وجاء السائق سالم وطلب منّا أن نأخذ صورة تذكارية أمام الفندق. «والبولمان» واقفة فتجمعنا، وأخذت الصورة ثم عدنا للفندق.

زارنا اليوم شيخ كبير من المجاهدين اسمه (أحمد)* حكم عليه الطليان بالإعدام غيابيا، ثم قبض عليه ففرّ منهم، وبعدها قبض عليه فارًّا إلى الحدود التونسية، فنجا

(*) هو الشيخ أحمد بن الحاج خليفة بن مبارك. أحد رجالات نالوت القلائل. وأحد جنود الوطن المجهولين. أو أحد نماذج الظل على حد تعبير الأستاذ علي مصطفى المسراتي. هذا الرجل المجاهد قد أوتي من الشجاعة والاخلاص للوطن حظا وافرا؛ فهو مجاهد مخلص. ومهاجر صادق، فحينما اضطر أهالي نالوت وغيرهم لـلالتجاء إلى الوطن اختار الشيخ أحمد الجندي المجهول اختار مفارقة الأهل والعشيرة والاتجاه إلى الصحراء المقفرة والفيافي المحرقة والأراضي المعطشة لمواصلة الجهاد ضد المعتدي على وطنه الطامع في سلب حريته ودوس كرامته، فكابد ماكابده اخوانه من المجاهدين المهاجرين، إلى أن حطت به صروف الدهر، ومشيئة القدر في بلد (تطاوين) قريبا من حدود وطنه في انتظار ساعة الثأر.

وفي سنة 1928 جاءتني منه رسالة، يستوضح فيها عن حقيقة الحركة والقائمين بها. وبعد تبادل الرسائل بيننا. جاءتني منه رسالة يضع بها نفسه تحت طلب الحركة الوطنية في حالتي السلم والحرب، ومنذ هذه الرسالة أصبح يشارك في اجتماعات الجمعية مباشرة.

ولا بد أت نذكر بأن حكومة إيطاليا في طرابلس أصدرت عليه حكما بالاعدام. وقد حاولت مرارا القبض عليه لاعدامه. ولكن الرجل كان لبقا فطنا ذكيا، فأفلت من كل محاولاتها. وأخيرا استقر «بتطاوين» في حماية الشقيقة تونس. تونس ذات الفضل الذي لا ينسى في الظروف العسيرة. حينما حمت عشرات الآلاف من المهاجرين. وهذا وان كان واجبا من عدة نواحي، إلا أنه فضل لا ينكر ولا ينسى.

يبدو أن إيطاليا لها حقد عميق على الشيخ أحمد. في سنة 1940م حينما كبأ بفرنسا جوادها أمام الزحف الهتلري، واستسلمت، انتصبت لجان مراقبة (الهدنة) في البلاد التونسية. وكانت عناصر هذه

بأعجوبة . ومرّة ثالثة كاد أن يقع في أيدي الطليان ، وأخرى أمسكه الطليان في تونس ففرّ في اللحظة الأخيرة ، وإنك لتعجب من هذه الشيبة والمغامرات التي خاضها وإنها لقصّة مثيرة حقا عندما يرويها لك ، وكيف تمكّن من الإفلات من حبل المشنقة مرّة بالحيلة ، وأخرى بالقوة ، وثالثة بالحظ . إن إيمانه بالله قوي حقا وتداخلت الأحاديث ، فقصّ على أحمد زارم بعض مواقف لهذا الشيخ .

حلّت الساعة التاسعة مساء وجاء العشاء ... نقلت لنا المائدة إلى الشرفة ، لأوّل مرّة ، ولعلّها هي الأخيرة أيضا في المكان كلّه . فالنسيم عليل والليل ساكن وهادئ ، وبعد العشاء تجمعنا حول المذياع ، علّنا نسمع خبرا جديدا ، ولكن لا جديد .

وبدأ الشاهي كما بدأ يفد إلينا كثير من المواطنين لتوديعنا . كما حضر عبد الله شيته ومحمود السوداني فشكرناهما على مواقفهما الأخوية نحونا . فقال عبد الله شيتة مازحا : إن شاء الله في عودة . ولم يتركها الحاج محمود تفوت فعقب قائلا : والحال غير الحال . ودامت سهرتنا حتّى الساعة الثانية عشرة في أحاديث متشعّبة وشيقة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، ثم ودعنا الإخوان متمنّين لنا عودا حميدا ونصرا أكيدا .

الخميس 31 / 5 / 51م الساعة السادسة صباحا : ما أجمل نالوت ساعة الفجر ، وما ألطف الجو قبل شروق الشمس ... أحاسيس وانفعالات ، وموجة غريبة من الرهبة والفرحة . هذه الجبال الشاهقة والجو المنعش والأيام التي قضيناها ، والرفقة التي ألفناها ، وها نحن على أبواب العودة إلى طرابلس . انتهى

وفي ليلة مظلمة وفي حوالي الساعة الثانية عشرة من إحدى ليالي سنة 1941 م فيما أتذكر ، بينما كان الرجل في منزله إذ سمع طارقا يطرق بابه ، فخرج مسرعا وفتح الباب ، ليجد نفسه أمام جنود إيطاليين مدججين بالسلاح ، طلبوا منه مصاحبتهم ، وقد عرف الرجل سرّ الموقف ، ولكنه تجلّد وصبر ولم يرتبك . بل طلب منهم بكل هدوء أن يسمحوا له بارتداء ملابسه ، وأخذ شيء من النقود معه ، فسمحوا له بذلك ، طمعا في غنيمة ملابسه ونقوده .

=

اللجان كلها فيما عرفت من الايطاليين ، وبذلك سنحت الفرصة لحكومة إيطاليا بأن تتصرف تصرف الغالب ، فبدأت بملاحقة من تشاء من أعدائها ، بأوضح من تصرفات الماضي . فقد أعطت الأمر لأفراد من جيشها لمهاجمة الشيخ أحمد في منزله بتطاوين. والقبض عليه وإعدامه هناك خارك البلاد .

وقف الجنود في مدخل الباب المفتوح ، ودخل الشيخ أحمد ، وبدلا من تغيير ملابسه أخذ سلما ووضعه على الحائط ، وفي خفّة الخائف كان على السطح ، ولم يعمد لنقل السلم للجهة الخارجية من الحائط نفسه خوفا من انتباه الجنود لخشخشة السلم ، فألقى بنفسه إلى الأرض فوقعت له آلام برجله لازمته إلى الممات ، ولكنه تحامل على نفسه ، وفرَّ حتّى وصل إلى تونس العاصمة .

وفي إحدى تلك الليالي الخوالي ، وفي الساعة الثالثة والنصف صباحا بينما كنت أستعد للذهاب إلى عملي في شركة المياه ، الذي كان يبتدئ في الساعة الرابعة صباحا إذ بطارق يطرق الباب بقوّة ، فخرجت مسرعا وفتحت الباب ليقابلني الشيخ أحمد ، فاستغربت الأمر فقلت : أهَهْ الشيخ أحمد..؟ خير إن شاء الله . تفضل ... تفضل . إن شاء الله خير ، تفضل ، فأجابني بقوله : [وين الخير نشبحوه ما دام وجوه الشر هلكلاب في جرتنا] هذا ماكان حرفيا منّي ومنه .

تركته للراحة في نومه ، إستغرقت إلى منتصف النهار . وبعد تناول الغداء حكى لي قصّته بأكملها أكثر بكثير ممّا قلته هنا ، ثم طلب مني كتابة استغاثة بملك تونس « الباي » آنذاك لحمايته من الإيطاليين وقد كتبنا هذه الإستغاثة . ثم رأيت أن نذهب بها إلى « الشيخ الثميني » صاحب مكتبة بسوق العطارين وهو رجل جزائري ومعروف في الأوساط العلمية التونسية وغيرها بالصدق والإخلاص ، ذهبنا إليه لإطلاعه على صورة الاستغاثة وإعطاء رأيه فيها . والاستعانة به في إيصالها وتدعيمها . وقد وصلت فعلا وتحصلنا على وعد اطمأنت له نفوسنا على أي حال .

ولقد عاش الشيخ أحمد رغم إيطاليا وأحكامها . عاش سالما مرفوع الرأس موفور الكرامة ، إلى أن انهزمت إيطاليا فعاد إلى وطنه ، وعاش بين إخوانه وعشيرته رغم إيطاليا ومن لف لفّها ، حتّى وافاه الأجل المحتوم . فانتقل إلى رحمته تعالى . تولّاه الله بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنّته . وجميع المخلصين الصادقين أحياء وأمواتا ، إنه هو الغفور الرحيم .

بشير السعداوي ـ والصنداي قبلي

(الصنداي قبلي) جريدة كانت تصدر في «طرابلس الغرب» باللغة الإنجليزية . أيام الإدارة البريطانية (1943 ـ 1952) يحرّرها شخص إنجليزي يدعى «جونصون) وهو أحد أفراد الجيش الثامن البريطاني ، وعند دخوله طرابلس كان «جونصون» هذا يحمل ثلاث «دبورات» فيما أتذكر. وكان رجلا نحيل الجسم خبيث الطوية ذا مكر. وقد بقيت هذه الجريدة تصدر إلى أن وقع إخراجنا من الوطن في آخر فبراير 1952 م . ولا أتذكر السنة التي توقفت فيها عن الصدور. أما صاحبها «جونصون» فعند عودتي من الإبعاد في أول سنة 1961 م وجدته لا يزال في طرابلس ومن سكان «قرقارش» .

ولقد أجرت هذه الجريدة مقابلة صحفية مع المرحوم بشير السعداوي وذلك ، في آخر أكتوبر سنة 1951 م . وقد نشرت هذه الجريدة نفسها تلك المقابلة في عددها الصادر في 28 أكتوبر 1951 م . كما ترجمتها جريدة «طرابلس الغرب» ونشرتها في نفس الوقت . وفيما يلي النص الحرفي لما نشرته هذه الجريدة :

«بشير السعداوي الذي يبلغ من العمر سبعين عاما هو رئيس حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي ، أما بالنسبة للإنجليز ، بل للبريطانيين ، فهو يعتبر طائر النوء للسياسية الطرابلسية ، ويتمتع بشير بك السعداوي بشهرة شخصية بين قسم كبير من الشعب العربي .

وقد أدى به موقفه المتصلّب ضد التدخل الأجنبي أثناء الحرب مع إيطاليا في سنة 1911 إلى الهجرة لمدة تربو على 25 عاما . أما الآن فحتّى أولئك الذين لا يشاركونه في مقاومة النظام الفديرالي الذي يروْنه الحل المناسب لمشكلة خطيرة لا يزالون يذكرون مقدرته على الكفاح ، ويكنون له التقدير والاحترام على المواقف التي وقفها في الماضي .

وبالإضافة إلى ذلك فهو شخصية لها أهميتها في مسرح السياسية الليبية ، وهو يتزعم المعارضة الوحيدة للحكومة في الوقت الحاضر. وتستحق آراء السعداوي كل اعتبار . وقد صرّح السعداوي في حديثه هذا قائلا : ليست لي عداوة إزاء بريطانيا بالرغم من أنها في رأيي لم تعد تقدر الروح والتفكير الجديد في الأقطار العربية .

. إن بريطانيا لا تتمشّى بسرعة مع التطوّرات ، إنّها لا تأخذ بعين الاعتبار موجة الروح الوطنية القويّة التي تكتسح الأقطار العربية في الوقت الحاضر . أما فيما يتعلّق بليبيا فإنني أرى بعين الرضا عقد معاهدة مع بريطانيا والدول العربية الأخرى ، غير أن هذا الحلف يجب أن يأتي بالرضا التام من طرف الشعب الليبي . إن ليبيا في حاجة إلى أصدقاء ، ومن المعروف أن هذه بلاد فقيرة ، ولذلك فإنه من دواعي السرور أن نرى بريطانيا تساعد هذا القطر بشتّى الوسائل على أنني أرغب في الوقت نفسه أن تترك مسألة المعاهد بأسرها لحكومة منتخبة انتخابا حرا من طرف كافة الشعب . وكانت الشكاية الوحيدة التي أثارها بشير بك من البريطانيين هي أنهم في رأيه قد تدخلوا في مشروعات التطوّر الدستوري لليبيا التي وضعتها الأمم المتحدة .

ويعتقد أن مجلس الأمم المتحدة في ليبيا وقع تحت تأثير البريطانيين . وقال بشير بك : إنه في عهد اللجنة الرباعية للتحقيق في ليبيا سنة 1948 م كان يتقاضى هو وحزبه مساعدات مالية من الجامعة العربية ، لكن في الوقت الحاضر نفى ذلك قائلا : إنه لم يتناول الآن أية مساعدة من أية دولة أجنبية . وكان هذا التكذيب يتعلق بمصر بنوع خاص .

أما فيما يتعلق بدستور ليبيا فإن السعداوي قال : إن الكلمة الأخيرة يجب أن يقولها الشعب أو البرلمان ، وقد امتنع بشير السعداوي عن الإدلاء برأيه فيما إذا كان الدستور مناسبا أو غير مناسب .

وقد قال في هذا الخصوص : يجب أن يترك لحكومة منتخبة انتخابا حرًّا حق تعديل الدستور إذا اقتضى الأمر ، وأضاف إن المؤتمر سوف يخوض معركة الانتخابات المقبلة ، ولكنه يرغب في أن تعطى التأكيدات ضد التلاعب في نتائجها . وصرّح بأن الشعب في طرابلس يؤيد حزبه بالإجماع تقريبا ، بينما تؤيّده الأغلبية الغالبة في بقية أنحاء ليبيا .

ويقول السعداوي إن الشعب الليبي له شديد الإهتمام بالمسألة المصرية ، وإنه يعطف على مصر في مطالبها في الاستقلال . وقال : إن هناك روابط في الدين والعنصر تربط بين الشعبين . وقال : إن نتيجة الانتخابات في بريطانيا لا تؤثر بصورة تستحق الذكر في شئون ليبيا ، وإن ليبيا تعتمد في مطالبها من أجل الاستقلال على مجهودات الشعب نفسه وتأييد هيئة الأمم المتحدة» .

وما دام الشيء بالشيء يذكر كما يقولون . فإنني بعد الانتهاء من نص المقابلة الصحفية أعود إلى ذكر صاحب (الصنداي قبلي) فأقول : إنه كان يطبع جريدته في مطبعة (مادجي) سابقا كما كنت أنا أيضا أطبع جريدتي «شعلة الحرية» في نفس المطبعة ، وكنت ألتقيه كثيرا هناك وأسأله عن أشياء . كما أنه هو كذلك ، وفي ليلة من تلك الليالي الخالية ، والتي يبدو أن الإدارة قررت فيها ضرب الحركة الوطنية وكأنها أوعزت له بأن يعاكسني جئت للمطبعة للإشراف على تصفيف وطبع الجريدة وإذا بصاحب «الصنداي قبلي» يعترضني ، ويحاول منعي من الدخول للمطبعة ، وهنا وقعت المشادّة ولكن ....

* * * *

من ذيول قنبلة موكب إدريس سنة 1951م

في شهر مايو من سنة 1951م ، حينما عزم إدريس على زيارة طرابلس قامت سلطات الأمن العام في طرابلس بحملة أمنية ألقت خلالها القبض على عدد كبير من عناصر الحركة الوطنية ، وبعبارة أصح ، من أنصار الوحدة الوطنية والاستقلال ، وذلك حفاظا على حياة «الزائر» على حدّ تفكيرها . وقد قسمت هذه العناصر المقبوض عليها إلى مجموعات ، وأرسلت بكلّ مجموعة إلى منطقة معيّنة من مناطق البلاد بعيدا عن العاصمة ، وبعضها بقي بها في مراكز الشرطة داخل المدينة وضواحيها . وكنت أنا من بين مجموعة من هذه المجموعات ، وتقرر أن يكون مكان مجموعتنا مدينة (نالوت) وقد كانت مجموعات أخرى وزعت بين مزدة ، بني وليد ، جادو ، وغيرها .

وصل موكب الزائر إلى طرابلس ، وبينما كان الموكب يسير في شارع عمر المختار ، وبالذات في المسافة بين جامع عمر المختار «السنوسية سابقا» وأوّل شارع الإستقلال (المقريف الآن) هنا وقع المحذور حيث بدأت فجأة حركة اضطرابات وارتباك في الموكب ، وذلك أن يداً مجهولة لعبت في الخفاء ، وألقت على الموكب ، وبالتحديد أمام سيارة الزائر بقنبلة أو قنابل من صنع محلي ، وليست ذات مفعول كبير ، ولكنّها مزعجة ، ويبدو أن القائمين بها (أي بالعملية) لا يقصدون منها إلّا الإزعاج ، لكي

يحصل لفت النظر إلى المطالب الشعبية التي هي وحدة البلاد. وقد انتشرت إشاعات بين الناس حول هذه الفعلة. فمن قائل إنها يد إيطالية، وآخرون يقولون: إنها من فعل الإنجليز، وثالث يقول: إنها يد أجنبية هكذا، بدون تحديد. وغير ذلك؟

ولقد سمعنا بهذه القنبلة ونحن حينذاك محتجزون في نالوت، سمعناها عن طريق الإذاعات الخارجية وقد تمت الزيارة بسلام، ولم يصب أحد بأذى. انتهت الزيارة، وقفل الزائر عائدا إلى بنغازي، وعقب ذلك أفرج عن المبعدين، وسمح لهم بالعودة إلى منازلهم. وعند العودة وجدنا أن سلطات الأمن قد ألقت القبض على أفراد من الشباب أي شباب الحركة الوطنية، متّهمة إياهم بأنهم هم الذين ألقوا بتلك القنبلة، ولا يزالون في دور التحقيق.

وفي يوم من تلك الأيام جيء بالشباب الموقوفين إلى رئاسة البوليس في (سيدي عيسَى) لمواصلة التحقيق معهم، وقد وضعوا في حجرة كانت أمام المدخل الرئيسي مواجهة لكل داخل، ولم يبق لها اليوم من أثر، وضعوا هناك في انتظار دورهم للتحقيق. وقد استغل الشبان لحظة الانتظار تلك، واتفقوا فيما بينهم على الفرار من نافذة كانت في الحجرة، وقد كانت هذه النافذة من داخل الحجرة منخفضة جدًّا، ولكنها من الخارج كانت مرتفعة حوالي خمسة أو ستة أذرع، وتطلّ على فضاء خلف المبني. ومن هذه النافذة قفز أوّل واحد منهم فحصل له في رجله ما أعجزه عن النهوض بحيث لم يستطع الفرار، وبذلك تراجع الآخرون عن تنفيذ عملية الهروب. وكان قد أشيع من قبل أن الموقوفين يعاملون بشدّة وقساوة، فجاءت هذه المحاولة كتصديق طبيعي حيث قد اعتبرتها الأوساط الشعبية نتيجة لتلك القسوة التي أشيع أن الشبان الموقوفين يعاملون بها وحينما تحققنا من وقع محاولة الهروب ونتائجها، كثر التذمر في الأوساط الشعبية حول ما وقع. كما اتّصل بي بعض الأفراد وطلبوا مني معالجة الموقف. عند ذلك كتبت كلمة في (شعلة الحرية) تحت عنوان: (إلى أين يا سيدي عيسَى)..؟ أنحيت فيها بالائمة على سيدي عيسَى. ولم أذكر اسم البوليس إطلاقا ولا رئاسته، بل كان الخطاب كلّه موجها إلى: (سيدي عيسَى) وكان آنئذ مدير الأمن العام رجلا مشرقيا يدعى «شوقي سعد» جاء إلى ليبيا مع الزحف الإنجليزي في الحرب العالمية الثانية. وشوقي سعد هذا عرفنا فيما بعد أنه فلسطيني المنبت، مسيحي المعتقد، عربي الأصل، إنجليزي الجنسية، أي أنه متحصّل على

الجنسية الإنجليزية حسبما سمعته من عارفيه . وقد ولته الإدارة البريطانية في عهدها رئاسة الأمن العام في إقليم طرابلس ، نظرا لثقافته وخبرته الواسعة في الشئون البوليسية ، وإخلاصه لها في العمل .

وبعد أن صدر عدد الجريدة المذكور ، وفي إحدى صفحاته تلك الكلمة الموجهة إلى سيدي عيسَى ، وصلتني ورقة استدعاء يطلب مني فيها الحضور لرئاسة البوليس في سيدي عيسَى بطرابلس ، ومن الغد ذهبت إليه ، فأدخلوني على الأستاذ شوقي ، فوجدته غاضبا محتدًّا ، ولكنه رغم ذلك تبدو عليه من جهة أخرى علامات اللطف والأدب ، فأشار إليّ بالجلوس ، وجيء لي بالقهوة ، ثم قال لي : يا فلان أنت بكلامك هذا على الجريدة قد حفرت هوّة بين الشعب والبوليس . قلت أنا لا أقصد هذا أبدا ، ومع ذلك فإن كلمتي التي كتبتها هادئة ، ثم إنها لم يرد فيها ذكر للبوليس ، ولا لرئاسته لا من قريب ولا من بعيد ، ولا أدري من تتكون هذه الهوّة؟

نظر إليّ (شوقي) شزرا ، وقال لي : إذن أنت تكلم الأموات ..؟ قلت : كلّا يا شوقي بك ، أنت عربي فيما عرفنا ، وتعرف أننا العرب كثيرا ما نلتجئ إلى «أولياء الله الصالحين» في الملمات ، وسواء كان هذا خطأ أو صوابا ، مفيدا أو غير مفيد فهي عادة متأصّلة في النفوس وليست إشراكا ، وهنا هزّ شوقي رأسه وقال : أنا أعرف ، قلت هذه هي حقيقتي ، أما كوني حفرت هوّة بين البوليس والشعب فهذه تهمة لا أقبلها ، وما كنت في يوم من الأيام ضدّ الأمن العام ، بل أنا منه واليه ومعه ، إلّا أنني أقول الحق إن إجراء التحقيق بواسطة العنف والتعذيب حتّى يضطر المتّهم للاعتراف بما لم يفعل أظن أنها جريمة ضد الإنسانية والعدالة .

وهنا نهض شوقي من كرسيه ، ومعه آخر نسيت الآن من هو ، لطول المدة ، وقادني إلى الحجرة التي بها النافذة والتي حاول الشبان الفرار منها . وهناك ، قال شوقي : هل في القفز من هذه النافذة من خطر ..؟ قلت : ليس بالخطر الكبير ، ولا بالعلو الشاهق ، ولكن أظن الذي يقفز من هنا إما أن يقع له شيء في رجليه ، وبذلك يدخل المستشفَى وفي هذا راحة . وإما أن يسلم فيفر ويختفي ، وفي الحالتين يبدو له أنهما أفضل ممّا يلاقيه . هذا ما نفهمه نحن والله أعلم . والإنسان يسأل نفسه : ما هو الدافع لارتكاب هذا الخطر ولو كان بسيطا ..؟ ليس لهذا من جواب على حدّ فهمي إلّا ما جاء في المثل القائل «يلجئك للمرّ ما هو أمرّ منه» .

ويبدو لـي أن الأستاذ شوقي قد فهم من قولي هذا «ولو كان بسيطا» أنّني قد اعترفت بعدم أهمية الموضوع . ولذلك فقد طلب مني أن أكتب كلمة في نفس الجريدة ، وفي ذات الصفحة أتراجع فيها عمّا قلته بشأن الشباب ، أي : ما قلته بالأمس قد تبيّن بعد البحث والتحقيق أنه غير صحيح ، هكذا يريد مني شوقي أن أفعل ، على أن أطلعه على الكلمة قبل نشرها فأجبته لذلك .

وبما أن الجريدة كانت تصدر أسبوعية فلم أعد إليه إلّا في اليوم الثالث ، وبيدي الورقة مكتوبة ، وبعد التحية الواجبة ناولته إياها ، وبعد قراءتها قال لي بحدّة : إن كلمتك هذه تأييد للأولى ، وليست نفيا لها ، والحقيقة أن كلمتي هذه لم تكن تأييًا للأولى كما قال ، ولا نفيًا لها كما يريدها هو . وإنما هي كلمة تضمنت تخفيف الخطر الذي صوّرته الكلمة الأولى ، أما نسف الكلام الأول من أساسه ـ كما يريد شوقي ـ فهذا أمر مستحيل بالنسبة لي ، وأن السجن أحب إليّ من ذلك .

فكرت قليلا ثم قلت : اسمح لي يا شوقي بك بأن أقول لك : إنني لا أريد أن أكذب مرتين ، ذلك أنني إذا نفيت اليوم ما قلته بالأمس ، أكون بذلك قد كذبت مرتين ، فقال شوقي اسمع يا ... أنا أريد منك تراجعا عمّا قلته ، وأنت تعرف كيف تصوغه .

وهنا قلت : يا شوقي بك ، أنت رجل من طليعة العارفين المدركين ، ولا إخالك إلّا فاهمني جيّدا ، ومن هنا تعذرني حينما أقول لك بصراحة ووضوح : «إن للجريدة كرامتها ، وأنا لي كرامتي» والشعب لنا بالمرصاد ، وإذا عرف عنّي كذبة واحدة فسأكون في نظره دائما كاذبا ولو صدقت ، وهذا معناه انتحار معنوي . ولذلك ، فإني لا أستطيع أبدا أن أنفي اليوم ما قلته بالأمس ، فقال : سأنتظر العدد القادم ، فإن فعلت فقد حسم الأمر ، وإلّا فسوف أقدمك للنيابة .

قلت : أقول لك بصراحة إن شيئا مثل هذا يجعلني في نظر الشعب كما قلت . لا أفعله أبدا . وأما أن حضرتك ستقدمني للمحاكمة فذلك أمر يتعلق بضميرك ووجدانك . أما أنا فسأتحمل مسئوليتي كيفما كانت . «وأفوّض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد» وإلى هنا انتهى الاجتماع ، وأشار لي بالانصراف ، فخرجت من عنده وأنا في انتظار دعوة من النيابة . ولكن تدخل في الأمر لدى شوقي بعض الساعين إلى الخير ، رحمهم الله تعالى . وأوقفوا الموضوع نهائيا .

السّعداوي يتحدّث إلى الشّعب الليبي
من إذاعة الأمم المتّحدة

أيّها ، السادة بني وطني الأعزاء ، كنت في كلمتي السابقة تحدثت عن موقفنا نحن الليبيين من أن تلك الروح الطيبة التي لمسنا آثارها عندما طرحت قضيتنا للبحث في بداية هذه الدورة سوف تستمر بعون الله حتّى تصل هيئة الأمم إلى حلّ يحقّق ما يصبو إليه الشعب الليبي ، من الظفر باستقلال الوطن ، والإبقاء على وحدته .

وممّا يدعو إلى الغبطة أن المباحثات التي دارت بشأن مصير بلادنا في اللجنة الفرعية التي عهدت إليها اللجنة السياسية بإيجاد مشروع لحلّ القضية الليبية كانت تسودها الحكمة والرغبة الصحيحة في إجابة رغبات الشعب الليبي ، أو ما يمكّنه من بلوغ أمانيه الحقّة العادلة . ومع أن اللجنة الفرعية لم توفق لإعطاء ليبيا استقلالها التام فورا ، فقد بذل رئيسها وأعضاؤها جهودا عظيمة لاتخاذ الضمانات التي تجعل الاستقلال والوحدة حقيقة واقعة خلال العامين المقبلين ، وفي أقرب وقت ، على ألّا يتأخر بأي حال من الأحوال عن أوّل يناير 1952م .

وإن هذه الضّمانات أهمها تعيين مندوب لليبيا تنتدبه هيئة الأمم المتحدة ، وإنشاء مجلس يضمّ من بين أعضائه مندوبين عن الدولتين الكبيرتين الصديقتين (مصر ، وباكستان) وإلى جانب هذا ممثلين للشعب الليبي واحدا من برقة ، وآخر من طرابلس ، وثالثا من فزان . ومهمة هذا المجلس معاونة الليبيين في وضع دستورهم وتأسيس حكومتهم المستقلة ، كما يتعيّن على المندوب عند تأدية وظائفه أن يستشير هذا المجلس ، وأن يسترشد في عمله بآرائه .

وهناك ضمان آخر ، وهو أن للشعب أن يرفع عند الضرورة إلى هيئة الأمم عن طريق ممثليه في هذا المجلس ما قد يتراءى له من مقترحات وشكايات ، وغير ذلك من الموضوعات التي يرغب في رفعها إلى هيئة الأمم ، وفضلا عن ذلك فقد كلفت السلطات الإدارية والقائمة في البلاد في أثناء فترة الانتقال بأن تقوم بالمساعدة اللازمة لتحقيق وحدة ليبيا واستقلالها ، وأن تركز جهودها لبلوغ الغاية . أضف إلى ذلك كلّه فإن المشروع ينصّ على وجوب انضمام ليبيا فور تأسيسها دولة مستقلّة إلى هيئة الأمم المتحدة .

ولقد كانت مفاجأة لنا عند إحالة هذا المشروع إلى اللجنة السياسية لبحثه أن يتقدم مندوب الحكومة الإنجليزية بتعديلات معينة نالت تأييد بعض الدول ، وجعلت في المشروع بعض التغيير تناول مسألة الوحدة التي لا تخفَى أهميتها في بناء (الأمة) الليبية ، ولذلك بذلنا كل جهودنا لكي لا ينال مبدأ الوحدة شك أو غموض . وأخيرا عدل الوفد الإنجليزي عن التعديلات المقترحة . ثم أقرت اللجنة السياسية مبدأ الاستقلال والوحدة ، على أن يكون للشعب الليبي وحده حق تقرير شكل هذه الوحدة بملء إرادته ، وبمحض حريته واختياره .

وأنا لنذكر في هذا المقام ما أدّته وفود الحكومات العربية والآسيوية جميعها من خدمات جليلة في هذا الموضوع خاصة . ولقد كان لرئيس الوفد الهندي السيد «بنغالراو» اليد الطولى في تقريب وجهات النظر حتّى اجتازت قضية بلادنا هذه العقبة بسلام وأمان .

أما وقد بقي أن تصدق الجمعية العامة على هذا المشروع الذي وافقت عليه اللجنة السياسية فإني أودّ أن أختم كلمتي بتوجيه النظر إلى أن هذا المشروع كما هو قائم اليوم يختلف في جوهره وتفاصيله اختلافا شاسعا عن كل ما كانت ترغب وتسعى إليه بعض الدول بشتى الوسائل ، ولكن المشروع قد تمّ ، والحمد لله ، على مبدأ استقلال ليبيا دولة واحدة . وواحدة فقط ، لا سبيل فيه إلى قيام دويلات متعددة على أساس فصل إقليم عن الأقاليم الأخرى الليبية المعروفة برقه ، طرابلس ، فزان عن بعضها بعضا ، وواقع الأمر أن تقرير هذا المبدأ الأساسي إلى جانب تقرير الاستقلال يعدّ في نظرنا كسبا وغنما عظيما .

وإذا كانت اللجنة السياسية قد أخذت على عاتقها في هذا القرار الاسترشاد بما أبداه الليبيون دائما ، من عزم أكيد على بلوغ استقلال لهم ، وصيانة وحدة وطنهم فإني أعود وأكرر ما اشترت إليه في إذاعتي السابقة من أن العمل بات الآن بيد الشعب الليبي وحده ، فهو لو كان قد تضافر أبناؤه وتساندوا لاستطاع حتما أن يجعل الاستقلال ووحدة بلاده حقيقة واقعة لا ريب فيها ، وإنني واثق بعون الله تعالى ، وبفضل إجماع الأمة على الوحدة والاستقلال ، أن يستقبل أبناء الوطن الأعزاء فترة الانتقال المنتظرة بكل عزم وثبات ، وقد صمّموا على تذليل كل ما يصادفهم ، أو يلقي في سبيلهم من عقبات ، وذلك حتّى يصل بسفينة الوطن العزيز إلى شاطئ السلامة والنجاة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفي 16 نوفمبر 1949 م عاد من «ليك سيكسس» الحاج مصطفى ميزران أحد أعضاء وفد المؤتمر الوطني إلى هيئة الأمم المتحدة. وقد قصد رأسا مركز المؤتمر الوطني. وقد أبدى ارتياحه لنتائج المناقشات التي جرت في اللجنتين: الفرعية والسياسية، وأعرب عن ثقته في نجاح القضية في الجمعية العمومية إن شاء الله. كما أفادنا أن وفود ليبيا قد اتفقت هناك.

•

حوادث سنة 1952 م بمنطقة العجيلات وصبراتة

على إثر الاجتماع العام المنعقد في جامع المجابرة بمسلاتة بتاريخ شهر أغسطس 1949 م والذي أعلن فيه عن قيام «المؤتمر الوطني العام» وعودة المؤتمرين إلى مناطقهم أخذوا في تكوين فروع للمؤتمر، كل في منطقة، فمنهم من أسرع بذلك، ومنهم من تأخّر، تبعا لظروفهم ومناطقهم، ومن بين الذين تأخروا قليلا منطقة العجيلات، ورغم تأخرهم فقد نشطت عناصرها العاملة نشاطا ملحوظا فتمكنت في مدة قصيرة نسبيا من جعل المنطقة كلمة واحدة، وفي اتجاه وطني سليم.

ولقد حاول حزب الاستقلال أن يشارك في المنطقة بتكوين فرع له فيها، ولكنه فشل، ولم يتوفق في ذلك، إذ لم يبق في المنطقة من هو خارج عن اتجاهها نحو المؤتمر إلّا عدد قليل جدًّا. ولا تستطيع هذه القلّة القليلة أن تتظاهر بالانتماء إلى حزب عرف الشعب كلّه ميوله وحقيقته.

وعلى ذكر عناصر المنطقة يجدر بي أن أشير إلى عنصر معيّن من بينها بصورة خاصة. وهو حري بهذا التخصيص عنصر في نظري وفيما أعرف يعود إليه الكثير من الفضل في ذلك التكتّل وذلك الاتجاه، عنصر يحظى باحترام وتقدير كبيرين في منطقته خاصة، وفي غيرها بصورة عامة. نظرًا لعلمه وتقدّم سنه وصراحة لسانه، ووضوح بيانه، وقوّة إرادته، فهو لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا يجامل فيه. ومن هنا أطلق عليه في أوساط المؤتمر: «كالشاني ليبيا» ذلك هو الشيخ الوقور «صالح خماج» رحمه الله تعالى، تشبيها له «بآية الله كاشاني» ذلك الذي ظهر في إيران قبل آية الله الخميني. وبالتحديد أيام حوادث المرحوم «محمد مصدق» رحمه الله تعالى، حيث وضع آية الله كاشاني كفنه على رأسه، واندفع وسط تلك الجماهير الهادرة الغاضبة يتحدّى الموت. وهذا التشبيه في الشجاعة الأدبية ليس إلّا.

حينما بدأت في كتابة هذا الجزء من مذكراتي رأيت من المفيد أن أتّصل ببعض الإخوان الذين كانوا في طليعة الحركات الوطنية بالنسبة لمناطقهم ، والاستعانة بما بقي عالقا بأذهانهم من تلك الحوادث الأليمة بمناسبة الانتخابات النيابية الأولى ، وعلى الرغم من أنني كنت في قلب تلك الحركات فإنني لا أستطيع معرفة كل ما وقع بالتفصيل في مختلف الدوائر ، علاوة على نسيان الكثير منها بعد مرور 28 سنة على وقوعها . ثم تأثير الظروف القاسية التي أعقبتها لمدّة سنوات طويلة . ومع ذلك وبصرف النظر عن هذا وذاك فإنني أعتقد أن تلك العناصر التي كانت تقود الحركات الوطنية في مناطقها هي أعرف مني بتفاصيل تلك الأحداث التي وقعت فيها . (وقديما قيل : ربّ الدار أدرى بما فيها) وهذا ما جعلني أسعى وراء الإخوان .

أجل ، لقد اتصلت بعناصر من مختلف جهات الإقليم لكي يزوّدوني بما بقي لديهم من خلفيات تلك السنوات المضطربة ، وبصورة خاصة أحداث الدوائر الانتخابية وذيولها لسنة 1952م تلك التي وقعت فيها مآسٍ فظيعة ، وأحداث دامية مريعة ، والتي هي جديرة بالتسجيل عسَى أن يكون فيها عبرة ، وهذه العناصر التي اتصلت بها ، منها من أجاب بما لديه ، ومنها من لم يجب أصلا . ومن جملة من اتصلت بهم من الإخوان أحد رجالات العجيلات من الذين لهم معرفة دقيقة بتلك الحوادث . ذلك أن العجيلات وصبراته عند تقسيم الدوائر الانتخابية جعلتا في دائرة إنتخابية واحدة . وإن كان مجموعها يتجاوزان العشرين ألفا ببضعة آلاف .

وعلى الرغم من اتصالاتي المتكرّرة بالإخوان شخصيا وكتابيا فقد وجدت تقاعسا لا أعرف له من سبب ، وأخيرا وبعد إلحاح ، وانتظار ، وصلتني من الأخ المشار إليه آنفا كلمة بخطه أو بخطّ من كلفه بكتابتها لا أدري ، المهم في الأمر أنني قد تلقيت كلمة مختصرة جداًّ .

وفيما يلي هذا الأخ :

يقول الأخ في كلمته بعد البسملة : إنه في أواخر عام 1951م تم فتح فرع للمؤتمر الوطني بالعجيلات ، وقد انضمت إليه النسبة العظمَى من المواطنين بالمنطقة بفضل نشاط العناصر المتحركة المخلصة . وقد حاول حزب الاستقلال إنشاء فرع له في العجيلات ولكنه فشل .

أما فرع المؤتمر فقد سار في عمله مسيطرا على المنطقة ، إلى أن جاء وقت الانتخابات ، وعندها استعدّ الشيخ الطاهر بوسريويل لترشيح نفسه . كما استعد إبراهيم خليفة الفتحلي لترشيح نفسه أيضا . والاثنان المترشحان ينتميان إلى المؤتمر الوطني ، ولكن الحكومة المؤقتة ، ومن ورائها الإدارة البريطانية في طرابلس ، كانتا بالمرصاد لمرشحي المؤتمر ، فاتخذت ضدّهم كل الوسائل للحيلولة دون نجاحهم .

وفعلا فقد تمكنت من تفويت الوقت على مرشح العجيلات «الطاهر بوسريويل» رحمه الله تعالى ، وبذلك ظنت أنها ضمنت منطقة العجيلات لجانبها ، وسوف تبقَى أصوات العجيلات لمن ترشحه هي ، ولا تذهب إلى صبراتة ، خصوصا وقد أخذت في إثارة أسباب التفرقة بين العجيلات وصبراتة ، حيث أوصت إلى عملائها بأن يذكروا المجتمع بخلافات قبلية قديمة وقعت بين الطرفين ، ولكن العجيلات لم يخف عليهم ذلك ، فاتّفقوا جميعا على تحويل أصواتهم إلى مرشح صبراته ، إلّا تلك القلّة القليلة .

ولكن ما فائدة هذه الأصوات إذا كانت الحكومة مصمّمة على الحيلولة دون نجاحه بطريقة أو بأخرى وهي الخصم والحكم في آن واحد؟ بدأت الانتخابات في 1952/2/18م ولعب الاستعمار الإنجليزي دوره في تزوير الانتخابات . انتبه المواطنون إلى ما يجري في مراكز الاقتراع ، فارتفعت أصواتهم بالاحتجاج ، وتدافعت الجماهير نحو مركز الاقتراع ، فتصدى لها البوليس بالضرب والقبض على بعض المواطنين . وهكذا فقد انفلت الزّمام من يد العقل ووقع الصدام . ولما اشتدّ الضغط على الشرطة من طرف الجماهير التي حاولت بطريقة هادئة أوّلا إفهام المسئولين بأنه يلزم احترام حقوقها الانتخابية ، وانتهاج طريق العدل والإنصاف . اندفعت الجماهير غاضبة وهنا أحست الشرطة بالضعف أمام السيل الجارف من المواطنين المندفعين ، وقد رأت أن الأمر يزداد خطورة ، فاستنجدت بشرطتي «زوارة ، والزاوية» وبوصول هذه النجدات شعرت الشرطة بقوّتها ، فعمدت إلى مواجهة الجمهور بموقف أشدّ ، ومقاومة أعنف ، بدلا من الرجوع إلى الحق والعدل . فأهاج تصرّفها المواطنين ، فتصادم الطرفان ، وحصلت معركة طاحنة دامية سقط خلالها شهداء الحق . وعدد من المصابين وعدد كبير من المساجين.

وفيما يلي أسماء الذين قتلوا سنة 1952م برصاص الشرطة بالعجيلات :

محمد محمود كحيل عرنات .

فرج رجب بن فرج زرامقة .

عـلي القحاصي

علي امحمد العايب وادي .

كما جرح عدد كبير وفيما يلي أسماء من حضرتني أسماؤهم من بين الجرحى :

1 ـ علي أبو عجيلة سالم .

2 ـ عمار علي أبو صحاري .

3 ـ علي سعيد الأربشي .

وفيما يلي أسماء الذين سجنوا في طرابلس لمدد تتراوح بين سبعة أعوام ونصف العام وعشرة أعوام ونصف :

1 ـ مصباح علي بوسريويل عرنات

2 ـ سالم مصباح المدنيني قوصه

3 ـ الشيخ علي سالم نصر زرامقة

4 ـ أبو بكر أبو عجيلة جولق

5 ـ الكوني علي الطياش أولاد الشيخ

6 ـ الشيخ أحمد الشيباني شليق هرشه

7 ـ المبروك حامد الرعاش عرنات

8 ـ الشيناني الحاج علي بوسريويل عرنات

9 ـ محمد خليفة لريش هرشه

10 ـ علي أبو عجيلة سالم زرامقة

وفيما يلي أسماء الذين سجنوا وعذبوا في صبراتة :

1 ـ عامر عبد الله بن خليفة هرشه

2 ـ عبد الله حمد حمرشوشة أولا

3 ـ محمود محمود الهويش جهة الوادي

4 ـ سالم خليفة لربشي هرشه

5 ـ الشيخ بلقاسم عبد الله خليفة	أولاد الشيخ
6 ـ علي الهوش عبد الله	أولاد الشيخ
7 ـ علي ضو دربال	هرشه
8 ـ عامر علي العكروت	جهة الوادي

وعلى إثر هذه الأحداث الأليمة بدأت الحكومة في عزل بعض الموظفين من وظائفهم ، وتشريد بعض آخر ، وبالجملة فقد اشتدّ الضغط والإرهاب وتواصل وهو الأمر الذي أجبر كثيرا من السكان على هجرة ديارهم إلى أراض الجفارة والجبل والمدن الأخرى ، وبعضهم حتّى إلى تونس ومصر ، وقد ازداد الضغط والإرهاب على الأهالي حيث أخذت السلطات في تفتيش منازلهم بدون مبرّر ، وإنما تنكيلاً بهم من أجل موقفهم !

ولقد تسبب هذا الظلم الفادح في خلق حقد عميق في نفوس المواطنين ، فانبعثت منه فكرة الأخذ بالثأر في أفكار المواطنين ومقابلة الإرهاب بالإرهاب ، وكأول بادرة تنفذ من هذا التصميم هجم بعض الأفراد على (الكوني القدري) غفر الله له فقتلوه ، بعدما علموا وتأكّدوا أنه سبب رئيسي فيما أصابهم ، لأنه واقع تحت تأثير إبراهيم بن شعبان وتوجيهاته .

إن إفلاس حزب الاستقلال في تلك المنطقة ، والتفاف مواطنيها حول المؤتمر الوطني ، يعتبر إفلاسا واضحا لسياستها في المنطقة وضعفا لنفوذهما فيها ، وهما من ابنائها وهو الأمر الذي دفعها إلى إغراء السلطة باستخدام مراكز الشرطة للتنكيل بالسكان الذين تخلّوا عنهما والحكومة المؤقتة والإدارة البريطانية تعتمد على نفوذهما الأدبي في المنطقة . وقد اتهمت الحكومة في قتل (الكوني القدري) (البشير بن صالح ـ والمنتصر الشبوكي) .

ولمّا علم المتهمان بأن تهمة القتل قد وجهت إليهما خرجا إلى منبسط الجفارة ، حيث يوجد العديد من أهالي العجيلات وغيرهم ينتجعون هناك مع أغنامهم وزروعهم ، فيبقيان معهم حتّى يتبين لهما الأمر، غير أن الشرطة قد لاحقتهم مع بعض السماسرة ، وقد حدثت بينهما معركة شديدة بالسلاح الناري قتل فيها أحد رجال الشرطة ورجعت القوّة البوليسية تجر أذيال الخيبة ، ونجا المتهمان . هذا قليل من كثير من جراء الأحداث التي حصلت في سنتي 1951 ـ 1952 م .

وإلى هنا وقفت كلمة ذلك الرجل الذي طلبت منه أن يقصّ علي تفاصيل تلك المعركة كيف ابتدأت وكيف انتهت؟ واسم المكان الذي وقعت فيه ومصير المتهمين ...الخ فقال لي : هذه معلوماتي وإذا أردت الزيادة فعليك الاتصال بالبشير بن صالح بن حسين

* * * *

من ذيول حوادث العجيلات الانتخابية قصّة مثيرة يرويها البشير بن صالح بن حسين أحد المتّهمين فيها

قلنا في فصل حوادث سنة 1952 م بمنطقة العجيلات وصبراتة إننا طلبنا من أحد رجالات العجيلات الذين لهم معرفة دقيقة بذلك الحادث أن يمدنا بما يعلمه عن تفاصيل هذه الحوادث وتطوّراتها فاستجاب لطلبنا مشكورا . وأمدنا بما جاء تحت عنوان «حوادث سنة 1952 م بمنطقة العجيلات وصبراته» وذيولها ، ووقف عند ذلك الحد ، فطلبنا منه زيادة التفاصيل ، فقال : ذلك هو كل ما يعلمه في الموضوع . وأحالنا إلى السيد (البشير بن صالح بن حسين العجيلي) الموجود حاليا في طرابلس . وقد عاد إليها بعد أن غاب عنها تسعة عشر عاما تقريبا 1952 م - 1971 في البلاد المصرية ، وفعلا فقد اتصلنا بهذا الأخ ، وطلبنا منه إذا كان ليس لديه مانع ، أن يمدنا بتفاصيل حوادث العجيلات التي وقعت سنة 1952 م بمناسبة أوّل انتخابات نيابية في ليبيا في منتصف القرن العشرين ، والتي قتل فيها الشيخ (الكوني القدري) وآخرون من المواطنين ذكرناهم في كلمة سابقة ، رحمهم الله جميعا ، وغفر لهم وللأحياء ، ولقد استجاب السيد البشير بن صالح لطلبنا ، فله شكرنا وتقديرنا . ومن هنا أترك القول للأخ بشير حيث قال :

الشيخ الكوني القدري كان واقعا تحت توجيهات السيد «إبراهيم بن شعبان» وهما ينتميان إلى (حزب الاستقلال) وبما أنهما من كبار رجالات المنطقة ومن أصحاب النفوذ فيها فلا بد أنهما كانا يؤكدان للحكومة ولحزب الإستقلال أن المنطقة رهن إشارتهما وطوع أمرهما . ولكن بدأت الحقيقة تتّضح حيث كان أوّل فشل لهما هو عدم تمكّن (حزب الإستقلال) من إنشاء فرع له في العجيلات . والفشل الثاني ، و

الأكثر تأثيرا ، هو فشل مساعيهما الحثيثة في التفريق بين العجيلات والعلالقة . بإثارة خلافات قديمة وقعت بين هذين الفريقين لكي يتمكن مرشح حزب الاستقلال من الفوز . ولكن رغم ذلك كلّه فإنه حينما وقع التصويت اتجهت أصوات العجيلات إلى مرشح (صبراته) بعدما فوتت الحكومة على مرشح العجيلات الترشيح ، فهاتان الخيبتان وغيرهما جعلتهما يكادان يتميزان غيظا على سكان المنطقة !

ومن هنا أخذ الشيخ الكوني القدري غفر الله له يتصرّف تصرف من فقد وعيه تقريبا . ومركز الشرطة في العجيلات تحت تصرّفه ورهن إشارته في كل ما يطلبه أو يأمر به ، ومن وراء ذلك « إبراهيم بن شعبان ، والحكومة المؤقتة والإدارة البريطانية » وبهذه الحماية المتوفرة له أخذ في قهر رجال المنطقة ، الواحد بعد الآخر بواسطة مركز الشرطة . وأخذ في سلب أموال الناس بتهمة حيازتهم أسلحة وغير ذلك من التهم الملفّقة التي لا يبرأ منها صاحبها إلّا بدفع الثمن .

وهكذا استمرت هذه الطرق الانتقامية بسبب الموقف الوطني الرافض لأي إغراء أو تهديد . أخذ الشيخ الكوني « عفا الله عنه وغفر له » يتفوّه بعبارات الاستخفاف والتحقير ، عبارات جارحة بل مثيرة للنفوس . فكلّما جيء بأحد إلى مركز الشرطة عند خروجه منه . يقول له الشيخ الكوني سأجعلكم كلّكم نساء . وصبر الناس عن ذلك كلّه ، لعلّه يرعوي ، ولكنه تمادى في إساءاته ، والصبر له حدود ، والقهر لم يقف عند حد .

وفي يوم من تلك الأيام الأليمة جاءني (   ) وهو يكاد يتميز غيظا فقال لي : أرأيت الشيخ الكوني إلى أي حدّ وصل به الاستهتار بنا؟ بعد أن طلبوني في مركز البوليس وقهروني بأفواههم وأيديهم ، وعندما تركوني وأنا خارج قال لي « الشيخ الكوني : سأجعلكم كلّكم نساء » وإلى هنا طفح الكيل وتجاوز السيل الزبى . في نفس اليوم وبعد سماع هذه الشكوى المرّة الأليمة التقيت بالأخ « المنتصر الشبوكي » واتفقنا على الترصّد للشيخ الكوني ، ونتيجة لهذا الاتفاق طلبت من (...) فحضر فكلّفته بأن « يروِّد » لنا الشيخ الكوني . وفي ساعة متأخرة من يوم الواقعة فيما بعد العصر جاءني الرائد ليقول لنا : إن الشيخ الكوني موجود هو وفلان في محل (...) وبذلك عرفنا الطريق إلى سيمر منها . فأخذ المنتصر مكانا في الطريق ، وأخذت أنا مكانا آخر في نفس الطريق ، وعلى مسافة غير بعيدة ، وطلبت من الأخ

«االمنتصر» أن لا يطلق عليه حينما يمرّ أمامه . بل يتركه يمرّ حتّى إذا وصل أمامي أنا أطلق عليه النار ، فإن أصبته فذلك هو المقصود ، وإن أخطأته فسوف ينقلب على أعقابه هاربا في نفس الطريق ، وعندها سيأتي إلى المنتصر «طائبا» فيطلق عليه هو النار عن قرب ، وبذلك لن يفلت منا .

وقد تم تنفيذ هذا المخطّط . فأخذ كل منا مكانه ، إلى أن جاء الشيخ الكوني مارا أمام المنتصر فمر بسلام . ولما وصل أمامي أطلقت عليه النار فسقط على الأرض . ثم نهض وقال بصوت مرتفع : (آش درتلك يا بشير ، أنا درتلك حاجة ..؟) فأجبته : لأفهمك كيف تفعل النساء . وعاودت إطلاق النار عليه مرارًا فسقط على الأرض ميّتا .

وبعد أن تحققنا من موته اتجهنا إلى الجفارة حيث كان كثير من الناس تركوا البلاد ، وارتحلوا إلى الجفارة ، هربا من مكايد الشيخ الكوني ودسائسه . وأوّل من وصلنا إليه في الجفارة «الكوني بن فرج» وكان منتجعا في مكان اسمه «بوداجل» ولم نخف عليه أمرنا ، بل أعلمناه بالواقع فسرّ للعملية تماما ، وتعشينا عنده . ومن الغد انتقلنا إلى مكان آخر اسمه (سانية السود) حيث تنتجع هناك جماعة أقارب «العجيمي بن علي» وفي طريقنا إلى هذه النجعة التقينا بالعجيمي بن علي نفسه في طريقه إلى السوق ، قلنا له : إننا نريد «نزلتكم» فقال لنا : إن بيته : (بيت الشَّعر) من الجهة الغربية من النزلة فاقصدوه رأسا ، وسأعود إليكما بسرعة إن شاء الله .

وصلنا النجعة ، وقصدنا بيت العجيمي ، وبينما نحن هناك إذ رأينا «مرحولا» فسألنا عمّن يكون؟ فقيل لنا هذا مرحول (أبو عجيله لربش) مبدلين الدار[2] وأبو عجيله هذا معرفتنا وهو من قبيلة (الهرشة) فنزل هذا (المرحول) على نجعة كانت منتجعة هناك أصحابها من (الزرامقة) ومن بينهم (محمد بلَّق) فتحوّلنا إلى بوعجيلة ، بتنا معهم تلك الليلة ولم نعلمهم بأمرنا كما أنهم لم يصلهم أي خبر عن الحادثة من جهة أخرى وإلى هنا نعود إلى الكلام عن العجيمي بن علي .

---

2) تبديل الدار : نقل النجعة من مكان قلّ فيه الكلأ إلى مكان آخر يتوفر فيه المرعى للحيوانات .

وصل العجيمي المذكور إلى السوق وبينما هو في قضاء شئونه التقى بعمه ( ) فقال له : سأنتظرك في الغداء . فأجابه العجيمي : لا تنتظرني فإني عائد بسرعة إلى الجفارة لأني ضيوفا في بيتي في الجفارة ينتظرونني . فسأله عمّه عن هوية الضيوف ، فقال له : هما فلان وفلان . وما كاد عمّه يسمع هذه الكلمة حتّى أسرع إلى مركز الشرطة وأبلغه عن وجود (بن حسين والشبوكي) في بيت العجيمي في الجفارة . فأسرعت الشرطة بإيقاف العجيمي في المركز حتّى لا يبلغ المطلوبين ، قبل أن تستعد الشرطة فيتمكنا من الفرار .

تمت استعدادات الشرطة ، وتجمع نحو من خمسين إلى ستين شخصا بين فارس وراجل ، منهم حوالي أربعين شرطيا ، والبقية مدنيون من مشائخ وسر يون ومتبرعون وغير ذلك . وتحركت هذه المجموعة من العجيلات في اتجاه الجفارة وكان معهم العجيمي بن علي ، ولما وصلوا إلى (دار الزرامقة) أرسلوا العجيمي إلى النجعة ليتأكدوا : هل المطلوبان لا يزالان في النجعة أم غادراها؟ وإلى أين ذهبا؟ وعاد العجيمي إلى الشرطة ليخبرهم بأن المطلوبين قد انتقلا إلى (بو عجيلة لربش) وعائلة (بلق) في نجعة الزرامقة .

حينما كنت أسجل هذه القصّة كان قد جاءني الأخ البشير بن صالح بن حسين في مكتبي بصندوق الجهاد لحاجة له ، ولما انصرف سألني أحد أعوان الشرطة سابقا ، وهو اليوم من موظفي صندوق الجهاد كان في مكتبي (....) سألني عمّن يكون هذا الرجل..؟ فقلت له : بما أنك كنت في الشرطة سابقا لا بد أنك علمت بحوادث انتخابات سنة 1952م في العجيلات ، تلك الحوادث التي قتل فيها الشيخ الكوني ، قال : نعم أعرفها ، فقلت له : هذا الرجل هو أحد المتّهمين فيها ، ولما سمع مني هذا الكلام حكى لي ما يلي :

قال لي هذا الشرطي السابق وهو : ( ) قال حينما وصل خبر القتل إلى طرابلس صدرت الأوامر فجندوا منا في طرابلس أربعين شرطيا ، وخمسة ضباط ، وانتقلنا بسرعة إلى (يفرن) حيث انضممنا إلى شرطتها وانتشرنا في تلك الدروب ، ونزلنا إلى «سانية البيضا» في الجفارة ، حيث أخبرنا شخص بأن المطلوبين قد رآهما مع «بن شتّي» فقبضنا على (بن شتّي» ونقلناه إلى يفرن وأجرينا

معه التحقيق . ولكنه أنكر معرفتهما إطلاقا أو رؤيتهما ، وهكذا تضافرت الشرطة في كل مكان في التفتيش ، ولم تستطع العثور عليهما .

قلنا : عاد العجيمي إلى الشرطة ، وأخبر بأن المطلوبين قد انتقلا إلى «بو عجيلة لربش» و(عيلة) بلّق في نجعة الزرامقة ، يقول السيد بشير بن صالح : كنا قد تبيّنا منذ الليل على أننا سنغادر المكان صباحا ، ولذلك فقد انتبهنا في ساعة مبكرة من الصبح ، وبعد أن تناولنا الفطور نهضنا فودعنا من كان معنا من جماعة النجعة ، وكانت خلف النزلة (ظهرة) أي مرتفع من الأرض شبه الربوة . وهذا المرتفع يحجب ما وراءه طبعا ، فأخذنا طريقنا نحو هذا المرتفع من الأرض مغادرين المكان ، أخذنا في الصعود من الجهة الشمالية .

وما كنّا نعلم أن مجموعة الشرطة ومن معها هي الأخرى كانت صاعدة هذه الظهرة من الجهة الأخرى ، وما هي إلّا دقائق حتّى كنّا وجها لوجه مع الشرطة ، فهتف أحدهم قائلا : ها هما ، وفي الحال أطلقوا علينا النار ، فتراجعنا مسرعين إلى ربوة أخرى كانت قبلى البيوت أمام النزلة ، فلحقت بنا الشرطة ، قبل وصولنا إلى الظهرة بقليل ، وحاولت تطويقنا وكادت أن تفلح .

وهنا نظرًا لتوالي إطلاق النار من الشرطة ، وأخذها في التقدم لتطويقنا ... هتفت بزميلي المنتصر : ـ الأرض الأرض ، وانبطحنا على الأرض ، وقلت : احرس أنت القبلة والشرق ، وأنا الغرب والشمال ، حتّى لا يتم لهم تطويقنا . وقفت الشرطة في مكانها حينما إلتصقنا نحن بالأرض ، وأخذت تطلق علينا النار ، وهنا بادلناها النار بالنار

وبعد لحظة خرج من الناحية الشمالية (علي النائلي)(وعمر الغرياني) المعروف بلقب «أشنابو» وقد حاولا اقتحامنا ، فاطلقت عليهما النار ، فسقط علي النايلي على الأرض ميّتا . ثم أطلقت على الثاني فسقط على الأرض ثم نهض بسرعة أكثر من مرّة ، ولا أعرف أأصيب أم لا . وجاء شرطي آخر محاولا اقتحامنا من جهة زميلي المنتصر ، فأطلق عليه النار فسقط حصانه ميتا ، أما صاحبه فرجع إلى مجموعته . ولا أعرف إن كان قد أصيب مع حصانه أم لا؟

وإلى هنا وقف إطلاق النار من الجهتين ، فنهضنا من مكاننا واتجهنا قبله نحو الجبل على سمت قصر الحاج ونحن حفاة عطاش ، وصلنا إلى مرتفع (ظهرة) فوجدنا

بها (محمد حبيرة) وهو علاقي يرعى قطيعا من المعز فلم نجد عنده ماء . واصلنا السير فالتقينا بخمسة أو ستة رجال من صرمان ، فسألونا عن البارود ، فأخبرناهم بالحقيقة ، فجاءوا لنا بالماء ، كما جاءونا بالزيت لإصلاح بنادقنا ، وشربنا عندهم الشاهي ، وارتحنا قليلا ، زوّدونا ببرادة ماء فأخذناها معنا[3] .

أما الشرطة ومن معها فقد انقسمت إلى قسمين : قسم قفل عائدا من حيث أتي ، وقسم كلّه من خيالة بقيادة (خليفة الجواشي) أخذ في متابعتنا عن بعد ، وبعد راحة قليلة غادرنا جماعة صرمان إلى «سانية امبيرش» وهي تابعة لصرمان ، وقد وجدنا عليها (ورّادة)[4] تزودنا منها بالماء ، ثم واصلنا سيرنا إلى سانية البيضاء . ولكن قبل أن نصل إليها سبقنا الشرطة ، فوجدنا عليها (الشيخ محمد بن شـتّي) وقالوا له : إن هناك رجلين هاربين من وجه العدالة ، فإذا جاءك هنا فاقبض عليهما وسلهما إلى أقرب مركز حكومي ولك على ذلك جائزة مهمّة .

كنا نحن قريبين من السانية المذكورة متوارين في منخفض من الأرض ، به بعض أشجار السدر ، ولما ذهبت مجموعة الشرطة وبعدت عندها جاءنا «الشيخ محمد بن شتّي» بالماء ، ثم أخذنا معه إلى بيته (بيت الشعر) تعشينا عنده ، ثم زودنا (بمداسين) أي حذاءين ، كما زودنا بكمية من السويقة و(مطرة) لحمل الماء ، وشاهي وسكر ، وقال لنا : إذا لم تسرعوا إلى الجبل وتتوغلوا في «أوعاره» فإن الشرطة حتما ستكتشفكما غدا صباحا ، ثم أشار لنا على (حقفة) غار طبيعي في الجبل (بوادي الآخرة) قائلا : اقصدوا هذه الحقفة وكنّوا بها في النهار .

غادرنا بيت (الشيخ بن شتّي) بعد العشاء ، وصلنا المكان المنعوت لنا عند لفجر ، فانزوينا فيه ، وبقينا هناك يومين اثنين وليلة ، ونزلنا منها عند المغرب فوجدنا لدا اسمه (علي) ووالده واسمه (صالح) سألنا عن أمرنا فأخبرناه بالحقيقة .فأخذنا إلى بيته وتعشينا عنده ، وزودنا (بشكوة) للماء وكمية من السويقة وشاهي وسكر . وقال لابنه خذهما إلى (القصر الجاهلي وقد حاولت أن أعرف اسم هذا القصر ،

---

3) البراده : آنية خاصة بحمل الماء .

4) الورّادة : مجموعة من الناس . سواء كانت رجالاً أو نساء من النجعة يذهبون إلى الآبار ليحملوا منها الماء في القرب إلى النجعة .

القرب : مفردها قربة .

ولكنني أخفقت لأن في تلك المنطقة عدة قصور أثرية هناك (قصر دله) واقْصير الملالسة والقصير الغربي وقْصير بو عبد الله وقْصير المعلق) ولا أعرف أيّها كان ذلك.

وعلى كل فقد مكثنا في هذا القصر يومين وليلة، ومنه صعدنا الجبل في اتجاه الجنوب إلى الصحراء، ولم ندخل أي بلد بل تجاوزنا قرى الجبل فوجدنا في ظاهر الزنتان تقريبا «غارا» فبتنا به ليلة واحدة، ومن هناك تركنا نسبة العجيلات وأصبحنا (صيعان) لكل من يسألنا. أما إذا سئلنا عن سبب وجودنا هناك في تلك الجهات فنقول: إن لنا جملا قد ضلّ. قيل لنا إنه ذهب مع قافلة للزنتان متّجهة إلى الجفرة.

وفي الصباح واصلنا سفرنا مع امتداد وادٍ منخفض، بينما نحن في سيرنا إذا بسيارة «لاندروفر» بها نفر من البوليس، وضابط وقد أعمَى الله أبصارهم عنا، وبعد حصّة من الوقت التقينا بجماعة من الزنتان من قبيلة العميان، واحد منهم اسمه: (الشيخ محمد) فظنوا أننا من صرمان وذلك لوجود جماعة من صرمان يتاجرون في الغنم، وكانوا ينتظرون رفاقا لهم سيلتحقون بهم. فظنوا أننا نحن هم، ولما وصلنا النزلة: النجعة رآنا أخو الشيخ محمد فأسرع إلينا قائلا لنا: «الكرهبة» كانت اتدوّر فيكم» يعني سيارة تجار الغنم، فأضافونا بكرم وقالوا لنا: إذا كنتم تريدون «فوشيك» ذخيرة للبنادق فشكرناهم، وقلنا: عندنا الكفاية، ثم أشاروا إلى الطريق التي ينبغي أن نسلكها، وغادرنا المكان.

وفي ساعة متأخرة من النهار مررنا «بنوادر زرع» ومن الغد حوالي منتصف النهار وجدنا حصّادة «رياينا» سألونا من نكون؟ قلنا (صيعان) سألونا عن سبب وجودنا هناك، قلنا لنا جمل قد ضلّ، قيل لنا إنه اختلط مع قافلة للزنتان، وهي ذاهبة إلى الجفرة، وسنلتحق بها لعلّنا نجد ضالتنا، وواصلنا السير في طريقنا فوجدنا رجلا في واد يدرس الزرع، وقفنا عنده، وساعدناه في عمله. فغدانا وشربنا عنده الشاهي، وإجابة عن سؤاله: من نكون؟ قلنا: صيعان، وإن جملا لنا ضالا نطلبه.

تركنا هذا الرجل، وواصلنا سيرنا، وعند الغروب رأينا «كراهب لاندروفر» خارجة من (فرده) متجهة إلى الغرب، وفي هذا اليوم والذي بعده لم نجد أحدا. وفي اليوم الثالث رأينا على بعد قطيعا من المعز فقصدناه فلم نجد صاحبه، وجدنا

(شكوة) معلقة في الشجرة بها ما لا يقل عن عشرة ليترات ، وهذا المعز للمشاشية . بينما نحن في ظل الشجرة نشرب من تلك الشكوة . وإذا براعي ذلك المعيز قادم . سألناه عن نزلتهم . فقال لنا «تحت هاك العلبوب الأسود» فقصدناه ، فوصلناه قرب العشاء . خرجت لنا خادم ، فقالت : النزلة ليس بها رجال ، كلّهم في الزرع ، وبعد لحظة عادت إلينا بطبق من التمر واللبن . وفي آخر الليل جاءنا رجل أدخلنا لأحد البيوت (الشعر دائما) وأكرمنا ، وعند السؤال عن هويتنا ، دائما صيعان ، في أثر جمل ضال رأوه مع قافلة زنتان . قال لنا : أولاد ذويب في الجفرة .

واصلنا المشي إلى أن وصلنا «ثمد في وادي مرسيط»[8] فوجدنا عليه نساء يملأن الماء ، فإذا بإحداهن تتعرف على زميلي «المنتصر» لأنها كانت بعائلتها خرفت[9] في سانيته أكثر من خريف ، فسلمت علينا سلاما حارا ، وقالت : (أنتم أصحاب الكاينة)؟ قلنا : نعم ، فتأسفت أسفا شديدا علينا ، وعلى صغارنا من بعدنا . غابت عنا قليلا ، وعادت إلينا بقفة من «خبز الفرن طبعا» وعُكّة سمن ، وقالت لنا : لا تقعدوا هنا «خشوا لِهَلْ عُور»[10] وارتاحوا فيه ، بتنا تلك الليلة . ومن الغد واصلنا السير إلى الجفرة ، وفي آخر النهار التقينا مع خمسة زنتان معهم امرأة ، عرفونا ، فقالوا (هيّنا) معنا . وكان بينهم رجل متقدم في السن ، فقلنا لهم : سمعنا أن في الجفرة «باطولية» فقال ذلك المسن : لا يهمكم أنا المسئول ، وسوف ترون . ولما وصلنا سأل عن (الباطولية) فقالوا له : ذهبت مع (ذويب) قال لنا هذا الشيخ المسن وجماعته : تمشوا معنا . فاعتذرنا بقولنا إننا نريد الذهاب إلى «خليفة القرج» فقال : أتعرفونه ..؟ قلنا : نعم ، قال : حيث إنكم تريدون (سيدي خليفة القرج) راهو هو سيد الزنتان الكل . نعتنا «علبوب أسود» قال هناك توجد نزلة من بينها رجل اسمه «علي الذيب» وهو ولد أخت خليفة القرج .

---

8) الثمد مكان به مياه سطحية إذا حفرت نصف متر أو أقل مكيلا أو أكثر قليلا ظهرت لك مياه عذبة تملأ منها القرب حتى في فصل الصيف .

9) خرفت : في فصل الخريف عند نضوج البلح هناك بعض عائلات من الدواخل تنحدر إلى الساحل تقصد معارفها لتجني البلح ولتشري بعض النخلات وتعود إلى بلادها تحمل معها التمر .

10) العور : يعني اشجار طبيعية تشابكت في أماكن منخفضة ليس في وسطها طريق تسلكه .

قصدنا المكان فاستقبلنا علي الذيب وقال لنا : أنتم العجيلات ..؟ قلنا : نعم ، قال : إلى أين تريدون ..؟ قلنا : نريد خالك . فأخذنا إلى مكان منخفض بعيداً عن النجعة ، فيه بعض الأشجار . وجاء لنا بالأكل والشاهي ، وبينما هو معنا وإذا بجماعة الشرطة أمام البيوت ينادون : يا سي علي ، فذهب إليهم واستقبلهم في البيت . فسألوه : أين كنت ..؟ فقال لهم : عندي جمال عقلتهم في هذا المنخفض خوفا أن يبعدوا ، وبعد انصراف الشرطة عاد إلينا ، وقال : هذه جماعة الشرطة تفتش عنكم . سكت قليلا ، ثم قال : إنه لمن سداد الرأي لا يدخل الصيف على الضيف حتّى يعرف حقيقة كليهما معرفة دقيقة . وإلّا فإنه بدون شك يضر بضيفه ، ويخفر ذمته بنفسه من حيث لا يقصد.

وبعد راحة عنده نعت لنا مساكن خاله «خليفة القرج» وصلناها عند المغرب ، وإذا به «بدقرته» على كتفه[11] وبعد السلام قال لنا : أأنتم أصحاب الواقعة ..؟ قلنا : نعم ، قال : إذن تفضلوا . أخذنا إلى مكان شبه واد منخفض ، فيه غابة من الأشجار ، أكثرها شجر السدر كما فعل ابن أخته تماما . وجاء لنا بآلة الشاهي . وعاد إلى بيته ليأتي لنا بالأكل ، وفي نفس اللحظة التي وصل فيها البيت وصلت فرقة من الشرطة ومن بينها صهره . وكان صهره (أخو زوجته) هذا شرطيا محليا ، فتلقاهم ورحب بهم وأدخلهم إلى بيت الضيافة وأكرمهم . وبعد الغداء قال لصهره : ألا تريد أن ترى أختك ..؟ قال : طبعا ، فسار وإياه نحو البيت ليرى أخته ، ولما انفرد به في بيت سكناه قال له : لو أنك وجدت العجيلات مثلا أتسلمهم للحكومة ..؟ فأجابه : سبحان الله أتظن أنني أفعل ذلك؟ والله لو احتاجوا إلى (بندقيّتي) لسلمتها لهم . وأدعي أنها سرقت منّي ، وأتحمل مسئوليتي مهما كانت . إنما هذا قسم ساقه الله لي فلا أتركه .

وبعد ذهاب الشرطة جاء لنا بالأكل ، ومن الغد نقلنا إلى عين ماء هنالك تعرف «بعين الشارف» ملأنا منها (برميل) ماء ثم أحضر لنا «قدرًا وقصعة» وكيسا من الدقيق ، وما يلزم لذلك مع الشاهي والسكر ، وأوصلنا إلى مكان يقع في رأس مرتفع يشرف على جميع الجهات التي حواليه . وقال : امكثوا هنا حتّى يفتر البحث

عنكما . وهو موقع كأنه حصن حربي حصين ، لا أثر فيه ليد البشر ، وإنما صنعته يد القدرة العليا . وجعل بيننا وبينه كلمة سر[12] وقال لنا : من قالها لكم اقبلوه ، ومن لم يقلها أطلقوا عليه النار بلا تردّد . وكان هو يتردّد علينا يوميا .

استقرّ بنا المقام في ذلك الحصن الطبيعي مدّة أربعين يوما ، وحينما عزمنا على الرحيل بموافقته طبعا ، زوّدنا ببندقية جديدة ، (وفوشيك) جديدا أيضا وزوّدنا بمئونة شهر كامل بكل لوازمها . وحبل طوله خمس وثلاثون قامة ، ودلو وكمية من السكر والشاهي . وجمل من خيرة جماله ليحمل لنا هذا العوين ، وفي اليوم الثاني عشر من شهر رمضان من تلك السنة غادرنا مرابع «خليفة القرج» نحو الشرق ، وجاء معنا مسافة لتوديعنا . وحينما أراد الرجوع أوقفنا وقال : «أنا لا أسامحكم فيما أخذتم مني ، وما مكنتم عندي في (حمائي) إذا جاءكم عدو أي كان حتّى ولو الحكومة وسلمتما له ، وإنما أريد منكم أن تضربوا حتّى الموت أو النجاة عنوة ، وفي كلتا الحالتين رجولة ، وعلى هذا الشرط فإني أسامحكما في الدنيا والآخرة» والملاحظ أننا من هنا تركنا نسبة الصيعان وأصبحنا مزاوغة .

سرنا مع وادي «زمزم» حتّى جئنا إلى رجل اسمه «محمد ريش» استضافنا ، ثم واصلنا السير حتّى وصلنا إلى «معطن الصلغي» وجدنا حواليه بيوتا وحيوانات ، وفي هذا المكان «زميلي المنتصر لدغته حيّة» ليلا ، فعالجناه ، وشفي والحمد لله . مكثنا في هذا المكان يومين . ثم واصلنا سيرنا فوصلنا إلى «الزيدانيات» وهي تتبع ورفلة ، وجدنا هناك رجلا ثريًّا صاحب إبل وأغنام ، جئناه في يوم عيد ، وقد استضافنا ، ولكن بدون شاهي ولما قلنا له على الشاهي ، قال لنا : أنا رجل على الطريق [إلّلي ماشي عليَّ والّي جايْ عليَّ قداش بنذير شاهي] .

واصلنا السفر ، ووصلنا قرب (سرت) سألنا على (مصباح بوسبيحة) ولما وجدناه يدرس الزرع ، فاستقبلنا ببشاشة واستضافنا وذبح لنا شاة ، وبتنا عنده وطلبنا منه العوين ، فزوّدنا بحوالي مرطتين من الدقيق (وعكّة) سمن وواصلنا سيرنا ، ووصلنا إلى رجل قذافي ، في «الحنشة» بالنوفلية ، وجدناه أمام البيوت يشتغل بإصلاح حذائه ، وأمامه آلة الشاهي ؛ ناديناه فلم يلتفت إلينا . جاءنا الراعي وهو

12) لم يقل لي السيد بشير ما هي كلمة السر التي استعملوها ، كما أنني لم أسأله ما هي .

« مزوغي » وقال لنا أن رجل راع عنده . والله ما أمسّ الشاهي ، أما الأكل تفضلوا ، فسألناه عن اسم صاحب النجعة فقال اسمه « شلايك » قلنا إذن كفانا الاسم . ذهبنا إلى نجعة قريبة منه فيها رجل « ورفلي » من قبيلة « الجماملة » اسمه « محمد » وآخر زواوي من (مرادة) اسمه « غوما » وهذا الرجل الزواوي (تعافن معنا) .

أجل « تعافن » معنا وكاد أن يوقعنا في يد الحكومة ، حيث قال : إن هؤلاء قد يكونون طليعة غزو ، أو أنهم من (أولاد بوسيف) فلا بد من تسليمها إلى المشايخ ليتولوا تسليمها للحكومة ، وأقول الحق : لولا الورفلي لذهبنا ضحيّة حماقة ومكر هذا الزواوي . ولكن الفضل لله وللورفلي الذي أنقذنا منه ، وزوّدنا بكمية من الشاهي والسكر ، وقد بحنا له بسرّنا .

واصلنا سفرنا إلى « بنجواد » وقصدنا عائلة المقريف ، فاستضافونا تلك الليلة . ومن الغد واصلنا السفر إلى أن وصلنا « جدابيا » قصدنا « الحاج سعيد العجيلي » وهناك في إجدابيا بعنا الجمل بواسطة الحاج سعيد المذكور ، أما أسلحتنا فقد تركناها له نهائيا ، وغادرنا « جدابيا » في اتجاه الشرق حتّى تجاوزنا منطقة بنغازي ، وهنا تنازلنا عن نسبة (المزاوغة) وانتسبنا إلى الله تعالى ، وهو خير ملجأ ، أي أصبحنا حجاج بيت الله الحرام .

ومن هنا أخذنا نستوقف السيارات ، ومن سيارة لأخرى حتّى دخلنا طبرق ، دخلناها راجلين ، ثم واصلنا السفر حتّى اجتزنا الوادي ، فإذا بسيارة استوقفناها فركبنا بها حتّى أوصلتنا إلى « طابوتسو » وهناك قصدنا براريك الخردة : مخلفات الجيوش ، وبعد راحة جاءت قافلة من الحمير تحمل الخردة من البر المصري . وفي غمرة هذه القافلة دخلنا الأراضي المصرية ، وقد أدخلنا الإخوان المصريون ودلونا على الطريق وكيف نمشي فيها . وماذا نفعل فيما إذا أوقفنا أحد .

بتنا في محطة (أوتوبيس) مطروح ، ومنها إلى براني . وهنا أوقفنا عسكري بوليس ، إلّا أن سائق السيارة كان صاحب خير تمكن من إقناع البوليس بأن يترك سبيلنا كحجاج . وكان ذلك ، نزلنا قبل المحطة ، ودخلناها راجلين ، ثم وصلنا إلى محطة « سيدي حناش » وجدنا بها فقيها يقرأ القرآن الكريم قال لنا هذا الفقيه : إذا أوقفكم أحد فقولوا له : نحن أناس خدامون جالبون السعي للحاج بعيو بيت المال ،

وإذا سألوكما عن التسريح فقولوا لهم : التسريح مشترك تركناه مع الجماعة الذين هم مع السعي ونحن ذاهبان إليه لنعلمه بأن السعي قد وصل ليستعدّ له بالعلف .

وغادرنا هذا المكان ، ووصلنا إلى الحمام ، ثم منه إلى «أبو المطامير» حتّى وصلنا (الإسكندرية » ومنها إلى (الورديان ، العزبة الجديدة) وقد رمت بنا الصدف إلى متجر اسم صاحبه (محمد) وجدناه في متجره ، ومعه رجل نائم فاسضافنا صاحب المتجر يومها . وبينما نحن جالسان إذ نهض الرجل النائم من رقاده فإذا به «أحمد الشتيوي السويحلي» وكنا في ضيافته تلك الليلة .

ومن محاسن الصدف أن كان هناك شاب يشتغل في «فندق النصر» ويسكن مع أحمد السويحلي ، وجاء يوما من العمل وأخبر السويحلي بأن (بشير السعداوي) وصل اليوم ، ونزل بفندق النصر ، فطلبنا الاتصال به فكلف أحمد السويحلي ذلك الشاب بأن يوصلنا إلى السعداوي ، وهكذا فقد اتصلنا بالسعداوي في فندق النصر بشارع الرملة .

استقبلنا السعداوي بكل ترحاب ، وقال لنا ، لقد وصلتما أهلكما ، وخيرا من أهلكما ، إن شاء الله ، وحجز لنا غرفة في نفس الفندق ، وكان رقم حجرتنا هذه (14) وقدم إلى ذلك الشاب مبلغا ، لا أدري كم هو ، وقال له : حالا اشتر لكل واحد منهما بدلة ليبية كاملة بجردها .

وكان السعداوي يعودنا يوميا ، ويترك لكلّ واحد منّا جنيها مصريا للقهوة خارج الفندق . وفي الفندق كان أكلنا وقهوتنا وغسيلنا ، وأي حاجة داخل الفندق فهي على حساب الغرفة .

وإلى هنا وقف الأخ بشير في حديثه . فقلنا : زدنا ، فقال : الحديث بعد هذا الذي تقدم طويل وطويل ، ولا فائدة من ذكره ، لأنه أصبح حديث حياة عادية ، لا جوع فيها ولا عطش ، ولا خوف ولا مفاجآت إنما هي حياة رتيبة هادئة.

• • • •

من تـاريخ الإدارة البريـطانية في ليـبيا
أو انتخابـات سنـة 1952 م
في مـسراته

كان من جملة مساعي « هيئة تحرير ليبيا » أن سعت قبل مجيئها إلى ليبيا للحصول على مساندة الدول العربية، والجامعة العربية، وقد حازت ذلك من الجميع بدون استثناء. وقد سبق أن أشرت إلى بعض المواقف الدالة على ذلك، ثم جاءت إلى ليبيا وهي في قوّة معنوية. وفي ليبيا ازدادت قوّة بإجماع الشعب على زعامة رئيسها بلا منازع، إجماعا لم يسبق مثله لغيره في سابق التاريخ الذي نعرفه، ومن هنا أدرك الإنجليز أن ما كان يهدف إليه من البقاء في ليبيا كلّها. أو في الإقليم الشرقي منها على الأقل قد أصبح مشكوكا فيه، وأن الخطة التي رسمها لهذا الغرض باتت غير ذات موضوع. فلا بد إذن من تغييرها. خصوصا بعد قيام حكومة إقليمية في « برقة » واعتراف الإنجليز بها، ثم انهيارها أمام الزحف السياسي لهيئة تحرير ليبيا.

ومن هنا غيَّر الاستعمار خطته، وركز آماله على أوّل انتخابات نيابية، جرت في « فبراير 1952 » ولذلك فقد اختار بمساعدة أعوانه من أهل البلاد عناصر من حكام الجهات وأعوان الشرطة، جلهم إن لم أقل كلّهم لا يعصون الحاكم ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ والنادر لا حكم له ـ لتسيير دفة الانتخابات. وجعل على رأس هذه العناصر كلّها شخصية علمية ذات تاريخ معروف. هو « الشيخ محمود عمر المسلاتي » مأمورا عاما للانتخابات. وأبعد كل من يشتمّ فيه رائحة الإخلاص للحق. وعيّن لهم العناصر التي يجب أن تفوز في الانتخابات بأي طريقة.

وقبل ذلك، صدر قانون الانتخابات، وفيه مآخذ واضحة. وأسرع المؤتمر برفع مذكرة إلى « إدريس » في هذا الخصوص طالبا سد الثغرات. ولم يكن منه إلّا كلمة شفوية واحدة « ستجري الانتخابات بعدالة » ولكن هذه العدالة « الإدريسية » أسفرت عن مأساة مريعة، وحوادث جد فظيعة، ذهب ضحيتها عشرات، بل مئات من المواطنين ظلما وعدوانا، ولو عمدنا إلى ذكر تفاصيل ما وقع في تلك الانتخابات المشئومة لكل دائرة على حدَة لاحتاج ذلك إلى مجلّدات. ولكنني أذكر

هنا ما وقع في دائرة واحدة على سبيل المثال فقط ، وباختصار ، وعليها يقاس ما لم يقل .

« الحاج امحمد » رجل عنيد في مواقفه ، قوي في إرادته ، صادق في أقواله ، لا يتزعزع عن مبدئه ، رشّحه المؤتمر في دائرة ككلة ، وجرت الانتخابات في جوّ خطير ينذر بالانفجار . لأن الحكومة تعمل بشتّى الطرق لإنجاح من تريد هي ، والشعب يعمل لمرشحه ، ومن باب الاحتياط ، وطلبا لانتصار الحق ، كان أنصار « التكبالي » بأسلحتهم في كل منخفض ومنعطف ، والأيدي على مقابض البنادق ينتظرون إعلان النتيجة لتختفي الأسلحة .

عرفت الجهات الرسمية أن الأمر فوق طاقتها ، فعملت بقول الشاعر قديما : « الرأي قبل شجاعة الشجعان » فاعترف المكلفون بالأمر ، حكام الجهة والشرطة وغيرهم ، بفوز التكبالي في الانتخابات ، وباركوا له كلّهم ، علنا أمام الجمهور فسرى الخبر إلى أولئك المسلحين ، فاختفت الأسلحة من مراصدها . وبما أن الإحصاء يقع عادة في المركز العام فانتقلوا بأوراقهم إلى غريان ، بعدما أفرغوها في كيس ، وركبوا السيارة والتكبالي بينهم متمسّك بكيسي البطاقات . ولما وصلوا إلى غريان استلم المركز الكيس بما فيه البطاقات . وأخذ المرشح الفائز « الحاج امحمد التكبالي » في السيارة مع أعوان الشرطة شاهرين أسلحتهم ، منذرين إياه بعدم الالتفات إلى الوراء ، وإذا وجد في الجبل لمدة حدّدوها له فسوف تطلق عليه النار ، وسارت به السيارة إلى طرابلس ، وفاز من لم يفز ! !

هكذا جرى باختصار ، وبالجملة فإن تصرّفات المسئولين كانت أنواعا ، فمنهم من أبدل السجلات كلّها بسجلات كانت جاهزة لهذا الغرض . ومنهم من أفرغ صندوق هذا لذاك . وبعض المرشحين زوّدوهم بعدد كبير من البطاقات . ومما سهل لهم هذا التصرف هو منع المرشح أو من ينوب عنه من الحضور عند التسجيل وعند التعداد وغير ذلك من الطرق الظالمة .

وبما أنني ذكرت وجود الضحايا التي وقعت بسبب تصرف المسئولين فقد رأيت أنه لا بد من إثبات ما وقع من مصادمات مؤسفة كانت نتائجها دماء ودموعا وأحزانا ، وعليها يقاس غيرها من الدوائر والمناطق التي لم أذكرها . أما أنني لم أكتب إليها ، أو كتبت إليها ولم تجب . وحتّى لا أتّهم بالميول إلى جهة دون أخرى فقد

عمدت إلى الكتابة إلى (مصراتة ـ وصبراتة ـ وترهونة ـ وورفلة ـ وبنغشير) طالبا منهم أن يمدوني بما لديهم من أحداث تلك الفترة . وبصورة خاصة حوادث انتخابات 1952 م وقد اخترت هذه الجهات المذكورة لأن الحوادث فيها كانت أشدّ عنفا وأكثر ضررا .

ومن بين من كتبت إليهم الأخ «مصطفَى محمود بادي» في مصراته فلقد رجوته أن يكتب لي ما لا يزال في ذاكرته من تلك الأحداث وتطوّراتها ونتائجها . وهو بذلك خبير ، نظرا لموقعه من الحركة الوطنية في «مصراته» طوال أيام الإدارة البريطانية في ليبيا ، ولقد وصلتني منه صفحات بخطّه فله الشكر ، وفيما يلي ما كتبه لي هذا الكاتب الجريئ :

يقول الأخ مصطفَى محـمود بادي :

عند ذكر ملابسات الانتخابات النيابية التي جرَت في سنة 1952 م في ليبيا لا يمكن للإنسان مهما ضعفت ذاكرته ونسي ، أن ينسَى أحداث تلك الانتخابات في مسراتة المؤسفة التي كانت حصيلتها مجموعة من الضحايا ، القتلى والجرحَى والمساجين ، الذين جرّهم غدر زبانية وعملاء العهد المباد وحقدهم ونقمتهم على الشرفاء الذين وقفوا في وجه الطغاة والمستبدين من الأجانب وأعوانهم اللاهثين وراء الوصول إلى كراسي الحكم ، فلقد جرّهم هذا المزيج المختلط جرّ المواطنين المخلصين لوطنهم وشعبهم إلى ذلك المصير المؤلم المؤسف .

عليّ أنه لا بد أن يعود الإنسان بذاكرته إلى ما قبل الانتخابات ذلك أن «مصراتة» معقل الوطنية والجهاد . سارع أبناؤها وشبابها المخلصون المتحمّسون لمتابعة الأحداث عقب انهيار دول المحور وسقوط إيطاليا وفرار جحافلها من ليبيا وتولى الإدارة العسكرية البريطانية . وعند انعقاد مؤتمر السلام في باريس تكوّنت خلية عاملة نشطة قامت بإعداد مذكرات ، وجمعت توقيعات من المخلصين ، وأرسلتها مطالبة باستقلال ليبيا . والاحتجاج على عودة إيطاليا ، أو الوصاية لها ، أو لغيرها وتوفقت المساعي إلى تأسيس فرع «للحزب الوطني» بمصراتة . وبمساع من الفرع تأسست فروع أخرى في عدّة جهات «كتاور غاء» و«سرت» مثلا وغيرهما ، فكونت هذه الفروع تكتلات قوية يزيد عدد منتسبيها على عشرات الآلاف .

هذا . ونظرا للظروف السياسية التي كانت تمرّ بها البلاد ، وتعدد الأحزاب خاصة في طرابلس ، ونشاط الإدارة البريطانية ومحاولاتها لكسب فئة في جانبها ، أوعزت إلى بعض مرضَى النفوس بتأسيس منظمة تأتمر بأمرها . وقد أسست «الجبهة الوطنية المتحدة» وقد كان من مبادئها المناداة «بإدريس» السنوسي . وسعيا من هذه الجبهة في الحصول على الدعم لمركزها فقد بذلت مجهودات كبيرة لاستغلال «مسراتة» والحصول على تأييدها ، وحيث وقفت تكتلات الحزب الوطني في وجه مساعيها فقد فشلت تلك المساعي فشلا ذريعا . ولم تتوصّل إلى تحقيق أغراضها .

وهكذا ، فمن هذه المواقف والاختلافات الجوهرية في المبادئ تولّد الحقد والضغينة في نفوس المرضَى من أنصار الجبهة القلائل من العملاء وأقارب رئيسها ، واستفحلت شرارة الكراهية عقب تأسيس «حزب الاستقلال» الخائن للأمة والوطن ، ومحاولة أصحابه من المرتزقة والصنائع فتح فرع لهم في «مسراتة» وكان مولودا أشلَّ بفضل نشاط «الحزب الوطني» في «مسراته» وملحقاتها ومجهودات الزعيم الكبير «بشير السعداوي» ومن ثم فإن جميع المحاولات التي بذلها عملاء إيطاليا وبريطانيا من قادة «حزب الاستقلال» ذهبت أدراج الرياح ، ولكنّها أوقدت نار الفتنة ، وهيّأت نفوسهم للانتقام من قادة الحركة الوطنية المخلصين في مسراتة .

ولقد سنحت الفرصة للعملاء حيث عين قبل الانتخابات أحد أقارب زعماء حزب الاستقلال في وظيفة حاكم لمسراته ، فعمل على نشر الرعب ، وعاث في الأرض فسادا ، وحاول أن يخرس المعارضة من أنصار «المؤتمر الوطني العام» الذي يتزعّمه ويقوده «بشير السعداوي» والذي انضوى تحت لوائه أعضاء «الحزب الوطني» الذي اندمج في المؤتمر الوطني العام .

هذا ولقد مهّد للإرهاب بالضغط والإزعاج ، وإقلاق راحة أنصار السعداوي ، ومطاردتهم والزجّ ببعضهم في السجون ، لإدخال الرعب وإفساح المجال أمام مرشحي الحكومة ، ممّن اختارهم «حزب الاستقلال» العميل ، وقد استمرّ هذا التصرّف الشائن منذ نوفمبر 1950 مم إلى تاريخ إجراء الانتخابات في فبراير سنة 1952 م .

في يوم الثلاثاء 19 فبراير يوم إجراء الانتخابات كان مقررا فتح مراكز الاقتراع في الساعة السابعة صباحا ، ولكن فتحها تأخر إلى حوالي الحادية عشرة ، وكانت

مراكز الاقتراع تضمّها جميعا عمارة المتصرفية . ومكتب الحاكم الذي يطلق عليه «كبير المتصرفين» وهو قريب زعماء حزب الاستقلال وصهر رئيس الحكومة . الحكمة من وجود مراكز الاقتراع متجمعة إنما هي للسيطرة على الموقف ، رغم أن المراكز تتعلّق بمديرية المحجوب ، ومديرية الزروق .

نشب خلاف بين المرشحين من طرف المؤتمر وكبير المتصرفين المذكور على حضور ممثلين عن المرشحين في قاعة أخذ الأصوات ، وكان الإصرار من الجانب الحكومي على عدم السماح للممثلين بالحضور هو الذي أذكى النار وأشعل فتيل الانفجار. ذلك أن أنصار المؤتمر الوطني يشكون سلفا في سلامة الانتخابات ، حيث أعدت سجلات لتدوين الأصوات علنيا ، وأخذها من كافة الناخبين دون استثناء بدون بطاقات . وبدون سرية ، وكان الشك يساور النفوس كما أسلفنا حيث أن السجلات يمكن استبدالها ، وتزويرها ، خصوصا وأن الناخبين كانت أكثريتهم من الأميين .

هذا ، وبعد أخذ ورد ونظرا لتمسك الجانب الحكومي برأيه ، وإصرار أنصار المؤتمر على مطالبهم ، ونظرا للحشد الكبير وتجمهر المواطنين الذين أخذوا يقبلون على الساحة حيث المتصرفية ومراكز الإقتراع بها كالسيل الجارف لتأدية واجبهم الوطني ومناصرة الحق ، وأصواتهم تتعالى كالرعد مجلجلة (الله أكبر .:. الله أكبر) ، وهو شعار المؤتمر الوطني ، هذا يوم الحق ، هذا يوم النصر ، فقد ارتعدت أوصال كبير المتصرفين فعمد إلى منافقة الأعيان والوجهاء والقادة ، قائلا إنني على اتصال بطرابلس للحصول على الموافقة بحضور ممثلي المرشحين ، مع الموظفين للاشراف على التسجيل ، وإذا لم أوفق ، ولم تقبل الحكومة فإنني سأترك لكم القصر وأغادره إلى طرابلس احتجاجا على الحكومة لعدم تلبية طلباتكم غير أن هذا الأمر كان فيه خدعة مبيتة ، وهو غير صحيح إذ كان الغدر مبيتا بالتآمر مع كبار الموظفين وضباط الشرطة الإنجليز .

فلقد تبين أن خطة استراتيجية محكمة ، وترتيبات مدروسة للغدر بالمواطنين قد وضعت بالتعاون بين المستشار الإنجليزي لكبير المتصرفين المدعو «ليتلد» والذي كان يتكلّم العربية بطلاقة ، حيث أنه من أصل عراقي ، وبين الرائد «ارمسترونج» ضابط الشرطة السفاح ، والعملاء الليبيين . ومنهم أبو بكر الزليطني «رحمه الله»

الذي كان في منصب متصرف . وأحمد الحصائري الذي كان قائم مقام . وكانت قد وضعت أسلاك شائكة كحواجز على ثلاثة خطوط . الخط الأول يبعد الجماهير حوالي ستة أمتار عن مبنى المتصرفية ، والثاني أربعة أمتار ، والثالث مترين ، وقد رتبت الرشاشات فوق أسقف المبنى «أي فوق السطوح» وزوّد كبار مفتشي الشرطة بالقنابل اليدوية والبنادق ، وكانت الأوامر صادرة إليهم سرًّا بإطلاق النار على الجماهير المحتشدة في حالة اجتياز الخط الثاني .

عند اختلاط الحابل بالنابل ، واشتداد الهيجان والغليان ، وعدم انضباط جماهير المؤتمر الوطني الذين يعدّون بعشرات الآلاف ، وقبل أن يفلت زمام الأمر من أيدي قوات الأمن أطلق النار الإنجليزي «ليتلد» وتبعته الشرطة ، وخصوصا المفتش «سالم بن طالب» وهنا قاوم بعض الشباب بالسلاح ومنهم «سليمان الدلح» وبعض القادة ومنهم «محمد عباس» وألهبوا الجماهير حماسا للإقدام ، ولكن الجمهور كان أعزل من السلاح ، ولاذ الجميع بالفرار اتقاء الوابل الذي أصبح يمطرهم ويطارهم ، من رصاص الغدر ، حيثما لاذوا حتّى وسط الأسواق . وهكذا صفا الجوّ للعملاء ، وأخذوا يجلبون صنائعهم ليثبتوا أن تصويتا قد وقع وانتخابات جرت . ورغم كل الصعوبات والعراقيل فلقد عاد أنصار المؤتمر ، وصوّتوا لمرشحيهم ، ولكن السجلات زوّرت ليلا ، واستبدلت وأعلنت النتيجة بفوز المرشحين الحكوميين ، وهما : (اسماعيل بن الأمين ـ وحسين الفقيه) وعدم نجاح مرشحي المؤتمر : ««الشيخ محمد قريو ـ وعبد الله أبو سنية» .

هذا ، والجدير بالذكر أنه خلال فترة الانتظار ، ونظرا لحالة الفوضى والتنكيل بالمواطنين الشرفاء من ذوي الضمير الحي فقد رفض بعض المواطنين القيام بما أسند إليهم من عمل مراقبة وتسجيل الأصوات ، ورموا الأوراق والسجلات احتجاجا على المعاملة السيئة التي يلقاها المواطنون وأذكر من هؤلاء المواطنين الشرفاء «عبد الهادي الترجمان ـ ورمضان هجرس» ولا بد من الإشارة إلى أن الشخص المأمور للانتخابات في مصراتة هو الأستاذ : «صالح السنوسي» كان دوره دور المتفرّج المسالم ، ذلك أن كافة الأمور كانت في يد كبير المتصرفين «الصديق محمد عبد المجيد المنتصر» .

كما تجدر الإشارة إلى أنه سبقت الانتخابات عند الترشيح حملة حكومية مكثفة لكي يرفض مرشحو المؤتمر، وخاصة عبد الله أبو سنينة الترشيح ليتكروا المجال لرئيس الحكومة «محمود أحمد المنتصر» (غفر الله له) باعتباره من مصراتة أصلا، ليرشح نفسه وينجح بالتزكية، وقد جاء إلى مصراتة من أجل ذلك إبراهيم بن شعبان: وهدّد وأرغى وأزبد، ووعد وأوعد دون جدوى. وقد هدّد المرحوم الحاج الطيب بوسنينة والد المرشح. وعندما شعر أنصار المؤتمر بالخطر طلبوا من «الأستاذ مصطفى عبدالله بعيو» ترشيح نفسه بحيث يكون للمؤتمر في دائرة زاوية المحجوب مرشحان: حتّى إذا حلّ أي مكر أو سوء بالمرشح عبدالله أبو سنينة بقي الأستاذ مصطفى بعيو: وفعلا فقد تم ترشيحه، وانسحب قبل انقضاء مدة حق الانسحاب.

عقب ضرب الرصاص، وبحلول المساء شرع في حملة اعتقالات واسعة النطاق، كما قام كبير المتصرفين يرافقه أبو بكر الزليطني «غفر الله له» وأحمد الحصائري يتفقد المستشفى لإرهاب الجرحى وتهديدهم بدلا من مواساتهم وتخفيف وطأة الألم عنهم، ولقد استمرت حملة الاعتقالات صبيحة يوم الإربعاء، وألقي القبض على حوالي خمسين عضوا من قادة المؤتمر الوطني وأنصاره، وأطلق سراح أحدهم وهو الشيخ «محمد بن نصر» العالم الجليل، وزجّ بالبقية في السجن لمدة يومين بمصراتة، ثم نقلوا صباح الجمعة 1952/2/22 م مبكّرا قبل طلوع الفجر إلى طرابلس، وتم إيداعهم في السجن المركزي مع بقية المعتقلين من كافة المدن الليبية في ولاية طرابلس الغرب. نذكر على سبيل المثال لا الحصر: من ترهونة 48 معتقلا، من الزاوية ما يزيد على الخمسين معتقلا. من صبراتة والعجيلات 40 معتقلا من قصر بنغشير والسواني 19 معتقلا. من تاجوراء 12 معتقلا. وكذلك الخميس وزوارة والجميل، ومن سرت وسوق الجمعة، ومدينة طرابلس. وقد وصل عدد المعتقلين حوالي (450) معتقلا بمن فيهم جميع مرشحي المؤتمر، باستثناء مرشحي مدينة طرابلس، حيث نجح مرشحو المؤتمر. كما استثني المرشح عبد الله الطيب أبو سنينة من مصراتة، لأنه دفع مبلغا من المال إلى ضابط الشرطة الإنجليزي المدعو «ارمسترونج» فرفض اعتقاله. كما حماه أيضا ضد إرهاب كبير المتصرفين.

وفي الخامس من أبريل 1952م أي بعد مضي ستة وأربعين يوما من إلقاء القبض على المتهمين تلقّى المعتقلون تبليغا رسميا من المحكمة للمثول أمام المحكمة المدنية

الجنائية ، بتوقيع رئيس المحكمة الإيطالي القاضي «مايتراسو» وأمين المحكمة الإيطالي وقد حدّد بالنسبة لمجموعة مصراتة يوم الخامس والعشرين من أبريل 1952 م للمثول أمام المحكمة ، وكانت التّهمة الرئيسية محاولة تعويق الناخبين ، ومنعهم من التصويت ، وتدبير قلب نظام الحكم .

عين المتّهمون محامين لهم ، نذكر منهم المحامي «فيراره» والمحامي «اركيتّي» والمحامي «سبادارو» والمحامي «زامبوني» وغيرهم وجمعهم من الإطاليين ، ودامت المحكمة مدّة عشرة أيام بين الاستجواب والدفاع والمداولة . وكانت الشرطة تجئ بالمتّهمين من السجن مكبّلين بقيود الحديد . وكان المتّهمون من مصراتة هم :

الشيخ محمد بن محمد بن عباس
الأستاذ مصطفَى عبد الله بعيو
مصطفَى محمود بادي .
أبو القاسم عبد الله بعيو .
الشيخ محمود قربو .
الشيخ مفتاح اللبيدي .
الشيخ خليفة الولده .
الشيخ علي رجب المقصبي .
أحمد الكبّي .
مصطفَى الحمير الوش .
عبد الله القنطري .
الحاج محمد الحمير الوش .
الحاج محمد الكالوش .
الشيخ محمد بن عبد اللطيف .
محمود حيمة .
الحاج عبد الله حيمة .
محمد عمر .
محمد الخوج .
الشحمي بن طاهر .

أحمد بو شحمة

محمد الوش .

مفتاح علي فريفر

حسين الشامي .

الشريف شنيشح

سليمان قليوان .

محمد الشعاف .

أحمد الشريف .

محمد الزليتني .

محمد شكشاكه .

عمر الهمالي .

الشيخ الها الصور .

أحمد مانيطه .

أحمد شبش .

عبد الكريم الفيتوري .

سليمان الدلح .

عمر الدلح .

رمضان الرمالي .

سليمان زويته .

الصديق أبو عليم .

أبو القاسم فيدان .

محمد النحاس .

محمد الصديق الدلح .

مصطفَى باكير .

وصدر الحكم بالسجن المعجل لمدة ستة أشهر على كل من : (محمد محمد عباسي ـ محمد حيمة ـ الشحمي بن طاهر ـ سليمان الدلح ـ رمضان الرمالي ـ أحمد الكبتي ـ الشيخ مفتاح الليبيدي) كما صدر الحكم المؤجل على سبعة آخرين . أما

الباقون فقد برئت ساحتهم . وهكذا طويت صفحة من صفحات الإجرام التي ارتكبت في حق الوطنيين الشرفاء حقا ... تحت ستار الديمقراطية المزيفة والتضليل والتدجيل والخداع والمكر ولكن ... لا يحيق المكر السيء إلّا بأهله ، ولو بعد حين . ولو شاء ربّك ما فعلوه ..؟

صاحب المذكرات :

على ذكر هذه المحاكمات تذكرت نكتة صدرت عن رئيس المحكمة في محاكمة المغفور « محمد بن محمد بن عباس » رحمه الله تعالى . قد أعادها إلي هو بنفسه في آخر مقابلة بيننا ، كانت بمناسبة حضوره افتتاح « مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي » وابن عباس هذا عرفته على مدى تسع وأربعين سنة ، عن طريق عمل وسكن واتصال دائم طوال هذه المدّة . فعرفت فيه رجلا لا يعرف « الفخفخة » ولا حب الظهور ، ولا الكذب ، ولا حتّى المبالغة في الكلام ، فهو نسيج وحده ، ما رأيت له مثيلا فيمن عرفت من الإخوان الليبيين في المهجر ، تولاه الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته .

حكى لي الأخ محمدا عباس أنه عندما نودي عليه في المحكمة ـ ونودي على الشاهد وهو شرطي ، سأل القاضي هذا الشاهد عن تصرفات ابن عباس فأجاب إن هذا (يعني ابن عباس) هو سبب الإضطرابات كلّها ، فقال القاضي للشرطي الشاهد : ما دمت تتأكد هذا فلماذا لا تقبض عليه فتنتهي الإضطرابات ..؟ فأجاب الشرطي الشاهد : هذا أسد ، من يستطيع الإقتراب منه .؟! وعندها نادى القاضي في أعوان المحكمة بلهفة مصطنعة طبعا : قائلا : أبعدوا علي بسرعة هذا ا الأسد قبل أن يأكلني ، فضحك الحاضرون .

* * * *

انتخابات سنة 1952م

بالزّاوية الغربية

كنت من مدّة أودّ الاتصال بالزاوية للبحث عن حوادث الانتخابات النيبية الأولى . وقد كان ممثل المؤتمر ورئيس فرعه في الزاوية هو « محمد بن عمار » يرحمه الله ، لعلي أجد في مخلفاته من الوثائق ما يصلح للنشر في هذه المذكرات . وبمناسبة

حضوري الاجتماع الذي أقامه «مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي» المتعلق بحياة وتآليف المؤرخ الليبي «ابن غليون» ولما كان بين الحاضرين عناصر من الزاوية. اغتنمت هذه المناسبة، وأخذت أتساءل عن أعقاب المرحوم «الشيخ محمد بن عمار» لعلي أجد عندهم شيئا مما أريد، فانبرى شاب من شباب الزاوية في مقتبل العمر مثقف، نشط، لبق، وسألني ألك حاجة عندهم؟ وضّحت له مرادي فقال لي: إن ما تريده أنا أوافيك به. وسوف أتّصل بهم وبغيرهم وأكتب لكم ما أجده إن شاء الله. إنما انتظرني فترة لا تتجاوز عشرين يوما، بعدها يأتيك كل ما أتحصل عليه إلى عندك دون أن تتعب نفسك فشكرته على تطوّعه بهذا العمل، وبعد مدّة ليست بالطويلة وافاني هذا الشاب بالكلمة التالية:

تأسس في مدينة (الزاوية) فرع للمؤتمر الوطني مثلما وقع ذلك في الجهات الأخرى من إقليم طرابلس، ونظرا إلى موقع الزاوية المتوسط في المنطقة الساحلية الغربية، وما يجاورها جنوبا من نواجع بدوية مع قربها من طرابلس، فقد ركّزت عليها الحركات الوطنية بالدعاية وتوزيع المنشورات من خارج البلاد، ومن داخلها، فانتشر بين سكانها الوعي والتحسّس بالمسئولية، واشتدّ فيها الحماس، ونتيجة لذلك فحينما بدأ تكوين الفروع للحركات الوطنية كانت الأغلبية الساحقة من سكانها قد انحازت إلى الحركة المنادية بوحدة البلاد واستقلالها، وهي حركة «المؤتمر الوطني» ولم يخالف هذا الاتجاه إلّا أفرادا قليلون لا يُؤبه لهم، قد انحازوا إلى حزب الاستقلال. أو الإدارة البريطانية على الأصح، من أهمهم (الشيخ منير العروسي) غفر الله له.

ولقد وقف مواطنو الزاوية وملحقاتها موقفا صلبا ضد (الفيديرالي) رغم مساعي أنصار هذه الفكرة من المواطنين المنحرفين على الرغم من تهديداتهم وتوعّداتهم وإغراءاتهم بالوعود والأموال التي يبذلونها وغير ذلك لاستمالة الناس إليهم، ولكن الضمير الوطني والوازع القومي والمصلحة العربية العليا. هذه العوامل وغيرها وقفت سدًّا منيعا أمام دعاة الفساد، ومناصري فكرة تقسيم البلاد الذين أعمَى الطمع والجشع بصائرهم، فاندفعوا في مجاراة الاستعمار، ومناصرته في أهدافه وأطماعه، وهم بذلك يخربون بيوتهم بأيديهم...

في يوم 19 فبراير عقب ظهور نتيجة الانتخابات الأولى في تاريخ ليبيا، تلك الانتخابات التي زيفت بكاملها لصالح مرشحي (الفيدرالي)، وضدّ الذين ينادون

بوحدة البلاد واستقلالها ، وهم رجال المؤتمر الوطني ، الذين لم ينجح منهم أحد إلّا شخص واحد . ولكنه نجح بطريقة غير سليمة حيث لعب على حبلين ، في الوقت المناسب ، وذلك هو سبب فوزه .

ولقد كان رجال المؤتمر قد اتّخذوا مقرًّا لهم المبنَى الذي عرف « بالقطار » عند طريق الحارة في الزاوية ، حيث كانوا يعقدون اجتماعاتهم فيه ، استعدادا لخوض معركة الانتخابات لإنقاذ البلاد ممّا يبيته لها الأجانب عن طريق المنحرفين ، من تقسيم وتشتيت وتمييع استقلالها ، وجريا وراء ذلك فقد رشّح الوحدويون ، أي المؤتمر الوطني أشخاصا من خيرة رجال المنطقة ممّن عرفوا بالاستقامة والثبات وصدق الوطنية أمثال : « الشيخ بلقاسم القصبي ، والشيخ علي النعاس » وهما شخصان يحظيان باحترام المنطقة .

ولكن ماذا يفعل من كان خصمه القاضي ، والقاضي هو صاحب المصلحة . إن هذا هو الأمر الذي جعل الأصوات التي أعطيت للوحدويين يطوف عليها (طائف مأمور) وهم ينظرون فتحوّلت تلك الأصوات ظلما واستبدادا من صالح أهل اليمين إلى صالح أهل الشمال ، وقد نودي على الشيخ منير العروسي ، غفر الله له ، أنه من الفائزين ، وآخر هو ذلك الذي كان قد لعب في الميدانين ورقص على حبلين . وهكذا فقد وقع تزوير الانتخابات في الزاوية . كما وقع ذلك في جميع دوائر إقليم طرابلس الانتخابية . إلّا العاصمة حيث فاز فيها مرشّحو المؤتمر . ولم يكن هذا الفوز في العاصمة هو من باب العدالة . كلّا ولكنه من باب النفاق و (الفشر) . وذلك :

أوّلا : تمويها على الأجانب من سفراء ومراسلين وغيرهم ، كي يتوهّموا أن الانتخابات جرت كلّها بعدالة وإنصاف على حدّ تفكير المسئولين .

ثانيا : لأن نواب العاصمة أقليّة ضئيلة بالنسبة للمجموع ، ولذلك فلا خوف منهم ، إذ لا تأثير لهم .

ثالثا : لأنهم يعتقدون أو ربّما (متعاقدون) أن من بين نواب العاصمة من يستميلونه (أو استمالوه بعد) بسهولة إلى جانبهم .

ونظرا إلى أن التزوير كان مفضوحا عرفه العام والخاص ، فقد تحرّكت مجموعة من الشعب ، وتقدّمت إلى مدير شرطة المكان (الإنجليزي) آنذاك وإلى الحكم

الوطنيين ، طالبين منهم أن يتلافوا الموقف بالتدخل في الأمر ، وأن ينصفوا الشعب بإعادة التصويت ، فإن الحالة تنذر بالخطر وأن التوتر بلغ منتهاه ، ولكن المسئولين رفضوا السماع لشكاوي الشعب ، وهو الأمر الذي زاد في حدّة التوتر والانفعال وبدأت الجماهير تتوارد من كل حدب وصوب ابتداء من الصباح الباكر.

ولما تكاملت الجماهير تقدّم وفد منها وراجع المسئولين مرة أخرى ، بل مرارا ، فلم تجد هذه المراجعات آذانا صاغية أو ضمائر واعية لشكواها ، وأيّست من النتيجة ، حاولت أن تفرض حقّها فتدافعت نحو مركز المتصرفية وحاصرته يوم الجمعة 22 فبراير 1952 من جميع جهاته بما فيه من موظفين ، وشرطة ومسجلي الأصوات ، فأحست شرطة الزاوية الباقية في خارج الحصار بضعف مخيف ، فطلبت من طرابلس النجدة ، وقد أسرعت رئاسة الأمن العام في طرابلس إلى إرسال نجدة مسلحة من الشرطة ، لكي تفكّ الحصار عن مبنَى المتصرفية.

وفي نفس الوقت ، والنجدة لم تغادر طرابلس بعد ، ترامت الأخبار إلى الشعب في الزاوية بأن نجدة من الشرطة مسلحة ستغادر طرابلس حالا في طريقها إلى الزاوية . وعلى إثر وصول هذا الخبر أخذ شعب الزاوية في الاستعداد للوقوف في وجه النجدة القادمة ، ومنعها من دخول المدينة إلّا إذا استجابت لمطالبه فيما يختصّ بإعادة التصويت وعدالته.

ولقد قامت الجماهير بقطع الطريق الرابط بين طرابلس والزاوية في نقطة خارج مباني هذه الأخيرة قليلا . وذلك بما ألقي فيها من أغصان الأشجار وجذوعها والحجارة الضخمة وهياكل الآليات المهملة وغير ذلك ممّا يعرقل السير. تحركت النجدة من طرابلس ، واستعد شعب الزاوية لها . فتجمهرت جموع كثيفة في النقطة التي سدت فيها الطريق ، لعرض مظلمتهم على هذه النجدة ، آملين منها أن تنصت إلى شكواهم ، فتتدخل لدى السلطات المحلية لحل مشكلتهم.

وصلت هذه النجدة الآتية من طرابلس إلى حيث تجمع الشعب ، وقطع الطريق ، وبدأت المناقشات تدور بين الطرفين حاولت خلالها النجدة أن تجد طريقا لها لدخول المدينة بطريقة هادئة ، ولكن الشعب وقف لها سدًّا منيعا في تصميم وانتباه.

بعد حوار طويل ، ومراوغات لم تسفر عن نتيجة لأي من الطرفين ، أصدر آمر النجدة المذكورة أمره إلى جنوده من الشرطة باقتحام الحواجز ، وتحركت هذه القوّة ، فانفجر الموقف بانطلاق أيدي الجماهير ، تمطر رجال النجدة ، كل بما عنده (حجارة ، عصي ، قطع حديد ، وقليل من القنابل اليدوية من صنع محلي) . وعندئذ ردّت قوّة الشرطة بإطلاق النار على الجماهير ، ولكن فوق الرؤوس . وبذلك تمكّنت من اقتحام تلك الحواجز وإزالتها ، واستمرت في إطلاق النار في كل الاتجاهات . ورغم ذلك لم تتمكن من التقدّم بسرعة لكثافة الجماهير التي صمدت للمقاومة رغم ذلك الإرهاب المفجع ، ولكن رغم شدّة الحوادث وعنفها لم يصب فيها إلّا أفراد معدودون .

وعلى صدى إطلاق النار هرعت الجماهير من كل مكان إلى حيث ذلك الصدى ، وهنا انتبهت القوّة المحاصرة في مركز المتصرفية منذ الصباح الباكر ، انتبهت إلى أن الحصار المضروب عليها قد خفّ ، فتمكنت من فكّ الحصار عن نفسها . وأخذت هي الأخرى في إطلاق النار على المواطنين الذين لا يملكون أسلحة .

ولقد كانت معركة رهيبة سقط فيها بعض الأفراد من جمهور الشعب بين قتيل وجريح ، رغم أن الشرطة قد تفادت ما أمكنها الإضرار بالجمهور . كما ألقي القبض على ما يزيد عن سبعين شخصا رفعت ضدّهم قضايا في محكمة طرابلس الجنائية ، فأصدرت عليهم أحكاما مختلفة ، تراوحت بين ثلاث سنوات وتسع سنوات ؛ وذلك بتاريخ 7 من شهر مايو لسنة 1952 م ولقد حاولنا جهدنا لنتمكن من ضبط أسماء من قتل ، ومن جرح ، ومن سجن . ولكننا لم نتمكن إلّا من معرفة أسماء قتيلين وأربعة جرحَى وإليكموهم :

من أسماء الذين قتلوا

1 ـ محمد بن حسين اركاب من قبيلة القمامدة .

2 ـ غيث بن عمار قتل في معركة بينه وبين الشرطة التحقت به في « قطيس »

من أسماء الذين جرحوا

1 ـ بلعيد الشوقي .

2 ـ سـالم حفيظة .

3 ـ الهـادي عفيفي .

4 ـ خليـفة الذيب بترت رجله .

هذه صورة مصغرة وموجزة لموقف من مواقف مدينة الزاوية البطولي ، وهو أول عمل مسلّح تقوم به أية جهة ضدّ أوّل حكومة في ليبيا برئاسة محمود المنتصر « غفر الله له » وهكذا كتب لسكان الزاوية السبق والاستشهاد ضدّ حكومة إدريس التي كانت لعبة في أيدي المستشارين الإنجليز ورجال البوليس الإنجليزي الذين مازالوا يقودون القوّات البوليسية لتنفيذ أهدافهم ، حيث سالت دماء الشيوخ والشباب والأطفال على السواء .

وصعدت الأرواح الصادقة المخلصة إلى ربّها راضية مرضيّة ، شاكية إليه جلّ شأنه ظلم ظالميها . ولقد فقد العديد من الشعب أحد أعضاء جسمه . فكم من شخص بترت رجله ، وآخر قطعت يده ، بعد أن أيّس الأطباء من شفائه ، وما أقل الأطباء حينذاك ، وربّما كانت أحداث سنة 1952م هي المحرّك لشباب الزاوية في السنوات 1955 و 56 و 57 و 58 و 64 و 67 حيث كانت مدرسة الزاوية الثانوية منطلقا لمعظم المظاهرات فيما بعد ، خصوصا تلك التي نظمت ضدّ فرنسا تأييدا لجبهة تحرير الجزائر .

* * * *

الشّبـاب الليـبي ينـدفـع إلى ميـدان العمـل

على إثر اتصالات الكونت « اسفورزا » بالدول المنتصرة وتصريحاته التي أوضحت تماما مطامع دولته في العودة إلى ليبيا ، أو إلى جزء منها بأي وجه يتاح لها ، أزعجت هذه المطامع الشباب الليبي ، فاندفع إلى ميدان العمل بطريقة أقوى ممّا كان ، فقد تحرّك الشباب في طرابلس وعقد اجتماعا عظيما في مقرّ النادي الأدبي بطرابلس وارتفع صوته مساء الخميس الخامس عشر من جمادي الآخرة 1368 هـ الموافق للرابع عشر من أبريل 1949م فردّد صداه الشباب الليبي في برقة :

عقد الشباب في طرابلس مؤتمرا ، حضره ما لا يقلّ عن ثلاثمائة شاب ، وقد افتتح المؤتمر بتلاوة من آيات الذكر الحكيم رتّلها الشيخ أبو بكر ساسي ، فتلاه محمد

الزقعار رحمه الله تعالى ، فألقى كلمة المؤتمر ، ثم شرع المؤتمرون في بحث الموقف الراهن لقضية البلاد واتخاذ ما يلزم من قرارات وتدابير لمعالجة الموقف ، وقد انتخب المؤتمر «نجم الدين فرحات» لرئاسة الجلسات وقد تجمّع لدى المؤتمر عدد كبير من الاقتراحات لإدراجها في جدول العمل ، ونظرا لكثرة هذه الاقتراحات ، فقد شكّل المجتمعون لجنة تدرس هذه الاقتراحات وتستخلص منها الأهم ، وقد تألفت اللجنة من : نجم الدين فرحات ـ الهادي عرفة ـ عبد الرحمن العجيلي ـ المهدي الحجاجي ـ أحمد عون سوف ـ إبراهيم الفلاح ـ نورالدين المسعودي ـ أحمد الحصائري ـ يحيَى مسعود ـ مصطفَى بعيو ـ محمد ميلاد مبارك ـ أحمد زارم ـ عبد الله اليازجي ، وقد واصلت هذه اللجنة عملها فاستخلصت من تلك الاقتراحات :

1 ـ ارسال مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة وصورة منها للإدارة البريطانية تتضمّن المطالبة باستقلال البلاد ووحدتها ، والاحتجاج على مناورات اسفورزا .

2 ـ برقية تأييد للوفد الطرابلسي وإشعاره بضرورة التفاهم مع وفد برقة من أجل وحدة البلاد .

3 ـ برقية تأييد لرئيس اللجنة الفرعية لدعم الموقف .

4 ـ برقية لرئيس الجمعية العموميةيعلن فيها رفض الشعب لأي حل يتعارض مع رغباته القومية .

5 ـ رسالة إلى عمداء البلديات في دواخل القطر . والنوادي والهيئات الوطنية للقيام بالاحتجاج على المناورات الاستعمارية .

6 ـ رسالة إلى الهيئات السياسية الوطنية في برقة ، والنادي الثقافي في القاهرة .

7 ـ إصدار نداء عام للشعب الليبي ينشر على الصحف وترسل نسخ منه إلى بعض محطّات الإذاعة .

8 ـ الاتصال بفزان بطريقة أو بأخرى مهما كانت العوائق لتكوين رابطة للشباب ولو سريًّا .

9 ـ تشكيل لجنة تقوم بتنفيذ ما قرّره المؤتمر بأسرع وقت ممكن .

هذا وقد ختم المؤتمر اجتماعه بقصيدة ضاغها شاعر ليبيا «أحمد الشارف» رحمه الله ، وقد ألقاها بالنيابة عنه «أحمد الحصائري» ثم ارتجل الشاب «علي الترهوني» مقطوعة زجلية ، حماسية وأخيرا تقدم الأستاذ «سليمان دهان» رحمه الله تعالى ، وألقَى نيابة عن زملائه كلمة شكر فيها المؤتمرين ، وأثنَى على رئيسه وسكرتيريه ، وكل من ساهم في نجاحه . وفي النهاية أصدر المؤتمر البيان التالي :

«في هذه الظروف الحرجة التي تجتازها قضية البلاد ، ونظرا لما أثارته تصريحات (اسفورزا) من سخط الرأي العام الليبي ، فكر لفيف من الشباب في عقد مؤتمر عام لهم لدرس القضية الوطنية من الوجهة السياسية على ضوء وتطورات الموقف ، واتخاذ التدابير التي تتطلبها . وقد افتتح مساء أمس الخميس 15 جمادي الأخيرة 1368 هـ الموافق 14 أبريل 1949 م وقد حضر في هذا المؤتمر ممثلون من مختلف طبقات الشباب من جميع أنحاء القطر ، ودرس الحاضرون فيه الموقف دراسة وافية ، بما في روح الشباب من قوّة وفتوّة وطموح ، وقد أكّد المؤتمر ثقته في الوفد الطرابلسي الذي يدافع عن وحدة البلاد واستقلالها لدى هيئة الأمم المتحدة» .

وقد اتخذ المؤتمر قرارات هامة تتناسب وخطورة الموقف الراهن ، وقد عبرت اقتراحات الحاضرين عن مدى السخط البالغ على ادعاءات «الكونت اسفورزا» في هيئة الأمم المتحدة ، وعلى مواقف الدول التي وقفت من أماني البلاد موقفا عدائيا . كما دلّت هذه الاقتراحات على إصرار الشباب واستمساكه بمطالبه المشروعة ، وهي : (الوحدة ، والاستقلال) ورفض كل تدخل أجنبي .

وقد أعدت سكرتيرية المؤتمر مذكّرة وافية لإرسالها إلى هيئة الأمم المتحدة ، تعبّر عن رغبات الشعب الليبي ، وتفنّد مزاعم «الكونت اسفورزا» كما تندّد بالستار الحديدي الذي ضربته فرنسا على الجنوب الليبي (منطقة فزان) كما أنها تحمل بريطانيا مسئولية نتائج محاولتها تمزيق وحدة ليبيا . وقد عهد المؤتمر إلى لجنة من الشباب بتنفيذ قرارات المؤتمر وتنظيم الحركة في داخل البلاد بأجزائها الثلاثة استعدادا لكل طارئ . كما قام المؤتمر بإرسال برقية شكر إلى مندوب باكستان على مواقفه في جانب الحق وتأييده باستمرار لقضية ليبيا ، وقد سبق أن أثبتنا نصّ هذه البرقية .

مؤتمر الشباب البرقاوي ببنغازي . يبرق إلى مؤتمر الشباب الطرابلسي بالبرقية التالية :

نشارككم شعوركم الوطني الفياض ، ونقف إلى جانبكم الآن وفي ساعة الشدّة ، ونعاهدكم على أن برقة شقيقتكم ستذكي النار معكم إذا استمر الظالمون في طغيانهم . إن بلادنا يجب أن تضمن لها الحرية . وإن عودة إيطاليا إلى أي جزء إن هي إلّا الطامة التي يعقبها القضاء المبرم . إن أي ليبي سيرفض بشدّة أن تكون طرابلس ضحية الوعود البلفورية الهدّامة . والله معكم . عبد ربه الغناي .

وحينما سقط مشروع (بيفن/اسفورزا) وتحوّلت تلك المظاهرات الصاخبة من مظاهرات توتّر وانفعال إلى مظاهرات فرح وسرور بالنجاح الباهر الذي أحرزته القضية الليبية ، والصادر عن هيئة الأمم المتحدة باستقلال ليبيا ووحدتها . في ذلك الجوّ الباسم الذي عمّ ليبيا كلّها . أرسل مؤتمر الشباب البرقاوي إلى مؤتمر الشباب في طرابلس البرقية التالية :

إلى مؤتمر الشباب ، بطرابلس ،

إن مؤتمر الشباب البرقاوي ليهنئ نفسه ، ويهنئكم بفشل رجوع إيطاليا إلى بلادنا ، وهو يستحثكم أن تواصلوا الجهود في سبيل تحقيق الاستقلال التام لليبيا الموحدة مهما تكن الأثمان . والله معنا ..؟

الشباب في برقة يحاول سبق الأحداث ،

كان الشباب في برقة قد عزم على عقد مؤتمر له نظرًا للظروف التي توشك أن تأتي بجديد ، وهو (أي الشباب) يحاول بذلك أن يسبق الأحداث . ويجعل الانفصاليين أمام الأمر الواقع . وفعلا فقد عيّن تاريخ الاجتماع ليوم 30 من مايو 1949 م وعلى هذا الأساس أرسل إلى مؤتمر الشباب بطرابلس يطلب إليه إرسال وفد للمشاركة في المؤتمر تأكيدا للوحدة . وقد أرسل شباب طرابلس وفدامن شخصين اثنين هما : (سليمان دهان ـ وأحمد الحصائري) وقد وصل هذا الوفد إلى بنغازي .

وبما أن اجتماع المؤتمر تأخر عن موعده بسبب تأخر وصول وفدي : « درنة / والمرج » فقد أجرى وفد الشباب الطرابلسي اتصالات مكثفة مع عدد من الشخصيات أمثال : يوسف لنقي ، خليل قلال . العبار . شنيب وغيرهم . عليهم رحمة الله جميعا .

قلنا : قد تأخر وصول وفدي : « درنـة / والمـرج » ولم يصلا إلى بنغازي إلّا يوم 31 منه ، ولذلك انعقد المؤتمر في اليوم الأول من يونيه الموالي وفي هذا الاجتماع حول قراره وقرارات أخرى من درنه موقع عليها من كافة رجالات المنطقة إلى إدريس مع رسالة خاصة له من شباب درنه ، وفي نفس الاجتماع أعلن أنه سيستأنف اجتماعه في مساء نفس اليوم لبحث موضوع الوحدة الليبية وإقرارها وإعلانها للملأ .

وقبل أن يحين وقت الاجتماع تلقّى خبرا من الديوان يفيد بأن إدريس سيدلي في مساء اليوم نفسه ببيان خطير بقاعة الديوان الكبرى وبذلك تقرر تأجيل اجتماع مؤتمر الشباب البرقاوي ، وفي حوالي الساعة السادسة مساء وفد على الديوان قناصل الدول ورجال الإدارة وكبيرهم « دي كندول » والشخصيات البرقاوية والحاشية بينما الجماهير تتوارد هي الأخرى وتحتشد أمام الديوان والأناشيد والخطب والهتافات ترتفع بالوحدة والاستقلال . وفي حوالي الساعة السابعة مساء دخل إدريس إلى البهو ، ومنه أعلن استقلال برقة ، وتأليف حكومة لها ، وعبَّر عن أمله في أن تعترف بريطانيا والدول العربية والدول الأخرى سريعا باستقلال برقة ، وأنه يرجو أن تنال طرابلس الشقيقة ما نالته أختها برقة . ثم قرئت في نفس الوقت برقية تهنئة وتمنيات أرسل بها الملك عبد الله بن الحسين ، وكان بين الحاضرين مفتي طرابلس ومحمود المنتصر .

وقد استجابت بريطانيا وبسرعة ، وأعلنت اعترافها بحكومة برقة . وفيما يلي النص الكامل لهذا الاعتراف كما نشرته الصحافة المحلية في حينه ، وقد ألقاه (دي كنـدول) :

إنني أعلم جيدا بأن هذا المؤتمر يضم ممثلين عن المدن والقرى ، وفروع القبائل للسكان من جميع أنحاء القطر ومما يجب الاغتباط به . هو أن المؤتمر الوطني منظمة عيّنها إدريس للاستشارة وإعطاء الرأي في شئون الشعب البرقاوي . وأنا أعلم أيضا أنكم مهتمون في هذا الوقت بمستقبل بلادكم ، وتتطلعون بتلهف إلى معرفة سياسة حكومة صاحب الجلالة بعد أن أخفقت مناقشات هيئة الأمم المتحدة الأخيرة في (ليك سيكـس) في الوصول إلى أية نتيجة إيجابيـة .

إن حكومة صاحب الجلالة على علم من اهتمامكم بهذه ، وبعد أن فكّرت الوزارة البريطانية مليًّا في الأمر خولت لي السلطة بأن أدلي بالبيان التالي : في هذه

الفرصة المناسبة بحضور إدريس نفسه وأمام زعماء الشعب ، إن الحكومة البريطانية تعترف بإدريس السنوسي بوصفه الزعيم المنتخب من شعبه انتخابا حرًّا كرئيس لحكومة برقة ، كما أن الحكومة البريطانية تعترف اعترافا رسميًّا برغبة البرقاويين في الحكم الذاتي ، وستتخذ جميع الخطوات التي لا تتعارض مع تعهداتها الدولية لتحقيق هذا الأمر، وأن الحكومة البريطانية توافق على تأليف حكومة برقاوية تتولّى مسئولية الشئون الداخلية وتدعو إدريس إلى زيارة لندن للتشاور معه في الأمر... الخ

وفي اليوم الثاني من شهر يونيه وصل إلى «بنغازي» من طرابلس السيد علي ثامر الوزملّي أحد أعضاء المؤتمر الوطني العام بطرابلس موفدا من هذا المؤتمر ، يحمل رسالتين : إحداها لمؤتمر الشباب البرقاوي ، والأخرى لإدريس وبعد ذلك استأنف مؤتمر الشباب اجتماعه ، وقرر وجوب التمسك بالوحدة الليبية رغم ما حدث من إعلان الحكومة الإقليمية الانفصالية .

وتقول الأخبار الواردة من برقة إن الإعلان الذي أصدره إدريس قد قوبل بارتياح في أنحاء برقة ، خلا جمعية «عمر المختار» التي قامت بمظاهرات إثر هذا الإعلان تطالب بأن يعلن استقلال ليبيا لا برقة ، بأجابهم بأنه سيطرق هذا الموضوع عند زيارته لندن .

* * * *

صـــــورة
من معاملـة الحكـومة العميـلة لكبـار الموظفـين

كان «أحمد عون سوف» قد عاد من مصر إلى ليبيا أوائل سنة 1947 م ملتحقا بوالده الذي كان قد عاد اليها قبله بحوالي عام أو أكثر قليلا . وفي أيام وجود أحمد بطرابلس أسندت إليه الإدارة البريطانية وظيفة قائمقام «النواحي الأربعة» ومركزها فندق بنغشير ، وكان والده إذ ذاك «عون محمد سوف» من أبرز أعضاء الجبهة الوطنية المتحدة التي تأسّست سنة 1946 . وبعد وفاته رحمه الله تعالى وبرغبة من أعضاء الجبهة حلّ أحمد محلّ والده فيها .

ومنذ ذلك الوقت أصبح أحمد هذا عنصرا من العناصر المؤثرة في الحركة الوطنية بصدق وإخلاص ، إلى أن جاءت إلى الوطن « هيئة تحرير ليبيا » ونزلت بمقرّ الجبهة الوطنية المتحدة فأصبح أحمد عون عضوا من أعضاء هذه الهيئة المعتمدين . وقبل أن تشرع هيئة التحرير في أي عمل تقدم أحمد عون إلى بشير السعداوي ، واقترح عليه أن تبدأ الهيئة بأوّل زيارة لها إلى منطقة « النواحي » وهو يهدف من وراء ذلك إلى فتح باب هذا الميدان للمناطق الأخرى حتّى لا تتردّد في مختلف أنحاء القطر ، فاستحسن السعداوي ذلك ، ووافق عليه ، وعين موعد الزيارة .

وفي الوقت المحدّد تحركت الهيئة من طرابلس يصحبها عدد وافر من الشعب إلى (فندق بنغشير) . وقد استقبلت من طرف جماهير المنطقة فرسانا ورجالا ، وكان (القائمقام) أحمد عون يتمطّى صهوة جواد يتقدّم المستقبلين ، وكان ذلك بما جبلت عليه نفوس سكان هذه المنطقة في كل حركة وطنية ، وما بذله القائمقام المذكور من مجهودات من تهيئة الجوّ ، وإثارة النفوس للتخلّص من العدو .

وصلت الهيئة إلى المركز ، وألقَى السعداوي خطابا توجيهيا كان له وقعه ، فتناقلت عباراته الألسن ، ذلك لأنه كان انطلاقة جديدة لا عهد للناس بها منذ عهد طويل ، وأعقب ذلك خطب عديدة من رجالات المنطقة وقصائد شعرية وزجلية من شعرائها وزجاليها . وبالجملة فقد كانت فكرة صائبة وزيارة ناجحة في نفسها ومؤثرة في غيرها من المناطق الأخرى البعيدة منها والقريبة ، حتّى لقد صارت على أثر هذه الزيارة وفود المناطق الأخرى تتوارد على هيئة التحرير في طرابلس تطالب بتجديد مواعيد لزيارتها .

ولقد بقي « أحمد عون سوف » على مبدئه مخلصا للحركة الوطنية ، في الوقت الذي كانت فيه الإدارة البريطانية وأعوانها ينتظرون منه أن يعلن استقالته من المؤتمر، ويتبرأ منه ومن أعماله ورجاله ، كما فعل غيره كثيرون ، وبقي على ذلك حتّى بعد الانتخابات النيابية الأولى سنة 1952 م ، وقيام الإدارة وحكومتها « الوطنية » بإبعاد من ترى فيهم خطرا على بقائها في الحكم ، ومن أجل موقفه هذا وعدم خضوعه لهذه الحكومة في معاملة الشعب بالظلم والاستبداد ، أخذت تعامله معاملة سيئة ، لعلّه يتخلّى عن الوظيفة فتتمكّن من سجنه أو إبعاده ، ونظرا إلى ما بلغني عنه وأنا في تونس بعد الإبعاد من الحالة التي كان يعيشها ، والمعاملة التي كان يعامل بها ، فعند

عزمي على كتابة هذه المذكرات ، اتصلت به ، وطلبت منه أن يزوّدني بما وقع له حتّى أجعله مثلا يقاس عليه ما عوملت به العناصر الوطنية من ظلم وإرهاق ، فكتب لي ما يلي ، أنقله كما هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

في أوائل سنة 1947م أخذت إجازة لمدة شهرين ، وجئت من مصر إلى طرابلس لزيارة والدي والأهل ثم العودة إلى مقر عملي بالقاهرة ، حيث كنت موظفا بوزارة الزراعة «قسم الطب البيطري» وقبل انتهاء الإجازة ، طلبتني الإدارة البريطانية ، وعرضت علي وظيفة «قائم مقام» بدلا من القائم مقام الإيطالي في إحدى منطقتي العزيزية أو «فندق بنغشير» وبما أن هذا العرض لم يكن بطلب مني فقد طلبت مهلة لمدة أسبوع حتّى أفكر أوّلا . ولقد عرضت الموضوع على والدي رحمه الله ، فأجابني بقوله : أنا بودّي أن تكون بالقرب مني ، ولكن لك الحرية في قبول العرض أو العودة إلى مصر . ولما شعرت من أن والدي يرجح بقائي ، قررت البقاء وعدم العودة إلى مقر عملي ، وأبلغت الإدارة بقبولي العرض . فاخترت منطقة «فندق بنغشير» وتم ذلك .

هيئة تحرير ليبيا

عندما جاءت هيئة تحرير ليبيا ، وعلى رأسها المرحوم بشير السعداوي ، كان في ذلك الوقت عدّة أحزاب وهي معروفة للجميع ، لا داعي لذكر أسمائها هنا ، وكانت هيئة التحرير تنوي القيام برحلات إلى الدواخل للدعاية وتنوير الرأي العام وتوحيد كلمته ، والمطالبة باستقلال البلاد ووحدتها بأجزائها الثلاثة : طرابلس – برقة – فزان ، وانضمامها إلى جامعة الدول العربية مهما كلّفها ذلك من تضحيات ، لذلك قمت بدعوة هيئة التحرير والابتداء بزيارة منطقة «فندق بن غشير» حتّى تقتدي بها بقية المناطق ، وقد وافق السيد البشير السعداوي على هذه النظرية وحدّد موعدا للزيارة ، وعند ذلك أبلغت أعيان المنطقة ومشائخها فرحّبوا جميعا بذلك ، وبكل سرور ، وأبدو الاستعداد الكامل لاستقبال هيئة التحرير والاحتفاء بها .

وفي اليوم المحدد للزيارة حضر لمركز بن غشير جميع سكانها رجالا وفرسانا . وقد أحضروا لي جوادا لأكون في مقدمة الفرسان لاستقبال الركب قبل الوصول إلى

المركز بمسافة لا تقل عن ثلاثة كيلو مترات ، وفي الساعة الحادية عشرة وصل الركب فاستقبل بالهتافات بحياة هيئة التحرير وتقدّم الركب كوكبة من الفرسان والجماهير على جانبي الطريق حتّى وصل بصعوبة إلى المكان المعد للاحتفال وهو «المدرسة الابتدائية» وبعد استراحة قليلة بدأ الحفل بقراءة بعض من آيات الذكر الحكيم ، ثم وقف السيد «بشير السعداوي» بعد أن قدّمته للجماهير فألقى خطابا سياسيا جامعا قوطع عدّة مرات بالهتافات بحياة ليبيا وهيئة التحرير والتصفيق الحاد المتواصل ، وبعد أن فرغ السيد «البشير السعداوي» من خطابه بدأت كلمات الترحيب وقصائد من الشعراء البدو وبعد صلاة العصر بدأ «الميز» أي الفروسية على طريقة أهل المنطقة المعروفة، وقد غادر هذا الركب منطقة فندق بن غشير عائدا إلى طرابلس. هذا وقد استمرت هيئة التحرير في جولاتها لدواخل القطر، وقد رافقت السيد بشير السعداوي في جولاته للمناطق الآتية : جنزور ـ الزاوية ـ صرمان ـ صبراتة ـ العجيلات ـ العزيزية ـ غريان ـ يفرن ـ جادو ـ الزنتان ـ نالوت ـ مزدة ـ تاجوراء ـ الخمس ـ زليتن ـ مسلاتة ـ وحضرت مؤتمر مسلاتة . وقد كانت الهيئة تستقبل من قبل هذه المناطق بالحفاوة والتأييد المطلق ، وهو الأمر الذي هيّأ الشعب للمطالبة بحقوقه الوطنية التي كافح وناضل لأجلها طيلة عشرين عاما . وفقد بسببها نصف سكانه ، منهم من استشهد في ميدان الشرف برصاص العدو الغاشم ، ومنهم من هاجر إلى الأقطار العربية المجاورة .

هذا وعندما تأكدت الإدارة البريطانية من التفاف الشعب حول هيئة التحرير «المؤتمر الوطني» وتأييده الكامل للمؤتمر غيرت سياستها وأصبحت تضيق الخناق ، وتضغط على العناصر الوطنية العاملة بالمؤتمر ، وتؤيد العناصر الخارجة على المؤتمر . ولكنهم قلّة والحمد لله . وكان للمؤتمر الفضل في توحيد كلمة الشعب لتحقيق أمانيه القومية ، ولمجابهة أطماع الدول الاستعمارية التي لها مطامع في تجزئة البلاد إلى مناطق نفوذ . برقة إلى إيطاليا ، وفزان إلى فرنسا وطرابلس مصيرها غامض وغير معروف .

لجنــة التحقــيق الرباعيــة

عقد وزراء خارجية الدول الأربع المنتصرة ، وهي أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا ، لبحث ودراسة مصير المستعمرات الإيطالية السابقة ، ولتقسيمها بين هذه

الدول . بعد هزيمتها وخروجها من ليبيا بدون رجعة . ولكن الله لطف ، إذ تضاربت آراء وزراء الخارجية فيما بينهم في خصوص قضية ليبيا ، بريطانيا متمسّكة ببرقة حسب وعدها ، وفرنسا متمسّكة بفزان ، وبقيت طرابلس في مهبّ الرياح بل طالبت بها روسيا ، ولما لم يتوصّل وزراء الخارجية إلى اتفاق يرضي أطماعهم الاستعمارية ، وقد كان خلافهم رحمة من الله . ونتيجة لذلك فقد قرّر مندوبو الدول الأربع إيفاد لجنة تحقيق للوقوف على آراء السكان والهيئات السياسية في ذلك الوقت ، ولمعرفة الحالة السياسية والاجتماعية ومقوّمات البلاد العامة ، وقد وصلت اللجنة المذكورة إلى طرابلس في 6 مارس 1948 م ونتيجة لما قام به المؤتمر من جهود جبّارة قبل مجيء اللجنة وأثناء وجودها وتنقلاتها في الدواخل فقد وجدت البلاد متمسّكة بالاستقلال والوحدة والانضمام لجامعة الدول العربية ، ولا شكّ أن ذلك كان نتيجة للدعاية الواسعة النطاق التي قام بها المؤتمر الوطني وعناصره الوطنية المخلصة وهو الأمر الذي بسببه عادت لجنة التحقيق بعد فشلها في تقسيم الغنيمة إلى دولهم ، وقرروا إحالة القضية إلى هيئة الأمم .

وبالرغم من إحالتها إلى هيئة الأمم فقد تقدمت بريطانيا بمشروع «بيفن / سفورزا» الذي ينصّ على وضع طرابلس تحت الوصاية الإيطالية . وبرقة تحت الوصاية البريطانية ، وفزان تحت الوصاية الفرنسية وهنا قام المؤتمر الوطني بعقد جلسة سرية للجنة التنفيذية وكنت من بين أعضائها ، واتخذت عدّة قرارات هامة وخطيرة لمجابهة الموقف ودعت مندوبين من مناطق الدواخل وبحثت معهم لجنة المؤتمر الإجراءات التي سيقوم بها المؤتمر . وقد وافق مندوبو الدواخل بالإجماع على القرارات والتمسك بها مهما كلفهم ذلك من تضحيات ، وكان أوّل هذه القرارات إعلان العصيان المدني في جميع أنحاء طرابلس . وأذيع هذا القرار من شرفة المؤتمر ، وكان من بينها أيضا اتخاذ إجراءات خطيرة ضد الجالية الإيطالية في حالة إقرار المشروع . وفعلا فقد كلّف المؤتمر الأشخاص الذين سيقومون بذلك ، وكنت أحد الأشخاص الذين أسندت إليهم المؤتمر هذه المهمّة .

وبمجرّد إعلان بيان المؤتمر الخاص بالعصيان المدني قام جميع سكان مدينة طرابلس بمظاهرة اشترك فيها الآلاف من جميع طبقات الشعب كلّها ، تهتف بسقوط الاستعمار ومشروع «بيفن / سفورزا» واتجهت هذه المظاهرة الصاخبة إلى

مركز الولاية تتقدّمها اللجنة التي شكلت لإبلاغ الوالي «بلاكلي» بقرار العصيان المعـني بصفة رسمية . وكانت برئاسة «المفتي» محمد أبو الإسعـاد العـالم . وعضوية بوبكر أبو سهمـين وطاهر المريض رحمهما الله ، وأحمد عون سوف ، وأحمد زارم ، وآخرين لا أتذكرهم .

وبالـرغم من أنه كان يـوم أحد وهو عطلة الأجانب . فقد وجدنا الوالي بمكتبه ، وتمت المقابلة ، وأبلغته اللجنة قرار العصيان ، واستمرت المظاهرات بالرغم من تصدي البوليس لها ورميها بالقنابل المسيّلة للدموع ، وقد أصيـب عدد من المواطنين بجروح نقلوا على إثرها إلى المستشفَى ، واستمرت المظاهـرات على شدّتها إلى الساعة السابعة مساء ، أي موعد منع التجوّل . وقد غادر الحاضرة أعيان الدواخل الذين حضروا اجتماع المؤتمر ، وبذلك فقد قامت مظاهرات في جميع المناطق ، وتوالى إرسال البرقيات إلى رئيس الإدارة وإلى هيئة الأمم المتحدة من جميع الأحزاب والنوادي والبلديات والنقابات وغير ذلك . طوال مدّة البحث والتصويت على المشروع في هيئة الأمم .

وفي يوم الإثنين توجهت أنا إلى العزيزية ، وقامت بها مظاهرة ضخمة ، حيث اشترك فيها جميع قبائل العزيزية وسواني بن آدام . وقد ألقيت كلمة من شرفة القائمقامية على الجموع المحتشدة . ثم قصيدة زجلية لجدي محمد سوف والتي مطلعها : [استاحشت بنيادم ورملتْ زاره ، ومدفع شعل كوره عمل غباره] فازداد الحماس وأطلقت الأعيرة النارية . ثم ركبت جوادا ، وتقدّمت السواري ، ومررت بهم بين مزارع الإيطاليين ، وقد كانوا في خوف شديد ، إذ لم يروا مثل هذه الحركة من قبل .

ثم صعدت إلى سيدي رمضان ، ومعي جميع فرسان المنطقة. وعلى حين غفلة جاءني فارس أبلغني بأن المتصرف الإنجليزي قد حضر في القائمقامية ، وحاصرته الجماهير ، فأسرعت إليه فوجدته محاطا بالجماهير من كل جانب ، والهتافات مستمرة بسقوط مشروع «بيفن سفورزا» ومن أغرب ما وجدت ، سيدة من سكان العزيزية وهي طاعنة في السن في حوالي الثمانين من عمرها ، رأسها عار ، وهي تضرب بيدها على مقدمة سيارة المتصرف الإنجليزي وتصيح بقولها : اضربوا الرومي ، اقتلوه ، وبعد انفضاض المظاهرة عدت إلى مقر المؤتمر الوطني بطرابلس فوجدت به الإخوة :

الطاهر المريض ـ أحمد زارم ـ أبو بكر بوسهمين ، وحوالي الساعة السابعة مساء ما نشعر إلّا والسيارات الحكومية ، بل العسكرية المصفحة تحاصر مقر المؤتمر من كل جانب ، وبقينا على هذه الحالة على ما أذكر ثلاثة أيام بدون أكل ، حتّى ليلة التصويت على قضية ليبيا في هيئة الأمم .

وفي سنة 1949 نقلت من «فندق بن غشير» إلى العزيزية ، وبدأت موجة ملاحقة ضد العناصر التي ترى في وجودها تأثيرا أدبيا على جماهير الشعب . وتضيق الخناق على المؤتمر الوطني بصفة عامة وعلى العناصر النشطة بصفة خاصة ، وتشجع (حزب الاستقلال) وتعيين عناصره في المراكز الحساسة المتّصلة اتصالا مباشرا بالشعب . وبالسماح له بفتح الفروع في الدواخل حتّى يضمحلّ المؤتمر الذي التف الشعب حوله تدريجيا لذلك أصبحت الإدارة البريطانية تخشاه ، وتعمل لنفوذه ألف حساب بكل ما لهذه الكلمة من معنًى .

في سنة 1950 م بينما كنت في احتفال أقيم للسيد «بشير السعداوي» بسواني بن آدم إذ جاءني متصرّف المنطقة ، وأبلغني أثناء الإحتفال بقرار نقلي من العزيزية إلى الزاوية الغربية ، حتّى أكون تحت مراقبة متصرّفها «دياكنو» المعروف بشدته وغطرسته ، وهنا بدأت التنغيصات ، مرّة يقولون لي : لماذا جاءك بشير السعداوي..؟ ولماذا تناول العشاء في منزلك..؟ ومرّة لماذا جاءك أحمد زارم..؟ وتارة لماذا تسمح لأحمد زارم بالمرور إلى بئر الغنم؟ وأسئلة كثيرة من هذا النوع ، حتّى قربت أوّل انتخابات برلمانية ، تلك الانتخابات المشئومة في فبراير 1952 م .

ولما كانت الحكومة في ذلك الوقت برئاسة «محمد المنتصر» يهمّها في الدرجة الأولى تحطيم المؤتمر الوطني ، وعدم تمكين أعضائه من النجاح في الانتخابات مهما كلفها الأمر ، وبكل الطرق الممكنة ، وقد أوضحت ذلك للسيد بشير السعداوي مرارا ، ولكنه أصرّ على خوضها مهما كانت الحالة .

ولما كان هذا رأي الحكومة ، بل وقرارها النهائي ، فقد أصبحت لا تطمئن إلى عنصر من عناصر المؤتمر الوطني ، وخصوصا من هو في مركز حسّاس متّصل بالشعب مثلي . لذلك فقد قرّرت الحكومة نقلي من متصرفية الزاوية إلى الداخلية . ولم يسند لي أي عمل ، وحلّ محلّي المرحوم «محمود الخوجة» ومنعت حتّى عن التوجه إلى الزاوية ، وبينما كنت قائما بتسليم الدور إلى المتصرف الجديد ، إذ جاءني موظف من

المتصرفية (نسيت اسمه الآن) ولكن لقبه «أبو حميرة» وبوجود السيد محمد الخوجة. وكان هذا الموظف في حالة تأثر شديد وفي حالة غضب. وقال: (إحنا موظفي المتصرفية) كنا اجتمعنا وجمعنا اشتراكات لإقامة حفلة توديع للمتصرف المنقول لإظهار شعورنا نحوه. وقد طلبنا اليوم وفي آخر لحظة «عبد الرحمن العزابي» قائم مقام الزاوية، وطلب منّا إعادة اشتراكاتنا، وإلغاء الحفلة بمجرد أن الحكومة غاضبة عليه، ولا ترغب ولا توافق على ذلك، خصوصا في هذه الظروف الحرجة، ولأنه أيضا لم يزل متمسّكا بالمؤتمر وبشير السعداوي.

وعند ذلك خرجت من مكتب المتصرف متّجها إلى مكتب القائمقام، وقد وجدت أمام مكتبة جميع موظفي المتصرفية والبلدية وهم في حالة غضب، وفتحت باب مكتبه ودخلت ودخل الجميع، وقلت لهم أمامه وهو واقف في حالة ارتباك: أنا لم يكن لي خبر بهذه الحفلة، وما كنت أرغب فيها أيضا، ولكن عندما علمت بأوامر القائم مقام التي أصدرها لكم اليوم، ها أنا أمامه أبلغكم بقبولي إقامة حفلتكم وفي وسط ميدان الزاوية بالرغم من أوامر القائم مقام. وأوامر من كلفه أو أوعز إليه، وقلت له شخصيا: بلغ هذا لمن أصدر إليك، الأمر فليأت هو بنفسه وينفذ هذا الأمر. ثم وجهت الشكر للموظفين ورجوتهم الانصراف لأعمالهم. وعدت إلى مكتب المتصرف، وطلبت كبير المتصرفين الأستاذ «طاهر باكير» وأبلغته بما صدر من القائم مقام، وقلت له: إن مثل هذه التصرفات لا تهدئ الحالة بل تزيدها تعقيدا على ما هي عليه.

وقد اتّصل كبير المتصرفين بالوالي إذ ذاك «فاضل بن زكري» غفر الله له، وأفهمه بخطورة موقف القائم مقام، وربّما يعتدى عليه من سكان الزاوية، ثم عاد الأستاذ باكير واتّصل بالمتصرف الجديد السيد: «محمود الخوجة» وطلب منه ضرورة إقامة الحفلة، وأنه سيحضرها شخصيا. وفعلا فقد حضر في الموعد المحدّد وألقَى كلمة ثناء وحمل في كلمته على القائم مقام المذكور والذي اشترك مع بقية الموظفين في تنظيم الحفلة. واعتذر على ما بدر منه من تصرفات لا مبرّر لها. ومن الغريب أن حضر للزاوية الوالي ومعه أحد الوزراء. وبقي في شركة الشيخ «منير العروسي» قبل بدء الحفلة إلى أن انتهت، وعقب الحفلة مباشرة غادرت الزاوية بعائلتي.

السيد منصور بن قدارة يطلب مقابلتي

طلبني السيد منصور بن قدارة ، وزير المالية في ذلك الوقت في مكتبه وبحضور سكرتيره عبد الرحمٰن بسام السوداني في مساء أحد الأيام ، وبعد التحية قال : أنا طلبتك اليوم لأفهم حقيقة موقفك ، وما يقال عنك وأنت تعلم الصداقة المتينة بيني وبين والدك ، رحمه الله . وأنت أيضا . فقلت له : لا أشك في ذلك ، تفضل واسأل ما شئت . قال بالحرف الواحد : يقال عنك إنك تلعب على (ستين حبل) ، وتتقاضَى عدة رواتب . فقلت له للأسف : أسئلتك مبهمة وغير واضحة وأرجو قبل كل شيء أن توضح لي (الستين حبلا) ثم الجهات التي أتقاضَى منها الرواتب ، ولماذا حتّى أستطيع الردّ عليك . قال : كنت تتقاضَى الرواتب الآتية :

أولا : راتب من بشير السعداوي .

ثانيا : راتب من الحكومة باعتبارك متصرفا .

ثالثا : راتب من الجمعية التأسيسية .

وأما الحبال فهي باعتبارك ، موظفا في الحكومة يجب أن تكون مخلصا لها .

ثم إنك لازلت ميولك سعداوية ومتمسّك بالمؤتمر الوطني وهذا يتعارض مع عملك ، قال هذا وسكت .

فقلت له : وماذا أيضا ولم تكمل بقية الحبال حيث سبق أن قلت ستين حبلا؟ فقال : هذه كلمة تقال ويكفي ذلك وهنا قلت : الحمد لله . كنت أعتقد في قرارة نفسي أن هناك تهما أخرى ، أسندت إليّ . وأن الحبال هي أجنبية ، أي إنجليزية أو إيطالية ، والآن أجيبك عن الرواتب التي أتقاضاها ، وهي :

أولا : راتبي باعتباري موظفا أسوة ببقية موظفي الحكومة ، وأعتقد أنه معروف لدى الحكومة فهذا لا غضاضة فيه . وما كان يجب أن تسأل عنه .

ثانيا : مكافأة الجمعية التأسيسية أيضا معروفة ، وتصرف لي من الحكومة أسوة برئيسها والوزراء الذين هم أعضاء فيها مثلي ، فإذا تنازلوا عنها وهم الأغنياء ، فأنا أتنازل عنها وأنا الفقير .

ثالثا : وأما قولك أتقاضَى راتبا من بشير السعداوي . فعلى كل حال أنت أعلم بهذا إذا كان صحيحا من عدمه لأنك كنت سكرتيرا لهيئة التحرير ، والصرف كان على يدك وبمعرفتك ، ويمكنك الآن الاتصال هاتفيا «بهوتيل طرابلس» وتسأله عن الديون المتراكمة ، علي بأسباب هيئة التحرير : وما كنت أعلم إلّا الآن منك أنت . أن بشير السعداوي يقوم بصرف رواتب .

وهنا ابتسم وقال : هو السعداوي يعطي شيئا .!؟ فقلت له مادمت تعرف ذلك لماذا تتهمني؟ ولو أني لا أراها تهمة أنا شخصيا لأن السعداوي لم يكن جهة أجنبية . ولوكنت أتقاضي منه أي مبلغ لكنت أعترف به . بل وأفخر بذلك ، ولي الشرف أن أوضح لك موقفي من بعض الحبال الأجنبية حسب تعبيركم ، والتي لم تتعرض لها حضرتك وهي :

أولا : الإدارة البريطانية قد عرضت على الإشتراك في حكومتكم قبل تشكيلها ، ورفضت ذلك رفضا باتا ويمكنك الرجوع إلى رئيس الحكومة . السيد محمود المنتصر فهو يعرف ذلك جيّدا .

ثانيا : ممثل إيطاليا «ڤالمبيرتو» زارني في مكتبي في فندق بن غشير ، وطلب مني الوقوف على الحياد وعدم التحريض على المظاهرات ، ضد مشروع «بيفن سفورزا» وأنه مستعد لكل ما أطلبه .

أما الحبلان اللذان ذكرتهما لي ، وهما حكومتكم ، وتمسّكي كما قلتم ببشير السعداوي . فأنا لا أعتبرهما حبالا كما تعتبرونهما أنتم ، ثم قل لي من فضلك : هل الأسئلة السابقة منك أنت شخصيا ..؟ أنا لا أعتقد ذلك وإذا كانت من الحكومة فأنا أنتظر منها أكثر من ذلك ، وأعلم أيضا أن بين أعضائها من هم ضدّي ويسعون لتحطيمي بكل الطرق الممكنة . وهنا قال السيد منصور قدارة : أنا تصادمت معهم عدّة مرّات بشأنك ، بل بعضهم طالب باعتقالك ، وهذه هي الأسباب التي طلبتك من أجلها للوقوف على الحقيقة منك مباشرة ، والآن لا يهمّك سأقف لهم بالمرصاد ولا تخشَ شيئا ، فشكرته على شعوره الأخوي .

إبعـــادي إلى نالـــوت

قرّرت الحكومة نقلي إلى نالوت ، وإبعادي على مدينة طرابلس الّتي مازالت المظاهرات مستمرة بها ضدّ الوضع القائم . وضد الانتخابات المزيفة الّتي ضاع ضحيّتها عدد من المواطنين ، وذلك عدا الذين زجّ بهم في المعتقلات والسجون . وقد اعترضت على قرار النقل لأنه مخالف لقانون الخدمة المدنية بالنسبة إلى درجتي « الثانية » ومتصرفية نالوت درجتها الثالثة ، وعندما علم الأخ سالم شرميط بذلك جاءني وسألني عن أسباب امتناعي عن تنفيذ قرار النقل فأوضحت له الأسباب . فقال لي : لك كل الحق ، وغدا نتقابل الساعة السابعة مساء ونذهب سويا إلى منزل فاضل بن زكري ، وإلى طرابلس ، ونفهمه الحقيقة ونأمل منه أن يعدل قرار النقل .

التقينا في الموعد المحدّد ، وذهبنا سويا إلى منزل الوالي ، وبدأ معه الحديث الأخ سالم شرميط ، فقال الوالي : أنا ليس لي مانع . وأتمنّى أن يتعاون معي في هذه الظروف الحرجة ، ولكن غدا محمود بك المنتصر رئيس الحكومة سيسافر إلى باريس . وتنتظرني في الرياسة الساعة العاشرة صباحا . وفي الموعد تقابلنا أمام مكتب رئيس الحكومة ودخلنا سويا . وطلب الوالي من الرئيس عدم نقلي إلى « نالوت » ريثما تعودون من رحلتكم . وأنا أودّ أن يبقَى معي هنا . وردّ عليه رئيس الحكومة بقوله : أوافق على تأجيل أمر النقل . وبعد عودتي سأنظر في الموضوع . ثم التفت إليَّ رئيس الحكومة وقال : يا سي أحمد الدولة ليست مهزلة حتّى يعبث بها المؤتمر ، وهذه مسئولية ومصير وطن (موش لعب) ، وأنا لو (نبّي ناخذ كلام زملائي راك من مدّة في الاعتقال لكن أنا موش راضي تقديرا لمكانة والدك وأسرتك) ولذلك لم نأخذ برأي زملائي ، الوزراء . وهنا قلت له أنا جئت إلى مكتبك بناء على طلب الوالي ورغبته ولو كنت أعلم أنه جاء بي إلى هنا لغرض التهديد والوعيد ما كنت جئت أبدا وعلى كل حال جميع السلطات في يدكم اعملوا ما تريدون ، والأمر لله وحده . قلت هذه الجملة ، وغادرت مكتبه .

عـودة رئـيس الحكومـــة

عاد رئيس الحكومة من رحلته إلى باريس ، وبمجرد عودته طلبني الوالي . ولما حضرت بمكتبه إذا بلهجته قد تغيّرت عن السابق ، وأبلغني بضرورة تنفيذ النقل فورا

وبتخفيض درجتي من الثانية إلى الثالثة بموجب الرسالة رقم : س / 30 / د / 2 / 35 وتاريخ 27 فبراير 1952 م . نص الرسالة : «كلفت بأن أثبت الإشعار الشفوي المعطى لكم اليوم . وذلك بأن ترقيتكم إلى الدرجة (2) لم تكن ثابتة ، واعتبارا من تاريخ (1) مارس 1952 . ستعاد إلى الدرجة الثالثة» .

هذا الإشعار الشفوي الذي أشار إليه مدير شئون الموظفين في رسالته ، هذه هو الذي أعطى إليَّ من طرف الوالي في مكتبه ، وقد ناولني الرسالة ، وكان في حالة عصبية . فقلت له : هدئ أعصابك ولا تجزع ، وأنا أنفذ قرار النقل ، وقد سررت جدا بهذه الرسالة . وسأحتفظ بها طول حياتي ، وأعتقد أنك أنت الذي طلبت من الرئيس تأجيل النقل . بل إلغاءه . وكنت قبل عودة رئيس الحكومة بناء على نصيحة من المرحوم «علي القره مانلي» الذي اجتمع مع الوالي بشأني ، وفهم منه أن هذه المضايقات القصد منها إحراجي إلى حالة تدفعني إلى تقديم استقالتي ، ثم اعتقالي لأن القانون لا يسمح باعتقال موظف .

ومن ضمن ما قاله لي «علي القره منلي» رحمه الله : أرجوك ألا تعطي لهم الفرصة ـ وخرجت من مكتب الوالي ، واتجهت إلى مكتب مدير شئون الموظفين ، وقلت له : أريد أن أفهم بأي قانون اتخذتم هذا القرار ... الذي خفضتم بموجبه درجتي المكتسبة بنص القانون . ثم قولكم في رسالتكم لم تكن ثابتة . هل أبنتم في قرار الترقية أنها مؤقتة ..؟!

وهل يوجد في قانون الخدمة المدنية درجات ثابتة وأخرى غير ثابتة ..؟ فأجابني بقوله : ـ أنا أشرت لكم بأني كلفت . ولم أستند على أي قانون . ومعنى ذلك أنها ليست قانونية ، وقد اعترضت على هذا الإجراء ، ولكن الوالي أصرّ : وأنصحك بالتنفيذ ، وذلك لمصلحتك .

كيـف تمّ تشكـيل الجمعـية التأسـيسية؟

ولمـاذا عـدّل قانـون الانتخابـات؟

من مفـكّرة سـالم المـريض

ذكرت في غير هذا المكان من هذه الذكريات أنني حينما عزمت على تدوين ما يمكن لي الوصول إليه من تلك الحوادث التي وقعت في خلال سنوات حكم الإدارة البريطانية في البلاد الليبية من يناير 1943م إلى فبراير 1952 سواء ذلك ما بقي عالقا بذاكرتي ، أو ما قد أجده عند بعض الإخوان . كوثائق خطية أو (فوتوغرافية) أو ما احتفظت ذاكراتهم به من الذين شاركوا في تلك الحركة أو عاصروها ، وهم مدركون .

وهنا أرى أنه من الواجب أن أسجل هنا اعتذاري مقدما لما قد يتبادر للأذهان فأقول : إنني وإن كنت من عناصر هذه الحركة المعدودين ، ومتفرغا لها داخل البلاد من يناير 1948 إلى فبراير 1952 . كما أنني من المتفرغين لها تلقائيا كواجب وطني في متابعة حوادثها ورصد تحركاتها من الخارج منذ أول اجتماع عقده الحلفاء عند انهيار المحور في الحرب العالمية الثانية سنة 1945م .

ومع هذا الالتزام المتواصل فإن ذاكرتي عجزت عن الاحتفاظ بكل تلك الحركات والتطوّرات التي وقعت خلال تلك المدّة . ولعلّ ذلك كان بسبب عوامل مؤثرة منها طول المدة التي تفصلنا عن تلك الأحداث ، وهي أكثر من ربع قرن . مع تلك المعاملات السيئة التي عوملنا بها من طرف مواطنينا (وظلم ذوي القربى ...) والصدمات التي تلقيناها من هذه الإدارة وعملائها . ثم كانت ثالثة الأثافي وهي : ضياع كل ما سجلته في حينه من أحداث وتطوّرات تلك الفترة حيث عبثت بها أيد ليبيّة وصولية ، مات فيها الضمير ، وانعدم منها الوجدان ، حينما اقتحموا مقرّ المؤتمر بسبب ذلك الإبعاد المفاجئ . ولقد فعلت هذه الأيدي ما عفّ عن فعله الأجنبي ! !

قلت آنفا : إنني حينما عزمت على تدوين ما يمكن الوصول إليه من تلك الأحداث رأيت أن ذاكرتي لم تحتفظ بأكثر تلك الحوادث ، عندئذ تبادر لي أنه من المفيد في الموضوع الالتجاء إلى مساعدة من بقي من الإخوان الذين كانوا في طليعة الحركة الوطنية آنذاك ، ولازموها إلى آخرها وهم من العناصر الواعية التي تقدر

مسئولية ما يصدر عنها ، وتحافظ على نقاوة التاريخ ما أمكنها ، هذا ظنّي بهم . وعلى كل فإن كلامهم المنشور هنا والذي نشر كما كتبوه بأقلامهم هو الذي يحكم بصحة ظني أو بطلانه . عمدت إلى هذه الطريقة ، طريقة مساعدة الإخوان لي بما لديهم ، لأنني رأيت أنني من هذه الطريق سوف أصل إن شاء الله إلى الإحاطة بجانب كبير من تلك الأحداث المطلوبة للتسجيل ، هذا إذا ما استجاب لي كل الإخوان الذين طلبت منهم ذلك «وعلى كل ما لا يدرك كلّه لا يترك أقله» .

ولقد كان من بين الإخوان الذين طلبت منهم المساعدة الأخ «سالم محمد الصغير المريض» أو سالم المريض كما يعرفه المجتمع الليبي اليوم طلبت منه أن يمدّني بما لديه ، نظرا لمكانته في الحركة الوطنية ، ثم إنه صار عضوا من أعضاء اللجنة التحضيرية : (لجنة الواحد والعشرين) ثم انتقل مباشرة إلى عضوية الجمعية التأسيسية ، أو جمعية الستين كما كان يسميها الشعب آنذاك .

إن هذا الرجل ، نظرا إلى وضعه في الحركة الوطنية ، وإلى وجوده كعضو في المؤسسات الدستورية ، ثم استمراره في تأييد الحركة الوطنية بوضوح ، أي بدون تستر حتّى بعد زوابع الانتخابات ، وإبعاد مجموعة من عناصر المؤتمر إلى خارج الوطن ، وسجن البعض ومطاردة آخرين ، نظرًا لذلك كلّه تبادر لي أنه لا بدّ أن تكون لديه معلومات هامّة وصحيحة في الموضوع . وعلى هذا الأساس طلبت منه أن يزوّدني بما لديه ، وكان طلبي منه شفويا فاستجاب لطلبي مشكورا ، ومدّني بمعلوماته تحريريا . وأنا أنقلها كما هي بقلمه .

وقبل أن أتحول إلى تقديم كلمته ، أودّ أن أشير بكلمة مختصرة إلى حقيقة اللجنة التحضيرية هذه ، أو لجنة الواحد والعشرين . وإن كان سيأتي الكلام عنها في فصل آخر من هذه الذكريات ، تحت عنوان (قضية المستعمرات الإيطالية أمام هيئة الأمم) أقول : هذه اللجنة كانت نذير خراب وقع . وانطلاقة لصولة الباطل والظلم الذي ارتكب . فهي المسئولة عن انتكاسة مسيرة الحركة الوطنية ، وما آلت إليه بعد ذلك من التشتت . حتّى وإن كانت هذه الحركة قد حققت أهدافها العليا كاملة ، وليست مسئولة عن ضياع الهدف بعد الحصول عليه .

فأقول : إن هذه اللجنة لم يتضمّنها قرار هيئة الأمم المتحدة باستقلال ليبيا ووحدتها . وإنما اخترعها مندوب هيئة الأمم «بلت» الهولاندي الاستعماري ،

بالاتفاق مع الإدارة البريطانية ، وعناصر ليبية يعملون بوحي من الإدارة ، ولا يعصون لها أمرا .

فحينما تشكلت هذه اللجنة أعلنت عن نفسها أنها وجدت لشيء محدود هو التمهيد لقيام «الجمعية التأسيسية» وهل يكون أعضاؤها بالانتخاب أو بالتعيين . وفيما يختص بتمثيل السكان في الجمعية ، هل يكون بالتساوي بين الأقاليم أو بنسبة السكان؟ وأخذ رأي الشعب في ذلك والأخذ برأي الأكثرية ، هذه هي مهمّتها التي أعلنوها ليس إلّا .

ولكن بعد أن وجدت هذه اللجنة تجاوزت صلاحياتها ، واغتصبت لنفسها التصرّف المطلق ، فشكّلت الجمعية التأسيسية . أو (جمعية الستين ...) كما كان الشعب يسميها . كما تشاء ، وكما تصرفت في الأعضاء ، فأبعدت من لا ترغب فيه ، وأبقت من أرادت وجوده ، وفرضت تساوي الأعضاء في الجمعية بين الأقاليم بصرف النظر عن عدد السكان .

هذا وفيما يلي ما تفضّل به الأخ سالم المريض :

بسم الله الرحمن الرحيم

من مفكّرتي

في صيف سنة 1950م إذا لم تخنّي الذاكرة في شهر سبتمبر ، وفي يوم من الأيام ، أيام ذلك الشهر أتاني الأخ عبد العزيز الزقلعي إلى ترهونة قادما من طرابلس على متن سيارة هيئة الأمم المتحدة التابعة لمبعوث هيئة الأمم المتحدة الليبية ، وطلب منّي أن أرافقه إلى طرابلس ، حيث تم تعيين الهيئة التحضيرية المكوّنة من واحد وعشرين عضوا على أساس أقاليم ليبيا الثلاثة ، وكنت من الأعضاء الذين شملهم التعيين ، على أساس التساوي بين الإقليم ، دون النظر إلى عدد السكان .

ومن هنا تبيّن لنا أن الوضع سائر إلى طريق الإتحاد بين الأقاليم الثلاثة ، توجهت برفقته إلى طرابلس ثم إلى مقرّ الهيئة في «الفندق الكبير» الذي اتخذته مكانا لها ، فاجتمعت أوّل اجتماع لها برئاسة المستر «بيلت» حضره جميع الأعضاء ، وأبلغنا المندوب بالمهمة التي شكلت من أجلها ، ثم انتهى الاجتماع الأول ، ثم توالت

الاجتماعات للغرض الذي شكلت من أجله ، وهو : كيفية الوصول إلى تكوين جمعية تأسيسية لإصدار دستور البلاد وشكل نظام الحكم ، هل يكون بالانتخاب أو بالتعيين ؟

وفي الحقيقة إن الانتخاب مرفوض من قبل حزب المؤتمر الوطني العام الذي يملك الأكثرية الساحقة خوفا من تدخل الإدارة بالتلاعب والتزوير ، وذلك لأن القطيعة بلغت أقصى حدها بين الإدارة البريطانية ورئيس المؤتمر بشير السعداوي رحمه الله .

هذا ، وبعد أن تم الاتفاق بين السيد بشير السعداوي ومبعوث هيئة الأمم المتحدة حيث لم يكن مفر من الموافقة على الاتحاد بين أقاليم ليبيا الثلاثة (طرابلس - برقة - فزّان) وذلك بفعل التفرقة التي خلقها الاستعمار وسيطرته على الأجهزة الحكومية في كل من برقة وفزان ، وتوجيهها حسب رغبته السياسية ، وقد ذكرتني هذه الحالة بما تم في أحد البلاد العربية بعد استقلالها، حيث كان أحد رجالها الوطنيين مبعدا عن بلاده لمواقفه الوطنية . ثم بعث برسالة إلى أحد أصدقائه يسأله عن حالة البلاد فأجابه : «بأن الذين كانوا في المخابرات الفرنسية الآن أصبحوا قضاة وقائمقامين وفهمك كفاية» والتاريخ يعيد نفسه ، فما كان من السيد بشير السعداوي بعد أن أعيته الجهود في تكوين الوحدة السياسية الشاملة ، وبعد أن تم تشكيل الهيئة التحضيرية الآنفة الذكر ، إلّا أن دعانا للاجتماع في مقر المؤتمر الوطني العام وأدلى بالتصريح الآتي : [إن حق طرابلس في الجمعية التأسيسية عشرون عضوا ، وحق المؤتمر إثنا عشر عضوا . والثمانية الآخرون بين مختلف الأحزاب . ثم قال : هذا ما أمكنني التوصل إليه مع مندوب هيئة الأمم والإدارة البريطانية ، وأنا مسافر إلى القاهرة ، وندعو لكم بالتوفيق].

ثم توالت اجتماعات الهيئة التحضيرية برئاسة الشيخ المفتي ، وفي إحدى الجلسات أخبرنا الرئيس بأن قائمة تعيين أعضاء برقة وفزان قد وصلت بينما قائمة تعيين أعضاء طرابلس ، ولازلنا في انتظارها . وذلك لأن الشخصية الاعتبارية التي تملك حق التعيين لأعضاء طرابلس لم تستكمل بعد ، ثم رفعت الجلسة على أن تستأنف فيما بعد .

وفي صباح اليوم التالي وأنا بمحل إقامتي بفندق طرابلس الغرب بشارع عمر المختار جاءني «النادل» وقال لي : مطلوب على الهاتف ، قمت ، وكان المتكلم المرحوم

«خليل قلال» و«عمر شنيب» في مكتب سكرتير الإدارة البريطانية المستر (جريتوريكس) وطلبوا مني الحضور إلى المكتب المذكور لأمر ضروري ، وفي الحال لبيت الطلب وانتقلت للمكتب المذكور ، فوجدت الإخوة المرحومين ، ودار بيننا الحديث حول تعيين أعضاء منطقة طرابلس وإيجاد حلّ سريع لاستكمال إجراءات التعيين بالطرق المشروعة أسوة بما تم في برقة وفزّان .

وقد أجبتهم بدوري بأن الذي يملك تعيين أعضاء برقة ، يملك حق تعيين أعضاء طرابلس . هو إدريس فأجابو الثلاثة بمن فيهم السكرتير المذكور بأن إدريس لا يملك حق التعيين لأعضاء طرابلس ، لأنه لم يكن الحاكم لإقليم طرابلس في الوقت الحاضر فقلت لهم : إذن الذي يملك حق التعيين المستر (بلاكلي) والي طرابلس .

وفي الحال قام السكرتير المذكور لنقل الحديث الذي دار بيننا إلى الوالي ، ورجع في الحال ، فأجبت بأن الوالي بدوره ليس من اختصاصه ، وخارج عن صلاحياته تعيين أعضاء المجلس التأسيسي ، هذا ، وقد تكرر اللقاء بيننا مرة أخرى بالمكتب الآنف الذكر ، وكانت المرة الثانية باشتراك الشيخ المفتي ، ودار النقاش حول الموضوع نفسه . وقد فهمت أن النقاش يدور حول إعطاء صلاحية التعيين لأعضاء طرابلس لينتخبوا من بينهم من يقوم بهذا الواجب . والمؤهل للقيام بهذا الواجب طبعا هو الشيخ المفتي ، ثم اتفقنا على طرح الموضوع في جلسة قادمة للنقاش ، والتفاهم مع الأعضاء حول الموضوع .

ثم عقدت الجلسة في ميعادها المحدّد ، ودار النقاش حول الموضوع نفسه ، فطلبت إيقاف الجلسة مهلة من الوقت للتداول فيما بيننا نحن أعضاء طرابلس ، وكنا خمسة أعضاء [عبد العزيز الزقلـعي ـ أبو الربيع الباروني ـ أحمد عون سوف ـ سالم المريض ـ علي رجب] فاختلينا برهة من الوقت ، اتفقنا فيها على توكيل الشيخ المفتي «محمد أبو الإسعاد العالم» مفتي ليبيا ونائب رئيس المؤتمر الوطني وعضو الهيئة التحضيرية بأنه مفوض من طرفنا بصلاحية لتعيين أعضاء الهيئة التأسيسية عن إقليم طرابلس ، ثم عدنا إلى الجلسة من جديد ، وأبلغنا المجلس بما اتفقنا عليه .

قد نال هذا الاقتراح الاستحسان في المجلس . ثم قام الشيخ المفتي ، وشكر الأعضاء على هذه الثقة التي أولیناه إياها . كما طلب منّا أن نكون في عونه لإنجاز هذه المهمة الصعبة ، والله أدعو أن يوفقنا لخير وطننا العزيز ، ثم قام بالمهمة الخاصة بتعيين

الأعضاء ، ومن المعمول به حسب رأي المؤتمر أن أعضاء الهيئة التحضيرية يعتبرون أعضاء طبيعيين في المجلس التأسيسي .

ثم توالت القوائم على مكتب الشيخ المفتي من الأحزاب بأسماء الأشخاص المطلوب تعيينهم ، وبعد مشاوراته ومداوراته واتصالاته بالإدارة وبعض رؤساء الأحزاب أعلن المجلس بأنه قد فرغ من إعداد القائمة ، وحدّد يوما لإعلان النتيجة ، وكان الجو متأزما ومشحونا بالأحقاد . فقمت وطلبت تأجيل إعلان النتيجة إلى فرصة أخرى . وفي الإمكان أن يطلبنا هاتفيا في أي وقت يراه الرئيس ، وقد نال اقتراحي هذا الموافقة ، ورفعت الجلسة على أن تستأنف في وقت لاحق بدون أجل مسمّى .

ثم انفضت الجماهير التي كانت تترقّب إعلان النتيجة أمام المجلس . وبعد يومين اتّصل بنا هاتفيا لحضور الجلسة ، وكان مساء فانعقدت الجلسة بحضور جميع أعضاء الهيئة ، وطرحت القوائم الحاوية لأعضاء المجلس التأسيسي عن أقاليم ليبيا الثلاثة ، فنالت الموافقة بالإجماع ، ثم انتهت الجلسة بختام مهمة الهيئة التحضيرية التي شكلت من أجلها .

هذا ، وعند عودتنا من الجلسة المذكورة عرجنا على مكتب المؤتمر الوطني ، وكان برفقتي الأخ أحمد عون سوف . فوجدنا بعض أعضاء المؤتمر مجتمعين ، فواجهونا بمعارضة شديدة حول تعيين بعض أعضاء طرابلس ، لأن بعضهم لم يكن في القائمة التي بعث بها المؤتمر إلى مكتب رئيس الهيئة . ثم أصروا على المعارضة ، وأبرقوا باحتجاجهم إلى مكتب هيئة الأمم المتحدة . وإلى السيد بشير السعداوي في القاهرة ، فأجبناهم بأن مهمّتنا انتهت بتعيين اثني عشر عضوا من المؤتمر كما أشار بذلك رئيس المؤتمر عند اجتماعه بنا في هذه القاعة .

ثم سافرت إلى القاهرة في صبيحة اليوم التالي على متن الطائرة (سعيدة) وغداة وصولي ذهبت إلى السيد بشير السعداوي فوجدته بالمقهى الكائن بميدان إبراهيم باشا ومعه الدكتور شكري ، وعند وصولي رحّب بي كثيرا . ثم سألني عن أحوال البلاد ، وما تم فيها من أعمال فقدمت له القائمة المشتملة على أعضاء طرابلس . ثم قدّمت له القوائم التي تشتمل على أعضاء الأقاليم الأخرى ، فابتهج بهذه النتيجة التي توصلنا إليها ثم قال : سأبرق إلى المفتي لأهنئه وأشكره على المجهود الذي تكلّل بالنجاح ، ثم

قلت له : هناك معارضة شديدة من أعضاء المؤتمر حول تعيين الأعضاء ، ومن ضمنهم ابنك (عبد الحميد) وآخرون وإذا كنت غير موافق على هذا الإجراء فأنا مستعد أن أتنحّى من هنا أمامك وبكل سرور فكرر أنه موافق ، وسيبرق للمفتي بالتّهنئة ، ثم قال وأنا مسافر بعد أيام قليلة وأنت إذا فرغت من تفقد أحوال عائلة المرحوم الطاهر المريض لا مانع من أن نسافر سويا ، وفي هذه الفترة كان موجودا بالقاهرة المرحوم (منصور بن قدارة) و «الشيخ الهادي الرويمي» ونزلنا بفندق بمحطة الرمل ، وكان منصور بن قدارة قد سبقنا إليه وفي أحد الأيام اتّصل بنا الأخ منصور بن قدارة وقال لنا : إن الزعيم شكري القوتلي رحمه الله يوجد بمحل إقامته في الإسكندرية ، ولا مانع إذا قمنا بزيارته سويا ، ثم حدّد لنا الوقت وكان مساء الغد .

وقد كانت هناك محاولة من طرف «عبد الرحمن عزام» و «شكري القوتلي» لإزالة الخلاف الواقع بين أمين الجامعة العربية ـ والسيد بشير السعداوي بخصوص الوضع السياسي في ليبيا ، فذهبنا سويا في الميعاد المحدّد للزيارة ، فاستقبلنا الزعيم رحمه الله ورحّب بنا ترحيبا عربيا صادقا ، ثم قال لنا : إن الأخ بشير السعداوي زارني بالأمس ، وعاد إلى القاهرة في نفس اليوم معتذرا بانشغاله بإعداد السفر إلى ليبيا ، وفيما يتعلق فيما بينه وبين أمين الجامعة العربية قال لي : إنه مستعد أن يوقع لي على بياض ، ويضع نفسه رهن تصرفه . أي : تصرف الزعيم شكري القوتلي . وقد أوضح له أسباب الخلاف بينهما .

وبينما نحن في هذا الحديث والسؤال عن أحوال الوطن إذ فاجأنا «عبد الرحمن عزام» أمين الجامعة العربية بالحضور إلى منزل الزعيم القوتلي . فكأنه على موعد من هذا الاجتماع ، وبعد التحية والسلام وجه الحديث نحوي قائلا : أنت عضو في الهيئة التحضيرية ، وبشير السعداوي يتناولني بالتجريح في وسط مجتمع متكوّن من عدّة آلاف من المواطنين ، فماذا جنيت حتّى أستحق هذا التشهير؟! ألست الوحيد الذي أسمع الرأي العام العالمي وبعث قضية ليبيا إلى الحياة . كما حاولت بشتّى الوسائل حتّى أوصلتها إلى مسامع الملك فاروق؟ ثم إنني الآن أصبحت مكتوف الأيدي أمام وزارة الخارجية المصرية حيث اتهمني بشير السعداوي ، ونسب لي عرقلة المساعي الموصّلة للهدف المنشود .

فعقبت على قوله بأن من المواطنين من استنكر الخطاب الذي تناول فيه السعداوي نقد سياسة أمين الجامعة العربية في ليبيا ، منهم من احتجّ واستنكر وانسحب من الاجتماع ممّا سبّب تصدّعا في صفوف المواطنين ، ثم إن هيئة تحرير ليبيا كوّنتها الجامعة العربية بمعرفة أمينها العام «عبد الرحمن عزام» الذي يتمتع بسمعة طيبة وتاريخ مشهور في ليبيا ، كما أنه ملمّ بمعظم رجالها البارزين ، وكان لاختياره أعضاء هيئة تحرير ليبيا أطيب الأثر في نفوس المواطنين ، بالإضافة إلى تعيين «بشير السعداوي» رئيسا لها . فأجابني بقوله : أنا لم أعين السعداوي رئيسا لها فقلت : ولكن الشعب استقبله ، وألقى إليه مقاليد الرئاسة .

هذا ، وقد أصبحت زعامة السعداوي ضرورية ، ولا يمكن التخلي عنها في الوقت الحاضر ، خصوصا في هذه الظروف الصعبة التي تجتازها البلاد ، وأما ما يتعلق بالمسائل المادية الأخرى فليست مهمة في الوقت الحاضر . فالحرص على وحدة الصف والسير بالقضية إلى الهدف المنشود أجدر وأهم في هذا الوقت العصيب ، ثم انتهى بيننا الحديث فاستأذنّاه للإنصراف . وودّعنا المرحوم شكري القوتلي ودعا لنا بالتوفيق والنجاح في خدمة البلاد .

وفي العودة إلى القاهرة أنا والرّفقاء وجدنا المرحوم «بشير السعداوي» على أهبة السفر إلى طرابلس فصرّح لنا بأن العلاقة ليست على ما يرام بينه وبين (أمين الجامعة) بسبب تدخّله حول الشخصية التي ستتولى الحكم في ليبيا .

وبعد إعلان الدستور في يوم 24 ديسمبر 1951م عكفت الهيئة على إعداد قانون الإنتخابات ، وبعد الفراغ من صياغة ومناقشة مادّة مآة نال الموافقة بالأغلبية الساحقة . وكانت الجلسة الختامية لقانون الانتخابات ، وفي الحقيقة كان في مجمله مشتملا على جميع الحقوق للناخبين كأحسن قانون مثالي من نوعه ، كما كفل للعضو المرشح النزاهة والبراءة من السوابق ، بالإضافة إلى السمعة الحسنة والإلمام بالقراءة والكتابة وقد تم إقراره بالموافقة الاجتماعية من قبل الهيئة في صيغته النهائية .

وفي صبيحة اليوم الثاني جاءني الأخ «علي ثامر» بالفندق المقيم به وأعلمني بأنني مدعو غدا لحضور الجمعية لإعادة النظر في قانون الانتخابات من جديد . فاندهشت لهذا النبأ الذي كان له أسوأ الأثر في نفسي . وفي الصباح ذهبنا إلى المجلس حسب الطلب فوجدت المجلس منتظما برآسة الشيخ المفتي وافتتحت الجلسة فقال الرئيس

سنعيد النظر في قانون الانتخابات . فأجبته أنا بقولي : أعتقد أن قانون الانتخاب فرغنا منه بالأمس ونال الموافقة الجماعية فَلِمَ هذه الإعادة ..؟ أيا الإخوان فوجدت المؤيدين ـفانون بالأمس كلّهم سكوتا ولم يقم أحد لمؤازرتي في هذا الموقف فأعلنت انسحابي ، وخرجت من الجلسة محتجا ، ثم صدر القانون الممسوخ الذي صاغوه حسب رغبة الحكومة والإدارة مجردا ، وليس به أي حق من حقوق الناخبين والمرشحين كما هو معروف لدى جميع المواطنين . بل فتح باب التزوير على مصراعيه ، فأعدّ السجلات لهذه الغاية ، فما لزيد لعمرو ، وما لزيد شيء .

ثم أعلن اليوم المحدّد لإجراء الانتخابات بعد تقسيم الدوائر ، ومراكز الاقتراع ، وتعيين مراقب للانتخابات هو : « الشيخ محمود عمر المسلاتي » وكان اليوم المشهود « فبراير 1952 » وقسمت ترهونة بين دائرتين ، شرقية وغربية ، وكل دائرة مقسّمة إلى مراكز للاقتراع ، فترهونة الشرقية لها مركز اقتراع بترهونة المركز . وآخر في الداوون . وكان مرشح المؤتمر لهذه الدائرة « عبد السلام المريض » ومنافسه « أبو بكر بونعامة » من حزب الاستقلال . وكان الجو مشحونا بالحماس والغليان ممّا ينذر بعواقب وخيمة ستحلّ بالبلاد . مع العلم بأن أنصار حزب الاستقلال أقلية بسيطة جدًا ، ولكنها مؤيّدة من السلطة بسلاح التزوير . وبما أنني حريص على ألّا تسفك دماء بين المواطنين قد تؤدي إلى عداوات وثارات بين القبائل ممّا لا تحمد عقباه .

حاولت بدوري ، وصممت أن أقف حائلا دون أي اصطدام بين المواطنين ، ونظرا لأن منطقة « الداوون » حساسة جدا انتقلت إليها لأنوب عن المرشح في هذا المركز . وكان هذا المركز يشتمل على ألفين وثمانمائة ناخب . وأوصيت بعض الإخوان بمركز ترهونة بألّا يستعملوا العنف ، ولكن انفلت منهم الزمام ، وأطلقت بعض العيارات النارية على مركز الاقتراع على جماعة المؤتمر وتوقف الانتخاب عدّة ساعات بهذا المركز .

وقبل إطلاق النار استعمل المواطنون الحجارة ، ودافعتهم الشرطة بالقنابل المسيلة للدموع ، فجرح بعض المواطنين من جرائها ، ثم توقف العمل بمركز الاقتراع ، كما قلت بعض ساعات وفي هذه المناسبة قال بعض الشعراء الزجالين وهو المرحوم علي بن عبد الرحمـٰـن السامح :

نهار ثمنطاش منين ناديتونا جينا جراري حسب لمتثالي نضتو فوسط الصلح درتو خونه

ظهر ساسكم مبني على اختلال ظهر ساسكم سقاطه لاش تكذبوا بالكذب يا غواطه

لوكان كلّ واحد بندقه واحلاطه غير بالحجر درنالكم شماطة
راهي عليكم مايلا لسعدالي
رحتواها يا جرى على الضلالي

أما الداوون فلم أترك الزمام يفلت من يدي ، وكان عدد الناخبين كما قلت آنفا في هذا المركز ألفين وثمانمائة حضر منهم من أنصار المؤتمر ألف وثمانمائة ناخب وكان (علي بن عمر) افحيج متمركزا بالشعبة المقابلة فجمعت كل الناخبين أنصار المؤتمر في مكان واحد ، وطلبت منهم أن يلتزموا الهدوء حتّى نأمرهم بالعمل ، وفي كل لحظة يزداد الحماس . منهم من يريد أن يهاجي ويقتحم مركز الاقتراع والفتك بأنصار حزب الاستقلال ، وهناك « افحيج » في كل لحظة يبعث لي أحد أنصاره يطلب الإذن بالعمل .

ومن الجدير بالذكر أن لدينا ما يقارب مائتي مسلح في انتظار البدء بالعمل ، ثم جاءني ضابط المركز ، وقال : سنبدأ العمل بعد فوات الوقت المحدّد ، فقلت له : نحن مقاطعون الانتخابات ، حيث إن العدالة مفقودة ، ولا يمكننا المشاركة في هذه الانتخابات الظالمة ثم دعوت الناخبين إلى جمع أوراقهم الخضراء كلّها ووضعها في أكياس ، وذهبت بها إلى مركز ترهونة حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكان مجموعها ألفا وأربعمائة بطاقة ، ثم حذا حذوهم مركز اقتراع ترهونة ، وكان المجموع الكلي أربعة آلاف وأربعمائة بطاقة ، فذهب مرشح المؤتمر وبعض أنصاره لطرابلس للاحتجاج بها لدى رئيس المؤتمر ومكتب هيئة الأمم المتحدة . وهذا بناء على اقتراح صادر مني أنا لنبعد الشرّ الذي كان يحيط بالبلاد ، وبعد الانتهاء من هذه العملية أعلنت حالة الطوارئ ، ومنع التجوّل .

تركت هذه الانتخابات الكثير من المشاكل في نفوس الشعب الليبي، وتركت الكثير من الآثار على مستقبله السياسي. وقد أسعفتني القريحة في ذلك الوقت بقصيدة طويلة ذهبت كلّها من ذاكرتي، ولم يحضرني منها إلّا أربعة أبيات هي :

خلقوا النيابة واستباحوا حقها لمآرب أوحَى بها الضرغام
ملأوا بأشلاء الضحايا بطنهم واستمرأو بيع النفوس وهانوا
قد يستمر ريثما يتقدم جونبول عن مكر له وأحكام

* * * *

قضيّة المستعمرات الإيطالية السّابقة أمام هيئة الأمم المتّحدة

أشرنا فيما تقدّم من صفحات هذه المذكّرات بصورة مختصرة إلى مطامع الدول في الاستحواذ على المستعمرات الإيطالية السابقة. وبصورة خاصة «ليبيا» التي تقدر لها هذه الدول مستقبلا استراتيجيا هاما بالنسبة لها، أي لهذه الدول في حالتي الحرب والسلم. وقد تواصلت اجتماعات ومساعي وتصريحات هذه الدول وتعدّدت المناورات، كل منها تودّ أن تفوز بنصيب الأسد من هذه التركة وقد انحصرت وجهات نظر مختلف الدول «ظاهريا» في خمسة حلول : أو اتجاهات. هي :

1 ـ وضع المستعمرات تحت وصاية دولية.
2 ـ وضع المستعمرات تحت وصاية جماعية.
3 ـ وضع المستعمرات تحت وصاية فردية.
4 ـ منح المستعمرات الاستقلال التام.
5 ـ إعادة المستعمرات كلّها أو بعضها لإيطاليا.

هذه هي الاتجاهات الظاهرة للدول المنتصرة في الحرب. ولكن الذين يهمهم الأمر في الدرجة الأولى قد تتبّعوا سير القضية بدقّة وانتباه شديدين، وفهموا جيدا وبطريقة ما، أن هذه الاتجاهات الواضحة للجميع ليست إلّا ستارًا تخفَي من ورائها غايات متباينة، وأهدافا متضاربة، فلكلّ دولة من هذه الدول مصلحة تتضارب مع مصالح الدول الأخرى، وكل هذه وتلك تشكل خطرا على البلاد وسكانها، ففرنسا مثلا تهدف، من جهة إلى إبعاد بريطانيا عن مجاورتها لأسباب، منها

ما أوضحناه سابقا ، نقلا عن بعض جهات فرنسية معتمدة ، ثم إنها من جهة أخرى ، تتوهّم أنه في حالة عودة إيطاليا إلى طرابلس تتمكّن هي من البقاء في جنوب البلاد : (فزان) فمن أجل ذلك ، وغيره تبذل جهودها باستمرار لعودة إيطاليا ، وقد رأينا موقفها ، وبصورة خاصة في العامين الأخيرين .

وأمريكا تهدف للاستحواذ على قاعدة (الملاحة) «معيتيقة» الآن (والوطية) وغيرهما من المراكز الهامة ، أما بريطانيا فهي تخطط لفصل (برقة عن طرابلس) لتستقر في الأولى تعويضا عما فقدته من مراكز هامة كانت لها في مصر . وروسيا تحاول جاهدة للحصول على موقع قدم بأي طريقة أتيحت لها ، ولو بالاشتراك مع غيرها في الضفّة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط . وبينما وكلاء وزراء الخارجية في صراعهم ذاك ، وتنقلات الكونت «اسفورزا» واتصالاته تتوالى بنشاط مستمر ، والشعب **الليبي**، يتتبع الأحداث والتطورات في تململ وقلق شديدين ... أضدرت الهيئات السياسية في طرابلس النداء المشترك التالي إلى الشعب الليبي :

أيها الشعب الليبي الكريم :

تمر البلاد في مرحلة حاسمة من مراحل جهادها في سبيل حريتها ووحدتها واستقلالها . ونحن ندرك تماما قوة الشعور الوطني الجارف . وأن المواطنين الكرام متمسكون بحقهم في الحياة الطليقة كاملا غير منقوص . وإذا كان لنا ما نوصي به مواطنينا في هذا الظرف الدقيق فهو التريث ، والأناة ، والتحلي بصفات الصبر الجميل حتّى تنكشف الغمّة ، وينجلي الأمر . ومهما يكن قرار مؤتمر وكلاء وزراء الخارجية بشأن قضية وطننا ، فحقنا واضح ومعروف ، يستند إلى اجماع (الأمة) الليبية الكريمة على الوحدة والاستقلال ، وإلى معاضدة الشعوب العربية قاطبة ، وإلى تأييد الأمم المتحدة للحرية والعدالة ، وما الحرية والعدالة إلّا من صميم تلك المبادئ السامية التي مازالت تنادي بها الدول الديمقراطية والتي أنشئت من أجلها منظمة الأمم المتحدة . ولا جدال في أن الشعوب إنما تظفر ببيعتها ما دامت متراصة متساندة كالبنيان يشدّ بعضه بعضا . ولن يضيع حق ما دام وراءه طالب .
طرابلس : في 10 /9 / 1948 م .

قلنا : بينما وكلاء وزراء الخارجية في صراعهم ذاك لعلهم يجدون مخرجا ممّا هم فيه بالوصول إلى الاتفاق على مشروع قرار يتقدمون به إلى مجلس وزرائهم ، إذ بدأ

الوقت ينفذ باقتراب الموعد المضروب لهم ، وأخيرا أعلن الوكلاء عجزهم عن الوصول إلى النتيجة المرجوّة منهم . وعندئذ تقدم وزراء الخارجية أو من ناب عنهم . وعلى كل فقد سمي بمجلس الوزراء ويتكون هذا المجلس من : (ماكنيل) نائب وزير خارجية بريطانيا ـ (الويس دوجلاس) سفير الولايات المتحدة الأمريكية في لندن ـ (روبير شومان) وزير خارجية فرنسا ـ (فيشنسكي) نائب وزير خارجية روسيا ، اجتمع هؤلاء في مقر وزارة الخارجية الفرنسية في باريس تحت رئاسة وزير خارجية فرنسا يوم 13 سبتمبر 1948م الدورة الثالثة .

قرر هذا المجلس أن يصل إلى حلّ لهذا المشكل في غضون الأيام الثلاثة الباقية من الأجل المضروب الذي هو يوم (15) منه ، وإلّا تحال القضية برمتّها إلى هيئة الأمم المتحدة . وقد انتهَى الأجل المضروب ، ولم يصلوا إلى أية نتيجة ، وتمشيا مع ما وقع الاتفاق عليه فقد حرّر مجلس الوزراء المذكور محضر الإحالة ، وبه رفعت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة .

وبمناسبة هذا الاجتماع سافر بشير السعداوي يصحبه محمد فؤاد شكري مستشار هيئة تحرير ليبيا ، سافرا إلى باريس لحضور هذا الاجتماع والدفاع عن قضية الوطن . وبمجرد وصولهما اتصلا بمندوب مصر (أحمد خشبة باشا) ورياض الصلح وغيرهما من رؤساء الوفود العربية التي حضرت بباريس وقد أمضيا أكثر من شهر بين لندن وباريس في الدفاع عن القضية ، ثم عادا إلى الوطن .

أحيلت قضية المستعمرات الإيطالية السابقة إلى هيئة الأمم المتحدة ، وقد عقدت اجتماعها الأول في افتتاح الدورة الثالثة للجمعية العمومية في 21 سبتمبر 1948م بقصر شايو في (باريس) وقد كانت قضية المستعمرات هي البند السادس . طرحت هذه للمرة الأولى على الجمعية العمومية ، وبدأ النقاش حولها ، فتكلم عدد من الوفود ، وأذكر هنا بعض الوفود التي تقدمت تدافع عن مصالح إيطاليا ، وقد كان من بين هذه الوفود ، وفد (البرازيل) الذي دافع دفاعا قويًّا عن مصلحة إيطاليا ، وليس هذا بالأمر الغريب ، لأن أمريكا اللاتينية كانت كلّها تعطف على إيطاليا وتناصرها .

كما أن الوفد الفرنسي أيضا وقف إلى جانب ايطاليا ، أخت فرنسا اللاتينية ، على الرغم من أن تلك الأخت كانت بالأمس القريب قد طعنت أختها بخنجر من

الخلف ، وهي في الرمق الأخير ، فكانت تلك الطعنة سببا من أسباب سرعة سقوطها وانهيارها العسكري . ومع ذلك وقفت فرنسا في هيئة الأمم تدافع عن مصلحة إيطاليا ، حيث قال وفدها في هذا الصدد ما يلي : إن هذه الأقاليم «يعني المستعمرات كلّها» متأخرة ، ولا بدّ لها من يساعدها في طريق التقدم والنمو..! وطالب بفرض الوصاية عليها . ثم أكد بشدّة ـ على عدم اعتقال مصالح إيطاليا في طرابلس .

ثم جاء دور الوفد البريطاني ، فتكلم ما شاء أن يتكلم ، ثم قال : لإيطاليا مصالح في طرابلس يجب النظر إليها بعين الاعتبار ، ثم أعقب قوله هذا بإشارة واضحة الهدف ، معروفة المرمَى ، حيث قال : إن بعض الأوساط العربية الليبية ترغب في الحصول على حكومة ذاتية ، وهو يعني بذلك «برقة» وهكذا فلقد شجعت هذه المواقف التعصبية وغيرها إيطاليا على الرغم من وضعها المنهار ماديا ومعنويا فتقدمت تطالب بإسناد الوصاية لها على المستعمرات التي كانت لها سابقا .

ولكن الوفود العربية ، وبعض الوفود الآسيوية كانت لهذه المناورات بالمرصاد ، وبعضها يمتاز بمقدرة هائلة . وأعتقد بأنني لست في حاجة إلى بيان مواقف الدول العربية ووفودها في الدفاع عن القضية الليبية ، ذلك لأن قضية ليبيا ما هي إلّا جزء من القضية العربية العامة ، ومن هنا فإنها تدخل في معنى الدفاع عن النفس .

وإذا كان لي أن أشير لأحد الوفود ، فأول ما أذكر موقف مندوب الهند . فلقد عارض تلك المناورات بمقدرة وحكمة ، فعارض طلب إيطاليا ، وفنّد أقوال مناصريها . وبالجملة فقد تكلمت وفود عديدة من الجانبين ، وتقدمت باقتراحات مختلفة لحل القضية . ونظرا إلى تباين الاقتراحات ، وتضارب الآراء رأت الجمعية العمومية أنه ممّا ييسّر معالجة قضية المستعمرات ، ويسرع بحلّها هو أن تشكل لجنة من عدّة دول تتولى درس تلك الاقتراحات لتصل إلى تكوين مشروع ، على أساس من تلك الإقتراحات ، وتقديمه إلى الجمعية العمومية لتنظر فيه فإذا رأت صلاحيته تقدّمه للتصويت عليه وإقراره .

وفي شهر أبريل 1949م بدأت وفود الدول تتقاطر على (نيويورك) مقر هيئة الأمم المتحدة ، حيث ستبدأ الجمعية العمومية في اجتماعاتها في هذا التاريخ . وفي نفس التاريخ جاءت أخبار من واشنطن أن (المستر بيفن) وزير خارجية بريطانيا ،

والكونت (كارلو اسفورزا) وزير خارجية إيطاليا ، قد عقدا يوم 1949/4/3 اجتماعا في دار السفارة البريطانية ، ورأى المعلقون أن اجتماع الوزيرين إنما كان يتعلق بمصير المستعمرات الإيطالية السابقة . كما أن الحكومة الإيطالية سلمت مذكرة إلى أعضاء هيئة الأمم المتحدة فيها وجهة نظر إيطاليا . وجاء في هذه المذكرة الإيطالية قولها : إن «ارتيريا» لم تكن في يوم تابعة للحبشة . كما أن شعب «اريتريا» ليس من جنس أثيوبي .

وعلى إثر التحركات والمساعي الإيطالية بدأت المخاوف تغزو الأفكار ، والبلاد تشعر بالخطر يزداد يوما فيوما ، والقلق يعمّ الشعب ، ونتيجة لهذا الجو الخطير المقلق ، أصدرت الأحزاب السياسية البيان التالي :

إلى الشّعب الليبي الكريم

على إثر المنشورات التي وزعت بالأمس تدعو الشعب للقيام بمظاهرات سلمية في اليوم السادس من هذا الشهر ، لإظهار شعور الأمة وتأييد مطالبها السابقة في الوحدة والاستقلال ، حيث تبدأ هيئة الأمم المتحدة في بحث مصير هذه البلاد . ومن ناحية أخرى لتقديم مذكرات في هذا الشأن إلى الإدارة البريطانية ، وممثلي الدول الأجنبية .

وعلى إثر هذا تدخلت ، الإدارة البريطانية ، ومنعت قيام المظاهرات منعا باتا ، وعليه فقد قررنا ما يلي :

1 ـ الاحتجاج على الإدارة البريطانية لكبتها شعور (الأمة) .

2 ـ دعوة لاجتماع يحضره مندوبون عن الهيئات السياسية ، ومختلف طبقات الأمة .

3 ـ صياغة مذكرة تقدم إلى هيئة الأمم المتحدة والإدارة البريطانية . وممثلي الدول في طرابلس .

الحزب الوطني	الجبهة الوطنية المتّحدة
مصطفَى ميزران	أحمد عون سوف

رئيس الوفد الثّاني إلى هيئة الأمم المتّحدة

يصرّح في القاهرة

صرح منصور بن قدارة رئيس الوفد الثاني الطرابلسي إلى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك . لوكالة لأنباء العربية أنه يعلن بالنيابة عن الأحزاب السياسية في طرابلس ، بخصوص مذكرة الحكومة المصرية عن مستقبل ليبيا ، بأنها قد عبّرت خير تعبير عن رغبة الشعب الليبي في الاستقلال وفي الحصول عليه فورا .

كما صرّح قائلا : إن برنامجنا هو الدفاع عن بلادنا ، وأن شعب ليبيا يرفض العودة إلى الحكم الإيطالي لما قاساه ، وأردف ، أنه سيسافر يوم 12 الجاري إلى نيويورك يرافقه الدكتور فؤاد شكري مستشار هيئة تحرير ليبيا . ومعه مندوبان من الجامعة العربية ، أوفدتهما على حسابها الخاص للقيام بالدعاية في نيويورك لفائدة قضية ليبيا .

وفي جلسة اللجنة السياسية ، كان أوّل من تكلم فيها حول المستعمرات مندوب (باكستان) (محمد ظفر الله خان) وممّا جاء في كلامه فيما يختص بليبيا ما يلي : (المحافظة على وحدة برقة وطرابلس وفزان ، وتوضع ليبيا تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة خمس سنوات تمنح بعدها الاستقلال التام . أما القول بعودة إيطاليا إلى طرابلس ، فإذا عاد الإيطاليون إلى هذا القطر فلن يجدوا من يتعاون معهم بين السكان العرب ، وبذلك يكون هؤلاء السكان العرب في جهة ، والإيطاليون من جهة ، ويفقد جو التعاون الضروري لازدهار البلاد . ثم قال : ليس من السهل أن نطلب من الليبيين أن يزيلوا من أذهانهم الذكريات المؤلمة للفظائع التي ارتكبتها إيطاليا ، بعد أن غلب الأهالي على أمرهم عقب نضال وجهاد مريرين استمر لعشرات السنين ! !

ثم أدان المجازر الإيطالية وتقتيل السكان بالجملة ، ورمي المجاهدين من الطائرات ، ودفن الكثير أحياء في الآبار ، وفي فيافي الصحراء . ممّا قضى على أكثر سكان البلاد . فمن الحماقة إذن أن نقترح تسليمهم من جديد للإيطاليين .

ولقد كان لموقف «ظفر الله» هذا في جانب القضية الليبية في هيئة الأمم المتحدة أثر عميق ، ووقع حسن في نفوس الليبيين في كل مكان . وقد أبرقت إليه الجالية

الطرابلسية في (كانو) : نيجيريا تثني على موقفه هذا . كما أبرقت للوفود العربية تناشدها تأييد القضية الليبية . كما أرسل إليه مؤتمر الشباب الطرابلسي بطرابلس البرقية التالية : [رئيس وفد الباكستان . (ليك سيكسيس) : مؤتمر الشباب الطرابلسي مدين لكم بالشكر على موقفكم النبيل في الدفاع عن القضية الليبية وذلك بتاريخ 1949/4/19م] اللجنة التنفيذية لمؤتمر شباب طرابلس.

وفي اجتماع 21 أبريل كانت الجلسة كلها شُغلت بتصارع الدول وتوجيه الاتهامات ، بعضها إلى بعض ، ومن ضمن هذا الصراع أن مندوب أمريكا تفوّه بجملة منطقية ولا تخلو من طرافة وواقعية ، رأيت أن أثبتها هنا في جواب المندوب الأمريكي للسوفياتي ، قال له : [الإتحاد السوفياتي لم يعرض على الأمم المتحدة مشاكل الأراضي التي احتلها ولا مرّة واحدة ، بينما أمريكا وبريطانيا برهنتا على حسن نيّتهما بعرض قضية المستعمرات على الأمم المتحدة . وإلى أن يقوم الإتحاد السوفياتي بعرض مستقبل الأراضي التي يحتلها على الأمم المتحدة ، فإن الأفضل للمندوب السوفياتي «غرومـيكو» أن يلتزم الصمت . ثم قال المندوب الأمريكي لأعضاء اللجنة السياسية إن ما لا يقل عن عشر دول ممثلة في هذه اللجنة تدين بهذا التمثيل لبريطانيا التي أعطتها الاستقلال] .

وفي الجلسة الموالية ليوم 26 منه للجنة السياسية أعطيت الكلمة للوفد الطرابلسي ، فتقدم الدكتور محمد فؤاد شكري عضو الوفد ، وألقَى بيانا طويلاً مسهبا باللغة الإنجليزية ، استغرق حوالي ساعة ونصف الساعة . ومن أهم ما جاء فيه : أن قضيتنا قضية حياة أو موت . نحن ، معشر الليبيين ، ندافع دفاعا مستميتا عن حقنا في الحرية والاستقلال . وشعبنا ، وإن ضحى بالكثير من أبنائه في الجهاد ضدّ العدو الغاصب ، فإنه لا يزال قوي الإرادة ، شديد العزم في مواصلة جهاده ضد الاستعمار ، وأضاف قائلا : والحق أنه لا توجد أية أمة أخرى ناضلت نضال الليبيين المستميت في سبيل وحدة بلادهم واستقلالها وإثبات حقوقهم التاريخية .

ويعد أن أكد عزم الليبيين على امتشاق السلاح ضد إيطاليا وضدّ أي مستعمر آخر . قال : لقد مرّ على ليبيا عهد كانت تتمتع فيه بالاستقلال ، ومن حقّ شعبها اليوم أن يرد إليه استقلاله ، المغصوب . ثم تكلّم البيان عن وحدة ليبيا فأوضح الروابط التاريخية والجغرافية والدينية واللغوية والثقافية والسياسية التي تجعل كل جزء

من أجزاء ليبيا متمماً للآخر . وإذا ما تحدثتم عن كل شطر من هذا الوطن الواحد على حدة فإنكم تدللون على رغبتكم في تقطيع أوصاله وحرمانه من حريته واستقلاله ، وأخيرا قال : «أن الطرابلسيين سوف يتولون اختيار نوع الحكم في بلادهم حينما ينالون استقلالهم ووحدة بلادهم» .

وإعجابا بهذا الخطاب المنطقي القوي الشديد فقد أرسلت الجبهة الوطنية المتحدة إلى الوفد بالبرقية التالية : الشعب الطرابلسي معجب بدفاع وفد طرابلس عن قضية الوطن ، ومقدر للدكتور شكري جهوده المتواصلة ، نشكركم جميعا ونؤيدكم في التمسك بالاستقلال والوحدة وما ترونه في مصلحة وطننا . أيدكم الله ، ثم استأنفت اللجنة السياسية اجتماعها في اليوم الثالث من مايو 1949 م لمناقشة مسألة (مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة) بعد أن أرجأت بحثها لمدة خمسة أيام . وقد استمع المندوبون اليوم إلى بيانات أخرى أدلى بها مندوبو السكان المحليون . وكان معظم المتكلمين اليوم يمثلون منظمات تميل إلى إيطاليا كان من بينها (أرخان القره مانـلي) الذي نفى تهما وجهها متكلم ليبي سابق ضد الإدارة الإيطالية في ليبيا ، وعارض الاقتراح القائل بتوحيد ليبيا وطالب إما باستقلالها ، أو وضعها تحت الوصاية الإيطالية .

وفي أول مايو 49 تقدّم المندوب البريطاني بمشروع قرار جديد ، بغية الخروج من المأزق الذي سببته المستعمرات الإيطالية السابقة (على حد قوله) .

وفي ما يـلي نصّ المـشروع :

1 ـ توضع ليبيا تحت الوصاية لمدة عشر سنوات في نهايتها تمنح الاستقلال إذا اعتبرت لائقة لذلك ،

2 ـ وفي الوقت توضع برقة تحت الوصاية البريطانية .

3 ـ أما شكل الحكم الذي يجب أن يعرض على باقي ليبيا فتقرره خمس دول ، وتقدم تقريرا بذلك إلى الجمعية العمومية في شهر سبتمبر القادم .

4 ـ الدول الخمس المقترحة هي : بريطانيا ـ الولايات المتّحدة ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ ومصر .

5 ـ وضع الصومال تحت الوصاية الإيطالية . وتقسيم (ارتيريا) بين الحبشة والسودان المصري الإنجليزي (سابقا) .

وفي الثامن منه استأنفت الجمعية العمومية مناقشاتها حول مصير المستعمرات . وقد تكلم عدد من المندوبين ، وكانت جلسة ساخنة تبودلت فيها الاتهامات بين الغرب والشرق . أي بين الملحدين ، والمستعمرين ، اتهم فيها مندوب أوكرانيا بريطانيا باستغلال المستعمرات . ولم يعرج المندوبون في هذه الجلسة على ذكر المستعمرات الا مندوبين ، هما الصين واستراليا . قال الأول : توضع المستعمرات تحت وصاية الأمم المتحدة . وقال الثاني بوجوب درس مسألة المستعمرات درسا دقيقا والنظر في مصيرها بتريث . ثم طالب بإرجاء الفصل في هذه القضية إلى اجتماع سبتمبر القادم .

وهنا تدخل مندوب أمريكا «فوستر دالاس» فاقترح تأليف لجنة فرعية تضمّ ممثلين عن ست عشرة دولة من بينها الدول الأربع الكبرى التي وقعت على معاهدة الصلح مع إيطاليا . على أن تقدّم هذه اللجنة الفرعية في غضون اليوم الثاني عشر من مايو الجاري تقريرا عن مختلف المقترحات المقدمة إلى اللجنة السياسية بشأن مستقبل المستعمرات ؛ وعلى الاقتراحات التي يمكن أن تقدم في خلال الفترة ، وبذا يمكن للجنة السياسية أن تأخذ على ضوء تقارير اللجنة الفرعية فكرة أكثر وضوحا فتخطو خطوة واسعة نحو إيجاد حلّ لها .

تشكلت اللجنة الفرعية التي اقترحها المندوب الأمريكي ، وباشرت أعمالها لاستخراج مشروع حل بشأن المستعمرات على أساس من تلك الاقتراحات التي أحيلت إليها من اللجنة السياسية ، وهي أي اللجنة الفرعية المتشكلة من ستة عشر عضوا . أسفرت مجهوداتها ، وانتهت دراساتها إلى الموافقة على ثلاث نقاط ، هي : الخطط الرئيسية لمشروع «بيفن / اسفورزا» وأحالته إلى اللجنة السياسية .

وبينما كنّا في مقرّ المؤتمر الوطني ليلا ونهارا كلّما بدأ البحث في قضية المستعمرات . وآلة المذياع بيننا نتسقط أخبار المناقشات في الأمم المتحدة يوما بيوم ، وساعة بساعة إذا بالأخبار تقول : إن اللجنة الفرعية قد استخرجت مشروع قرار من ثلاث نقاط . هي من بوادر مشروع «بيفن / اسفورزا» وقد أجرت التصويت عليها ، ففاز هذا المشروع بثمانية أصوات مؤيدة له ، وخمسة ضدّه ، وثلاثة امتنعت عن التصويت .

ولا يهمّنا ذكر الأصوات المؤيدة . وإنما نذكر الأصوات التي وقفت ضدّه هي : (مصر ـ العراق ـ الهند ـ بولندة ـ روسيا) وموقف اللجنة هذا ، وإن لم يكن حكما نهائيا إلّا أنه يوحي باتجاه خطير ومخيف بالنسبة لنا معشر الليبيين . وبعد نجاح هذا المشروع داخل هذه اللجنة حولته إلى اللجنة السياسية .

وفي اللجنة السياسية هاجم مندوب العراق هذا المشروع الذي قدمته ست عشرة دولة ممثلة في اللجنة الفرعية تجاوزت سلطتها بإقرار المشروع الإنجليزي الإيطالي دون مناقشة في اللجنة السياسية . واقترح مندوب بولندة أن تستمع اللجنة إلى المزيد من الأقوال لكي تعرف وجهات نظر السكان المحليين في المستعمرات . وأيّد ذلك مندوب روسيا (غروميكو) ثم أخذت الأصوات على اقتراح البولندي فوفق عليه بـ(62) صوتا له ، و(15) صوتا ضدّه ، وامتناع (17) .

وهنا دعت اللجنة «الدكتور علي العتيري» للإدلاء بأقواله ، فقال : لا يمكن إعادة الحكم الإيطالي إلى طرابلس ، إلّا عن طريق القوّة المسلحة . فنحن شعب ليبيا لن ننسَى أبدا التضحيات التي كان علينا أن نتحملها في غضون الثلاثين عاما من حكم إيطاليا الغاشم . إن الليبيين مصممون على أن يقاوموا بكل ما لديهم من قوّة أي محاولة لإعادة إيطاليا إلى طرابلس .

وفي منتصف شهر مايو 1949 أذاعت وكالة «رويتر» الإخبارية أن اللجنة السياسية وافقت في هذا المساء على المخطط الرئيسي لمشروع «بيـفن / اسفـورزا» بـ 34 صوتا ضدّ ستة عشر صوتا وامتناع سبعة أصوات .

نص المشـروع كـما نـشرته الصحـف في حيـنه

1 ـ برقة : تحت وصاية الأمم المتحدة على أن تتولى الإدارة فيها بريطانيا .

2 ـ فزان : تحت وصاية الأمم المتحدة على أن تتولى فرنسا الشئون الإدارية فيها .

3 ـ طرابلس تحت وصاية الأمم المتحدة وفي نهاية سنة 1951 تتولى إيطاليا الإدارة فيها .

وفي خلال فترة الانتقال تستمر الإدارة البريطانية المؤقتة الحالية في طرابلس مع مساعدة مجلس استشاري يتكون من (مصر ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ بريطانيا ـ

الولايات المتحدة ـ وممثل واحد عن السكان المحليين) . وسيقوم هذا المجلس الاستشاري بتنفيذ مهامه بالتشاور مع السلطات الإدارية . وقد وضعت هذه الخطط الثلاث بشكل لا يعرقل اندماج الأقاليم الثلاثة المذكورة في وحدة ليبيا ، كما قرر أن يطلب من الدول المتولية للشئون الإدارية في هذه الأقاليم الثلاثة أن تتخذ جميع التدابير لتنسيق أعمالها تحت إشراف مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم ، وبصورة لا تعرقل قيام دولة ليبية مستقلة في المستقبل .

وفيما يلي الدول التي ناصرت المشروع . والتي وقفت ضدّه والممتنعة :

التي ناصرت المشروع : (الأرجنتين ـ أستراليا ـ بلجيكا ـ بوليفيا ـ البرازيل ـ كندا ـ الشيلي ـ كولومبيا ـ كوستاريكا ـ كوبا ـ الدانمارك ـ الدومينيك ـ الإكوادور ـ سلفادور ـ الحبشة ـ فرنسا ـ اليونان ـ غواتيمالا ـ هندوراس ـ إيزلندة ـ لوكسمبورغ ـ المكسيك ـ هولندة ـ نيوزيلندة ـ نيكاراغوا ـ النرويج ـ بانما ـ البرغواي ـ البيرو ـ جنوب افريقيا ـ المملكة المتحدة : بريطانيا ـ الولايات المتحدة ـ أوراغواي ـ فنزويله) .

التي ضد المشروع : (بورما ـ روسيا البيضاء ـ تشيكوسلوفكيا ـ مصر ـ الهند ـ العراق ـ لبنان ـ الباكستان ـ الفلبين ـ بولاندا ـ المملكة العربية السعودية ـ سوريا ـ أوكرانيا ـ الاتحاد السوفياتي ـ اليمن ـ يوغسلافيا) وقد امتنعت عن التصويت سبع دول ، كان من بينها تركيا .

وبناء على اقتراح المندوب البولندي الخاص بإتاحة الفرصة من جديد للسكان المحليين للتعبير عن آرائهم فقد استمعت اللجنة السياسية للمتكلم بلسان هيئة تحرير ليبيا ، الذي قال : إن زعماء طرابلس قد قرروا اتباع سياسة عدم التعاون مع الإدارة البريطانية طالما كانت بريطانيا تؤيد عودة إيطاليا إلى طرابلس ، وأصرّ على أنه لا يمكن إعادة الحكم الايطالي إلى طرابلس إلّا بقوّة السلاح .

ثم تكلّم مندوب مصر فبلغ المجلس تبليغا رسميا أن بلاده لن تشترك في المجلس الاستشاري كما هو مقترح لمساعدة بريطانيا في إدارة طرابلس حتّى عام 1951 . وقال : إن مصر لا تستطيع أن تقوم بدور تهيئة طرابلس للحكم الإيطالي . وأصرّ على وجوب معاملة ليبيا كوحدة ، لا تقسيمها ثلاثة أقسام ، ثم قدّم تعديلا للمشروع .

وفي هذا الجوّ المضطرب في طرابلس أرسل بشير السعداوي برقيتين . واحدة للجبهة الوطنية باسم رئيسها وفيما يلي نصّها : **طـاهر المريض ـ طرابلس** ، الأمة التي لا تخضع للذلّ وتقاوم الطغيان والظلم هي التي تظفر بحقوقها في الحياة ، المؤامرة الإنجليزية سنقاومها بكل ما لدينا من قوّة فشدّوا العزائم وثبتوا القلوب سأكون عندكم قريبا . والله مع الصابرين المخلصـين **بشـير السعـداوي** .

والبرقية الثانية أرسلها إلى الصحف ونشرت على الشعب وفيما يلي نصّها كما نشرتها جريدة (طرابلس الغرب) **أيـها الشّـعب الكريـم** وطنك يناديك من جديد وقد عودته تلبية النداء ، وليس الكفاح ولا التضحية بجديدة عليك ، فقد برهنت للعالم كيف تكون الحياة رخيصة في سبيل الحرية والكرامة ، فاحتفظ بشعلة الجهاد المقدّس التي أوقدها شهداؤك مضيئة نقيّة ، وداوم على كفاحك ، وبرهن للأعداء بأنك ستداوم على النضال الذي بدأه آباؤك ، ولا تهن ولا تخضع ، فما كانت العبودية من شأنك ، وليكن رائدك أن الاستقلال يؤخذ ولا يوهب ، وأن شمس الحرية لن تشرق على شعب إلّا وهي مخضبة بالدماء .

مواطني العزيز : كن جديرا بهذا الوطن الغالي ، وتقدّم موطّد العزم على ركوب الخطر ، فما استعصت الحرية على من ناضل في سبيلها . أهنئكم شيبا وشبابا على ما أبديتموه من استنكار وغضب لما يراد بالوطن العزيز . وإن بلادا تملأ قلوب أبنائها تلك الروح السامية لن تخيب لها قضية إن شاء الله.**بشـير السّعـداوي** .

وفي منتصف شهر مايو ناقشت الجمعية العمومية المقترحات التي قدمت لها بشأن المستعمرات . وبدأ المناقشة المندوب البولندي ، فقال : إن الاتفاق بين بريطانيا وإيطاليا طعنة في ظهر الأمم المتحدة ، وعودة إلى ذلك النوع من الاستعمار الذي استنكرته جمعية الأمم ، كما استنكره ميثاق الأمم المتحدة . وقال : إن إيطاليا قد تخلت عن حقوقها في المستعمرات السابقة ، وذلك بمعاهدة الصلح . وعلى ذلك فإن الاتفاقية بين بريطانيا وإيطاليا ملغاة (يعني مشروع بيـفن / اسفـورزا) لأنها عقدت مع فريق لا يحتاج إلى موافقته . كما أن بريطانيا خرقت تعهداتها حسبما تنص عليه معاهدة الصلح . كما أنها خرقت ميثاق الأمم المتحدة لقيامها بعمل منفرد بخصوص مسألة تناقشها الجمعية الآن .

كما عارض مندوب الفليبين قرار اللجنة السياسية وطالب باستقلال ليبيا . كما اقترح مندوب (باكستان) تشكيل لجنة خاصة لدراسة الموضوع من جديد . وقال : إن المشروع الذي وافقت عليه اللجنة السياسية يخالف رغبات السكان في كل واحدة من الأراضي التي يدور حولها البحث . وقال : المرجح أن يجر إيطاليا إلى كفاح طويل مع السكان المحليين ، وسيؤدي ذلك الكفاح إلى نزاع يزداد اتساعا مع الأيام .

وطالب المندوب السوري باستقلال ليبيا . كما عارض المندوب الروسي المشروع البريطاني الإيطالي ، ثم ندّد مندوب العراق بالمشروع ، وقال : ان ليبيا جاهزة للاستقلال ، وأوضح مضرة التجزئة ، كما عارض المشروع مندوب الصين . أما مندوب أمريكا فقد حبذ المشروع حيث قال : وإن لم يكن هو الحل المثالي إلّا أنه أقرب حلّ عملي يمكن الأخذ به ... الخ واقتفاه «أحمد جبر» مندوب السعودية الذي عارض أقوال مندوب أمريكا . وقال : كفى تمزيقا للأقطار العربية ، ثم أشار إلى مقاومة العرب في ليبيا لعودة إيطاليا ، ونوّه بالمظاهرات المستمرة في طرابلس الغرب ، وناشد المندوب السعودي الجمعية العمومية أن تعمل حسب روح ميثاق هيئة الأمم ، وأن تحترم العدل ، وأيد اقتراح العراق بمنح ليبيا الاستقلال حالا ، ثم تكلم مندوب الشيلي فحبذ المشروع بقوله إنه هو المشروع العملي الوحيد الذي يمكن الموافقة عليه .

وبعده تكلم مندوب تشيكوسلوفاكيا ، فعارض المشروع بشدّة ووصفه بأنه مناورة بريطانية استعمارية . ثم أيد مندوب بلجيكا المشروع ، وتلاه مندوب أوكرانيا فقال : تسعون في المائة من سكان هذه المستعمرات يطالبون بالاستقلال ، ويستفاد مما يجري وراء الكواليس أن المشروع سيقدم لأخذ الأصوات .

وهكذا ، فقد قدم للتوصيت مشروع (بيـفن / اسـفورزا) فأيدته مجموعة من الدول هي التالية :

أستراليا ـ كندا ـ تركيا ـ الدانمارك ـ الحبشة ـ اليونان ـ هايتي ـ إيزلندا ـ ليبيريا ـ هولاندا ـ نيوزيلاندا ـ النرويج ـ بريطانيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ وامتنعت سبع دول عن التصويت ، والبقية كلها ضدّه أي : أنه سقط بأغلبية (37) صوتا ضد (14) .

وذلك لأنه عندما وقع التصويت على هذا المشروع مجزأ ، وسقط القسم الخاص بإعطاء طرابلس لإيطاليا ، انقلبت دول الكتلة الأمريكية اللاتينية التي كانت تعمل لفائدة إيطاليا ، انقلبت ضد المشروع كلّه ، وهكذا سقط مشروع (بيـفن / اسفـورزا) ولكن الخطر الذي يهدّد ليبيا لم ينته بعد ذلك ، لأن مشروع العشر سنوات تحت الوصاية لا يزال قائما .

وعلى إثر سقوط هذا المشروع رفعت الجلسة ، وفي الجلسة الموالية تقدمت الدول اللاتينية باقتراح بوضع هذه المستعمرات تحت وصاية خمس دول هي : الولايات المتحدة ـ بريطـانيا ـ فرنسـا ـ مـصر ـ إيطاليا ، ولكن لم يقبل هذا المشروع . اقترحت الهند تحت وصاية جماعية لهيئة الأمم المتحدة كذلك لم يقبل . طالبت كل من كوبا ـ كوستاريكا ـ أوروغواي ـ تأليف لجنة فرعية لدرس الموضوع من جديد ، فرفض أيضا من قبل المندوب الإنجليزي والسوفياتي وروسيا البيضاء، وطالب هذا الأخير بتأجيل القضية برمتها إلى سبتمبر القادم .

وهنا طالب رئيس الجمعية العمومية الوفود بتجنب الخطب ، وأخذ الأصوات حول مشروع كوبا ، فطرح هذا المشروع للتصويت فهزم ب (26) صوتا ضده و (21) صوتا بجانبه ، وامتنعت (11) دولة عن التصويت ، ثم طرح اقتراح بولندة الذي يدعو إلى تأجيل القضية برمتها إلى دورة سبتمبر القادم ، فنجح ب (51) صوتا وامتناع ثمانية ولم يعارضه أحد . وبذا تقرر التأجيل .

* * * *

في الدّورة الرّابـعة للجمـعية العمـومية لهيـئة الأمـم المتّحـدة

افتتحت الجمعية العمومية في (نيويورك) دورتها الرابعة يوم 20 من سبتمبر 1949 م وقد حضر حفلة الافتتاح هذه وزراء خارجية الدول الكبرى الأربع ، وفيها انتخب الجنرال «روميلو» مندوب الفلبين رئيسا لها . وفي يوم 22 منه افتتح المناقشات (اتشيسون) ثم تلاه «فاضل الجمالي» مندوب العراق . وقد ألقى خطابه الذي قال في آخره : إنه يعتقد أن هذا البلد «ليبيا» يستحق أن يكون حرًّا مستقلا .

وطالب بانشاء دولة ليبية متحدة مستقلة ، وقال : إن الشعب الذي كافح زهاء ثلاثين عاما في سبيل نيل استقلاله لجدير بالحصول على هذا الاستقلال . ثم تكلم مندوب أمريكا فطالب الجمعية العمومية بأن تضع مشروعا لتشكيل دولة متحدة مستقلة في ليبيا ، على أن ينفذ هذا المشروع في خلال أربع سنوات . ثم تلاه مندوب مصر ، فأيد استقلال ليبيا ووحدتها . ثم مندوب «باكستان» فقال : إن مصير المستعمرات الإيطالية السابقة يجب أن يقرر على أساس رغبات السكان . وإن حلا كهذا أو على هذا الأساس يؤدي إلى استتباب الأمن والسلام .

وفي 27 منه بدأت اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة أعمالها ، وفي هذا الاجتماع دعيت إيطاليا رسميا للاشتراك في مناقشات اللجنة عند الشروع في مناقشة قضية المستعمرات ، على ألّا يكون لها حق التصويت . وهذا اليوم هو الأول لافتتاح اللجنة ، وقد انقضى اليوم في تنسيق مواضيعها .

وحينما افتتحت الجلسة الموالية في يوم 30 منه قال رئيس اللجنة (بيرسون) كندا - إنه ليس لديه مانع أن يتقدم مندوب عن إيطاليا للإدلاء بوجهة نظر حكومته . فتلقفها مندوب العراق وقال : يجب أن تسنح نفس الفرصة للسكان المحليين أيضا . فقبل هذا الطلب . وهنا تكلّم مندوب بريطانيا مبرّرا الإجراءات التي اتّخذتها بريطانيا في برقة ، مع إدريس ، بأنها لا تؤثر على إجراءات الأمم المتحدة ، ولا على وحدة ليبيا لكونها أمورًا داخلية . وقال : إن وحدة ليبيا ضرورية إلا أن هذه الوحدة يجب أن يترك أمرها إلى الليبيين أنفسهم . ثم نوه بما قامت به إيطاليا في الماضي من مشاريع اجتماعية واقتصادية . وقال : توجد جالية إيطالية كبيرة في ليبيا وأنه سيوصي حكومة طرابلس المقبلة بأن تنتفع بالمساعدات الاقتصادية والفنية من إيطاليا .

ثم تلاه مندوب الولايات المتحدة الذي أوصي بإقامة حكومة ليبية موحدة ، كما اقترح تأليف مجلس استشاري لتحقيق وحدة ليبيا واستقلالها . وقال المندوب الفرنسي : إنه يستهدف مصلحة السكان ورفاهيتهم مع عدم غضّ النظر عن مصالح إيطاليا . وقال : يبدو أن جميع الوفود متّفقة على أن ليبيا أهل للاستقلال . ثم قدّم هذا المندوب ، أي الفرنسي ، قدّم اقتراحات هي : إقرار مبدأ الاستقلال - تأليف حكومات ثلاث تمنح الاستقلال في أقرب وقت ممكن . وهي تختار النظام الذي يربط بينها ، مركز إيطاليا في طرابلس لا يمكن إغفاله على أن يترك بحثه بين حكومتي

إيطاليا وطرابلس . ومن الخطأ القول بأن التبادل التجاري بين طرابلس وبرقة أمر جوهري . إن الوضع السياسي في برقة يختلف عنه في طرابلس .

وهنا دعَى «سفورزا» وزير خارجية إيطاليا للكلام ، فقال : إن سكان المستعمرات يرحبون بعودة إيطاليا ، واقترح استقلال المناطق الثلاث ، على أساس فيديرالي ، ثم تكلّم مندوب (الباكستان) فقال : إنه يسير مع كلام أسفورزا في منح المستعمرات استقلالها بعدما تغيّر موقف إيطاليا ، وطالب باستقلال المستعمرات . وأنه مسرور بهذا التغير عند إيطاليا .

ثم تكلّم مندوب بلجيكا بملاحظة في أسلوب انتقادي لاذع حيث قال : إن وفدي أمريكا وبرريطانيا سبق لهما في الدورة الماضية أن جعلا فترة الانتقال عشر سنوات . وقد أنقصا الآن هذه الفترة إلى القريب العاجل ، وهذا يدلّ على أن سكان ليبيا في الشهور الماضية تقدّموا تقدّما غريبا ، ثم رجا هذا المندوب الوصول إلى حلّ عاجل .

وفي آخر اجتماع اللجنة تكلّم مندوب العراق «فاضل الجمالي» فقال : إن ليبيا وهي البلد العربي قد دفع ثمن الاستقلال غاليا ، فيجب إذن معالجة قضية ليبيا كوحدة متماسكة ، وإن الوفود العربية كلها تؤيد استقلال ليبيا في الحال وفي أقصر وقت مستطاع .

وفي اجتماع اليوم الثالث من أكتوبر 1949 م للجنة السياسية حول تقرير مصير المستعمرات تكلّم مندوب الهند فقال : تبدو اتجاهات الوفود نحو استقلال ليبيا ، وهي ظاهرة مشجعة وسارة ، وطالب بمساعدة سكان ليبيا لتأليف جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور بإرشاد الأمم المتحدة ، على أن تكون الجمعية جامعة لإقاليم ليبيا وليس في مقاطعة واحدة . واقترح أن تكون الفترة ثلاث سنوات . وقد أيّد هذا الطلب مندوب هولاندة ، كما قال مندوب اليونان : يجب أن تمنح ليبيا الاستقلا! ـ وكذلك كان موقف السلفادور ، ومندوب الصين وفي الجلسة الموالية لنفس اللجنة تقدم العراق (باقتراح رسمي) باستقلال ليبيا ووحدتها ونصّه : تتولى الأمم المتحدة إعلان ليبيا بلدا مستقلا موحدا ذا سيادة كاملة ، وأن تتولى الدولتان اللتان تقومان الآن بالإدارة حالا باتخاذ الإجراءات اللازمة لنقل السلطة ومظاهر السيادة إلى حكومة ليبيا حينما تتأسّس ، وذلك في أقصر وقت . وقد أيد مندوب جنوب إفريقيا

استقلال ليبيا ووحدتها كما أيد استقلال ليبيا ووحدتها ، الاتحاد السوفياتي . مع هجوم شديد على أمريكا وبريطانيا وفرنسا لأنها تتآمر لاقتسام المستعمرات الإيطالية ...الخ . ورحّب مندوب « سوريا » بالاقتراح السوفياتي لأنه عادل . وقال إن ليبيا لخليقة بالاستقلال التام والوحدة الكاملة وقد انتقد موقف فرنسا لطلبها بحث موضوع منطقة فزان على حدة . كذلك مندوب مصر قد أظهر اغتباطه بأن الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وإيطاليا قد أجمعت على مبدأ واحد ، وهو استقلال ليبيا . ولكن هذا لا يكفي إن لم تكن موحّدة ، سيما وهي وحدة طبيعية لا تتجزأ وطالب بتكوين لجنة تتولى الإشراف على إجراء انتخابات نيابية حرّة في ليبيا ، ثم تتولى نقل السلطات السياسية والإدارية من السلطتين القائمتين على الإدارة إلى الحكومة الليبية . كما أيد عدد من المندوبين منح ليبيا الاستقلال في أقصر مدّة ممكنة .

وهنا تقدّم مندوب الهند باقتراح رسمي ، وهو : [منح ليبيا الإستقلال في غضون سنتين ، وتأليف لجنة تقوم بوضع دستور] وافقت اللجنة على الانتهاء من مناقشة مصير المستعمرات لكي تشرع اللجان بعد ذلك في بحث الاقتراحات الرسمية التي قدمت ، والتي قد تقدّم .

وفي اليوم الخامس من أكتور 1942م استأنفت اللجنة السياسية الأولى جلستها ، وأمامها أربعة اقتراحات رسمية لكل من : العراق ـ روسيا ـ الهند ـ ليبيريا .

عادت الجلسة إلى موضوع المستعمرات ، فتكلّم مندوب إيطاليا (البيرتو تاركياني) فقال إنه يعترف بضرورة قيام دولة مستقلة في ليبيا ترتبط برباط اتحادي . ثم ناشد مندوب العراق الأعضاء بأن لا يجعلوا من ليبيا سوريا أخرى ، أي أن يتفادوا التقسيم . وقال : إن ليبيا بلد واحد لا يتجزأ ، ويجب ألّا يتجزأ ،/وإن الليبيين أنفسهم هم وحدهم الذين يجب أن يقرّروا نوع الوحدة التي يريدونها .

وفي الجلسة التالية يوم 6 منه أعلن رئيس اللجنة السايسية الأولى (بيرسن) أنه قد تلقى تقرير اللجنة الفرعية التي ألفتها اللجنة السياسية ، والتي كلّفتها بمراجعة الطلبات التي تقدمت بها المنظمات الشعبية في ليبيا وغيرها ، معبّرة فيها عن رغباتها في المثول أمام اللجنة السياسية الأولى للإدلاء بوجهة نظرها. وقد أقرت اللجنة الفرعية هذا الطلب في تقريرها . وإذن يجب أن تستمع اللجنة السياسية الأولى إلى أقوال

مندوبي : المؤتمر الوطني الطرابلسي ـ والمؤتمر الوطني البرقاوي ـ ورابطة الشباب الصومالي ـ والمؤتـمر الصومالي ـ ورابطة الاستقلال في إرتيريا . وفي هذه الجلسة تقدّمت الأرجنتين باقتراح رسمي ، وبه أصبح أمام اللجنة خمسة اقتراحات رسمية .

أعطيت الكلمة لمندوب (فنزويلة) فقال : إن ليبيا ، يجب أن تنال الاستقلال التام في أقرب فرصة ممكنة ، على أن تتولّى لجنة منبثقة من هيئة الأمم المتحدة الإشراف على سير الأحوال في ليبيا خلال فترة الانتقال التي ستسبق إعلان ليبيا دولة موحّدة مستقلّة .

ثم أعقبه مندوب لبنان (شارل مالك) فقال في خطاب طويل نوعا : يجب أن تضعوا نصب أعينكم قبل كل شيء رفاهية سكان تلك البلاد ، وإنه لحق مقدس لسكان تلك البلدان أن يكونوا أحرارا ، أيضا في اختيار الجهة التي يريدون معاونتها ومؤازرتها لهم ... ثم قال : إن ليبيا يجب أن تتمتّع بالاستقلال التام ، والوحدة الكاملة على أن تنقل السلطات الإدارية والسياسية إلى سكان الأجزاء الليبية في وقت واحد ، على أن تترك الحرية التامة لسكان ليبيا ، ليختاروا الوحدة التي يريدونها وشكل الحكم الذي يفضلونه وهنا أعطيت الكلمة لوفد المؤتمر الوطني الطرابلسي .

فتقدم بشير السعداوي ، وألقَى بيانا مسهبا شكر فيه اللجنة السياسية الموقرة على أن أتاحت الفرصة للتعبير عن آراء الحركة الوطنية في مصير بلادها ، كما شكر الوفود التي وقفت إلى جانب قضيّة بلاده ، وطالب باستقلال بلاده ليبيا ووحدتها . وقال : أما مطالبنا فهي الوحدة والاستقلال الناجز في نطاق وحدة البلاد . وختم كلمته بقوله : نكرر الشكر للجنة السياسية الموقّرة على سماعها لنا ، ونعلن الاحتفاظ بحقنا في الإدلاء ببيان مفصّل عن مطالبنا في فرصة ثانية .

وعند انتهائه وجّه له مندوب «ليبيريا» سؤالا قال فيه : ما هي المدة التي ترونها كافية لتحقيق الاستقلال ؟ فأجابه السعداوي بقوله : إنّنا نريد تحقيق استقلالنا في أقرب وقت ، بل حالا ، ولم يوجه إليه أي سؤال من أي مندوب آخر .

ثم بعد ذلك دعا رئيس الجلسة وفد المؤتمر الوطني البرقاوي للإدلاء بأقواله ، فتقدّم الوفد برئاسة عمر شنيب ، وألقى بيانا مسهبا شكر فيه وفود الأمم المتحدة

ورئيس اللجنة على هذه الفرصة التي سنحت للتعبير عن وجهة النظر ، وقال : إن مطالب وفد المؤتمر البرقاوي تتمشى مع مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها . ثم طالب باستقلال ليبيا التام والاعتراف بسيادتها . وأشار الوفد إلى التضحيات الجسيمة التي تكبدتها برقة ، ووقوفها إلى جانب بريطانيا في ساعاتها الحرجة وهو الأمر الذي نتج عنه وعد بريطانيا بعدم رجوع البلاد تحت سلطة إيطاليا ، وأن برقة الآن تتمتع فعلا بالحكم الذاتي . ولخص مطالب البلاد فيما يلي :

استقلال : «برقة / وطرابلس / وفزان» عاجلا ، أما فيما يتعلق بمسألة الوحدة فقال : إذا أراد الطرابلسيون قبول شروطنا فإننا نرحب بالاتحاد معهم . وإذا لم يقبلوا بشروطنا فإننا نعود فنطالب باستقلال برقة وحدها .

وحينما انتهى الوفد من إلقاء بيانه الذي كنا نستمع إليه في «الراديو» لأنه أذيع حيًا في نفس الوقت باللغتين «الإنجليزية / والفرنسية» على أعضاء اللجنة السياسية . وجهت للوفود أسئلة عديدة من طرف أعضاء اللجنة السياسية الأولى ، قال مندوب ليبيريا : سمعنا منكم أن بريطانيا منحتكم الحكم الذاتي فهل هذا من شأنه أن يؤخر استقلال ليبيا؟ الجواب من خليل قلال : كلّا ، إن استقلال برقة الذي أعلنه شعبها لا نعتقد أنه يؤخر استقلال ليبيا بل يعجّله . وقالت ليبيريا أيضا : هل يرضى أهل برقة بوحدة ليبيا دون أن تشمل فزان ..؟

الجواب من خليل قلال : أهل برقة يطالبون بضمّ شمل ليبيا جميعا كما يطالبون باستقلال طرابلس وفزان مع استقلال برقة وبصيانة ليبيا من الاعتداء وإعطائها استقلالها .

سؤال ليبيريا أيضا : هل يعتقد أعضاء هذا الوفد أن الوضع الجغرافي في ليبيا ، أي وجود صحاري بين أجزائها الثلاثة ، يعرقل تحقيق وحدتها ..؟

الجواب من قلال : لا شيء هناك يحول دون الوحدة الليبية ، ويقوم عائقا في وجهها ، وذلك إذا ما وافق الشعب الليبي على هذه الوحدة .

سؤال مندوب روسيا البيضاء : هل يتكرّم حضرات أعضاء وفد المؤتمر الوطني البرقاوي ، بإعطائي اسم الرئيس ونائبه في هذا الوفد ، وذكر العائلات التي ينتسبان إليها ..؟

الجواب من قلال : الرئيس عمر بك شنيّب ، ونائبه في هذا الوفد خليل بك قلال . وثالثنا السيد عبد الرزاق **بك شقلوف** .

سـؤال : جاء في تقرير اللجنة الرباعية أن الرئيس ونائبه في المؤتمر الوطني البرقاوي هما أقارب السنوسي؟

الجـواب : المؤتمر الوطني البرقاوي هو الممثل للبلاد وأن رئيس هذا المؤتمر ونائبه بصرف النظر عن العائلة التي ينحدران منها فإنهما قد فازا في انتخابات حرّة داخل المؤتمر .

سـؤال : ورد في صحف القاهرة أن هناك بين برقة والحكومة البريطانية معاهدة ! وأن هناك اتفاقا على الأقل للنظر في معاهدة ، وإذا ما تم إبرامها تنال برقة بموجبها الاستقلال فهل هذا صحيح؟

الجـواب : تأويلات صحفية ، وفي الواقع ليس هناك بين بريطانيا وبرقة معاهدة سرية كانت أو علنية ، لأن برقة حاصرة جهودها في الحصول على استقلالها الناجز ، وبعد ذلك تصبح حرّة .

مندوب أكرانيا : ورد في تقرير اللجنة الرباعية أن مؤتمر برقة الوطني يتألف من 750 عضوا عيّنوا من جهة معيّنة تعيينا فمتى إذن وقع الانتخاب الذي تحدّثتم عنه آنفا ..؟

الجـواب : أظن أن حضرة المندوب الأوكراني المحترم يخطىء أو على الأقل لم يقرأ ما ورد فعلا في تقرير اللجنة الرباعية حول أعضاء المؤتمر البرقاوي فإن عددهم 67 لا 750 .

سـؤال : لكن أعضاء المؤتمر عيّنوا تعيينا ، فمتى جرت الانتخاب ..؟

الجـواب : إن أعضاء المؤتمر اختارهم الشعب ولما تم ذلك حضر أعضاء المؤتمر ورؤساء العشائر والمشايخ وجرى الانتخاب في المؤتمر لاختيار الرئيس ونائبه والسكرتير .

سـؤال : لماذا رفض المؤتمر الوطني البرقاوي أن يعـرض أوراقه على لجنة التحقيق الرباعية ، وقال إنها سرية ..؟

الجـواب : كان على اللجنة الرباعية أن توجّه هذا السؤال هناك آنذاك ، أما اليوم نحن هنا أمام اللجنة السياسية ولسنا في معرض مناقشة أعمال التحقيق .

سـؤال : ما هو موقف ممثلي برقة من مشروع الاتحاد السوفياتي القائل بوجوب منح ليبيا الاستقلال العاجل وسحب القوات الأجنبية منها وإزالة القواعد الحربية والاستراتيجية منها حتّى لا تكون ليبيا مسرحا لحرب إذا ما وقعت لا سمح الله ، حرب جديدة ..؟

الجـواب : نحن نطالب بالاستقلال التام وبمقتضَى ذلك الاستقلال يجب أن تنسحب القوات الأجنبية وتسلّم البلاد إلى أهلها .

سـؤال : وما تقولون بشأن القواعد الاستراتيجية ..؟

الجـواب : عندما يعلن الاستقلال كما نؤمل أن يتم ذلك قريبا فإن جميع القواعد الأجنبية يجب سحبها كما يجب تسليم البلاد لأهلها نظيفة من المعدّات الحربية .

سؤال من روسيا البيضاء : عمّا إذا كان الوفد اطلع على مجموعة المقترحات المتعلقة بمستقبل ليبيا ، والتي قدّمت إلى اللجنة السياسية ، وأيًّا منها يفضل ، وإلى هنا انقطع صوت (الراديو) ولم نسمع الجواب عن هذا السؤال . أو إذا كانت هناك أسئلة أخرى أم هذا آخرها .

وعلى إثر ذلك أعطيت الكلمة لوفد حزب الاستقلال ، فتقدم أحمد راسم كعبار ، وطالب باستقلال ليبيا موحّدة وفي العاجل . وأوضح بعض عوامل الوحدة الليبية ، وطالب بإشراف هيئة الأمم على نقل السلطة من الإدارة الحاكمة حاليا إلى الحكومة الليبية ، ورفعت الجلسة . وفي الجلسة التالية (10) منه تكلّم مندوب مصر (محمود فوزي) فقال : أنه من الضروري أن نستمع إلى بيان من مندوب بريطانيا التي تتولى الإدارة في طرابلس . كما يجب أن نستمع أيضا إلى مندوب الأكثرية في طرابلس الغرب . وعلى إثر هذا الطلب أثير مبدأ إتاحة الفرصة لجميع المنظمات الشعبية للإدلاء بأقوال جديدة . وقد قدم هذا المبدأ للاقتراع ففاز بأغلبية 37 صوتا ولم يعارضه أحد ، وامتنع عن التصويت (3) .

وفي الجلسة التالية ليوم (10) منه قدم الوفد الأمريكي اقتراحا رسميًا . وهو الآتي :

أوّلا وضع الصومال تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة ، على أن تتولى إيطاليا الإدارة هناك .

ثانيا : ضم الجزء الشرقي من (ارتيريا) إلى الحبشة ، والجزء الغربي منها إلى السودان .

ثالثا : العمل على إنشاء دولة مستقلّة في ليبيا في غضون ثلاث سنوات ، على أن تساعد لجنة استشارية في إعداد سكان ليبيا للاستقلال . وقد كانت الدول العربية متشبّثة بمشروع الهند الذي ينصّ على استقلال ليبيا دولة موحّدة ذات سيادة إعلانا تاما ، على أن تنقل السلطات إلى الليبيين خلال فترة عامين لا تزيد .

وفي (13) منه قرّرت اللجنة الفرعية التي شكّلتها اللجنة السياسية من(21) عضوًا لتنسيق الاقتراحات ... قرّرت باجماع الأصوات وجوب منح ليبيا الاستقلال بأسرع ما يمكن على أن لا يتأخّر تاريخ هذا المنح عن أوّل يناير من عام 1952 م . وقد كانت نتيجة أخذ الأصوات هي (18) صوتا ضد (3) أصوات وهذه الأصوات الثلاثة هي : (بولندة ـ تشيكوسلوفاكيا ـ والسوفيات) .

أما الدول المؤيدة فهي : (استراليا ـ البرازيل ـ الأرجنتين ـ الشيلي ـ الدانمارك ـ مصر ـ الحبشة ـ فرنسا ـ غواتيمالا ـ الصين ـ الهند ـ العراق ـ ليبيريا ـ المكسيك ـ الباكستان ـ اتحاد جنوب إفريقيا ـ بريطانيا ـ الولايات المتحدة) .

وافقت اللجنة على اقتراح آخر هو : بمجرد أن تصل الأمم المتحدة إلى قرار نهائي يجب على بريطانيا وفرنسا أن تتّخذ الخطوات مباشرة لنقل السيادة إلى حكومة ليبيا. اقترح مندوب البرازيل تعيين مندوب سام نيابة عن الأمم المتحدة ، يعاونه مجلس استشاري تعينه الجمعية العامة ، للمساعدة على وضع دستور للبلاد وإنشاء حكومة ليبية مستقلّة ، على أن ينتخب المندوب من قائمة تقدّم إلى الجمعية العامة تضمّ أسماء أشخاص لهم خبرة واسعة في الشئون الدولية . ثم تلاه اقتراح أمريكي بإدخال ليبيا بعد إعلان استقلالها في أول يناير 1952 م عضوا في هيئة الأمم المتحدة مباشرة .

أتمت اللجنة الفرعية المكوّنة من 21 عضوا توصياتها بشأن المستعمرات إلى اللجنة السياسية ، وقد أعلن المندوب البريطاني في آخر اجتماع اللجنة الفرعية هذه أن

حكومته لا توافق على عدد من الشروط التي وردت في توصية اللجنة عن ليبيا . ولذلك فقد امتنع مندوبها عن التصويت . كما أن مندوب الأرجنتين يطلب بإصرار معالجة مشكلة المستعمرات الإيطالية مجتمعة . كما أن طلب مندوب الأرجنتين هذا قد نال موافقة الأكثرية ، إذ صوّتت في جانبه دول أمريكا اللاتينية الست ، في اللجنة الفرعية ، والكتلة السوفياتية وفرنسا والصين . وعارضته كل من الولايات المتحدة والهند ومصر والعراق والباكستان والحبشة وليبيريا واستراليا والدانمارك . وفي 4 نوفمبر 1949 م اقترحت بريطانيا بعض تعديلات في الاقتراح الخاص بليبيا . ذلك لأن اللجنة الفرعية قد أوصت بجعل ليبيا دولة واحدة مستقلّة ذات سيادة بطريقة معيّنة . ولكن بريطانيا طالبت بتعديل هذا النص ، بنص آخر كالآتي : إن سكان ليبيا التي تضمّ برقة وطرابلس الغرب وفزان سيصبحون مستقلين ، وإن السكان أنفسهم سيقرّون شكل الاتحاد والحكومة التي يرغبون فيها .

عارض مندوب الباكستان طلب مندوب الأرجنتين القائل ببحث مشكل المستعمرات جميعا . فقال : إنه من المستحسن عرض اقتراحات منفردة لكل من البلدان الثلاثة ، على الجمعية العامة ، بدلا من رفعها كاقتراح مشترك ، حيث نصل إلى نفس النتيجة الأولى في الدورة الماضية للجمعية العامة ، فيتوقّف مصير بلد على بلد آخر وهو الأمر الذي جعل الجمعية تقف دون الوصول إلى قرار حاسم . وهذا ملخّص لآراء الدول : نيوزيلندة : احترام رغبات السكان . العراق : ضمان وحدة ليبيا . البيرو : بحث المستعمرات وحدة لا تتجزّأ . الأرجنتين : توصيات اللجنة بدون تعديل . الهند : الوحدة الليبية . إيطاليا : تؤيد وحدة ليبيا.وفي (7) منه روسيا . ليبيريا . البيرو ، تعارض التعديل البريطاني ، عارض مندوب مصر التعديل البريطاني ، قائلا : إنه تعديل يهدف إلى تقسيم ليبيا إلى ثلاث مقاطعات ، وإن معاهدة الصلح مع إيطاليا تعترف بوجود ليبيا الموحّدة . ثم قال : إن المقترحات التي أمام اللجنة في ثلاثة قرارات منفصلة على أن تقديمها في قرار واحد سيؤدي إلى رفض القرارات برمّتها . رفعت الجلسة ، على أن تعاد بعد الظهر لإجراء التصويت على توصيات اللجنة الفرعية ، والتعديلات أي تعديل بريطانيا ، وآخر للبكستان ، وثالث لبولندة ، ورابع للبنان ، وتعديلات أخرى ، وعند الانتهاء من التصويت تحال القرارات النهائية إلى الجمعية العامة للتصويت عليها بأغلبية الثلثين .

وفي 9 منه اجتمعت اللجنة السياسية الأولى للبدء في التصويت على الاقتراحات المعروضة أمام اللجنة السياسية الأولى . المحوّلة إليها من اللجنة الفرعية ذات الواحد والعشرين عضوا . وقد طرح اقتراح السوفيات للاقتراع عليه جملة جملة ، ففيما يختصّ بليبيا وافق مندوبو عشرين دولة على منح ليبيا الاستقلال حالا . وعارض مندوبو 23 دولة وامتنع (8) عن التصويت . أما الجزء الثاني من نفس الاقتراح المتعلّق بسحب الجيوش والتصفية فقد سقط بأكثرية 31 صوتا ضد 21 وامتناع (11) وسقطت الأجزاء الأخرى المتعلقة بغير ليبيا .

ثم طرح للتصويت اقتراح ليبريا الخاص بالصومال ، فهزم ، ثم بدأ الاقتراح على التوصيات التي حولّتها إليها اللجنة الفرعية . وهنا تدخّل مندوب الهند ، وطالب بإدخال تعديل على الجملة الأولى في التوصية المتعلقة بليبيا ، وقال : إنه يريد التوفيق بين وجهات النظر حول مصير ليبيا . وهل ستصبح دولة واحدة أي (سنقل : SINGLE) أو أن تكون دولة موحّدة أي (يونايتد UNITED) وقد سبق للمندوب البريطاني أن اقترح حذف كلمة (واحدة) التي وضعت في الأول بالمرّة . لكي يصبح نص الاقتراح كما يلي : أن تصبح ليبيا المكوّنة من برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، أي دون وضع كلمة (واحدة) أو (موحّدة) للتوفيق بين النظريات .

وهنا أعلن مندوب بريطانيا أنه مستعدّ لسحب تعديله إذا فاز التعديل الهندي بموافقة اللجنة . وقد أيّد مندوبا مصر ولبنان تعديل الهند ، كما أيدته أستراليا . ثم تدخّل السوفيات ، واتهمت الهند بالتواطؤ مع رئيسة الكومنويلث ، وقد اعتمد المندوبان على الفقرة الثالثة من التوصية ـ القائلة بترك وضع الدستور ونوع الحكم للشعب . وطرحت هذه الفقرة للتصويت ، بناء على طلب من مندوبي روسيا ولبنان ففازت بـ (56) صوتا ، وامتنعت دولتان . ثم طرح للتوصيت التعديل البولندي ، وهو منح ليبيا الاستقلال في غرة يناير 1951 بدلا من 52 فهزم . ثم جرى التصويت على ما أوصت به اللجنة الفرعية وهو : منح ليبيا الاستقلال في مدّة لا تتجاوز أوّل يناير 1952 ففاز هذا الاقتراح بأغلبية 54 صوتا ضد لا شيء ، وامتناع اثنين .

ثم طرحت الفقرة القائلة : يجتمع مندوبون عن سكان « برقة وطرابلس وفزان » لوضع دستور حكومة ليبيا المستقلة ، فتمت الموافقة على هذه التوصية ، بأغلبية 56 صوتا ، مقابل صوت واحد معارض . ثم جرى التصويت على الاقتراح القائل بتعيين

مجلس استشاري عن هيئة الأمم ، مهمته مساعدة الليبيين على وضع دستور لبلادهم . وإقامة حكومة مستقلة . ناقش مندوب بريطانيا هذا الاقتراح طويلا إلى حدّ أنه أعلن بأنه سيمتنع عن التصويت ، ولكن رغم ذلك فإن الاقتراح فاز بـ (54) صوتا وامتناع اثنين .

طرح للتصويت مشروع تأليف المجلس الاستشاري بتفاصيله . وقد اعترض مندوب بولاندة على وجود الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لأنها دول لها مطامع ومصالح استعمارية في ليبيا . ولذا طالب أن تحلّ ثلاث دول هي تشيكوسلوفاكيا / المكسيك / السويد محل الثلاث الأولى ولكن السويد والمكسيك رفضتا . ثم قال فليكن لبنان ، وهايتي ، بدلا من السويد والمكسيك . ولكن مندوب لبنان رفض قائلا : يكفينا أن تكون مصر وصديقتنا الباكستان . وحينما عرض التعديل البولاندي للتصويت رفض بأغلبية 35 صوتا مقابل 18 أما التصويت على مشروع تأليف المجلس الاستشاري بتفاصيله فقد تمت الموافقة عليه بأغلبية 47 صوتا مقابل (5) .

كما وافقت اللجنة السياسية بأغلبية (48) صوتا وامتناع (11) على الاقتراح القائل باتخاذ التدابير اللازمة من قبل السلطات الإدارية في ليبيا لتحقيق استقلال هذا البلد . كما وافقت بأغلبية (29) صوتا ضد (9) وامتناع (17) على الاقتراح الذي يدعو المندوب السامي عن هيئة الأمم المتحدة إلى التعاون مع سلطات الاحتلال في سبيل تحقيق استقلال ليبيا . كما قرّرت اللجنة بأغلبية 50 صوتا ضدّ لا شيء وامتناع (6) على أن يقدّم المندوب السامي تقارير سنوية إلى سكرتيرية هيئة الأمم المتحدة عن سير أعمال نقل السلطات في ليبيا إلى حكومة ليبية مستقلّة . ثم واصلت الاقتراع على أن تصبح ليبيا المستقلة عضوا في هيئة الأمم المتحدة ، فوافقت اللجنة بأغلبية (55) صوتا ضد (4) .

وفي 12 نوفمبر 1949م قرّرت اللجنة السياسية الانتهاء من استعراض كل التوصيات ، وتم الاقتراع عليها . على أن تحال هذه التوصيات بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة إلى الجمعية العمومية ، وقد ترامت الأخبار يومئذ أن الجمعية ستعقد اجتماعها يوم الثلاثاء أي يوم (15) منه تمهيدا للنظر في اقتراحات اللجنة السياسية ، بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة .

السّعـداوي يهنّئ الشعب الليـبي بالاستـقلال
ويهيب به أن يشمّر عن ساعد الجدّ للعمل في تضامن واتحاد

أذيعت كلمة السعداوي هذه من إذاعة طرابلس حينما ربطت هذه بإذاعة الأمم المتحدة في (ليك سيكـسس) كما نشرتها جريدة طرابلس الغرب بتاريخ 26 نوفمبر 1949 م .

أبنـاء وطـني الأعـزاء

لقد ناضلت (الأمة) الليبية ، وجاهدت ، وتحمل أبناؤها من التشريد والعذاب والويـلات ما أرهقهـم ، وأفنَى الألـوف من فلـذات أكبادهـم سنـوات عديـدة ، وقد شاءت الأقدار أن تمرّ البلاد بتلك التجربة القاسية . أما الآن ـ وقد شملتها العناية الإلهية بمكافأة الصابرين المجاهدين على ما تكبّدوا من تضحية ، وتحمّلوا من عنف وإرهاق ـ فقد حفظ الله سبحانه وتعالى (للأمة) كيانها وكتب للوطن الحياة والخلود . وإنه لنصر عظيم أن تفوز هذه (الأمة) المباركة بحريتها وأن تبلغ قصدها ، بالرغم عن تلك الصعاب التي اعترضت سبيلها ، ومهما سيطر عليها الأجنبي نيفا وثلاثين عاما . وإن ما فازت به (الأمة) اليوم من الاعتراف بوحدتها واستقلالها إنما هو ثمرة جهود أبنائها وإصرارهم على الكفاح من أجل استقلالهم وتمسّكهم بوحدة بلادهم ، وبفضل نضالهم وجهادهم تحت راية الوطن .

حقًّا لقد كان جهادا مريرا طويلا ، لم يخفّف من شدّة وطأته على نفوسنا سوى ما نلناه من معاونة صادقة من رجالات العروبة في كل قطر من أقطارها ، أولئك الذين أيدونا في كفاحنا ونحن مجاهدون ، ثم فتحوا لنا صدورهم ونحن مهاجرون ، ثم هبُّوا لنصرتنا عندما أذنت ساعة الخلاص ونحن عن حقوقنا مدافعون .

إن الشعب الليبي بأسره ، وقد فاز بمأربه في هذه الجولة الهامة من جهاده الطويل ، ليرسلها تحية طيبة مباركة إلى جميع تلك الحكومات والشعوب العربية والآسيوية التي نصبت أنفسها للدفاع عن كيانه ومصيره وتأييده في الوحدة والاستقلال . ونحن ـ الليبيين ، الذين وجدنا في مصر بلدا وحكومة وشعبا ـ خير نصير لقضيتنا نزجيها اليوم في هذه اللحظة الهامة الحاسمة من تاريخ بلادنا كلمة شكر

وعرفان بالجميل ، وهي منقوشة في صدورنا ، صادرة عن أعماق قلوبنا لما حبتنا به مصر النبيلة من عطف الشقيق على الشقيق ، وحنو الجار على جاره ، ومحبة الأم الرؤوم لابنائها البررة .

وإنه ليجدر بي أن أذكر أبناء وطني الأعزاء بحقيقة ، لعل أحدا منهم قد نسيها في غمرة هذا السرور ، أو أن أحدا منهم قد يتسنّى له نسيانها في غمرة هذا الحبور ، وهي (أن العمل لم ينته بعد) ، إن فترة الانتقال تتطلب بذل جهود أشق من سابقتها حتّى يصبح استقلال البلاد ووحدتها أمرا نافذا مفعولا . ولا أخال أبناء وطني الأعزاء إلّا أنهم يدركون ، ويعرفون أن المستقبل متوقف على تعاضدهم وتساندهم في كتلة متراصة ، لا يجد فيها الأجنبي سبيلا إلى بث بذور التفرقة .

اهنأوا بما فزتم به من حرية واستقلال ، وتهيّأوا للعمل في المستقبل بثبات وهدوء وشمّروا عن سواعد الجد والعمل ، واضربوا الدليل الحي على أن هذه (الأمة) المجاهدة الفتية ، وقد فازت بهذا الاستقلال ، ليس فقط تقدر مسئولية الاستقلال ، بل تعمل يداً واحدة لتدعيم بنيانه ، وتثبيت أركانه .

وكان الوفد الليبي قد سعَى في هيئة الأمم المتحدة جهده لضمان تعيين الجنرال «رومولو» مندوب الفيليبين ورئيس الجمعية العمومية وقتئذ ، في منصب مندوب الأمم المتحدة ، وقد اتصل به بشير السعداوي ، والدكتور فؤاد شكري يوم 28 نوفمبر ، وفاتحاه في الموضوع ، ولكن المقابلة لم تسفر عن النتيجة المطلوبة . وقد ترشح «رالف بانش» ولكنه قال : إنه لا يرغب في تولي هذا المنصب ، وهناك آخرون ولكن اللجنة الخماسية المنتقاة أوصت بتعيين «بيلت» مساعد الأمين العام للأمم المتحدة في منصب مندوب سام للأمم المتحدة في ليبيا لمدة سنتين براتب قدره (22) ألف دولار ، وقد قدم اسمه للجمعية االعمومية فوافقت عليه .

في منتصف شهر ديسمبر تقريبا تلقى المؤتمر الوطني العام برقية من بشير السعداوي يقول فيها : بأنه وصل إلى مصر عائدا من الأمم المتحدة ، وأنه شرع في اتصالاته السياسية ، وعند الانتهاء سيعود إلى طرابلس ، وسيمرّ ببنغازي .

هيئة الأمم المتّحدة
تقرّر استقلال ليبيا ووحدتها

في 21 نوفمبر 1949 م وافقت الجمعية العمومية على التوصيات التي تقدّمت بها اللجنة السياسية الأولى ، كما أجازت مجموعة التوصيات عند طرحها على التصويت كتلة واحدة بأغلبية 48 صوتا ، ولم يصوّت ضدّها إلّا دولة واحدة هي «الحبشة» وامتنعت تسع دول عن التصويت ، ثم طرحت التوصيات للتصويت عليها فرادى ، ففازت التوصية الخاصة بقيام دولة ليبيّة مستقلّة ذات سيادة في مدّة لا تتجاوز غرة يناير 1952م بأغلبية 49 صوتا ، وامتناع الدول التسع التي تقدّم ذكرها ...

وافقت الجمعية العامة بأغلبية 55 صوتا وامتناع ثلاث دول على الاقتراح الخاص بتعيين مجلس استشاري لليبيا ، ومندوب سام . وقد أسندت الجمعية العامة مهمة اختيار المندوب السامي إلى لجنة خماسية تتكوّن من : الفليبين / البرازيل / كندا / باكستان / إيران .

وما كاد الشعب يلتقط مازفّته إذاعة هيئة الأمم المتحدة من النتيجة السارّة والنهائية لموضوع ليبيا في هيئة الأمم ، تلك التي بشّرت بفوز ليبيا بالاستقلال والوحدة في ساعة مبكّرة جدًّا من صباح يوم 1949/11/21 م ، حتّى ضاق مقرّ المؤتمر الوطني في شارع عمر المختار بالمواطنين ، واكتظت الشوارع التي حواليه ، إذ خرج الشعب في ذلك الظلام الحالك إلى الشوارع ، وبدأت تتضاعف الأضواء حتّى تغلب النور على ظلام الليل ، فأصبحت المدينة كأنها في رائعة النهار لكثرة الجماهير ، وتكاثر الأنوار ، على الرغم من أن الحركة كما قلنا بدأت في الهزيع الأخير من الليل ، فلا يزال الظلام حالكا .

ولقد تواصلت مظاهرات الفرح والسرور ليلا ونهارا ، فترى الناس يردّدون عبارات التهاني ، ويتبادلون القبلات في تيه واعتزاز بنصر الله القوي العزيز . ثم توالت في الأيام التالية المهرجانات في الشوارع ، من كل أحياء المدينة ، وفي الدواخل ، وتستمر تلك المهرجانات حتّى الصباح ، وتلقى فيها الخطب وتمثل فيها الروايات . ولست مبالغا إذا ما قلت : إن (نادي الاتحاد الرياضي) قد ضرب الرقم القياسي في هذا الميدان ، فلقد قام بعرض عدّة روايات أتذكر منها : رواية بعنوان :

ليبيا في سنة 1990 م ـ وثلاثة أشرطة (سينمائية) أحدها عن عودة إدريس من لندن وآخر عن مؤتمر مسلاتة ، وثالث عن رحلة رياضية قام بها النادي ، وغير ذلك من الاجتماعات والاحتفالات ، ثم أرسلت برقيات الشكر للجامعة العربية والحكومات العربية وكل الدول التي ناصرت القضية . وإلى الأمم المتحدة وغير ذلك من مظاهر الفرح والسرور التي غمرت الشعب الليبي من أدناه إلى أقصاه ، تلك المظاهر التي لا أستطيع لها وصفا كما وقعت ، أو حتّى قريبا من ذلك .

النصّ الكامل الرسـمي لقرار الجمعية العمومية فيما يختصّ بليبيا :

بناء على ما جاء في الفقرة الثالثة من الملحق 11 من معاهدة الصلح الإيطالية فإن الدول المختصّة في الجمعية العمومية قد وافقت على قبول توصيات الجمعية العمومية بخصوص التصرف في أمر المستعمرات الإيطالية السابقة أن تتّخذ التدابير اللائقة لسريان مفعولها .

ومع الاطلاع على ما جاء في تقرير لجنة الاستفتاء الرباعية . وبعد سماع أقوال ممثلي الهيئات التي تمثل الأقسام السياسية للآراء في الأقاليم المقصودة ، ومع وضع رغبات ورفاهية سكان الأقاليم وصالح الأمن والسلام موضع الاعتبار . يوصي :

فيما يختص بليبيا :

1 ـ أن ليبيا التي تشمل برقة وطرابلس وفزان تكون دولة مستقلة ذات سيادة .

2 ـ يسري مفعول هذا الاستقلال في أقرب فرصة ولا يكون في أي ظرف بعد أول يناير 1952 م .

3 ـ إن دستور ليبيا بما فيه شكل الحكم يقرر بواسطة ممثلي السكان في برقة وطرابلس وفزان مجتمعون ويتشاورون في اجتماع وطني .

4 ـ ولغرض مساعدة أهالي ليبيا في تشكيل صياغة الدستور وتأسيس حكومة مستقلّة يكون هناك مندوب عن هيئة الأمم المتحدة في ليبيا تعينه الجمعية العمومية ومجلس يساعده ويرشده .

5 ـ إن مندوب هيئة الأمم المتحدة بالتشاور مع المجلس يقدم تقريرا سنويا . وتقارير أخرى خاصة إذا ما رأى ذلك لازما . وترفق بهذه التقارير أية مذكرة أو وثيقة

يودّ مندوب الأمم المتحدة أو أي عضو من أعضاء المجلس رفعها إلى الأمم المتحدة .

6 ـ إن المجلس يتألف من عشرة أعضاء كما يلي :

(أ) ممثل واحد عن كل حكومة من الحكومات التالية تعيّنه هي : مصر ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ باكستان ـ المملكة المتحدة ـ الولايات المتحدة الأمريكية .

(ب) ممثل واحد عن شعب كل من مناطق ليبيا الثلاث . وممثل عن الأقليات في ليبيا .

7 ـ وإن مندوب الأمم المتحدة يعين الممثلين المذكورين في الفقرة السادسة (ب) بعد التشاور مع السلطات الإدارية وممثلي الحكومات المذكورة في الفقرة السادسة ، ومع الشخصيات من قادة الرأي وممثلي الأحزاب السياسية ، والهيئات في كل من البلاد المختصّة .

8 ـ وإن المندوب يجب عليه في أثناء تأدية وظيفته ، أن يستشير أعضاء مجلسه وأن يسترشد بهم إذ من المفهوم أنه يستنير بآراء مختلف الأعضاء بالنسبة لشتّى المناطق .

9 ـ وإنه في إمكان مندوب الأمم المتحدة أن يقدّم اقتراحاته للهيئة العامة وللمجلس الاقتصادي والاجتماعي والسكرتير العام عن التدابير التي قد يكون من الواجب على الأمم المتحدة اتخاذها أثناء الدور الانتقالي حيال مشاكل ليبيا الاقتصادية والاجتماعية .

10 ـ وأن على الدول القائمة بالإدارة :

(أ) أن تشرع حالا في اتخاذ الخطوات اللازمة لنقل السلطة لحكومة مستقلّة مؤلّفة حسب الأصول .

(ب) أن تدير شئون البلاد بغرض المساعدة في إقامة وحدة واستقلال ليبيا والمساهمة في تأليف دوائر حكومية وتنسيق نشاطها لهذه الغاية .

(جـ) إن تقدّم تقريرا سنويا للهيئة العامة في الخطوات المتخذة لتنفيذ هذه

التوصيات وأن تقبل ليبيا بمجرّد قيامها كدولة مستقلّة بين الأمم المتحدة وفقا للمادّة الرابعة من ميثاقها .

* * * *

مندوب هيئة الأمم المتّحدة
يصل إلى طرابلس

في الساعة السابعة من مساء يوم 18 يناير 1950م وصل «بيلت» مندوب هيئة الأمم المتحدة في مجلس هيئة الأمم لليبيا . وصل مع زوجته وأعوانه . وقد عقد مؤتمرا صحفيا ألقى فيه خطابا مطوّلا ، وقد وجهت أسئلة إليه من بينها سؤال عن شعوره حينما وقع تكليفه بمهمّة في ليبيا فقال :

عندما كانت بلادي وغيرها من البلدان الأوروبية تئنّ تحت تأثير نير العدو المحتل في تلك الأثناء لاحت تباشير الخلاص والنصر ، وأخذت تلمع في الجو أسماء طبرق وبنغازي وطرابلس وبئر حكيم وغيرها من أسماء المدن والمواقع في ليبيا ، وأخذت تطرق أسماع الملايين من البشر كنواقيس البشرى تحمل أنغام التحرر من الاستعباد ونعمة التخلص من الاستعمار والتنعم بالحرية والانعتاق والاستقرار ، وإنني لسعيد بأن أقدم خدماتي للشعب الليبي الكريم الذي في سماء بلاده بزغ هلال النصر ، مشعًّا متألقا خلال الحرب الأخيرة .

وبعد ذلك ، قام بزيارة مفتي ليبيا «أبو أبو الإسعاد العالم» في بيته . كما زار عميد بلدية طرابلس . ثم تلقّى بدوره زيارات من : سالم المنتصر رئيس حزب الاستقلال ، ثم وفد عن المؤتمر الوطني قوامه : مصطفَى ميزران ـ الطاهر باكير ـ أحمد عون سوف ـ محمد يونس الكريكشي . وهم من أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني ـ ثم الصادق بن زراع رئيس حزب الأحرار . ثم زاره وفد عن الكتلة الوطنية الحرة ، وآخر عن حزب الاتحاد المصري الطرابلسي . ووفد من الفزانين المقيمين بطرابلس . كما زاره بعد ذلك ممثل إيطاليا . ثم ممثل الطائفة الإسرائيلية (! ! !) ثم ممثل الجالية المالطية .

ونائب قنصل اليونان وفي يوم الثلاثاء 24 من يناير 1950م غادر «بيلت» طرابلس إلى بنغازي يصحبه المستشار والمترجم والصحفي.

وصل (بيلت) إلى بنغازي وقابل إدريس. كما اجتمع بأعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي، فقدّم له «الصديق الرضا» نائب رئيس المؤتمر مذكرة تضمّنت طلب الاستقلال الناجز لليبيا على أن تؤسس بها حكومتان أو ثلاث بموجب اتفاق على أساس فيدرالي، والتعويض عن الخسائر التي لحقت برقة من الحرب، وإعادة الممتلكات التي اغتصبتها إيطاليا. وطلب المندوب من رئيس المؤتمر تقديم شخصين قبل أوّل مارس، لاختيار واحد منهما للمجلس الاستشاري.

وفي أوّل فبراير 1950م وصل بشير السعداوي إلى بنغازي قادما من القاهرة، وقابل إدريس وتحدث معه بشأن وحدة الوطن، ووصل يوم 7 منه إلى (مسلاتة) واجتمع بمجموعة من المواطنين في الجامع الكبير، وأخبر المجتمعين بنتيجة أعمال الوفد في قضية الوطن. ثم واصل سفره إلى ترهونة. وهناك استقبله جمع غفير من المواطنين، كان من بينهم قاضي ترهونة «محمد فخر الدين أبو رخيص» وعبد السلام المريض ـ ومحمد عبد الصمد ـ وأحمد المنتصر ـ والشاب المخلص «اللافي الشاوش» وقد ألقَى هذا الأخير كلمة ترحيب بعودة الوفد، وتعرض فيها إلى فقدان المرحوم «الطاهر المريض» وعدّد مناقبه وخدماته للوطن. ثم أجابه السعداوي وكان يبدو على صوته تأثر عميق، فألقَى كلمة عزاء ورثاء في فقيد الوطن المجاهد، ابن المجاهد، وأشاد بمآثره وخدماته.

انتقل (بيلت) إلى مصر، وحضر مؤتمرا دام ثلاث ساعات حضره عشرة من الليبيين، وكان من بينهم الدكتور العنيزي ـ وعزام، فوجّه العنيزي سؤالا للمندوب عما لمسه في رحلة التقصي في ليبيا، فأجاب بأنه لم يتمكن من تفهم أهداف الزعماء وضرب مثلا فقال: إن عمر باشا الكيخيا قد طلب الاعتراف باستقلال برقة وحدها، على اعتبار انفصالها عن بقية الأجزاء، وكذلك فإن بشير السعداوي، في الوقت الذي لا يرى فيه مانعا من تمثيل

الأقلية اليهودية في المجلس الاستشاري ، يعارض في منح هذا الحق للأقلية الإيطالية .

عقد المندوب مؤتمرا صحفيا في القاهرة أشار فيه إلى أنه سيعود إلى ليبيا في النصف الأخير من شهر مارس . ومنها انتقل إلى روما ، حيث تباحث مع الزعماء الإيطاليين لمدّة ثلاثة أيام فيما يختصّ بليبيا . وفي نفس الوقت صرّح إدريس بأنه سيترك للسيد بشير السعداوي إقامة حكومة محليّة في طرابلس ، على غرار حكومة برقة ، وأنه إذا سمحت له صحّته سيذهب إلى طرابلس للإشراف على الإجراءات .

وفي 13 منه أذاعت إحدى محطّات الأخبار تكذيبا من عمر الكيخيا بأنه يطلب استقلال برقة وحدها كما جاء في أخبار القاهرة ، نقلا عن المستر (بيلت) ، وقال : إنه يؤيّد استقلال ليبيا على نظام اتحادي . ثم انتقل المندوب من روما إلى باريس ، ومنها إلى لندن (فليك سيكسس) .

* * * *

أنا ووالي طرابلس وشركة احتكار التّبغ

ذكرت فيما تقدّم من صفحات هذه المذكرات كيف أنني عندما عدت من الإبعاد في شهر يناير 1961 م وجدت على رأس ولاية طرابلس الغرب « واليا » هو (فاضل بن زكري) غفر الله له . وأشرت كيف أنه كلّف أعوانه بتتبعي وترصّد حركاتي . وبما أنني كنت كثيرا ما ألتقي ببعض الإخوان العائدين من المهجر ، وكان بعضهم في حالة احتياج واضح ومن ورائه عائلة ، فيشكو لي حالته فلا يسعني إلّا مدّه بما استطيع .

وقد تعدّدت هذه الحالة فعلا مرارا وتكرارا ، والمكلفون بتتبعي ينقلون إليه الكبيرة والصغيرة من حركاتي ، ولقد كان في إمكانهم ، لو أرادوا معرفة الحقيقة ، أن يعرفوا أنها لا تعدو كونها مساعدات بريئة وبسيطة لشخص يستحقّها . ولو أرادوا بعملهم ذاك خيرا وانصافا مع أداء واجبهم . ولكنهم أصلح الله شأنهم ، كانوا ينقلون في تقاريرهم تلك التصرفات على علاتها . بل

ربّما زادوا تضخيما وتهويلا جريا وراء الجهات المسئولة حيث كانوا يهدفون من وراء إرضائها للترقية مستقبلا ولو كانت على حساب ...

ومن هنا ، ونتيجة لتلك أوجس الوالي خيفة من أن تكون تلك التصرّفات توطئة لجمع الأنصار لإثارة حركة المعارضة من جديد . ولازلت لم أتقابل مع الكثير من الإخوان ، خصوصا جماعة الدواخل حتّى أتمكن من معرفة جوّ البلاد بعد غيبتي عنها أكثر من تسع سنوات . هل هو قابل للعمل أم لا ؟ كما أنني لازلت لم أتمكن حتّى من زيارة عشيرتي وأقاربي وأبناء قريتي في الجبل الغربي بعد غياب هذه المدة الطويلة . إن هذه المدة القصيرة لوجودي في الوطن لا تمكنني من القيام بأي عمل ، إذ لا عمل بدون دراسة جيدة ودقيقة للوضع . ولكن سيادة الوالي لم يفكر في هذا ، إنما اعتمد على ما وصله من تقارير المتتبعين . ونتيجة لذلك وعلى غير انتظار ، طلبني لمقابلته . فحضرت إلى مكتبه ، وبعد أن حيّيته وردّ التحيّة ، ورحّب أيضا وبوجه طلق وقدم لي القهوة . ولكن ... وبعد لحظة انقلب الموقف من القهوة والترحيب إلى الغلظة والتأنيب « سامحه الله » فلقد خاطبني بعبارات جافّة ، بل نابية حيث قال لي : (أنت يا سي الذكر مازلت في عماك ..؟ تفتح تيزدانك واتوزع في الفلوس في الشارع) قلت : عفوا يا حضرة الوالي . أنا لم أكن في يومن الأيام الماضية أعمى ، بل كنت دائما بصيرا ، فلم أخالف الطريق المستقيم ، والحمد لله على حسن توفيقه .

يبدو لي من كلمة الوالي الأخيرة أن جوابي هذا غير مقبول لديه ، أو أنه يراه غير لطيف ، حيث قال لي : أنت راسك كاسح مازال . وعليه يجب أن تلتحق (بغريان) حالا للعمل في « مؤسسة تبغ تغرنة » وتقعد هناك والآن حالا من هنا تذهب إلى (حراسة العامة) في ميدان السراي ، وستجد هناك عبد الرحمن العجيلي فيعطيك رسالة تذهب بها إلى مقرّ عملك في غريان بأسرع وقت ممكن .

ذهبت إلى الحراسة ، وتسلمت الرسالة من السيد عبد الرحمن المذكور . ولا أعرف وضع عبد الرحمن هذا ، أهو نائب عن الحارس العام . أو هو سكرتير؟ المهم سلّم لي الرسالة . ومن الغد ذهبت إلى (غريان) فوجدت

المسئول في المؤسسة (عيسَى بن عبد الله) وبعد مدّة قصيرة انتقل عيسَى المذكور إلى طرابلس حيث التحق (بالمصرف الزراعي) وجاء للمؤسسة (يوسف طباق) خلفا لعيسَى، ولم تطل مدّة هذا الأخير أيضا، فانتقل إلى طرابلس هو الآخر.

وبقيت أنا المسئول في المؤسسة وفي هذه الأثناء كان الحارس العام (يوسف قرجي ونائبه مختار العالم) وألاحظ هنا أنه منذ التحاقي بهذه المؤسسة حتّى انتقالي منها قد توالى على رئاسة الحراسة خمسة أشخاص ممّن يسمون بالحارس العام، وهم: يوسف قرجي ـ أحمد شماطة ـ محمد المحجوب ـ محمد الجوهري ـ إبراهيم الغماري ولقد وقعت تصرفات ومحاولات غير شريفة خلال وجودي بالمؤسسة. ولنترك أمرها إلى الله تعالى، إذ لا فائدة في نبشها الآن.

وفي أواخر سنة 1962 م فيما أتذكر أو أوائل 1962 م لا أدري بالضبط تحركت (شركة احتكار التبغ الوطنية) وهي شركة يستولي عليها الإنجليز وليس للوطن منها إلاّ الاسم. تحركت هذه الشركة. أو قل تحرّكت الإدارة البريطانية إن شئت للاستيلاء على مؤسسة تبغ تغرنة بكل ما فيها، وضمها لشركة احتكار التبغ، وبدأت المساعى تجري لدى وزارة المالية والحراسة العامة من طرف الإنجليز. ومطالب الإنجليز آنذاك لا تردّ بل تجاب. وفي هذا الوقت كان يوجد شاب موظف في الحراسة على جانب من الثقافتين العربية والإنجليزية. وفي مركز يمكنه من الاطلاع على أية إجراءات تقع في دوائر الحراسة. واسم هذا الشاب (محمد حضري) ولا شك أنه من إخواننا الشرقيين. ولعلّه كان حائزا على الجنسية الليبية فيما سمعت من الناس، وهو لا يزال في طرابلس إلى أمد غير بعيد.

في يوم من تلك الأيام جئت من غريان في عمل يتعلق بالمؤسسة، فاتّصل بي هذا الشاب وأخبرني بأن الشركة الوطنية لاحتكار التبغ تعمل جاهدة للاستيلاء على مؤسسة تغرنة، وقد أصبح الأمر وشيك الوقوع. قلت ماذا أستطيع أن أفعل في الموضوع ..! وأنا لست أكثر من شخص شبه موظف بل أنني أعمل بالأجر اليومي. ومن جهة أخرى فأنا غير موثوق بي؟ ماذا أستطيع

أن أفعل وهذا هو وضعي ..؟ وبعد لحظة تفكير رأيت في نفسي أنني كمواطن تهمني مصلحة بلادي .

ومن هنا ، وعلى هذا الأساس قمت بكتابة تقرير أحصيت فيه جميع ممتلكات المؤسسة من : مزارع للتبغ ، ومزارع الحبوب ، وأدوات فرز التبغ ، والتصنيف ، والتجفيف ، والمكابس ، والأخشاب ، والخيش للترطيب ، والمباني ، من مساكن ومخازن ومعصرة ومطحنة للقمح عصريتين في وقتها وأجنة وسانية الخوخ وعشرات الآلاف من شجر الزيتون وآلاف الهجتارات من الأراضي الخصبة التي تؤجر للمواطنين وغير ذلك من الأشياء التي لم تحضرني الآن . وبالجملة كل ما هو تابع للمؤسسة . كما أوضحت فيه وارداتها المنوية الصافية . كل ذلك ضمّنته بالأرقام في هذا التقرير ، ثم وزّعته على الحراسة العامة ورئاسة الوزارة ووزارة المالية . وأبديت نظريتي في الموضوع .

أبديت نظريتي في الموضوع فقلت : علمت أن شركة احتكار التبغ الوطنية تريد ضمّ هذه المؤسسة إليها . وفي الواقع أن الكلام في هذا الموضوع ليس من اختصاصي ، وإنما باعتباري كمواطن تهمه مصلحة بلاده رأيت أن أرسل إليكم بهذه الإحصائية التي لا أشك في أنها غير خافية عليكم ، وإنما أقدمها إليكم من قبيل الذكرى ، عسَى أن تروا فيها فائدة ما . فيما إذا رأيتم تلبية شركة الاحتكار . وعلى كل فتلك هي ممتلكاتها ، وذلك هو إيرادها السنوي الصافي .

وعلى إثر وصول هذا التقرير وقفت المحاولة تماما ، وبعد فترة ، وفي عهد وزارة الدكتور محي الدين فكيني سنة 1964 م عادت المحاولة فرفعت رأسها من جديد . فإذا بالموظف نفسه (محمد حضري) يتصل بي ويعلمني بالأمر ، حيث قال لي : عادت المحاولة من جديد ، فقلت : ما دام التقرير موجودا عندهم فلا حيلة لي في الموضوع ، ولا أستطيع عمل أي شيء أكثر ممّا عملت ، فقال لي الموظف : إن التقرير كان موجودا ، ولكنه اختفى في المدّة الأخيرة ، وقد فتّشت عنه ، فلم أعثر له على أثر ، ولعلّ يدا اغتالته لغاية معروفة . ولما كنت محتفظا بصورة منه فقد عمّمت توزيعه من جديد بنفس الطريقة الأولى فوقفت المحاولة .

وبعد فترة غير طويلة استقالت وزارة الدكتور فكيني ، وحلت محلّها وزارة جديدة برئاسة محمود أحمد المنتصر رحمه الله تعالى . وبعد فترة غير طويلة أيضا وقع نقلي من غريان إلى طرابلس . في قسم المشروعات . التابع للحراسة العامة نفسها . وبعد ذلك بمدّة سمعت بأنه قد تمّ استيلاء شركة احتكار التبغ الوطنية على المؤسسة . هكذا سمعت والله أعلم بالحقيقة .

في صباح يوم الإثنين فيما أتذكر ، وهو اليوم الخامس من يونيه 1967 م جئت لمكتبي كالعادة في قسم المشروعات ، وجاء أيضا بعض الموظفين . ولم يكتملوا بعد وبينما نحن كذلك إذا بجرس الهاتف يرنّ ، وإذا بمتكلّم يسأل عن صديق له ، بيننا وكان قد حضر في تلك اللحظة ، ناولته السماعة ، وإذا بصديقه يقول له : افتحوا الإذاعة على مصر ، فتساءل الموظف : لماذا ..؟ فقال له : إن الحرب بين مصر ، واليهود قد بدأت ، وعندها أخبرنا الموظف بما سمعه ، وبما أنه ليس لدينا جهاز إذاعة مسموعة من المكتب في وسرت من شارع لآخر وكانت حالة البلاد عادية تماما ، إلى أن وصلت إلى شارع عمرو بن العاص : «الوادي سابقا» حيث كان هناك أحد القصابين كنت في أكثر الأوقات أشتري منه فوجدت دكانه مفتوحا . وبجانبه جهاز مذياع مفتوح على تونس ، فقلت له : لو سمحت حول الإذاعة على مصر ، فقال : لماذا ..؟ قلت أظن أن فيها حربا . فأدار مؤشر المذياع إلى القاهرة ، فإذا بنا نسمع الأناشيد العسكرية ، والبلاغات الحربية ، عن سير المعارك وسقوط الطائرات .

ومن هنا انقلبت عائدا إلى عملي ، وما هي إلّا لحظات حتّى انتشرت الأخبار ، وعمّت البلاد بسرعة ، فانقلبت شوارع مدينة طرابلس التي كانت ترفل في أجمل حلّة تسرّ الناظرين ، تمثلها تلك الحوانيت المفتحة الأبواب ، وهي تميد ببضائعها المعروضة بتنسيق في جميل من كل الأنواع ، تملأ القلوب راحة وقناعة ، والمقاهي مفتحة الأبواب ، مكتظة بروادها بين جالس وقائم وخارج منها وداخل إليها ، والشوارع مزدحمة ، بين رائح وغاد ، كل يسعى لمآربه الخاصة أو العامة والسيارات تعبر الشوارع مسرعة في اتجاهات مختلفة .

بينما كانت طرابلس في هذه الحالة أو الوضع الذي ينبض بالحياة السعيدة . إذا بها تنقلب فجأة إلى ضدّها . فقد خلت الشوارع من المارة تماما إلّا سواعد قويّة تنهب الأرض عدوا هنا وهناك ، لتجهز على ضحاياها . وأغلقت الحوانيت والمتاجر أبوابها ، وشغرت المقاهي من روادها ، ولم يبق مسيطرا على الشوارع والأسواق إلّا تلك السواعد القويّة ذات القلوب الحيّة من الطرفين ، والتي انقلبت من بشر عاقل هادئ إلى شبه ضوار كاسرة يبطش بعضها ببعض ، بدون هوادة فكانت معارك دامية رهيبة بين العرب واليهود . وفي لحظة ارتفعت أعمدة الدخان هنا وهنا ، تبعتْها نيران مضطرمة تلتهم تلك البضائع الثمينة المعروضة المنسّقة الجميلة ، ثمّ تأتي على الأبواب ، وقد التهمت حتّى الجدران الحجرية أيضا .

وعلى الرغم من قيام رجال الأمن بواجباتهم كاملة في قوّة ونشاط كبيرين فلم يستطيعوا لذلك التيار كبحا ، إلّا بعد أن حصلت بعض الأضرار في الأنفس والأموال من الطرفين . وهكذا فقد انقلبت المدينة من حياة أشرنا إلى القليل جدا منها ، إلى مدينة خاوية على عروشها . شوارع مقفرة . ومحلّات سوداء مغلقة . ومبان أخرى محترقة . وبالجملة فقد أصبحت المدينة يخيم عليها جوّ من الرعب والكآبة والحزن حيث اختفَى سكانها ، حتّى لكأنها لم تكن تزخر عمرانا بالأمس وجمالا . وكان كل ذلك قدرا مقدورا .

بعد هذه الحكايات العارضة أعود إلى حكاية مع شركة احتكار التبغ ؛ قلنا : إنني انتقلت وعلى الأصح نقلت من غريان إلى طرابلس للعمل في قسم المشروعات . وقد استمررت مدّة في هذا المشروع . وفي يوم من الأيام تلك التقيت صدفة بالسيد «الحاج خليفة الزروق» وهو يومئذ مدير عام ميناء طرابلس فسألني أين أعمل وكم أتقاضَى في الشهر . فقلت أعمل في الحراسة العامة بقسم المشروعات . فقال لي أتنتقل معي في الميناء . قلت طيب أنا موافق .

انتقلت من الحراسة إلى الميناء . وكنت فيها رئيس قسم تصاريح دخول الميناء . وأنا لا أدري من كان يشغل هذا المكان . ولم تطل مدّة عملي بالميناء ، حتّى وقعت تغييرات عدّة ، من جملة هذه التغييرات انتقال الحاج خليفة

الزروق . وحلّ محلّه شخص يدعى «علي المغربي» لا أعرف أصله ولا موطنه . وبمجرد تسلّمه العمل وجّه لي رسالة تشعرني بانتهاء خدماتي . وتأمرني بتسليم عهدة المكتب بعد شهر من تاريخ الرسالة ، وبما أنني لا أعرف أسباب هذا التصرف ، والرسالة لم توضح أسباب هذا الإستغناء عني فقد اعتبرت العملية ظلما . ولذا كتبت رسالة تظلم وجهتها إلى كل من :

1 ـ مدير عام الموانى والمناير .
2 ـ مراقب الموانى والمناير للمحافظات الغربية .
3 ـ وزير المواصلات .
4 ـ وكيل وزارة المواصلات .

وأهم ما جاء في رسالتي هذه : (أن هذا الاستغناء عن خدماتي لا اعتراض لي عليه في حدّ ذاته كإجراء إداري متعارف . لو كان واضح الأسباب . ولكن عدم التوضيح يضفي على العملية ثوبا ضافيا من «التعسفية» ومن جهة أخرى فإن غموض الأسباب يجعل المستغنى عنه عرضة للشكوك والأقاويل ، الأمر الذي يمسّ بكرامته ...الخ) وبعد أيام وقبل حلول الأجل المضروب في الرسالة تلقيت رسالة عن تظلمي مؤرخة في 15 / 12 / 1968 م من السيد وزير المواصلات فيما يلي نصّها :

السيد أحمد زارم

بالإشارة إلى تظلمكم حيال موضوع إنهاء خدماتكم كرئيس لقسم تصاريح دخول الميناء بمصلحة الموانى والمناير نفيدكم بأن الاستغناء عن خدماتكم لم يكن نتيجة لتعيينكم عضوا في المجلس الاستشاري بل لأن الواقع أثبت أن الوظيفة المسندة إليكم لا يستدعي شغلها شخص في مثل كفاءتكم ، وعلى أي حال فقد أصدرنا تعليماتنا بأن تلتحق بعمل في مصلحة البريد والبرق والهاتف وبناء عليه يطلب منكم الاتصال بها لاستلام عملكم الجديد .

انتقلت إلى مصلحة البريد كمفتش ، ولم تطل مدّة عملي في البريد حيث جاءت مجموعة من المواطنين وطلبوا من مدير البريد أن ينتدبني معهم للقيام بتشكيل لجنة لجمع التبرعات لمجاهدي فلسطين فلبى المدير طلبهم وشكلنا لجنة

واصلت عملها بنشاط وإخلاص . إلى أن قامت ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة وأسست صندوق الجهاد . وفي نفس الوقت ضمّت له جميع اللجان العاملة في هذا الميدان ، وعندئذ تلقيت رسالة من مصلحة البريد تشعرني بانتهاء انتدابي ، وتطلب منّي إما أن أعود لعملي في البريد ، أو البقاء في صندوق الجهاد ، وهنا اخترت البقاء في صندوق الجهاد . وها أنا لازلت به حتّى كتابة هذه المذكّرات .

* * * *

من أسباب كارثة رمضان السويحلي ـ وعبد النبي بلخير بصرفان

السياسة الإستعمارية الإيطالية في ليبيا

سمعت من بعض الذين لهم معرفة بالزعيمين «رمضان السويحلي ـ وعبد النبي بلخير» وبمنطقتيهما ، وعاصروا حوادثها السابقة واللاحقة ، ومن آخرين سمعوا ـ بدورهم ـ من أناس يعتبرونهم من الثقات . وقد يكون بينهم من كان على صلة بالطرفين ، سمعت منهم يقولون : إن رمضان السويحلي كان قد وجد ملجأ ومساعدة لدى عائلة عبد النبي بلخير في ورفلة ، وذلك حينما قتل هو وأخوه أحمد ، أبا القاسم المنتصر أحد أفراد عائلة بن منتصر المسراتية الشهيرة .

كما أن عبد النبي بلخير قد وجد هو الآخر مأوى لدى عائلة رمضان السويحلي في مسراتة أيام دراسته . هذا ما سمعته «والله أعلم بالصحيح» تلك هي بداية تعارف العائلتين فيما سمعت ، ولا أدري إن كان صحيحا هذا أم هناك سابقة لهذا التعارف . وعلى كل فقد تمكّن هذا التعارف وارتفع إلى مستوى الصداقة . ولقد دامت هذه الصداقة أمدا طويلا إلى أن بدأت تظهر خلال سنة 1919م بوادر تنذر بانفصامها ، ولقد وقع ذلك فعلا ، وانفصمت بين الرجلين سنة 1920م .

وإلى هنا انتقل إلى بحث آخر قد يبدو أنه بعيد عن موضوع البحث . ولكنه في الحقيقة مكمّلا له ، ولا يمكن الاستغناء عنه إذا أردنا أن نعرف

الأسباب والمسبّبات لموضوعنا هذا . وعليه نقول : إنه من الأمور المتعارف عليها هو أنه في جميع مناطق ليبيا ، كما في غيرها من الشعوب الأخرى ، يوجد شخصان أو أكثر يتنازعون زعامة منطقتهم : أيهم يكون فيها أوسع نفوذا ، وأنفذ كلمة . وهو صراع مستديم يطفو أحيانا ، ويخبو أحيانا أخرى ، تبعا لظروفهم وظروف مناطقهم . و «ورفلة» لم تكن شاذة عن غيرها في هذا المضمار ، حيث كان يوجد فيها عنصر ينازع «عبد النبي بلخير» زعامته على المنطقة . وهذا العنصر هو «عبد الهادي بن قطنش» كبير قبيلة السعادات .

ولكن الذي يبدو لنا أن عبد النبي كان أرفع مكانة في المنطقة ، وأوسع نفوذا بها «والأيام مداولة» في ذلك الوقت بالذات ، ولذلك فإن عبد الهادي بن قطنش الذي كانت له مكانة تاريخية في «ورفلة» طغى عليها ظهور عبد النبي بلخير في ميدان الزعامة فخبت «ذلك تقدير العزيز العليم» ومن هنا أراد أن يعمل على إعادة تلك المكانة بأية طريقة تتاح له ، فأخذ يعمل على تركيز نفوذه ، وتقوية مركزه في مستقبل الأيام ، فعمد إلى مداخلة الإيطاليين حسبما أشيع «والله أعلم» لكي يعلو على عبد النبي عندما يقع استيلاء الإيطاليين على المنطقة ، وكما قيل قديما ولكن في غير هذا الميدان : (وداوني بالّتي هي الداء) .

ومن هنا وحسب تحليلنا للأحداث على ضوء ما تقدّم فإن «عبد الهادي» يبدو لنا أنه على صلة بالإيطاليين فعلا ، وكان في طرابلس ، فكلف من طرفهم لبث الدعاية في «ورفلة» لصالحهم ، وعند وصوله لها ألقي عليه القبض من طرف عبد النبي بحجّة الطلينة .

وبهذه العملية كأنني بعبد النبي بلخير يتصوّر في نفسه بأنه قد أصاب عصفورين بحجر واحد ، أولاً يبدو له أن عمله هذا قد يبرهن على حقيقة وطنيته ، وإخلاصه للوطن في نظر الرأي العام . ناهيك بأنه قد ضحّى بشخصية من المستوى العالي بالنسبة لمنطقته .

ثانيا يرى أنه قد أراح نفسه من عنصر خطير يحاول مزاحمته النفوذ في المنطقة تدفعه إلى ذلك ذكريات الماضي وخيال المستقبل . ولكن (وما تشاءون

إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين) وبدلا من محاكمة عبد الهادي في «ورفلة» فقد أرسل به عبد النبي بلخير إلى رمضان السويحلي في مسراتة ، حيث حوكم وأعدم هناك . وكما فعل نفس الطريقة مع أحد قادة السنوسيين هو : «أحمد التواتي» فعندما قبض عليه هو الآخر في «ورفلة» أرسله أيضا إلى رمضان في «مسراتة» حيث حوكم ووقع إعدامه هناك أيضا .

وهذا التصرّف من عبد النبي بلخير يوحي إلينا إن لم أقل إنه يدلّ دلالة واضحة على أنه معترف بسلطة رمضان عليه أو تبعيته له على الأقل . وإذا لم يكن ذلك فبماذا نفسّر إذن إرسال المقبوض عليهما في «ورفلة» إلى رمضان في مسراتة ، كي يتولّى هذا الحكم عليهما بما يراه !؟

هذا الذي يتبادر إلينا وما نفهمه من خلال هذه التصرّفات . وأعتقد أنّني لست في حاجة إلى القول بأن هذا المفهوم هو راسخ في رأس رمضان قبل أن نفهمه نحن . وذلك ما جعله يرى نفسه أعلى مستوى وأوسع نفوذا من عبد النبي ، وأنه من أتباعه سواءًا كان عبد النبي يشعر بهذا طبقا لتصرفاته أم لم يشعر .

وزيادة على ما ذكرناه فإن الغواصات الألمانية التي كانت ترسلها الدولة العثمانية للمجاهدين تحمل بعض الأسلحة والذخيرة وغيرها ثم تعود محمّلة بالبيض وأشياء أخرى ، هذه الغواصات كانت تفرغ حمولتها من الأسلحة في الشواطئ الشرقية من «مسراتة» إلى «سرت» لبعد هذه الشواطئ عن أعين العدوّ ومراقبته . كما أن «مسراتة» عرضة لهجومات العدوّ ، نظرا لموقعها بالنسبة لورفلة . كما أن مسراتة تعتبر حاضرة وورفلة بادية .

كل هذه العوامل التي ذكرناها . وقد تكون هناك عوامل أخرى . كلّ هذه وتلك من مقوّمات سيادة المنطقة ، وسيادة المنطقة هذه كما هو معروف بالبداهة تنعكس على الشخص الأول فيها . ذلك الشخص الذي يفوز في معركة تنازع البقاء . ثم يحالفه الحظ فترفعه الظروف المواتية إلى قمّة المجد في مجتمعه الأوسع . وهذا ما جعل رمضان السويحلي يرى لنفسه الحق في أن يكون صاحب السيطرة على «ورفلة» .

غير أنه حينما تأسست الجمهورية الطرابلسية عين لها مجلس من أربعة رؤساء ، بدلا من رئيس واحد ، برضا من زعماء البلاد وقادة الجهاد وعلمائها وأعيانها . وذلك حفاظا على جوّ البلاد أن يفسده موتور وإبقاء على وحدة الصف أن يشتته مغرور ، في ظروف كانت دقيقة وخطيرة . وعلى كلٍّ فهو نظام مؤقت ريثما يتم الصلح وتستقر الحالة وتجري الانتخابات .

وهؤلاء الرؤساء هم :

سليمان الباروني .
رمضان السويحلي .
أحمد المريض .
عبد النبي بلخير .

ومن هنا تغيّر وجه التاريخ الشخصي فأصبح هؤلاء بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى في مستوى واحد لا تابع ولا متبوع فيما بينهم . وإن كان عبد النبي في الواقع رفض قبول ذلك القانون الأساسي وامتنع من التوقيع على مشروع الصلح لأسباب لا تزال غامضة عندنا إلى اليوم . وقد وقع نيابة عنه الهادي كعبار . ولنفس الاعتبارات التي جعلت أربعة رؤساء للجمهورية حتمت أيضا أن يترك لكلّ من الرؤساء الأربعة حرية التصرف في منطقته كالسابق دون قيد ، إلّا فيما يختص بالاتصال بالعدو ، على أية طريق من الطرق ، ولأي سبب من الأسباب فقد ضبطت ضبطا محكما .

ولقد كانت هذه الفترة آنذاك فترة مفاوضات ، والاتصالات جارية مع العدو بالطرق الرسمية المقرّرة ، واجتماعات رؤساء الجمهورية وغيرهم من زعماء وقادة الجهاد متوالية في سواني المشاشطة بجنزور ، يفكرون في الاستعداد لما قد تسفر عنه المفاوضات على أية حال كانت النتيجة ، سلما كان أم حربا ... وقد كان من بين المقررات العمل بسرعة على تدعيم الجبهة الغربية أمام العدو ، ونظرًا إلى أن هذه الجبهة أكثر استهدافا له حيث العاصمة . وأكثر تركيزا عليها لأسباب غير خافية ، وفي أحد هذه الاجتماعات قرّر المجتمعون فيما يخصّ تقوية هذه الجبهة الإسراع بجلب الأسلحة والذخيرة من مسراتة .

وهنا دار الحديث حول وسائل النقل . ومن المعلوم أنه وقتئذ ليس لدى المجاهدين من وسائل النقل إلّا الإبل ، وممّا نقلته شفويا عن بعض العارفين فيما أظن ـ والله أعلم بالصحيح ـ هو أن « رمضان السويحلي » نظر إلى « عبد النبي بلخير » وقال : إبل ورفلة هي التي تقوم بهذه المهمّة . وكأن عبد النبيّ قد اعتبر هذا القول من رمضان أمرًا منه . وربّما كانت المخاطبة تضمّنت صغة الأمر ، ولو عن غير قصد . والله أعلم . وإنه أي رمضان لا يزال يعتبر عبد النبي التابع له ، ولم يراع النظام الجديد الذي جعل الأربعة في مستوى واحد ، لا تابع ولا متبوع ، إلّا التشاور فيما بينهم ، بالرغم من امتناع عبد النبي عن توقيع مشروع الصلح كما ذكرنا .

ويبدو أن هذا التجاوز أثّر في نفس عبد النبيّ فأجابه بقوله : وربّما كان في هذا الجواب أيضا شيء من الحدّة . أجاب ـ ليس لورفلة إبل لحمل السلاح من مسراته ، فعلى هذه أن تتدبّر أمرها . وما على ورفلة إلّا المشاركة كغيرها . وقد اعتبر رمضان هذا الردّ من عبد النبيّ بادرة تمرّد عليه من شخص يعتبره من أتباعه كما قلنا آنفا مهما كان مستواه .

ومن هنا أخذ كلّ منهما في نفسه على الآخر « وربّما تبودلت بينهما بعض عبارات جافة » وعلى العموم فقد أصبح بقاؤهما معا لا يزيد الحالة إلّا سوءا وبعد مدّة غير معروفة غادر عبد النبي مركز المجاهدين إلى ورفلة ، وفي نفسه ما فيها عن صديقه .

يبقَى رمضان السويحلي مع المجموعة ، وأخذت تدور في رأسه أشياء خطيرة وخطيرة جدًّا . وبعد أيام طالت أو قصرت ، لا أدري ، تبلورت في رأسه الفكرة التي صمّم على تنفيذها ، وصارح بها الاجتماع . كما طالب الحكومة الإيطالية بمساعدته في الهجوم على ورفلة[1] فامتنعت عن ذلك ثم طالب اجتماع المجاهدين بتجنيد أسلحة الجمهورية وجيشها لمحاربة « ورفلة » إلّا أنه وجد معارضة واسعة وصلبة في هذا الاتجاه . وأنا هنا لست في حاجة إلى

---

1) رودولفو عرزياني : نحو فزان صفحة 3 .

الخوض في هذا الأمر بطريقة إنشائية اجتهادية ، قد لا أصادف فيها وجه الصواب . وإنما أنقل للقارئ حرفيا لفظًا ومعنى ، فقرات تتعلّق بالموضوع من رسالة موجهة من «أحمد الفسطاوي» إلى «أحمد المريض» بتاريخ 13 نوفمبر 1919 مع صورة شمسية لها . وفيما يلي نصّ الفقرات :

«... فقد عرفناكم بجواب من «العزيزية» وبعده عرفنا الضباط بما يريده «رمضان بك» من ضبط المدافع لحرب ورفلة ، وحذرناهم سوء العاقبة فامتثلوا ، بعضهم التحق «بالعزيزية» حسب إشارة «الصويعي بك» والبعض الآخر التحق بكم . والباقي انتظروا رحيل الرجل المعلوم . ولما تحقّق الرجل المذكور خيبة أمله خاف العاقبة ، وسافر ليلا بعد أن اتّفق مع بعض الضبّاط على ضبط المدافع في «غريان» حسب إفادة العسكر للصويعي بك يوم وصوله لهم بجنزور...

أما الجواب (المرسول) لكم من طرف الجماعة فبعد قدومي إلى طرابلس عرفتهم أسباب الخلاف ، وهو عدم حرب «ورفلة» من جهة الغرب لا غير . فإذا زال هذا زال الخلاف ، والاتفاق باق على ما هو عليه سابقا فكتبوا (جوابات) لكم ممضاة من الجميع الغرض الاجتماع والاتفاق فقلنا لهم : الاتفاق حاصل» .

وبعد مصارحة السويحلي هيئة المجاهدين بما عزم عليه انتشر الخبر في أنحاء البلاد ، فأحدث جوًّا من الكدر والأسف . وعندما وصل خبر هذا الخلاف الواقع بين رمضان وعبد النبيّ ، وأن هذا الأخير غادر (الواجهة) مغاضبا إلى ورفلة ، وأن رمضان لا يزال في «المشاشطة» يحاول تنفيذ فكرته الآنفة الذكر... عندها تحرّك شعب العاصمة «طرابلس» وعقد اجتماعا نتج عنه تشكيل وفد من ثلاث شخصيات علميّة بارزة لتلافي الموقف ورأب الصدع . وهذه أسماء الشخصيات :

الشيخ إبراهيم باكير .
الأستاذ محمّد الفقيه حسن .
الأستاذ الصّادق بلحاج .

وهذا الوفد غادر العاصمة إلى «سواني المشاشطة»[1] وهناك استقبله رمضان السويحلي بكلّ حفاوة وترحيب ، واجتمع به ، وبسط له الوفد مهمّته التي جاء من أجلها ، وأنه سيواصل مساعيه إذا كان ليس لديه مانع في إصلاح ذات البين . وأنه إذا وافقه فسيتوجه (أي الوفد) رأسا إلى ورفلة ، للاتصال بعبد النبيّ بلخير فوافق رمضان على طلب الوفد شاكرا لأعضائه سعيهم ، ورجا لهم النجاح والتوفيق فيه .

وبعد أن حاز الوفد على موافقة رمضان توجه إلى «ورفلة» وهناك استقبلهم (عبد النبي) بكل حفاوة وترحيب ، مقدّرا لهم جهودهم ، مكبرا لشعورهم . وبعد راحة فاتحوه في الموضوع . وأعلموه بأنهم اتصلوا برمضان ، وأنهم أخذوا منه الموافقة ، وبناء عليه يرجونه أن يصحبهم إلى مركز المجاهدين حيث الرؤساء والزعماء في الانتظار لإزالة ما علق في النفوس . وهنا أجاب عبد النبي أعضاء الوفد بقوله : «إنه ليؤسفني أن نواجهكم بحقيقة قد لا تسرّكم ، ولكنها حقيقة وإن كانت مرّة .

أقول لكم : أنتم على حسن نيّة وسلامة طويّة . ومع تقديري لأتعابكم ، وإكباري لجهودكم وشكري لشعوركم ، أرجو أن لا تؤاخذوني بأن أقول لكم إنني أعرف رمضان جيّدا . وأنتم لا تعرفون من رمضان إلّا ظواهره . ولذلك أقول لكم بكل أسف : إنه يتعذّر عليّ قبول ما طلبتموه مني ، وهو الذهاب معكم ، لما أعرفه من نوايا رمضان» .

عاد الوفد من «ورفلة» بدون نتيجة مرغوبة ، ولكنه مع ذلك غير يائس من نتيجة مساعيه ، حيث إنه في عودته من «ورفلة» قصد ترهونة واجتمع بأحمد المريض زعيم قبائل ترهونة ، وأحد رؤساء الجمهورية الطرابلسية ، ورئيس هيئة الإصلاح المركزية فيما بعد . وعرض عليه مشروعه وتطوّراته ، وطالبه بالتدخل في الموضوع ، فأجاب المريض طلب الوفد ، وبقي هذا في

---

1) لم أحصل على تاريخ تحركات هذا الوفد . ولعل الأستاذ علي الفقيه حسن أطال الله عمره في صحّة عنده شيء من ذلك .

ضيافة المريض في انتظار ما ستسفر عنه تدخلاته . بينما شكّل هذا وفدا من رجاله ، قوامه ثلاث شخصيات من أبرز شخصيات ترهونة . هم :

الشيخ عبد الصّمد النعّاس .
الحاج صالح بن سلطان .
عبد السّلام الصغير المريض .

وبعد أن أتم الوفد استعداداته توجّه رأسا إلى « ورفلة » واجتمع بعبد النبي بلخير ، وعرض عليه ما جاء من أجله ، واستأذنه في الانتقال إلى ترهونة ، فاعتذر لهذا الوفد بما اعتذر به للوفد الأول تقريبا . ولكن هذا الوفد ألحّ عليه ورجاه أن لا يرجعه خائبا ، فليحضر إلى ترهونة للتباحث في الموضوع مع أحمد المريض ، وهناك يرى رأيه ، وأخيرا وافق بعد ما قال لهم : لقد جئتموني يا ترهونة « عُصيَّة وفي رأسها دبُّوس » ثم اتفقوا على موعد الاجتماع في ترهونة ، وعاد الوفد إلى المريض وأخبره بما تم في الموضوع ، وعندها شكّل أحمد المريض وفدا من شخصين اثنين هما :

محمد الصغير المريض أخو أحمد المريض .
المبروك المنتصر الترهوني .

وانطلق هذا الوفد من « ترهونة » إلى « سواني المشاشطة » فاستقبله رمضان السويحلي بحفاوة وترحيب ، فعرضوا عليه ما تم عليه الاتفاق ، وأعلموه بموعد اللقاء لدى أحمد المريض في ترهونة . فأجابهم بكل رضى وموافقة ، وبقي هذا الوفد الثنائي ، هناك انتظارا للموعد الذي سينتقل ، فيه مع السويحلي إلى ترهونة . وفي صباح اليوم التالي استدعى السويحلي الوفد ، واجتمع به من جديد . وبعد مقدّمة قال للوفد : إكراما لكم ، وجبرا لخواطركم فإني قد تجاوزت عن عبد النبي بلخير ، وأعدكم أنه لن يرى منّي سوءًا . وأما الذهاب إليه ومقابلته فذلك غير ممكن ، ولا أستطيع أن أفعله .

وإلى هنا أقف قليلا لأسجل الدور الذي لعبته السياسة الاستعمارية الإيطالية في هذا الموضوع بالذّات ، لكي يبقي في سجلّ تاريخ البلاد

كموعظة لأجيال آتية . هذا الدور الشيطاني حسبما تواترت أخباره على ألسنة المواطنين هو الذي كان السبب الرئيسي في خيبة مساعي الوفود كلّها . وتوفّقت السياسة الاستعمارية .

ومن المعلوم بالبداهة أن السياسة الاستعمارية الإيطالية ليس من مصلحتها نجاح هذه المساعي بطبيعة الحال . هذه المساعي التي تهدف إلى المصالحة بين زعيمين ، هما ركنان قويّان . ولذلك فما كاد وفد العاصمة السالف الذكر يصل إلى «سواني المشاشطة» ويجد قبولا يبشر بالنجاح في مهمته ، حتّى اختلقت دوائر الاستعمار في طرابلس آنذاك فكرة فظيعة ، وعملت ، بطريقة ما ، على بثّها وإيصالها إلى حيث تريد بوسائط لها «وهي لا تعدم مساعدين لها» .

وقد أوصلتها فعلا إلى حيث يراد لها أن تصل ، وهذه الفكرة المختلقة تقول : إن هناك خطّة وشبكة الوقوع حيكت في أوساط المجاهدين للقبض على رمضان السويحلي والقضاء عليه نهائيا ! !

وصلت هذه الإشاعة المختلقة ، وبلغ وقعها في النفوس مبلغ اليقين . وممّا يؤيد وقوع هذه الإشاعة مبلغ اليقين إشارة الوفد الثاني لها بطريقة غير مباشرة ، حيث أن الوفد المذكور بقي هناك حتّى بعد تراجع رمضان عن موافقته ، بل وإلى أن ارتحل . فلقد قال الوفد المذكور في تلك الليلة التي أعقبت يوم مقابلتنا رمضان السويحلي ، والتي أجاب فيها بالموافقة وصل إلى المكان فجأة : أحمد السويحلي ، أخو رمضان ـ وعمر بودبّوس ـ صديق رمضان الحميم . ومن غد وصول هذين الإثنين فاجأنا رمضان بتراجعه عن وعده ، وفي اليوم التالي لهذا التراجع ارتحل ليلا إلى مسراتة .

وإلى هنا أعود إلى تفاصيل مساعي الوفد وتطوّراتها فأقول : وصل عبد النبيّ بلخير إلى ترهونة قبل الموعد المتفق عليه بيومين ، قصد التباحث مع المريض ورجالاته ، فلقد استدعى المريض مجموعة من أهل الحل والعقد من رجالات ترهونة . وعبد النبي بلخير ورجالاته الذين جاءوا معه .

وبدأ عبد النبي يقول : حينما جاءني وفدكم قلت لكم في شخصه : لقد جئتموني يا ترهونة (عُصيَّة وفي رأسها دبُّوس) وها أنا قد حضرت . وسواء

جاء رمضان أم لم يجئ فإنني أعتقد بأنه سوف يهاجمني ، فما هو موقفكم بيننا ..؟ فأجابوه : فإذا جاء رمضان وأصلح الله الحال فذلك ماكنّا نبغي . وإذا امتنع عن الحضور ، أو رفض الصلح وهاجمك ، فنحن معك .

وهنا قال عبد النبي : أنا أثق بوعدكم ولا أشك فيه ، غير أنه لزيادة الاطمئنان في القلوب ، وتبرّكا بالمكان وددت أن لو وقع هذا التعهد في «سيدي الشارف»[1] فاستجيب لطلبه ، وفعلا اجتمعوا حول الضريح ، وتعاهدوا على ذلك . ويقال : إنهم كتبوا محضرا بذلك . وفي اليوم التالي لوقوع هذا التعاهد وصل الوفد الثاني عائدا من «سواني المشاشطة» ولم يكن معه رمضان السويحلي ، وأخبر الجماعة بما حصل .

وإلى هنا غادر الوفدان ترهونة ، هذا إلى طرابلس ـ وذاك إلى ورفلة ـ ومرّت الأيام سراعا ، والأشهر تباعا ، وفي يوم عيد الإضحى من سنة 1340 هـ الموافق أغسطس من سنة 1920م هاجم رمضان السويحلي عبد النبي بلخير . وبلغ خبر الهجوم ترهونة ، فنهضت هذه للوفاء بعهدها .

ضرب الطبل في أرجائها ، فتجمع بسرعة حوالي أربعة آلاف مسلح ، وانطلقوا في اتجاه بني وليد . وفي الطريق على مشارف ورفلة التقى بهم وفد مرسل من ورفلة ، أعلمهم بأن رمضان قد انتهى أمره ، وعليه فلا داعي لزيادة التعب ، فالأفضل أن تعودوا إلى ترهونة مشكورين لكي تطمئنوا الناس هناك .

بعد مرور عامين من وقوع الكارثة انتشرت في المجتمعات الليبية إشاعة تقول : ان عبدالرحمـٰن عزام كان من وراء هجوم رمضان السويحلي على عبدالنبيّ بلخير . سمعت هذه من كثير من الناس ، ولكنني لم أروها لأحد ، ولم أتحدث بها . ذلك لأنني لم أصدّقها ، أوّلا لأنها إشاعة تعوزها الحجة المثبتة . وثانيا أنني أعتبر (عزاما) أرفع وأسمى من أن يفعل ذلك في بلد عربي

---

1) ضريح ولي في ترهونة وهو فرار مشهور .

إسلامي ، وفي ظروف ، هي أحوج ما تكون فيها للتكتّل والاتحاد ، وهو عارف بكل ذلك ، لأنه كان يعيش بين زعمائها حوالي سست سنوات .

ولكن أخيرا ظهرت مذكّرات (عزّام) وقد وصلنا الجزء الأول منها حاملة ما يعزّز تلك الإشاعة وقد جاء في هذا الجزء من المذكرات :

«صفحات من المذكّـرات السرّية لأول أمـين عام للجامعة العربية»

جاء في صفحة 167 ... وعاد السيد «أحـمد الشريـف» إلى ليبيا ليقيم في منطقة «سلطـان» إلى الشرق من «سرت» حتّى يكون قريبا من الشاطئ ، وليتسنّى له تسلّم بعض ما تلقيه الغوّاصـات الألمانية من مساعدات عسـكرية ومالية .

وكان «نوري باشا» قد أرسل إليه على إثر وصوله إلى منطقة الشاطئ قافلة ، تضمّ الدكتور سعيد دسوقي» وعددًا من الجنود من أهالي برقة ... ولكن حدث أثناء رحلة القافلة أن وقع اعتداء عليها أودى بجميع أفرادها ... وقيل وقتها : إن عصابة من الأشقياء هي التي هاجمت القافلة ولكن تبين فيما بعد أن الاعتداء كان مدبّرا من «رمضان السويحلي» للحيلولة دون حصول السيد «أحمد الشريف» على التعزيزات العسكرية .

اغرورقت عيناي بالدموع ، وأنا أسمع تفاصيل قصّة مصرع صديق الجهاد الدكتور «دسوقي» فقد كان بطلا ، وقد ذهب ضحية فتن محليّة .

فقال «نوري باشا» إنه تأثر كثيرا عندما عرف بالحادث ، وقد قام بتشييع جثمانه في احتفال عسكري ، وتمّ دفنه في مكان معروف بداخل سور مصراتة .

وأريد أن أقول : إن شعورًا غريبا انتابني بعد أن سمعت هذه التفاصيل للعودةَ إلى طرابلس والانتقام لمقتل صديقي المجاهد البطل .

... كان هذا شعوري تجاه الرجل (يعني أحمد الشريف) وقد حاولت مخلصا أن أساعده في حلّ مشكلته وتزويده بكل ماكان يحتاج إليه ، ممّا تحمله الغواصات الألمانية إلينا ... ولكن رمضان السويحلي كان يقف دائما لجميع محاولاتي بالمرصاد . وكان موقفي في تلك الأيام في أشدّ حالات الحرج ... أوّلاً لتصوّر رمضان السويحلي

أنني سأنتقم منه يوما للمذبحة التي دبّرها وذهب ضحيّتها صديقي المرحوم «الدكتور دسوقي» وكان أخذ يراقب كلّ حركة تبدو مني ، ويفسّرها أسوأ تفسير.

وجاء في صفحة 193 :

... وجاء إلى مصراتة في تلك الأيام صديقي المرحوم «محمد صالح حرب» يحمل رسالة هامّة من السيد أحمد الشريف إلى «الأمير عثمان فؤاد» وكان المرحوم محمد صالح حرب في أشدّ حالات النقمة على قتلة «الدكتور دسوقي» ومن كان معه .... ولا أريد أن أقول : إنني جاهدت كثيرا حتّى يعود المرحوم «محمد صالح حرب» سالما إلى مقر أحمد الشريف بناحية العقيلة !.

وجاء في صفحة 197 :

وفجأة التقطت محطتنا اللاسلكية خبرا يعلن إنهيار المقاومة في بلغاريا ، وبسرعة أخذت أفكر في احتمالات الموقف . وكان علينا أن نعدّ أنفسنا لمواجهة تطوّرات الأمور إذا ما تدهورت الحالة ، واضطرت الدولة العثمانية للتخلي عن حلفائها العرب ...

وفي تلك الأيام كانت علاقتي برمضان السويحلي قد توثقت إلى درجة كبيرة .

وجاء في صفحة 198 :

وفي بيت رمضان السويحلي التقيت بزعيم قبائل «أورفلة» الشيخ عبد النبي أبو الخير ، وكان رجلا شجاعا وقد اشتهر بالدهاء ... وكان معنا عدد من زعماء القبائل ... وتفجّرت المناقشة عندما وجهت سؤالا مباشرا إلى الحاضرين ... قلت لهم : لنفرض أن الدولة العثمانية قد انهزمت في الحرب . فماذا يمكننا أن نفعل لمواجهة مثل هذا الموقف؟..

وجاء في صفحة 199 :

اِلتفت الشيخ عبد النبي ناحيتي ... وهو يقول :

ما رأيك أنت؟..

قلت بسرعة : ليس أمامنا إلّا أن نقيم حكومة عربية لمواصلة الجهاد ... أمكن للبلاد أن تستمرّ في جهادها ... ووجد رمضان السويحلي في تنفيذ الفكرة الحلّ للموقف كلّه في حالة انهزام الدولة العثمانية .... ولذلك بادر بالترحيب بالفكرة .

أما الشيخ عبد النبي أبو الخير فقد تردّد قليلا ... ثم راوده شعور الحذر وسوء الظن ... وقد تبادر إلى ذهنه احتمال بأن أكون مدسوسا من العثمانيين ... ولذلك لم يتردّد في أن يشير إلى رمضان بيده ، محذرا من الاستمرار في الكلام . وكان الشيخ عبدالنبي وقتئذ من أعز أصدقاء رمضان ، وكان مستشاره وساعده الأيمن .

ذكرنا هذه الفقرات من مذكرات « أوّل أمين عام للجامعة العربية » عبدالرحمن عزام رحمه الله تعالى ، وكنا نظن أن هذه المذكرات إذا ظهرت للوجود سوف نجد فيها البداية والنهاية والأسباب والمسببات لتلك الكارثة التي كانت بداية النهاية لجهاد دام عشرون عاما ، ولا نظير له في عصره . وكان من المنتظر أن تكون النتيجة النهائية لوقفة كتلك التي وقفها الشعب الليبي الفوز والافتخار ، ولكن هذه الكارثة وما سبقها ليست ذلك الموقف الجهادي من نتيجة المنتظرة آنذاك .

لكن هذه المذكرات لم تذكر لنا شيئا من ذلك . إلّا ما نقلناه عنها هنا . مع العلم أن صاحبها كان قد عاش كل الأحداث : أحداث الكارثة من أوّلها إلى آخرها ، ولا شك عندي أنه يعلم جيدا بدايتها ونهايتها بالتدقيق . ومن هنا فإن عدم توضيح هذه المذكرة لأسباب وتطوّرات تلك الكارثة فيه ما فيه ... إلّا أننا يجب أن ننتظر قليلا ذلك ، لأن الذي وصلنا من هذه المذكرة جزء أوّل . وعليه فلا بد أن يكون هناك أجزاء أخرى ، أو جزء آخر على الأقل ، عسَى أن نجد فيه ما يوضح لنا ما نحن في حاجة إلى معرفته من العوامل والأسباب والدوافع التي أدّت إلى تلك الأحداث الرهيبة المدمرة .

على كل هذا ما وصلنا إليه اليوم في بحثنا هذا حول الدوافع التي أدّت إلى حدوث تلك الكارثة التي هي واحدة من تلك الكوارث التي مني بها إقليم طرابلس . أو القسم الرئيسي من ليبيا . إذ قد وقعت مثلها في غربه كما وقعت هذه في شرقه ، وكلّ ذلك كان في أيام جهاده . وفي وقت كان ينبغي أن نوجه فيه كل الإمكانيات والجهود نحو العدو الجاثم آنذاك على شواطئ الوطن وبعض مدنه الساحلية للدفع به إلى البحر كي يعود من حيث أتَى .

حيث إن تلك الجهود ضاعت ، والآمال تبخرت آنذاك ، وحيث إننا اليوم نجترّ تلك الذكريات فلا مانع أن أقول بحسرة وأسف عميقين : فبينما كانت أفواه البنادق موجهة نحو العدو في نشاط وإخلاص وإقدام ، إذا بها تتحوّل في ساعة نحسة شيطانية ، وبسرعة إلى صدور المواطنين ، بعضهم ببعض وهو الأمر الذي يجعلني أقول : ليتها لم تقع ، ولم يسجلها التاريخ . حيث إنها ستبقى هذه وتلك نقطا سوداء في تاريخنا الوطني . ولو شاء ربّك ما فعلوه .

هذا ، وفي نهاية كلامي هذا أودّ أن أقول ، بعد بحث واتصالات حول أسباب ومسببات ذلك الصدام الذي وقع بين زعيمين وطنيين ، ولا أقول بين طائفتين ، لأنه لا حرب يبقَى ولا عداوة تدوم بين المسلمين ، هذا بحكم الإسلام . بل كل شيء ينتهي بانتهاء أسبابه ويذهب مع ذهاب العناصر التي تثيره . والمسلمون إخوة كما قال الله ، فلا تُفرّق بينهم الأحداث الطارئة إن كان في القلوب إسلام وإيمان .

أجل ، بعد بحث واستقصاء لدى بعض من أعتقد فيهم سعة الاطلاع وصدق الرواية وصلت إلى تحديد أسباب أربعة لما حدث . ولكنّني مع ذلك لا أستطيع أن أقول : هذه هي الأسباب الصحيحة والوحيدة لما حصل . وسواء كانت هذه هي الأسباب فعلا أو بعضها ، فإني أترك ذلك للباحثين في الموضوع مع الزمن ، عسى أن تظهر أسباب أخرى أصحّ . أو مكمّلة لهذه . وعلى كل حسبي أنّني قد فتحت بابا كان مغلقا للبحث في هذا الموضوع الغامض .

ذلك لأنه في اعتقادي أن بحثه وتحديد أسبابه الحقيقية لوقوع ذلك الصدام المدمّر لم يكن من باب إثارة موضوع يراد تغطيته ونسيانه ، لا ، بل إنني أرى أن تحقيقه وفهم أسبابه فيه موعظة . بل فيه مادّة تربوية لأجيال آتية ، هذا هو الذي دفعني إلى الدخول في هذا الميدان الغامض .

وكما أنني ألاحظ أنني لا أستهدف من بحثي هذا تحديد المخطئ من المصيب ، أو الظالم من المظلوم ، كلّا ، لأنني لا أستطيع أن أجعل نفسي حكما في موضوع دقيق جدًّا ، ولا يزال يكتنفه غموض كبير . وإنما أقصد محاربة الأخطاء المهلكة ، ولو عن طريق تسجيلها للتاريخ كي تقع الاستفادة منها . أمّا مثيروها وضحاياها فهم اليوم بين يدي الله تعالى : «إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» .

ذلك لأن الصراع البشري حول تنازع البقاء يسير مع الحياة شبرا بشبر ، ولا ينتهي إلّا بنهايتها . والشعوب والأمم عرضة لاعتداء بعضها على بعض ، وإن الذين يصدقون أن في عالمنا هذا عدالة وإنسانية هم غير مدركين لما جرى ويجري وما سيجري أيضا . وإذا وجدت العدالة والإنسانية في الأفواه فلا وجود لها في التطبيق . وإذا وجدت في ميدان ما ، في بعض الأوقات فذلك لحاجة في نفس القوني ليتخذها مطيّة لهدفه ، لا لذاتها . وهذه الأسباب الأربعة التي وصلت إليها في بحثي هذا هي :

1 ـ تلك الإشاعة التي اختلقتها دوائر الاستعمار الإيطالي في طرابلس آنذاك .

2 ـ موضوع نقل المواد العسكرية من مسراتة إلى السواني الذي أثار الغضب بين رمضان وعبد النبي .

3 ـ رفض عبد النبي بلخير الصلح وامتنع من التوقيع على مشروع الصلح «حتّى وّقع عليه الهادي كعبار» .

4 ـ موقف عزام وعزمه على الأخذ بثأر «الدكتور دسوقي» حسبما آلى على نفسه في مذكّراته .

وفي نهاية كلامي هذا أتوجه إلى الله جلّ شأنه أن يغفر للجميع ، بمنّه وكرمه ، وأن يجعل القاتل والمقتول في الجنة بمحض عفوه ورحمته . كما أنني أستغفر الله العلي القدير من كل خطأ أو غلط أو نسيان أو زيادة أو نقص غير مقصود في كل ما كتبته بيدي . كما أرجوه جلّ شأنه أن يهديني إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

محتويات الكتاب

المقدمة 7
مقدمة الجزء الأول 13
مقدمة الجزء الثاني 21
بين يدي القارىء 31
انهزام إيطاليا وبدء البحث في قضية المستعمرات الايطالية 35
مفاوضات بنغازي الأولى 43
مولد هيئة تحرير ليبيا 54
هيئة تحرير ليبيا في طرابلس 62
لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية تصل إلى طرابلس 70
نداء من السعداوي إلى الشعب الليبي 73
ذهبت الأموال وخابت الآمال وارتفع الستار 75
نصيحة مشبوهة من صديق رفضتها فغضب عني 79
مؤتمر مسلاته.. مقدماته وانعقاده 87
حاكم منطقة حاول أن يغريني فاستدرجته فانفضح 95
من طرق المنحرفين في مقاومة الحركة الوطنية 99
سانحتان أذكرهما للإعتبار 102
مشروع بيفن ـ اسفورزا وغضب الشعب الليبي 105
زيارة منطقة سرت ومعاكسات حزب الاستقلال 124
حول زيارة إدريس إلى لندن يوليه 1949م 127
كيف. وبماذا. ولماذا. وأين. تأسس حزب الاستقلال ؟ 132
انعقاد مؤتمر تاجوراء. اسبابه ودوافعه 142
من حوادث سنة 1901 م في الحركة الوطنية الليبية. حملة اعتقالات 159
من مذكرة الاستاذ سعيد السراج، هذه نالوت 170

من مذكرة الاستاذ سعيد السراج، جولة في واحة الجويبية الخضراء 175
= = = ، جريدة وتمثيلية يصدرها المعتقلون في نالوت 179
= = = ، الحلاق والطبيب وأسعار المنطقة 184
= = = ، جولة في قصر نالوت العتيق ـ وسركوكم 191
بشير السعداوي والصنداي قبلى 199
من ذيول قنبلة موكب ادريس سنة 1951م 201
السعداوي يتحدث إلى الشعب الليبي من اذاعة الأمم المتحدة 205
حوادث سنة 1952م الإنتخابية بمنطقتي العجيلات وصبراته 207
من ذيول حوادث العجيلات. قصة مثيرة يرويها البشير
بن صالح بن حسين احد أبطالها 212
من تاريخ الادارة البريطانية في ليبيا ، انتخابات سنة 1952م بمسراته 224
حوادث سنة 1952 م بالزاوية الغربية 233
الشباب الليبي يندفع في ميدان العمل 238
صورْ من معاملة الحكومة المفروضة لكبار الموظفين 243
من مفكرة سالم المريض ، كيف تم تشكيل الجمعية التأسيسية 25
قضية المستعمرات الإيطالية السابقة أمام هيئة الأمم المتحدة 265
في الدورة الرابعة للجمعية العمومية هيئة الأمم المتحدة 278
السعداوي يهنىء الشعب الليبي بالاستقلال ويهيب به 290
هيئة الأمم المتحدة تقرر استقلال ليبيا ووحدتها 292
مندوب هيئة الأمم المتحدة يصل إلى طرابلس 295
أنا . ووالي طرابلس . وشركة احتكار التبغ 297
امن اسباب كارثة السويحلي وعبد النبي 304



عدد الناشر : 88 ـ 87 ـ 400

... فهذا وذاك ما دفعني إلى جمع ذكرياتي هذه . والبحث عن حركات ووقائع الفترة تلك وأحداثها وصورها الشمسية بهدف إظهار مجهودات الجماهير الشعبية . ومواقفها الوطنية التاريخية ضد المطامع التي كانت تستهدف السيطرة عليها . ليحفظها التاريخ للأجيال المتتالية على مر العصور عسى أن تكون في قصص تاريخ السلف عبرة وموعظة للخلف ...

الدار العربية للكتاب: المقر الرئيسي: عمارة وفاء: شارع غومة المحمودي
ص. ب: 3.185 الهاتف: 47.287 طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية ـ
الفرع الرئيسي: المنار2، نهج 7101 رقم 4 ـ الهاتف: 236.600
ص. ب: 1.104 تونس العاصمة ـ الجمهورية التونسية

الثمن: 100 ، 3 د. ل ـ 500 . 7 د. ت